

تَهْذِيبُ سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ

تهذيب
عبد السلام محمد هارون
شيخ المحققين

تنقيح وضبط
د. نبيل عبد السلام هارون

دار الفکر

(١)

فهرسة دار الكتب والوثائق القومية

ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، ٨٢٨ - ٥٠٠
تهذيب سيرة ابن هشام / تأليف صح (تهذيب) عبد السلام
محمد هارون ؛ تحقيق نبيل عبد السلام هارون - القاهرة ،
دار الطلائع للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦

٣٦٨ ص ؛ ٢٤ سم

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية

تدمك ١ - ٣٥٨ - ٢٥٠ - ٩٧٧

١ - السيرة النبوية

أ - هارون - عبد السلام محمد (مهدب) ب - هارون، نبيل عبد السلام / محقق

٢ - العنوان

ديوى ، ٢٣٩

رقم الإيداع : ٢٦٤٩٠ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولي : 977-250-358-1



للنشر والتوزيع والتصدير

٥٩ شارع عبد الحكيم الرفاعي - مدينة نصر - القاهرة
تليفون : ٢٧٤٤٦٤٢ - ٢٣٨٩٣٧٢ (٢٠٢) فاكس : ٢٣٨٠٤٨٣ (٢٠٢)
Web site : www.altalae.com E-mail : info@altalae.com

جميع الحقوق محفوظة للناسر

يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أى جزء من هذا الكتاب دون إذن
كتابى سابق من الناسر ، وأية استفسارات تطلب على عنوان الناسر .

تصميم الغلاف : إبراهيم محمد إبراهيم

مطابع العبور الحديثة بالقاهرة ت : ٦٦٥١٠١٢ فاكس : ٦٦٥١٥٩٩

تطلب جميع مطبوعاتنا من وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية
مكتبة الساعى للنشر والتوزيع

ص . ب ٥٠٦٤٩ الرياض ١١٥٢٢ - هاتف : ٤٣٥٣٧٦٨ - ٤٣٥١٩٦٦ فاكس : ٤٣٥٥٩٤٥
جدة - هاتف : ٦٥٣٢٠٨٩ - ٦٥٢٤٠٩٥ فاكس : ٦٥٢٤١٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

نورٌ وهَّاج أفضى إلى ظلمات الجهل والوثنية
فانجابت كما ينجاب الغمام، وهَدَى من الله أرسله
إلى هذه الإنسانية الضالَّة فانتشلها من ضيعة،
وانتاشها من هلاك، وأنقذها مما كانت تتخبط فيه
من دياجير الظلام، وعقابيل الضلال.

كانت حياته ﷺ صفحة عريضة من صفحات
الجهاد لإنقاذ هذه البشريَّة، ومثلاً صادقاً من مُثُل
البِرِّ والمرحمة، وسيرة عالية سامية، في معاملة
الخالق ومعاملة المخلوق، تلمع أضواء هذه السيرة
في كتاب الله الذي يقول: ﴿وَلَئِكَ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾
[القلم: ٤]، وفي آفاق الكتب الوثيقة التي حَظَّها العلماء
منذ القدم، متضمنةً نفحاتٍ من هذا العطر،
وومضاتٍ من ذلك الإشراق.

صلى الله عليه وسلم، ورضي وأنعم.



المحتويات

٧ تقديم الطبعة الثانية
٩ تقديم الكتاب
١٥ الفصل الأول : ما قبل المولد الشريف
٢٨ الفصل الثاني : من المولد إلى ما قبل البعث
٤٠ الفصل الثالث : من البعث إلى إسلام حمزة
٥٢ الفصل الرابع : من قول عتبة بن ربيعة إلى هجرة الحبشة
٦٤ الفصل الخامس : من إسلام عمر بن الخطاب إلى الإسراء
٧٧ الفصل السادس : من المعراج إلى بيعة العقبة
٩١ الفصل السابع : من نزول الأمر بالقتال إلى قدوم المدينة
١٠٤ الفصل الثامن : من الخطب والعهود إلى ما قبل بدر
١١٥ الفصل التاسع : غزوة بدر الكبرى
١٣٤ الفصل العاشر : ما بعد بدر إلى أحد
١٥٧ الفصل الحادي عشر : من بعد أحد إلى دومة الجندل
١٧١ الفصل الثاني عشر : من الخندق إلى غزوة ذي قرد
١٩٣ الفصل الثالث عشر : من بني المُضَطَّلِق إلى الهدنة
٢١١ الفصل الرابع عشر : من خيبر إلى مؤتة
٢٢٥ الفصل الخامس عشر : فتح مكة
٢٤١ الفصل السادس عشر : غزوتا حنين والطائف
٢٥٧ الفصل السابع عشر : عمرة الجعرانة إلى غزوة تبوك
٢٧١ الفصل الثامن عشر : من المخلفين بتبوك إلى نزول سورة الحجرات

٢٨٥ الفصل التاسع عشر : بقية عام الوفود
٣٠٤ الفصل العشرون : حجة الوداع إلى صلاة أبي بكر بالناس
٣٢٠ الفصل الحادي العشرون : من سقيفة بني ساعدة إلى ختام السيرة
	الفهارس الفنية :
٣٣٣ فهرس السير والمغازي
٣٣٥ فهرس الأعلام
٣٤٨ فهرس القبائل والطوائف ونحوها
٣٥١ فهرس البلدان والمواضع
٣٥٥ فهرس اللغة



بسم الله الرحمن الرحيم

نَقَبِيم

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ

ما إن صدر كتاب « تهذيب سيرة ابن هشام » في طبعته الأولى عام ١٣٧٤ هـ حتى تلقتة الأمة بالقبول والإقبال، فتوالت طبعات الكتاب من هذه الطبعة التي تعدد ناشروها، فذاع صيته في الآفاق. وقد وجد فيه القارئ المسلم بغيته في تذوق عمدة كتب السيرة المطهرة كما نقلها ابن هشام عن رواية ابن إسحاق، سائغة منتقاة، في قالب موجز قريب المنال؛ تحقق به ما أراده المؤلف له أن يكون: «التهذيب ضرباً من التيسير لمن لم تتح له قراءة الأصل، ووصلة صالحة تصل بين شباب اليوم وتراثهم القديم الكريم. وبحسبك أنك تستطيع أن تقرأ هذا الكتاب في أيام معدودات فتظفر منه بالخير العاجل الكثير، وأنت إذا قرأت الأصل - ولست بمطيعه - اقتضاك هذا من الوقت أشهراً معدودات».

أما كتاب « السيرة النبوية لابن هشام » بنصها الكامل فقد حظيت هي الأخرى بعناية علماء أجلاء آخرين من جيل الرواد في تحقيق وإخراج التراث، فانكبوا على تحقيق طبعتها الحديثة ومضاهاتها بأقدم مخطوطات السيرة، وغيرها من مصادر ومراجع السيرة والحديث والتأريخ واللغة، سعياً لاستخراج وضبط وإقامة النص كما خطه ابن هشام.

ولما كانت هذه التحقيقات المتعددة قد سبقت أو واكبت أو أعقبت تأليف تهذيب السيرة في طبعته الأولى؛ كان من حق الكتاب أن يُراجع على أفضل النسخ المحققة من السيرة الكاملة. وقد اعتمد لهذا العمل أوثق تحقيقين وأكثرهما قبولاً وهما:

- تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، على عدد من المخطوطات وأقدم النسخ المطبوعة.

- تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، على كثير من كتب السيرة والتاريخ وشروحها.

وحيثما اختلف التحقيقان في كلمة أو عبارة كان الترجيح للمصدر الأول فيما يتعلق بإقامة النص، وللمصدر الثاني لما يتعلق بالضبط اللغوي للألفاظ والمعاني. وإتماماً للفائدة فقد نُقحت هذه الطبعة بإضافة مزيد من الأحداث والفقرات (قراءة ٤٠ موضعاً) من أصل السيرة - مما لم يرد في الطبعة السابقة - بحسبها ذات شأن وفائدة للقارئ، كما حُذفت بعض الروايات التي وردت عن أخبار العرب قبيل مولد الرسول الكريم ﷺ، مما لا غناء فيه ولا سند له صحيحاً.

وسعيًا لمزيد من التيسير والإيضاح فقد أُثريت هذه الطبعة أيضًا بالمزيد من شرح وبيان معاني الألفاظ، كما امتازت أيضًا بالتوسع الشديد في الضبط بالشكل للألفاظ صرفًا ونحوًا - حتى يلبي الكتاب حاجة قارئ اليوم، الذي وهنت - لعوامل عديدة ومعروفة للكافة - صلته باللسان العربي القويم.

ثم رُتب التهذيب وقسم إلى واحد وعشرين فصلاً، تشويقاً للقارئ وقطعاً للملل. ونأمل أن يكون التهذيب في إخراجهِ الجديد : قريب المورد واضح العبارة وافر الفائدة. وندعو الله القبول الحسن من كل من ساهم وأزر في ذلك، وأن يجزي كل من نقل السيرة المطهرة ورواها، أو هذبها وحققها أفضل الجزاء.

القاهرة في غرة ذي الحجة ١٤٢٦ .

نبيل عبد السلام هارون

[تَقْدِير]

التاريخ والسيرة :

لم يعرف العرب التاريخ في جاهليتهم إلا ما توارثوه بالرواية ، وكانت طبيعة التاريخ حينئذ مسيطرة لطبيعة الحياة العربية ، ففيه مفاخر الآباء والأجداد ، من بطولة ومن كرم ومن وفاء ، وفيه الأخبار تدور حول الأنساب والأحلاف ، وفيه ما صنعوا من حديث يذكر تاريخ البيت وسدنته ، وزمزم وانبعاثها ، وأنباء جرهم وأمراء قريش ، وسد مأرب الذي انبثق فتفرق القوم إثره في البلاد ، وما كان من أخبار الكهان وأسجاعهم ، ونحو ذلك مما يصور حياتهم الاجتماعية والسياسية والدينية .

وجاء الإسلام وتلك الأخبار تروى ، وتلك الأنباء تؤثر ، ثم وجدوا في ظهور دعوة الإسلام وما سبقها من إرهاب بالنبوة ، ومن حياة الرسول الأولى ونشأته الكريمة ، وما تلا ذلك من أنباء الرسالة وأنباء المسلمين أصحاب رسول الله ، وأخبار أعداء رسول الله ، وسيرة رسول الله في المسلمين والمشركين والنصارى واليهود ، مادة غزيرة النبع واسعة الآفاق ، فتداولوا بينهم تلك الأخبار من طريق الرواية كذلك ، وكان القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام الأصحاب ، سجلاً حافلاً لتلك الحياة الجديدة .

كان القرآن مكتوباً ، ولكن الحديث النبوي ظل دهرًا طويلاً في منأى عن الكتابة ، لا يعرفه الناس إلا رواية موثوقاً بها ، ولم يجرؤ أحد أن يكتب الحديث بصفة عامة ، استجابة لما ورد في حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ، فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحاه » .

وكانت الحكمة في هذا ظاهرة ، وهي الخشية من أن يختلط الوحي بحديث الرسول في أثناء نزول الكتاب ، وواضح أن هذا الأمر إنما كان يقصد به المحافظة على هذا الغرض الكريم ، وكان بلا ريب مؤقتاً بنزول القرآن .

وظل الأمر كذلك حتى كانت أيام عمر بن عبد العزيز ، الذي ولي الخلافة من سنة ٩٩ إلى سنة ١٠١ . ويذكرون أنه ظل يستخير الله أربعين يوماً في تدوين الحديث ، فخار الله له ، وأذن لأبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم في تدوين الحديث فدون ما كان

يحفظه ، في كتاب بعث به إلى الأمصار . وكان أبو بكر هذا قاضيًا وواليًا على المدينة ، وتوفي سنة ١٢٠ هـ .

كما أمر عمر بن عبد العزيز أيضًا محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، شيخ مالك : أن يدون حديث رسول الله ، فصنع في ذلك كتابًا .

واستمر المسلمون من ذلك يؤلفون في الحديث ، لا تتقيد كتبهم بنهج خاص في التنسيق والترتيب ، بل يجمعونها كما يتفق لهم ، وقد يصنف أحدهم كتابًا في باب خاص من أبواب التشريع . ثم تدرج التصنيف فألفيناهم يؤولون كتب الحديث ويفردون من ذلك أبوابًا خاصة لأخبار الرسول ﷺ ، يذكرون ما كان من أمر ولادته ورضاعه وما بعدهما إلى البعثة ، ثم يفصلون أحواله بعد ذلك في مكة ، من دعوته قريشًا إلى دين الله ، وصبره على إيدائهم له ولأصحابه ، ويتناولون أخبار الغزوات والسرايا وما أشبه ذلك من أمور الجهاد .

وانطلق المؤرخون في سبيل آخر يؤلفون في التاريخ كتبًا عامة ، وقد يخصص أحدهم تاريخًا لحياة الرسول الكريم ، يشبعون بذلك ميولهم الدينية الخاصة ، التي ترى في الرسول - لا ريب - قدوة المسلمين ، وهدى المهتدين .

مؤلفو السير :

فكان أول كتاب السيرة عروة بن الزبير بن العوام (٩٢) ، وأبان بن عثمان (١٠٥) ، ووهب بن منبه (١١٠) ، وشرحبيل بن سعد (١٢٣) ، وابن شهاب الزهري (١٢٤) ، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم (١٣٥) .

وقد بادت كتب هؤلاء جميعًا ، لم يبق منها إلا أشلاء متناثرة في بطون التاريخ كتاريخ الطبري ، وإلا قطعة من كتاب وهب بن منبه محفوظة في مدينة هيدلبرج بألمانيا . ثم جاءت طبقة من المؤلفين كان أشهر رجالها موسى بن عقبة (١٤١) ، ومعمربن راشد (١٥٠) ، ومحمد بن إسحاق (١٥٢) .

وطبقة أخرى كان منها زياد البكائي (١٨٣) ، والواقدي صاحب المغازي (٢٠٧) ، وابن هشام (٢١٨) ، ومحمد بن سعد صاحب الطبقات (٢٣٠) .

سيرة ابن إسحاق :

وكان أشهر هذه الكتب وأعلها مقاماً وأشدّها وثوقاً ، سيرة محمد بن إسحاق^(١) التي ألفها في أوائل أيام العباسيين . يروون أنه دخل على المنصور ببغداد ، وبين يديه ابنه المهدي ، فقال له المنصور : أتعرف هذا يا ابن إسحاق؟ قال : نعم ، هذا ابن أمير المؤمنين . قال : اذهب فصنف له كتاباً منذ خلق الله آدم - عليه السلام - إلي يومك هذا . فذهب ابن إسحاق فصنف له هذا الكتاب ، فقال له : لقد طوّلت يا ابن إسحاق ، اذهب فاختره .

فاختره . وألقى الكتاب الكبير في خزانة أمير المؤمنين .

سيرة ابن هشام

وقد جاء بعده ابن هشام^(٢) فروى لنا هذه السيرة مهذبة منقحة بعد تأليف ابن إسحاق لها بنحو نصف قرن ، بوساطة رجل واحد ، هو زياد البكائي^(٣) . ولم يكن كتاب ابن إسحاق الذي رواه هشام بهذا القدر الذي بين أيدينا اليوم ، فإن

(١) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، أبو عبد الله المدني القرشي، مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف. كان جده يسار من سبي عين التمر، بلدة غربي الكوفة على طرف البرية، افتتحها المسلمون في خلافة أبي بكر سنة ١٢ هـ فجيء به إلى المدينة، وولد حفيده محمد فيها سنة ٨٥ هـ، وأنضى بالمدينة ثوب شبابه ورحل إلى البلدان الإسلامية، وكانت رحلته إلى الإسكندرية في سنة ١١٥ هـ فحدث عن جماعة من المصريين، ثم رحل إلى الكوفة والجزيرة والري والبصرة وبغداد، حيث ألقى عصاه ووافته منيته فيها سنة ١٥٢ هـ، وفيه يقول ابن عدي: «لو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء للاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ، ومبعثه ومبتدأ الخلق، لكانت هذه فضيلة سبق بها ابن إسحاق».

(٢) هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري. كان منشؤه بالبصرة، ثم نزل مصر واجتمع به الإمام الشافعي، وتناشدا من أشعار العرب الشيء الكثير. وصنف ابن هشام سوى تهذيبه سيرة ابن إسحاق كتاباً في أنساب حمير وملوكها، وكتاباً في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب. توفي بالفسطاط سنة ٢١٨ هـ.

(٣) هو الحافظ أبو محمد زياد بن عبد الملك بن الطفيل البكائي العامري الكوفي. والبكائي نسبة إلى بني البكاء، من بني عامر بن صعصعة. قدم زياد إلى بغداد وحدث بها بالمغازي عن محمد بن إسحاق، وبالفرائض عن محمد ابن سالم، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها في خلافة هارون سنة ١٨٣ هـ. وكان ابن هشام يقدر هذا الشيخ حق قدره، فيقول في صدر كتابه: «وأنا تارك أشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته».

ابن هشام تناول جوانب سيرة ابن إسحاق بكثير من التحرير ، والاختصار ، والإضافة ، والنقد أحياناً ، والمعارضة بروايات أخرى لغيره من العلماء كذلك . وقد ساق في صدر السيرة بعض منهجه لرواية ذلك الكتاب .

ونحن لا نشك مع ذلك أن ابن هشام كان ملتزماً جانب الأمانة والحرص في رواية كتاب ابن إسحاق ، لم يبدل منه كلمة واحدة ، ولم يزد كلمة لبيان الخطأ أو شرح الغامض أو معارضة الروايات إلا صدّها بقوله « قال ابن هشام » .

وأما الاختصار فإنه كان المقصد الأساسي في روايته للسيرة ، فحذف ما كان قبل تاريخ إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام- منذ بدء الخليقة ، وكذا حديث أبناء إسماعيل ، والأخبار التي ليست من السيرة في شيء - فيما كان يراه هو- وحذف الأشعار الكثيرة التي كان يشك في مبلغ روايتها من الصحة .

والمتعقب لأصل السيرة من رواية ابن هشام يلمح في ذلك طابع الحرص الشديد والأمانة الصارمة ، التي كانت سمة العلماء المسلمين في تلك العصور القديمة .

منزلة سيرة ابن هشام :

ومهما يكن من شيء فإن كتاب ابن إسحاق كان العمدة لقراء السيرة منذ قديم الزمان إلى يومنا هذا ، ولا تكاد تجد رجلاً أو غل في دراسة سيرة الرسول إلا وكتاب ابن إسحاق إمامه الأول في ذلك .

وقد عرفت سيرة ابن إسحاق بين العلماء منذ عهد عهيد باسم « سيرة ابن هشام » لِمَا أنه كان راوِيَهَا ومهذبها . يقول ابن خلكان : « وابن هشام هذا هو الذي جمع سيرة رسول الله ﷺ من المغازي والسير لابن إسحاق ، وهذبها ولخصها ، وهي السيرة الموجودة بأيدي الناس ، والمعروفة بسيرة ابن هشام » .

وقد لقيت هذه السيرة من الدارسين والشارحين عناية صادقة ، وشرحها أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي^(١) (٥٨١) شرحاً مسهباً في كتابه المسمى : « الروض الأنف » .

(١) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبع الخثعمي السهيلي الأندلسي المالقي ، وسهيل : ولد بالأندلس من كورة مالقة . عاش حياته في الأندلس ، إذ ولد بها سنة ٥٠٨ ، وأقام بمراكش أعواماً ثلاثة حيث توفي بها سنة ٥٨١ .

وجاء بعده أبو ذر الخشني^(١)، فتصدى للكتاب فشرح غريبه، وكتب شيئاً من النقد في كتابه «شرح السيرة النبوية»، الذي نشره الدكتور برونله. وصنع بدر الدين محمد بن أحمد العيني شرحاً له سماه: «كشف اللثام، في شرح سيرة ابن هشام»، فرغ منه سنة ٨٠٥.

ومن ناحية أخرى نجد آخرين قد عنوا باختصار السيرة، ومنهم برهان الدين إبراهيم ابن محمد المعروف بابن المرحل الشافعي، اختصرها وزاد عليها بعض ما كان ينقصها في كتاب جعله ثمانية عشر مجلداً، وسماه: «الذخيرة، في مختصر السيرة» أتم تأليفه سنة ٦١١. وأبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي، اختصرها في كتاب سماه: «مختصر سيرة ابن هشام»، فرغ منه سنة ٧١١.

وممن نظمها شعراً أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن سعيد الدميري الديري وكانت وفاته سنة ٦٦٣. وأبو بكر محمد بن إبراهيم المعروف بابن الشهيد المتوفي سنة ٧٩٣. وقد سمي كتابه: «الفتح القريب، في سيرة الحبيب»، وهو في بضع عشرة ألف بيت.

تهذيب سيرة ابن هشام:

وقد كنت في صدر الشباب أحاول المرة بعد الأخرى أن أقرأ هذا الكتاب الجليل من مبتدئه إلى منتهاه، فكان يصدني عن ذلك ما كنت أجده في ذلك التأليف من اضطراب واستطراد يكاد يذهب السأمة، فلا أقرأ منه إلا أجزاء متناثرة أراها كالرياض في صميم الفلاة، يغريني بقراءتها ما يجتذبنني من جمال القول، وجلال الغاية.

والحق أنني كنت أجده في تلاوة السيرة شيئاً مما كنت أجده في تلاوة الكتاب الكريم وحديث الرسول، من تعبد صادق، وخشوع خاضع. ولعل سرّاً دفيناً كان ينزع بي إلى معاودة تلك التلاوة: أن والدي -رحمه الله- كان ممن ألفوا في السيرة، صنع في ذلك موجزاً سماه «تلخيص الدروس الأولية، في السيرة المحمدية»، وجعله في ثلاثين فصلاً، وظل ذلك الكتاب دهرًا طويلاً لا يدرس سواه في المعاهد الدينية بمصر؛ إذ كان من برامج الدراسة فيها درس خاص يسمى «درس السيرة».

ولكنني مع ذلك لم أوفق لقراءة الكتاب كله، لما ذكرت من اضطراب التأليف

(١) هو أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الجبالي الخشني، نسبة إلى خشين، وهي قرية بالأندلس، وقبيلة من

قضاة. ولد سنة ٥٣٢ وتوفي سنة ٦٠٤.

وشيوخ الاستطراد . فقارئ السيرة تعترضه فصول طوال في أسماء أسارى بدر ، وأسماء خيل المسلمين ببدر ، وجريدة من حضر ببدر من المسلمين من قريش ومن الأنصار ، ومن استشهد منهم يوم بدر ، ومن قتل به من المشركين ، وما قيل من الشعر في يوم بدر ، وأشباه ذلك من الأمور السردية ، ومن الأشعار المسهية ، والأنساب المطولة ، والاستطرادات اللغوية ، وطائفة من تفسير كتاب الله مما لا يدخل في صميم السيرة وإن كان يحوم حولها . وشيء آخر هو السند الذي تصدر به معظم فقرات السيرة ، مما ليس له قدر إلا عند الناقدين من العلماء .

فحاولت في هذا « التهذيب » أن أستخلص لباب هذا التأليف لأقدمه إلى القارئ في ثوب جديد يستسيغ النظر فيه ، ولا تنقطع به السبيل في تلاوته ، مع الحرص التام على نص الكتاب ، بحيث يستطيع القارئ أن يقتبس منه ويستشهد به معزوًا إلى أصله الأول ، فإني لم أبدل حرفًا واحدًا من نص الكتاب ، لأنني راعيت فيه أمانة الأداء ، وراعيت باطراد أن أنسب إلى ابن هشام ما هو له ، بأن أنص على ذلك في صدر كلامه ، أو أجعله وحده في حاشية الكتاب معزوًا إليه ، طبقًا لما يقتضيه التأليف . وأما سائر النصوص فهي نصوص ابن إسحاق من رواية ابن هشام . ولم أذكر من الإسناد إلا ما هو ضروري لإقامة النص ، مما رواه ابن إسحاق أو ابن هشام منسوبيًا إلى قائله .

وقد عنيت أن أضبط تلك النصوص جميعًا ، وأن أفسر منها ما يحتاج إلى توضيح معتمدًا في ذلك على شراح السيرة ، وكتب الآثار واللغة المعتمدة .

وأما بعد فإن التهذيب ضرب من التيسير لمن لم تتح له قراءة الأصل ، ووصلة صالحة تصل بين شباب اليوم وتراثهم القديم الكريم . وبحسبك أنك تستطيع أن تقرأ هذا الكتاب في أيام معدودات فتظفر منه بالخير العاجل الكثير ، وأنت إذا قرأت الأصل ، ولست بمطيعه ، اقتضاك هذا من الوقت أشهرًا معدودات .

والله أسأل أن يجعل هذا الكتاب نافعا ، كما أحسبه فيما قدمت للعلم من مجهود ضئيل ، أردت به فيما أردت رضوان الله ورضوان الرسول ﷺ .

مصر الجديدة في منتصف رمضان سنة ١٣٧٤ . عبد السلام هارون



الفصل الأول ما قبل المولد الشريف

ذكر سرد النسب الذي من محمد ﷺ إلى آدم عليه السلام ،

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : هذا كتاب سيرة رسول الله ﷺ : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، (واسم عبد المطلب شَيْبَة) بن هاشم ، (واسم هاشم عمرو) ابن عبد مناف ، (واسم عبد مناف الْمُغِيرَة) بن قُصَيٍّ ، (واسم قصي زَيْد) بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة ، (واسم مدركة عامر) بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد ، ويقال أدد ، بن مَقْوَم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح (وهو آزر) بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالخ بن عيتر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لَمَك بن مَثُوشَلَخ بن أَخْنُوخ (وهو إدريس النبي ﷺ فيما يزعمون) بن يَزْد بن مَهْلِيل بن قَيْثَن بن يَانِش بن شِيث بن آدم ﷺ .

قال ابن هشام : وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ، ومن ولد رسول الله ﷺ من ولديه وأولادهم لأصلا بهم الأول فالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار ، إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ ، وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب ؛ مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يُقر لنا البكائي^(١) بروايته ، ومشتق إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه ، بمبلغ الرواية له ، والعلم به .

(١) هو شيخ ابن هشام وتلميذ ابن إسحاق ، واسمه زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي . توفي سنة ١٨٣ ، والبكاء : بطن من بني عامر بن صعصعة .

[سياقة النسب من ولد إسماعيل]

وَلَدَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا: نَابِتًا، وَقَيْدَرًا، وَأَذْبُلًا، وَمِيشَا، وَمِشَمَعًا، وَمَاشِيًا، وَدِمَا، وَأَذَرَ، وَطَيْمًا، وَبُطُورًا، وَنَبِشًا، وَقَيْدَمًا. فولد نابث ابن إسماعيل يَشْجُبُ بْنُ نَابِتٍ، فولد يَشْجُبُ بْنُ يَغْرُبَ، فولد يَغْرُبُ بْنُ تَيْرَحَ، فولد تَيْرَحُ بْنُ نَاحُورَ، فولد نَاحُورُ بْنُ مَقْوَمَ، فولد مَقْوَمُ بْنُ أَدَدَ، فولد أَدَدُ بْنُ عَدْنَانَ. فمن عَدْنَانَ تَفَرَّقَتِ الْقَبَائِلُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ. فولد عَدْنَانُ رَجُلَيْنِ: مَعَدَّ بْنُ عَدْنَانَ، وَعَلَكُ بْنُ عَدْنَانَ. فصارت عَلَكُ فِي دَارِ الْيَمَنِ. وذلك أَنَّ عَكَّا تَزَوَّجَ فِي الْأَشْعَرِيِّينَ فَأَقَامَ فِيهِمْ، فصارت الدَّارُ وَاللُّغَةُ وَاحِدَةً. وَالْأَشْعَرِيُّونَ بَنُو أَشْعَرَ بْنِ نَبْتِ بْنِ أَدَدَ بْنِ هَمَيْسَعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَرِيبِ بْنِ يَشْجُبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأَ بْنِ يَشْجُبِ بْنِ يَغْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ. فولد مَعَدُّ بْنُ عَدْنَانَ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ: نَزَارَ، وَقُضَاعَةَ، وَقَنْصَ، وَإِيَادَ. فَأَمَّا قُضَاعَةُ فَتَنِيَامَتْ إِلَى جَحْفَرِ بْنِ سَبَأَ، وَأَمَّا قَنْصُ ابْنِ مَعَدَّ فَهَلَكَتْ بَقِيَّتُهُمْ فِيمَا يَزْعَمُ نُسَابُ مَعَدَّ، وَكَانَ مِنْهُمْ النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْدَرِ مَلِكُ الْحِيرَةِ.

[ذكر ولد نزار بن مَعَدَّ]

فَوَلَدَ (نَزَارَ) بْنُ مَعَدَّ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ^(١) مُضَرُّ، وَرَبِيعَةَ، وَأَنْمَارَ، فولد (مُضَرُّ) رَجُلَيْنِ: إِلْيَاسَ، وَعَيْلَانَ. فولد (إِلْيَاسُ) ثَلَاثَةَ نَفَرٍ: مُدْرِكَةَ، وَطَايِخَةَ، وَقَمْعَةَ. فولد (مُدْرِكَةُ) رَجُلَيْنِ: حُزَيْمَةَ، وَهَذِيلَ. فولد (حُزَيْمَةُ) أَرْبَعَةَ نَفَرٍ: كِنَانَةَ، وَأَسَدَ، وَأَسَدَةَ، وَالْهُونَ. فولد (كِنَانَةُ) أَرْبَعَةَ نَفَرٍ: النَّضْرَ^(٢)، وَمَالِكَ، وَعَبْدَ مَنَاةَ، وَمِلْكَانَ. فولد (النَّضْرُ) رَجُلَيْنِ: مَالِكَ، وَيَحْلُدَ. فولد (مَالِكُ) بْنُ النَّضْرِ: فَهْرَ بْنَ مَالِكٍ. فولد (فَهْرُ) أَرْبَعَةَ نَفَرٍ: غَالِبَ، وَمُحَارِبَ، وَالْحَارِثَ، وَأَسَدَ. فولد (غَالِبُ) رَجُلَيْنِ: لُؤَيَّ، وَتَيْمَ. فولد (لُؤَيُّ) أَرْبَعَةَ نَفَرٍ: كَعْبَ، وَعَامِرَ، وَسَامَةَ، وَعَوْفَ. فولد (كَعْبُ) ثَلَاثَةَ نَفَرٍ: مَرَّةَ، وَعَدِيَّ، وَهَضِيصَ. فولد (مَرَّةُ) ثَلَاثَةَ نَفَرٍ: كَلَابَ، وَتَيْمَ، وَيَقْظَةَ. فولد (كَلَابُ) رَجُلَيْنِ: قُصَيَّ، وَزُهْرَةَ. فولد (قُصَيُّ) أَرْبَعَةَ نَفَرٍ: عَبْدَ مَنَافَ، وَعَبْدَ الدَّارِ، وَعَبْدَ الْعُرَى، وَعَبْدَ قُصَيَّ. فولد (عَبْدُ مَنَافَ) أَرْبَعَةَ نَفَرٍ: هَاشِمَ، وَعَبْدَ شَمْسَ، وَالْمُطَّلِبَ، وَتَوْفَلَ.

(١) زاد ابن هشام رابعا، هو إِيَادُ بْنُ نَزَارَ.

(٢) قال ابن هشام: النضر قريش، فمن كان من ولده فهو قُرَيْشِيٌّ، ومن لم يكن من ولده فليس بقريشي، ويقال فَهْرُ ابْنِ مَالِكٍ هُوَ قَرِيشِيٌّ.

[أولاد عبد المطلب بن هاشم]

قال ابن هشام : فولد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفر وسِتْ نِسوة : العباس ، وحَمزة ،
(عبد الله) ، وأبا طالب ، والرَّبيز ، والحارث ، وحَجَلًا ، والمُقوم ، وضرازا ، وأبا لهب
واسمه عبد الغزى ؛ وصَفِيّة ، وأمّ حكيم البيضاء ، وعاتكة ، وأميمة ، وأزوى ، وبزة .

[والدا رسول الله ﷺ]

فولد عبد الله بن عبد المطلب رسول الله ﷺ ، سَيِّد وَلَدِ آدَم ، محمد بن عبد الله بن
عبد المطلب ، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عَلَيْهِ وعلى آله . وأُمّه : أَمينة بنت
وَهَب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مُرة بن كَعْب بن لُؤي بن غالب بن فهر بن
مالك بن النَّضر . وأُمّها بَرّة بنت عبد الغزى بن عُثمان بن عبد الدار بن قُصَيّ بن كلاب بن
مُرة بن كَعْب بن لُؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضر . فرسول الله ﷺ أشرف وَلَدِ
آدَم حَسَبًا ، وأفضلهم نَسَبًا ، من قَبِلَ أبيه وأُمّه ﷺ وشَرَفَ وكرَمَ ، ومَجَّدَ وعَظَّمَ .

[أصحاب الأخدود]

و(كان) بنجران^(١) بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم - عليه السلام - أهل فَضْل
واستقامة ، لهم رأس يُقال له عبد الله بن الثامر ، فسار إليهم ذو نواس^(٢) بجنوده ، فدعاهم
إلى اليهوديّة ، وخَيَّرَهُم بين ذلك والقتل ، فاختراروا القتل ، فحَدَّ لهم الأخدود^(٣) ، فحَرَّقَ
من حَرَّقَ بالنار ، وقَتَلَ بالسَّيف ومَثَّلَ بهم ، حتى قَتَلَ منهم قَريبًا من عِشرين أَلْفًا .
ففي ذي نواس وجُنْدِهِ تلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ
* أَلَتَّارِ ذَاتِ الْوُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا
أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ .
ويقال : كان فيمن قَتَلَ ذو نواس عبد الله بن الثامر ، رأسهم وإمامهم .

[غلبة الحبشة على اليمن]

وأفلت منهم رجلٌ من سَبَأٍ يقال له « دُؤس ذو ثُعلبان » على فَرَسٍ له ، فسَلَكَ الرَّمْلَ
فأَغْجَزَهُمْ ؛ فَمَضَى على وَجْهِهِ ذلك حتى أتى قَيْصَرَ مَلِكِ الروم ، فاشتتصره على ذي

(١) نجران: مخالف من مخاليف اليمن.

(٢) ذو نواس: ملك اليمن حينئذ وكان يهوديا.

(٣) الأخدود: حفرة مستطيلة غامضة في الأرض.

نُؤاس وجنوده ، وأخبره بما بَلَغَ منهم . فقال له : بَعَدَتْ بِلاَدُكَ مِنَّا ، وَلَكِنِّي سَأَكْتُبُ لَكَ إِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّهُ عَلَى هَذَا الدِّينِ ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى بِلَادِكَ . وَكُتِبَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِنَصْرِهِ ، وَالطَّلَبِ بِثَأْرِهِ . فَقَدِمَ دَوْسٌ عَلَى التَّجَاشِيِّ بِكِتَابٍ قَيْصَرٍ ، فَبِعِثَ مَعَهُ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْحَبَشَةِ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أَرْيَاطُ ، وَمَعَهُ فِي جَنْدِهِ « أَبْرَهَةُ الْأَشْرَمُ » .

فَرَكِبَ أَرْيَاطُ الْبَحْرَ حَتَّى نَزَلَ بِسَاحِلِ الْيَمَنِ ، وَمَعَهُ دَوْسٌ ذُو ثُغْلَبَانَ ، وَسَارَ إِلَيْهِ ذُو نُؤَاسٍ فِي حِمَيْرٍ وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ قِبَائِلِ الْيَمَنِ ، فَلَمَّا التَّقَوْا انْهَزَمَ ذُو نُؤَاسٍ وَأَصْحَابُهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذُو نُؤَاسٍ مَا نَزَلَ بِهِ وَبِقَوْمِهِ وَجْهَ فَرَسِهِ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ صَرَبَهُ فَدَخَلَ بِهِ ، فَخَاضَ بِهِ ضَمْعُضَاحُ الْبَحْرِ^(١) حَتَّى أَقْضَى بِهِ إِلَى غَمْرِهِ^(٢) فَأَذْخَلَهُ فِيهِ ، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ . وَدَخَلَ أَرْيَاطُ الْيَمَنِ فَمَلَكَهَا .

[نِزَاعُ أَرْيَاطُ وَأَبْرَهَةَ]

فَأَقَامَ أَرْيَاطُ بِأَرْضِ الْيَمَنِ سَنَيْنَ فِي سُلْطَانِهِ ذَلِكَ ، ثُمَّ نَازَعَهُ فِي أَمْرِ الْحَبَشَةِ بِالْيَمَنِ أَبْرَهَةُ الْحَبَشِيِّ حَتَّى تَفَرَّقَتِ الْحَبَشَةُ عَلَيْهِمَا ، فَأَنْحَازَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ، ثُمَّ سَارَ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ ، فَلَمَّا تَقَارَبَ النَّاسُ أَرْسَلَ أَبْرَهَةُ إِلَى أَرْيَاطُ : إِنَّكَ لَا تَصْنَعُ بِأَنْ تَلْقَى الْحَبَشَةَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ حَتَّى تُفْنِيَهَا شَيْئًا ، فَأَبْرَزُ إِلَيْي وَأَبْرَزُ إِلَيْكَ فَأَيُّمَا أَصَابَ صَاحِبَهُ انْصَرَفَ إِلَيْهِ مُجْنُودُهُ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَرْيَاطُ : أَنْصَفْتُ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبْرَهَةُ وَكَانَ رَجُلًا قَصِيرًا لَحِيمًا^(٣) ، وَكَانَ ذَا دِينَ فِي النَّصْرَانِيَّةِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَرْيَاطُ وَكَانَ رَجُلًا جَمِيلًا عَظِيمًا طَوِيلًا ، وَفِي يَدِهِ حَوْبَةٌ لَهُ ، وَخَلَفَ أَبْرَهَةَ غَلَامٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ « عَتُودَةُ » يَمْنَعُ ظَهْرَهُ ، فَرَفَعَ أَرْيَاطُ الْحَرْبَةَ فَصَرَبَ أَبْرَهَةَ يُرِيدُ يَأْفُوحَهُ^(٤) فَوَقَعَتِ الْحَرْبَةُ عَلَى جَبْهَةِ أَبْرَهَةَ فَشَرَمَتْ حَاجِبَهُ وَأَنْفَهُ ، وَعَيْنَهُ وَشَفَتَهُ ، فَبَذَلَكَ سُمِّيَ « أَبْرَهَةُ الْأَشْرَمُ » . وَحَمَلَ عَتُودَةُ عَلَى أَرْيَاطُ مِنْ خَلْفِ أَبْرَهَةَ فَقَتَلَهُ . وَانْصَرَفَ جُنْدُ أَرْيَاطُ إِلَى أَبْرَهَةَ ، فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْحَبَشَةُ بِالْيَمَنِ .

(١) الضمضاح: الماء اليسير الذي لا غرق فيه. (٢) الغمر: الماء الكثير يغرق فيه.

(٣) لحيما: اللحيمة، الكثير لحم الجسد. (٤) اليافوخ: وسط الرأس.

[قصة أصحاب الفيل]

ثم إن أبرهة بنى القُلَيْس^(١) بصنعاء، فبنى كنيسة لم يُر مثُلها في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشي: إني قد بَنَيْتُ لك أيُّها الملك، كنيسة لم يُنْ مثُلها لملكٍ كان قبلك، ولستُ بمُنْتَهٍ حتى أَصْرِفَ إليها حجَّ العرب! فلما تحدّث العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غَضِبَ رجلٌ من النِّسَاء^(٢)، فخرج حتى أتى القُلَيْس فقعد فيها^(٣)، ثم خرج فلحق بأرضه. فأخبر بذلك أبرهة فقال: مَنْ صَنَعَ هذا؟ فقيل له: صنع هذا رجلٌ من العرب من أهل هذا البيت الذي تُحجُّ العرب إليه بمكة، لَمَّا سَمِعَ قولك «أَصْرِفَ إليها حجَّ العرب» غَضِبَ فجاء فقعد فيها، أي أنها ليست لذلك بأهل. فغضب عند ذلك أبرهة، وحلفَ لِيَسِيرَنَّ إلى البيت حتى يَهْدِمَهُ، ثم أمرَ الحبشة فتهيأت وتجهّزت، ثم سارَ وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وقطعوا به، ورأوا جهاده حقًا عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام. فخرج إليه رجلٌ كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له «ذو نقر»، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام، وما يريد من هدمه وإخراجه، فأجابه إلى ذلك من أجابه، ثم عرض له فقاتله، فهزم ذو نقر وأصحابه، وأخذ له ذو نقر فأتى به أسيرًا.

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك، يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم^(٤) عرض له نُفَيْل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم: شهران ونايس، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له نُفَيْل أسيرًا. فحلى سبيله وخرج معه يَدُّهُ، حتَّى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه مشعوذٌ بن مُعْتَب، في رجالٍ من ثقيف، فقالوا له: أيُّها الملك، إنما نحن عبيدك، سامعون لك مُطِيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس يَبْئُثنا هذا البيت

(١) هي اسم الكنيسة التي أراد أبرهة أن يصرف إليها حج العرب، وهي بضم القاف وتشديد اللام.

(٢) النسَاء: جمع ناسي، وهم الذين كانوا ينسفون الشهور، أي يؤخرونها، كانوا إذا صدروا من منى يقوم رجل منهم من كنانة فيقول: أنا الذي لا أعاب ولا أجاب، ولا يرد لي قضاء! فيقولون: صدقت، أنسنا شهرًا، أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر، لأنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها، لأن معاشهم كان من الغارة. فيحل لهم المحرم. فذلك الإنساء.

(٣) أي أخذت. (٤) خثعم: اسم جبل، موطن القبيلة.

الذي تريد- يَغْنُون اللَّات- إنما تريد البيت الذي بمكة ، ونحن نَبْعَثُ معك مَنْ يَدُلُّكَ عليه . فَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ . فَبَعَثُوا مَعَهُ « أَبَا رِغَالٍ » يَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى مَكَّةَ ، فَخَرَجَ أَبْرَهُةُ وَمَعَهُ أَبُو رِغَالٍ حَتَّى أَنْزَلَهُ الْمُعَمَّسُ ^(١) ، فَلَمَّا أَنْزَلَهُ بِهِ مَاتَ أَبُو رِغَالٍ هُنَاكَ ، فَجَمَعَتْ قَبْرَهُ الْعَرَبُ . فَهُوَ الْقَبْرُ الَّذِي يَزُجُّمُ النَّاسُ بِالْمُعَمَّسِ .

فلما نزل أبرهه المعمَّس بعث رجلاً من الحبشة يقال له « الأَسود بن مَفْصُود ^(٢) » على خَيْلٍ له ، حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال تهامة من قُرَيْشٍ وغيرهم ، وأصاب فيها مَائَتِيْ بَعِيرٍ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَهُوَ يُؤَمِّدُ كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا ، فَهَمَّتْ قُرَيْشٌ وَكِنَانَةٌ وَهَذِيلٌ وَمَنْ كَانَ بِذَلِكَ الْحَرَمِ بِقَتَالِهِ ، ثُمَّ عَرَفُوا أَنَّهُمْ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ فَتَرَكَوْا ذَلِكَ .

وبعث أبرهه حنَاطَةَ الْجَمْعِيَّةِ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ لَهُ : سَلْ عَنْ سَيِّدِ أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ وَشَرِيفِهَا . ثُمَّ قِيلَ لَهُ : إِنَّ الْمَلِكَ يَقُولُ لَكَ : إِنِّي لَمْ آتِ لِحَرْبِكُمْ ، إِنَّمَا جِئْتُ لِهَدْمِ هَذَا الْبَيْتِ ، فَإِنْ لَمْ تَعْرِضُوا دُونَهُ بِحَرْبٍ فَلَا حَاجَةَ لِي بِدِمَائِكُمْ . فَإِنْ هُوَ لَمْ يُرِدْ حَرْبِي فَأَتِنِي بِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ حُنَاطَةُ مَكَّةَ سَأَلَ عَنْ سَيِّدِ قُرَيْشٍ وَشَرِيفِهَا ، فَقِيلَ لَهُ : عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ . فَجَاءَهُ فَقَالَ لَهُ مَا أَمْرُهُ بِهِ أَبْرَهُةَ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ : وَاللَّهِ مَا نَرِيدُ حَرْبَهُ ، وَمَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْ طَاقَةٍ ، هَذَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَبَيْتُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنْ يَمْنَعُهُ مِنْهُ فَهُوَ بَيْتُهُ وَحَرَمُهُ ، وَإِنْ يُخَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَوَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا دَفْعٌ عَنْهُ . فَقَالَ لَهُ حُنَاطَةُ : فَانْطَلِقْ مَعِي إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِكَ . فَانْطَلَقَ مَعَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَمَعَهُ بَعْضُ بَنِيهِ حَتَّى أَتَى الْعَشَاكَرَ فَسَأَلَ عَنْ « ذِي نَفَرٍ » ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَحْبِسِهِ فَقَالَ لَهُ : يَا ذَا نَفَرٍ ، هَلْ عِنْدَكَ مِنْ غَنَاءٍ ^(٣) فِيمَا نَزَلَ بِنَا؟ فَقَالَ لَهُ ذُو نَفَرٍ : وَمَا غَنَاءُ رَجُلٍ أَسِيرٍ يَدْعِي مَلِكًا يَنْتَظِرُ أَنْ يَقْتُلَهُ غَدًّا أَوْ غَشِيًّا؟ مَا كَانَ عِنْدِي غَنَاءٌ فِي شَيْءٍ مِمَّا نَزَلَ بِكَ ، إِلَّا أَنْ أَتَيْتُ سَائِسَ الْفِيلِ صَدِيقِي لِي ، وَسَأَزِيلُ إِلَيْهِ فَأَوْصِيَهُ بِكَ وَأَعْظِمُ عَلَيْهِ حَقَّكَ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ لَكَ عَلَى الْمَلِكِ فَتُكَلِّمَهُ بِمَا بَدَا لَكَ وَيَشْفَعُ لَكَ عِنْدَهُ بِخَيْرٍ إِنْ قَدَّرَ عَلَى ذَلِكَ . فَقَالَ : حَسْبِي . فَبَعَثَ ذُو نَفَرٍ إِلَى أُتَيْسٍ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ سَيِّدُ قُرَيْشٍ ، وَصَاحِبُ عِيرِ مَكَّةَ ، يُطْعِمُ النَّاسَ بِالسَّهْلِ ، وَالْوُحُوشَ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ ، وَقَدْ أَصَابَ لَكَ الْمَلِكُ

(١) المعمَّس: موضع قرب مكة في طريق الطائف، روى بفتح الميم المشددة أو كسرهما.

(٢) مفصود: في بعض النسخ مقصود. (٣) غناء: ما يجرى وما ينفع.

مائتي بعير ، فاستأذن له عليه وانقعه عنده بما استطعت . فقال : أفعل . فكلّم أنيس أبرهة فقال له : أيها الملك ، هذا سيّد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عير مكة^(١) ، وهو يطعم الناس في السهل ، والوُحوش في رؤوس الجبال ، فأذن له عليك فليكلّمك في حاجته . فأذن له أبرهة . وكان عبد المطلب أوّسم الناس وأجملهم وأعظمهم ، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه ، وأكرمّه أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على يساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لثوجمانه : قل له : حاجتك؟ فقال له ذلك الثوجمان ، فقال : حاجتي أن يؤدّ عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي . فلما قال له ذلك قال أبرهة لثوجمانه : قل له : قد كنت أعجبني حين رأيته ، ثم قد زهدت فيك حين كلّمني ! أتكلّمني في مائتي بعير أصبّتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلّمني فيه؟ قال به عبد المطلب : إني أنا ربّ الإبل ، وإنّ للبيت ربّاً سيقتعه ! قال : ما كان ليمنع مني ! قال : أنت وذاك .

فردّ أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له ، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز في شعف الجبال والشعاب^(٢) ، تحوفاً عليهم من معرة الجيش^(٣) . ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنّده ، فقال عبد المطلب ، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لَا هُمْ إِنَّ الْعَبْدَ يَمُ — نَعُ رَحْلَهُ فَاثْنَعُ حِلَالَكَ^(٤)
لَا يَغْلِبَنَّ صُلَيْبُهُمْ — وَمِحَالُهُمْ غَدُوا^(٥) مِحَالَكَ^(٦)
إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَقَبْ — لَنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

(١) العير، بالكسر: قافلة التجارة.

(٢) التحرز: التمتع والتحصن. شعف الجبال رؤوسها. والشعاب: المواضع الخفية بين الجبال.

(٣) معرة الجيش: شدته.

(٤) الحلال: جمع حلة، بالكسر، وهم القوم المجتمعون. ويروى: «رحالك».

(٥) غدوا: غدا.

(٦) المحال: بالكسر، الشدة والقوة.

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَفِ الجبال ، فتحَرَّزوا^(١) فيها ينتظرون ما أبرهه فاعِلٌ بمكة إذا دخلها . فلما أصبح أبرهه تهيأ لدخول مكة ، وهيئاً فيله ، وعبئ جيشه ، وكان اسم الفيل « محموداً » ، وأبرهه مُجَمِّعٌ لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن ، فلما وَجَّهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفَيْلُ بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال : ائزك محمود أو ارجع راشداً من حيث جئت ، فإنك في بلد الله الحرام ! ثم أرسل أذنه فَبَرَكَ الفيل ، وخرج نُفَيْلُ يشتم حتى أَصْعَدَ في الجبل ، وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، فضربوا رأسه بالطَّبْرَيْنِ^(٢) ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن لهم في مرقاه^(٣) فبرغوه بها ليقوم فأبى ، فَوَجَّهوه راجعاً إلى اليمن فقام يُهْرُول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فَبَرَكَ ، فأرسل الله تعالى عليهم طيئراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان^(٤) ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في مثقاره ، وحجران في رجليه ، أمثال الحمص والعَدَسِ ، لا تُصِيبُ منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم أصابت . وخرجوا هارين يتدرون الطريق الذي منه جاءوا ، فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مهلك ، على كل منهل ، وأصيب أبرهه في جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة^(٥) .

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تعالى محمداً ﷺ كان ممّا يَعُدُّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ، ما ردَّ عنهم من أمر الحبشة ، لبقاء أمرهم ومُدَّتْهم ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ .

[حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها]

ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم في الحجر^(٦) إذ أتته فأمير بحفر زمزم . قال عبد المطلب : إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال : اخفر طيبة . قلت : وما طيبة؟ ثم ذهب

(١) تحرزوا: احترازوا، أي توقوا.

(٢) الطبرزين: آلة معقفة من حديد.

(٣) المحجن: عصا معوجة قد يجعل فيها حديد. والمراق: أسفل البطن. بزغوه: أدموه.

(٤) الخطاطيف: جمع خطاف، وهو طائر أسود. والبلسان: الزراير، ضرب من الطير.

(٥) يريد أن جسمه قد تناثر قطعة قطعة.

(٦) الحجر: حجر الكعبة، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام.

عَنِّي ، فلما كان الغدُ رَجَعْتُ إلى مَضْجَعِي فَبِمَتْ فِيهِ ، فجاءني فقال : اخفر بَرَّة . قال : وما برة؟ قال : ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فبمت فيه ، فجاءني فقال : اخفر المَضْنُونَةَ . فقلت : وما المَضْنُونَةُ؟ ثم ذهب عَنِّي ، فلما كان الغد رَجَعْتُ إلى مضجعي فَبِمْتُ فِيهِ ، فجاءني فقال : اخفر زمزم . قلت : وما زمزم؟ قال : لا تنزفُ أبداً ولا تُذَمَّ^(١) ، تشقي الحجاج الأعظم ، وهي بين الفرث^(٢) والدم^(٣) ، عند نُقْرَةِ الغراب الأعصم^(٤) ، عند قرية النمل .

فلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ شَأْنَهَا وَدَلَّ عَلَى مَوْضِعِهَا ، وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ صَدَّقَ ، غدا بِمَعْوَلِهِ^(٥) ومعه ابنه الحارث ، ليس له يومئذٍ ولدٌ غَيْرُهُ ، فحفر فيها ، فلَمَّا بدا لعبد المطلب الطي^(٦) كَبُرَ ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه فقالوا : يا عبد المطلب ، إنها بيئرُ أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقاً ، فأشركنا معك فيها . قال : ما أنا بفاعل ، إنَّ هذا الأمر قد خُصِصْتُ بِهِ دونكم ، وَأُعْطِيَتْهُ مِنِّي بَيْنَكُمْ . فقالوا له : فَأَنْصِفْنَا فَإِنَّا غَيْرُ تَارِكِيكَ حَتَّى تُخَاصِمَكَ فِيهَا . قال : فاجعلوا بيني وبينكم مَنْ شِئْتُمْ أَحَاكِمَكُمْ إِلَيْهِ . قالوا : كاهنة بني سَعْدِ هَذِيم . قال : نَعَمْ . قال : وكانت بأشراف الشام^(٧) . فركب عبد المطلب ومعه نَفَرٌ من بني عبد مناف ، وركب من كل قبيلة من قريش نَفَرٌ ، والأرضُ إِذْ ذَاكَ مَفَاوِزُ^(٨) ، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام ، فَنَبِيَّ مَاءُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَصْحَابِهِ ، فَظَلِمُوا حَتَّى أَيقَنُوا بِالْهَلَكَةِ ، فَاسْتَشَقَّوْا مِنْ مَعَهُمْ مِنْ قِبَائِلِ قُرَيْشٍ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ وَقَالُوا : إِنَّا بِمَفَاوِزَ ، وَنَحْنُ نَخْشَى عَلَى أَنْفُسِنَا مِثْلَ مَا أَصَابَكُمْ . فلما رأى عبد المطلب ما صنع القَوْمُ وما يتخوَّفُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَصْحَابِهِ قَالَ : مَاذَا تَرَوْنَ؟ قالوا : مَا رَأَيْنَا إِلَّا تَبَعٌ لِرَأْيِكَ ، فَمُزْنَا بِمَا شِئْتَ . قال : فَإِنِّي أَرَى أَنَّ يَخْفِزَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ حُفْرَتَهُ لِنَفْسِهِ بِمَا بَكُمْ

(١) لا تذم: لا توجد قليلة الماء.

(٢) الفرث: ما يكون في كرش الحيوان.
(٣) روى أنه لما قام ليحفرها رأى ما رسم له من قرية النمل ونقرة الغراب، ولم ير الفرث والدم ، فبينما هو كذلك فرت بقرة من جازرها، فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام، فحفرها في الموضع الذي رسم، فسال هناك الفرث والدم، فحفر عبد المطلب حيث رسم له.

(٤) الأعصم: الذي في جناحيه بياض.

(٥) المعول: آلة من الحديد ينقر به الصخر.

(٦) الطي: الحجارة تطوي بها البئر.

(٧) أي ما ارتفع من أرضها.

(٨) مفاوز: جمع مفازة، صحراء.

الآن من القوة ؛ فكلما مات رجلٌ دفعه أصحابه في حُفْرَتِهِ ثم وارَوْهُ ، حتى يكون آخِرُكُمْ رَجُلًا واحدًا ، فضَيِّعُ رجلٍ واحدٍ أيسرُ من ضَيِّعَةِ رَكِبٍ جميعًا . قالوا : نَعَمْ ما أَمَرْتَ به . فقام كُلُّ واحدٍ منهم فحفر حُفْرَتَهُ ، ثم قَعَدُوا ينتظرون المَوْتَ عَطَشًا . ثم إنَّ عبدَ المُطَلِّبِ قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ، لا نَضْرِبُ في الأرض ولا نبتغي لأنفسينا ، لَعَجْز . فعسى الله أن يورُقنا ماءً ببعض البلاد ، اؤْتَحِلُوا . فارتحلوا حتى إذا فرغوا ، ومن معهم من قبائل قُرَيْشٍ ينظرون إليهم ما هم فاعلون ، تقدم عبد المُطَلِّبِ إلى راجلَيْهِ فركبها ، فلما انبعثت به انفجرت من تحت حُفْها عَيْنُ ماءٍ عَذْبٍ ، فكَبَّرَ عبدُ المُطَلِّبِ وكَبَّرَ أصحابه ، ثم نَزَلَ فَشَرِبَ وشَرِبَ أصحابه ، واشتَقُّوا حتى ملأوا أسقيتهم^(١) . ثم دعا القبائلَ من قريش فقال : هَلُمُّوا إلى الماء فقد سقانا الله ، فاشربوا واشتَقُّوا . فجاءوا فشربوا واشتَقُّوا . ثم قالوا : قد والله قُضِيَ لك علينا يا عبدَ المُطَلِّبِ ، والله لا نخاصمُك في زَمَزَمَ أبدًا . إن الذي سقاكَ هذا الماء بهذه الفلاة^(٢) لهُوَ الذي سقاكَ زَمَزَمَ ، فارجع إلى سقايتك راشدًا ! فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة ، واخلوا بينه وبينها .

[نَذَرُ عبد المُطَلِّبِ ذَبْحَ ولده]

وكان عبدُ المُطَلِّبِ بن هاشم ، قد نَذَرَ حين لَقِيَ من قريش ما لَقِيَ عند حَفْرِ زمزم : لئن وُلِدَ له عَشْرَةٌ نَفَرٌ ثم بلغوا معه حَتَّى يَمْنَعُوهُ^(٣) لَيَنْحَرَنَّ أَحَدَهُم لله عند الكعبة . فلما تَوَافَى بَنُوهُ عَشْرَةٌ وعرف أنهم سيمنعونه ، جمعهم ثم أخبرهم بنَذَرِهِ ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نَصْنَعُ ؟ قال : ليأخذ كُلُّ رجلٍ منكم قِدْحًا^(٤) ثم يكتب فيه اسمه ، ثم ائتوني . ففعلوا ثم أَتَوْهُ ، فدخل بهم على « هُبَلٍ »^(٥) وكان هُبَلٌ على بئرٍ في جَوْفِ الكعبة . وكانت تلك البئرُ هي التي يُجْمَعُ فيها ما يُهْدَى للكعبة .

وكان عند هُبَلٍ قِدَاحٌ سَبْعَةٌ ، كل قِدْحٍ منها فيه كتاب ، قِدْحٌ فيه « العَقْل » إذا اختلفوا

(١) أسقية: جمع سقاء، وعاء من جلد يكون للماء واللبن.

(٢) الفلاة: الأرض الواسعة المقفرة.

(٣) يمنعه: يحمونه ويجيرونه.

(٤) القدح بالكسر: قطعة من الخشب تعرض قليلا وتسوى.

(٥) اسم صنم.

في العقل^(١) مَنْ يَحْمِلُهُ مِنْهُمْ ، ضَرَبُوا بِالْقِدَاحِ السَّبْعَةَ ، فَإِنْ خَرَجَ الْعَقْلُ فَعَلَى مَنْ خَرَجَ حَمْلُهُ . وَقَدْخُ فِيهِ « نَعَمْ » لِلأَمْرِ إِذَا أَرَادُوهُ ، يُضْرَبُ بِهِ فِي الْقِدَاحِ ، فَإِنْ خَرَجَ قَدْخُ « نَعَمْ » عَمَلُوا بِهِ . وَقَدْخُ فِيهِ « لَا » ، إِذَا أَرَادُوا أَمْرًا ضَرَبُوا بِهِ فِي الْقِدَاحِ ، فَإِنْ خَرَجَ ذَلِكَ الْقَدْخُ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ الْأَمْرَ . وَقَدْخُ فِيهِ « مِنْكُمْ » ، وَقَدْخُ فِيهِ « مُلْصَقٌ »^(٢) ، وَقَدْخُ فِيهِ « مِنْ غَيْرِكُمْ » ، وَقَدْخُ فِيهِ « الْمِيَاهُ » إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْفِرُوا لِلْمَاءِ ضَرَبُوا بِالْقِدَاحِ وَفِيهَا ذَلِكَ الْقَدْخُ ، فَحَيْثُمَا خَرَجَ عَمَلُوا بِهِ . وَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْتِنُوا غُلَامًا أَوْ يُنْكِحُوا مَنَكْحًا ، أَوْ يَذْنُبُوا مَيْتًا ، أَوْ شَكُّوا فِي نَسَبِ أَحَدِهِمْ ، ذَهَبُوا بِهِ إِلَى هُبْلٍ ، وَبِمَائَةِ دِرْهَمٍ وَجَزُورٍ^(٣) ، فَأَعْطَوْهَا صَاحِبَ الْقِدَاحِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهَا ، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبَهُمُ الَّذِي يَرِيدُونَ بِهِ مَا يَرِيدُونَ ، ثُمَّ قَالُوا : يَا إِلَهِنَا ، هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، قَدْ أَرَدْنَا بِهِ كَذَا وَكَذَا ، فَأَخْرِجِ الْحَقَّ فِيهِ . ثُمَّ يَقُولُونَ لَصَاحِبِ الْقِدَاحِ : اضْرِبْ . فَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ « مِنْكُمْ » كَانَ مِنْهُمْ وَسَيْطًا^(٤) ؛ وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ « مِنْ غَيْرِكُمْ » كَانَ خَلِيفًا ، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ « مُلْصَقٌ » كَانَ عَلَى مَنْزِلَتِهِ فِيهِمْ ، لَا نَسَبَ وَلَا جِلْفَ ، وَإِنْ خَرَجَ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا يَعْمَلُونَ بِهِ « نَعَمْ » عَمَلُوا بِهِ ؛ وَإِنْ خَرَجَ « لَا » أَخْرَوْهُ عَامَّةُ ذَلِكَ حَتَّى يَأْتُوهُ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، يَنْتَهُونَ فِي أُمُورِهِمْ إِلَى ذَلِكَ مِمَّا خَرَجَتْ بِهِ الْقِدَاحُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ لَصَاحِبِ الْقِدَاحِ : اضْرِبْ عَلَى بَنِيِّ هَؤُلَاءِ بِقِدَاحِهِمْ هَذِهِ . وَأَخْبَرَهُ بَنْدَرَهُ الَّذِي نَذَرَ ، فَأَعْطَاهُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَدْخَهُ الَّذِي فِيهِ اسْمُهُ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَضْعَفَ بَنِي أَبِيهِ^(٥) : وَكَانَ أَحَبَّ وَلَدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَيْهِ ، فَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ يَرَى أَنْ السَّهْمَ إِذَا أَخْطَأَهُ فَقَدْ أَشْوَى^(٦) .

فَلَمَّا أَخَذَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ الْقِدَاحَ لِيَضْرِبَ بِهَا قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ هُبْلٍ يَدْعُو اللَّهَ ، ثُمَّ ضَرَبَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ فَخَرَجَ الْقَدْخُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَخَذَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بِيَدِهِ ، وَأَخَذَ الشُّفْرَةَ^(٧) ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ إِلَى إِسَافٍ وَنَائِلَةَ لِيَذْبَحَهُ ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ قَرِيشٌ مِنْ أُنْدِيَّتِهَا فَقَالُوا : مَاذَا تَرِيدُ يَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ؟ قَالَ : أَذْبَحُهُ . فَقَالَتْ لَهُ قَرِيشٌ وَبَنُوهُ : وَاللَّهِ لَا تَذْبَحْهُ أَبَدًا حَتَّى تُغْدِرَ

(١) العقل: الدية. (٢) الملصق: الدعي الذي ليس من نسب القوم.

(٣) جزور: ما يصلح أن يذبح من الإبل، ولفظه أنثى. (٤) وسيط: خالص النسب.

(٥) أي حين أراد نحره، وإلا فإن حمزة كان أصغر منه، والعباس كان أصغر منه. والعباس كان كذلك أصغر من حمزة.

(٦) يقال: أشوى السهم، إذا لم يصب المقتل.

(٧) الشفرة: ما غرّض ومُحْدَد من الحديد كحد السيف والسكين.

فيه^(١)، لئن فَعَلْتُ هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا! وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان ابن أُخْتِ القوم: والله لا تذبحه أبداً حتى تُغْدِرَ فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فدَيْنَاهُ! وقالت له قريش وبنوه: لا تفعلْ وانْطَلِقْ به إلى الحجاز؛ فإنَّ به غَرافَةٌ لها تابع^(٢)، فسَلَّها ثم أنت على رأسِ امرِكَ، إن أمرتَكَ بذبحه ذبحته، وإن أمرتَكَ بأمرٍ لك وله فيه فرَجَ قَبِلْتَهُ.

فانطلقوا حتى قَدِمُوا المدينة فوجدوها بِخَيْرٍ، فركبوا حتى جاءوها فسألوها، وقَصَّ عليها عبدُ المطلب خبره وخبرَ ابنه، وما أراد به، ونَذَرَهُ فيه، فقالت لهم: ارجعوا عَنِّي اليَوْمَ حَتَّى يَأْتِيَنِي تَابِعِي فأسأله. فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم غَدَوْا عليها فقالت لهم: قد جاءني الخبرُ، كم الدِّيةُ فيكم؟ قالوا: عَشْرٌ من الإبل. قالت: فازْجِعُوا إلى بلادِكم ثم قَرَّبُوا صاحبكم وقَرَّبُوا عَشْرًا من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خَرَجَتْ على صاحبكم فزِيدُوا من الإبل حَتَّى يَرْضَى رُبُّكُمْ، وإن خَرَجَتْ على الإبل فانحروها عنه فقد رَضِيَ رُبُّكُمْ ونجا صاحبكم. فخرجوا حتى قَدِمُوا مَكَّةَ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبدُ المطلب يدعو الله. ثم قَرَّبُوا عبدَ الله وعَشْرًا من الإبل، وعبدُ المطلب قائمٌ عند هُبَلٍ يدعو الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبدِ الله، فزادوا عَشْرًا من الإبل فبلغت الإبلُ عشرين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله عَزَّ وَجَلَّ. ثم ضربوا فخرج القدح على عبدِ الله فزادوا عَشْرًا من الإبل فبلغت الإبلُ ثلاثين. وقام عبدُ المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبدِ الله، فزادوا عَشْرًا من الإبل فبلغت الإبلُ أربعين وقام عبدُ المطلب يدعو الله. ثم ضربوا فخرج القدح على عبدِ الله، فزادوا عَشْرًا من الإبل فبلغت الإبلُ خمسين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله. ثم ضربوا فخرج القدح على عبدِ الله. فزادوا عَشْرًا من الإبل فبلغت الإبلُ ستين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله. ثم ضربوا فخرج القدح على عبدِ الله فزادوا عَشْرًا من الإبل فبلغت الإبلُ سبعين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله. ثم ضربوا فخرج القدح على عبدِ الله فزادوا عَشْرًا من الإبل فبلغت الإبلُ ثمانين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله. ثم ضربوا فخرج القدح على عبدِ الله، فزادوا عَشْرًا من الإبل فبلغت الإبلُ تسعين، وقام

(١) أعذر إعذارًا: ثبت له عذر.

(٢) تابع: من الجن.

عبدُ الْمُطَّلِب يدعو الله . ثم ضربوا فخرجَ القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عَشْرًا من الإبل فبلغت الإبلُ مائة ، وقام عبدُ الْمُطَّلِب يدعو الله . ثم ضربوا فخرجَ القِدْحُ على « الإبل » ، فقالت قريشٌ ومَنْ حَضَرَ : قد انتهى رضا رَبِّكَ يا عبدُ الْمُطَّلِب ! فزعموا أن عبدَ الْمُطَّلِب قال : لا والله حتى أَضْرِبَ عليها ثلاثَ مرات . فضربوا على عبدِ الله وعلى الإبل ، وقام عبدُ الْمُطَّلِب يدعو الله فخرجَ القِدْحُ على الإبل ؛ ثم عادوا الثانيةً وعبدُ الْمُطَّلِب قائمٌ يدعو الله ، فضربوا فخرجَ القِدْحُ على الإبل ؛ ثم عادوا الثالثةً وعبدُ الْمُطَّلِب قائمٌ يدعو الله ، فضربوا فخرجَ القِدْحُ على الإبل ، فَتَحَرَّتْ ثم تُرِكَتْ لا يُصَدُّ عنها إنسانٌ ولا يُمَنَع .



الفصل الثاني من الولد إلى ما قبل البعث

[ذكر ما قيل لأمنة عند حملها برسول الله ﷺ]

ويرغمون- فيما يتحدث الناس والله أعلم- أن أمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث: أنها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقول: «أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد!»، ثم سمّيه محمداً^(١).

ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى^(٢) من أرض الشام. ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ﷺ أن هلك وأم رسول الله ﷺ حامل به.

[ولادة رسول الله ﷺ]

ولّد رسول الله ﷺ يوم الإثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، عام الفيل^(٣). عن قيس بن مخزومة قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل، فنحن لدتان^(٤). عن حسان بن ثابت قال: والله إني لغلّام يَفْعَة^(٥)، ابن سبع سنين أو ثمان، أغفل كل ما سمعت، إذ سمعت يهوديًا يصرخ بأعلى صوته على أطمية^(٦) يثرب: يا معشر يهود! حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك! مالك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به. فلما وضعته أمه ﷺ أرسلت إلى جدّه عبد المطلب: أنه قد ولد لك غلام فأتاه فانظر إليه. فأتاه فنظر إليه، وحديثه بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما

(١) لم يسم بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة، طمع آبائهم حين سمعوا بذكر رسول الله ويقرب زمانه، وأنه يبعث من الحجاز، أن يكون ولدًا لهم، وهم: محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق، ومحمد بن أحبة بن الجلاح، ومحمد بن حمران بن ربيعة، كان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ممن لهم علم بالكتاب، فأخبرهم بمبعث النبي ﷺ وباسمه، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا، فنذر كل منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً، ففعلوا ذلك.

(٢) بصرى: قرية بالشام، من أعمال دمشق. (٣) وقيل كان قبل مولده برمضان.

(٤) لدتان: مثني لدة، وهو ترب الإنسان يولد معه. (٥) أي قوي، قد طال قده.

(٦) الأطمية بفتحيتين: الحصن.

أُمِرَتْ به أن تُسَمِّيَهُ . فَيَزْعُمُونَ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَخَذَهُ فَدْخَلَ بِهِ الْكَعْبَةَ ، فَقَامَ يَدْعُو اللَّهَ وَيَشْكُرُ لَهُ مَا أَعْطَاهُ ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا ، وَالتَّمَسَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَرَاضِعَ . فَاسْتَرْضَعَ لَهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، يُقَالُ لَهَا حَلِيمَةُ ابْنَةُ أَبِي دُوَيْبٍ .

[حديث حليلة]

كَانَتْ حَلِيمَةُ تَحَدِّثُ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ بَلَدِهَا مَعَ زَوْجِهَا وَابْنٍ لَهَا صَغِيرٍ ^(١) تَرْضِعُهُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ ، تَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ ^(٢) ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ شَهْبَاءَ ^(٣) لَمْ تُثَبِّقْ لَنَا شَيْئًا . فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانٍ لِي قَقْرَاءَ ^(٤) مَعَنَا شَارِفٌ لَنَا ^(٥) ، وَاللَّهُ مَا تَبَضُّ بِقَطْرَةٍ ^(٦) ، وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا أَجْمَعَ مِنْ صَبِيئِنَا الَّذِي مَعَنَا ، مِنْ بَكَائِهِ مِنَ الْجُوعِ ، مَا فِي ثَدْيِي مَا يُغْنِيهِ ، وَمَا فِي شَارِفِنَا مَا يَغْذِيهِ ، وَلَكِنَّا كُنَّا نَرْجُو الْغَيْثَ وَالْفَرَجَ . فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانِي تِلْكَ ، فَلَقَدْ أَدَمْتُ ^(٧) بِالرَّكْبِ حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ضَعْفًا وَعَجْفًا ^(٨) حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ نَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ ، فَمَا مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَأَبَاهُ إِذَا قِيلَ لَهَا إِنَّهُ يَتِيمٌ ، وَذَلِكَ أَنَا إِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ ، فَكُنَّا نَقُولُ : يَتِيمٌ ! وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ ! فَكُنَّا نَكْرَهُهُ لَذَلِكَ ، فَمَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ قَدِمَتْ مَعِيَ إِلَّا أَخَذَتْ رَضِيعًا ، غَيْرِي . فَلَمَّا أَجْمَعْنَا الْإِنْفَاقَ قُلْتُ لَصَاحِبِي ^(٩) : وَاللَّهِ إِنِّي لَا كُرُهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي وَلَمْ أَخْذُ رَضِيعًا . وَاللَّهِ لَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمَ فَلَا أَخْذَنَّهُ ! قَالَ : لَا عَلَيَّ أَنْ تَفْعَلِي ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكَةً ، قَالَ : فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُهُ ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ . فَلَمَّا أَخَذْتُهُ رَجَعْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي ^(١٠) ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ تَذْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ . وَشَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ حَتَّى رَوِيَ ثُمَّ نَامَا ، وَمَا كُنَّا نَنَامُ مَعَهُ قَبْلَ ذَلِكَ . وَقَامَ زَوْجِي إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ فَإِذَا إِنَّهَا لِحَافِلٍ ^(١١) ، فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِبَ ، وَشَرِبْتُ مَعَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا رِيًّا وَشَبَبًا ، فَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ ! قَالَتْ : يَقُولُ صَاحِبِي حِينَ أَصْبَحْنَا : تَعَلَّمِي وَاللَّهِ يَا حَلِيمَةُ ، لَقَدْ أَخَذْتَ نَسَمَةَ مَبَارَكَةٍ ! فَقُلْتُ : وَاللَّهِ إِنِّي

(١) اسمه عبد الله بن الحارث بن عبد العزى . (٢) الرضعاء : جمع رضيع .

(٣) الشهباء : المجذبة البيضاء لا يري فيها خضرة . (٤) الأتان : الحمارة . القمراء : التي يميل لونها إلى الخضرة .

(٥) الشارف : الناقة المسنة . (٦) ما تبض بقطرة ، أي ما ترشح .

(٧) أي أطلت عليهم المسافة ، لتمهلي عليها ، مأخوذة من الشيء الدائم .

(٨) العجف : الهزال . (٩) تعني زوجها الحارث بن عبد العزى .

(١٠) رحلي : ما بعد الرحيل من وعاء للمتاع وغيره . (١١) حافل : اجتمع لبنها في ضرعها وكثر .

لأرجو ذلك. ثم خرجنا وركبنا أنا أتاني، وحملتني عليها معي، فوالله لقطعت بالركب^(١)، ما يقدر عليها شيء من حمرهم، حتى إن صواحيبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك اربعي علينا^(٢)، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهي هي! فيقلن: والله إن لها لساناً قطرة لبن، ولا يجدوها في ضرع، حتى كان أعلم أرضنا من أرض الله أجذب منها؛ فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً، فتحلب ونشرب، وما يحلب إنساناً قطرة لبن، ولا يجدوها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يشرح راعي بنت أبي ذؤيب. فتروح أغنامهم جياغاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً^(٣)؛ فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا؛ لما كنا نرى من بر كته، فكلّمنا أمه، وقلت لها: لو تركت بتي عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وبأ مكّة، فلم نزل بها حتى ردّته معنا.

[حديث شق الصدر]

فرجعنا به، فوالله إنّه، بعد مقدّمنا به بأشهر، مع أخيه لفي بهم^(٤) لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد^(٥)، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذ رجلاً عليهما ثياب بيض، فأضجعه فشق بطنه، فهما يسوطانه^(٦). فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدته قائماً منتقاً وجهه^(٧)، فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: مالك يا بتي؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني وشق بطني فالتمس فيه شيئاً لا أدري ما هو؟ فرجعنا به إلى خبائنا. وقال لي أبوه: يا حليلة، لقد خشي أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، فاحتملناه^(٨)، فقدمنا به على أمه، فقالت: ما أقدمك به يا ظفر^(٩)، وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندي؟ فقلت: قد بلغ الله بابني وقضيته الذي عليّ، وتخوفت

(١) لقطعت بالركب: جاوزته.

(٢) الجفر: الغليظ الشديد.

(٣) يشتد: يسرع.

(٤) البهم: الصغار من الغنم، الواحدة بهمة.

(٥) يسوطانه: يضربان بعضه ببعض ويحركانه.

(٦) فاحتملناه: حملناه، ارتحلنا به.

(٧) أي أقيمي وانتظري.

(٨) البهم: الصغار من الغنم، الواحدة بهمة.

(٩) يسوطانه: يضربان بعضه ببعض ويحركانه.

(١٠) فاحتملناه: حملناه، ارتحلنا به.

(١١) الظفر: المرأة ترضع ولد غيرها.

الأحداث عليه ، فأدبته إليك كما تحبين . قال : ما هذا شأنك فاصدقيني خبرك . فلم تدعني حتى أخبرتنيها . قالت : أفتخوفت عليه الشيطان؟ قلت : نعم . قالت : كلا ، والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لبني لشأنا ، أفلا أخبرك خبره؟ قلت : بلى . قالت : رأيته حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى^(١) من أرض الشام ، ثم حملت به فوالله ما رأيته من حمل قط كان أخف علي ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضغ يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء . دعيه عنك وانطلقني راشدة .

قال ابن إسحاق : وحدثني نوز بن يزيد عن بعض أهل العلم ، ولا أحسنه إلا عن خالد ابن معدان الكلاعي : أن نقرأ من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك . قال : « نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشري أخي عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي ، أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام . واسترضعت في بني سعد بن بكر . فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا ، إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض ، بطشت من ذهب مملوءة ثلجاً ، ثم أخذاني فشقا بطني ، واستخرجا قلبي فشقا ، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ، ثم غسلوا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته . فوزنتني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمائة من أمته . فوزنتني بهم فوزنتهم . ثم قال : زنه بألف من أمته . فوزنتني بهم فوزنتهم . فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنته بأمة لوزنها » .

[كفالة جده له]

وكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبد المطلب بن هاشم في كلاءة^(٢) الله وحفظه ، يُنبئه الله نبأاً حسناً ، لما يريد به من كرامته . فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين توفيت أمه بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي ابن النجار تزيه إياهم ، فماتت وهي راجعة به إلى مكة . فكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم . وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً

(١) بصرى : من أعمال دمشق.

(٢) كلاءة الله : حفظه وحرسه.

له . فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفراً^(١) حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابني ، فوالله إنَّ له لَشَأْنًا ! ثم يُجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده ، ويُسْرُهُ ما يراه يصنع . فلما بلغ رسول الله ﷺ ثمانين سنين هلك عبد المطلب ، وذلك بعد الفيل بثمانين سنين .

[كفالة عمه له]

فكان رسول الله ﷺ بعد عبْدِ المطلب مع عمِّه أبي طالب . قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد أن أباه حدثه أنَّ رجلاً من لُهب^(٢) كان عائفاً^(٣) ، فكان إذا قَدِمَ مَكَّةَ أتاه رجالٌ قريش يغلمانهم ينظرون إليهم ويعتاف لهم فيهم . فأُتِيَ به أبو طالب وهو غلام مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله ﷺ ، ثم شغله عنه شيء فلما فرغ قال : الغلام ، عليّ به . فلما رأى أبو طالب حِرْصَه عليه غيَّبه عنه ، فجعل يقول : ويْلُكُمْ ! رُدُّوا عَلَيَّ الغلام الذي رأيْتُ أنفاً ، فوالله ليكوننَّ له شأن !

[قصة بحيرا]

ثم إنَّ أبا طالب خرج في رَكْبٍ تاجرًا إلى الشام ، فلما تهيَّأ للرحيل وأجمع المَسِيرَ صَبَّ به^(٤) رسول الله ﷺ فَرَقَّ له أبو طالب وقال : والله لأُخرجنَّ به معي ، ولا يُفارقني ولا أفرقه أبداً . فخرج به معه ، فلما نزل الرُّكْبُ بُصِرَ وبها راهبٌ يقال له « بَحِيرَا » ، في صومعة له ، وكان إليه علَمُ أهل النَّصْرانية . ولم يزل في تلك الصُّومعة ، منذ قَطُرَ راهبٌ ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها ، فيما يزعمون ، يتوارثونه كابراً عن كابر^(٥) ، فلما نزلوا ذلك العام ببَحِيرَا ، وكانوا كثيراً ما يمرُّون به قبلَ ذلك فلا يُكَلِّمهم ولا يَغْرِضُ لهم ، حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريئاً من صُومَعَتِهِ صَنَعَ لهم طعاماً كثيراً . وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته . يزعمون أنه رأى رسول الله ﷺ وهو في صُومَعَتِهِ ، وفي الركب حين أقبلوا ، وغمامةٌ تُظِلُّه من بين القوم ، ثم أقبلوا فنزلوا في ظلِّ شجرة قريئاً منه ، فنظر إلى الغمامة حين

(١) جفراً: الغليظ الشديد.

(٢) العائف: الذي يتفرس في خلقة الإنسان فيخبر بما تؤول إليه.

(٣) أي مال إليه، ويروى: « ضبث » به أي تعلق به.

(٤) كابراً عن كابر: أي عن آبائهم وأجدادهم، كبيراً عن كبير.

(٥) بنو لُهب: قوم مشهورون بالعيافة.

أظَلَّت الشجرة ، وَتَهَصَّرَتْ (١) أَغْصَانُ الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظلَّ تحتها ، فلما رأى ذلك بَحِيرَا نَزَلَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ . ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكُمْ طَعَامًا يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ ، فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ تَحْضُرُوا كُلُّكُمْ صَغِيرُكُمْ وَكَبِيرُكُمْ ، وَعَبْدُكُمْ وَحُرُّكُمْ . فقال له رجلٌ منهم : وَاللَّهِ يَا بَحِيرَا إِنَّ لَكَ لَشَأْنًا الْيَوْمَ ، فَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا بِنَا ، وَقَدْ كُنَّا نَمُرُّ بِكَ كَثِيرًا ! فَمَا شَأْنُكَ الْيَوْمَ ؟ قَالَ لَهُ بَحِيرَا : صَدَقْتُ ، قَدْ كَانَ مَا تَقُولُ ، وَلَكِنَّكُمْ ضَعِيفٌ ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أُكْرِمَكُمْ وَأَصْنَعُ لَكُمْ طَعَامًا فَتَأْكُلُوا مِنْهُ كُلُّكُمْ . فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، وَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ ، لِحِدَاثَةِ سِنِّهِ ، فِي رِحَالِ الْقَوْمِ تَحْتَ الشجرة ، فَلَمَّا نَظَرَ بَحِيرَا فِي الْقَوْمِ لَمْ يَرَ الصُّفَّةَ الَّتِي يَعْرِفُ وَيَجِدُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ ، لَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ طَعَامِي . قَالُوا : يَا بَحِيرَا ، مَا تَخَلَّفَ عَنْكَ أَحَدٌ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْتِيَكَ إِلَّا غَلَامٌ ، وَهُوَ أَحَدُ الْقَوْمِ سِتًّا فَتَخَلَّفَ فِي رِحَالِهِمْ . فَقَالَ : لَا تَفْعَلُوا ، اذْغَوْهُ فَلْيَحْضُرْ هَذَا الطَّعَامَ مَعَكُمْ . فقال رجلٌ من قَرِيشٍ مع الْقَوْمِ : وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، إِنَّ كَانَ لِلْوُثْمِ بِنَا أَنْ يَتَخَلَّفَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَنْ طَعَامٍ مِنْ بَيْنِنَا ! ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ ، فَلَمَّا رَأَى بَحِيرَا جَعَلَ يَلْحَظُهُ لَحَظًا شَدِيدًا وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءَ مِنْ جَسَدِهِ قَدْ كَانَ يَجِدُهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ الْقَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوا قَامَ إِلَيْهِ بَحِيرَا فَقَالَ لَهُ : يَا غَلَامُ ، أَشَأْنُكَ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّى إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ . وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ بَحِيرَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَخْلُقُونَ بِهِمَا - فَرَعَمُوا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ : « لَا تَسْأَلْنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بُغْضَهُمَا » فَقَالَ لَهُ بَحِيرَا : فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ . فَقَالَ لَهُ : « سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ » . فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ فِي نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ فَبِوَافِقِ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَا مِنْ صِفَتِهِ . ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ فَرَأَى خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ . فَلَمَّا فَرَّغَ أَقْبَلَ عَلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْغَلَامُ مِنْكَ ؟ قَالَ : ابْنِي . قَالَ لَهُ بَحِيرَا : مَا هُوَ بَابِنُكَ ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغَلَامِ أَنْ يَكُونَ أَبُوهَ حَيًّا . قَالَ : فَإِنَّهُ ابْنُ أَخِي . قَالَ : فَمَا فَعَلَ أَبُوهَ ؟ قَالَ : مَاتَ وَأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ . قَالَ : صَدَقْتَ ، فَارْجِعْ بَابِنَ أَخِيكَ إِلَى بَلَدِهِ ، وَاحْذَرْ عَلَيْهِ يَهُودَ ، فَوَاللَّهِ لئن رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لَيَبْتَغُنَّهُ شَرًّا ، فَإِنَّهُ كَاثِرٌ لِابْنِ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ ! فَاسْرِعْ بِهِ إِلَى بِلَادِهِ .

(١) تهصرت: مالت، وتدلت.

[حرب الفجار]

هاجت حربُ الفجار ورسولُ الله ﷺ ابنُ عشرين سنة^(١). وإنما سُمِّيَ يومُ الفجار بما استَحَلَّ هذان الحَيَّان : كِنانةَ وقَيْسَ عَيْلان ، فيه من المحارِمِ بينهم . وكان قائدُ قريش وكِنانةَ حُزْبُ بنِ أُمَيَّةَ ، وكان الظَّفَرُ في أولِ النهار لَقَيْسَ على كِنانةَ ، حتى إذا كان في وسطِ النهار كان الظَّفَرُ لَكِنانةَ على قَيْسَ .

[حلف الفضول]

قال ابن إسحاق : تَدَاعَتْ قبائلُ من قريش إلى حِلْفٍ ، فاجتمعوا له في دارِ عبدِ الله بنِ جُدعان ، لشرفِهِ وسِنِّهِ ، فكان حلفُهم عنده : بنو هاشم وبنو المطلب وأسَدُ بن عبدِ العزَّى وزُهرةُ بن كلاب ، وتَيْمٌ بن مُرَّةَ . فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكةَ مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائرِ الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظَلَمَهُ حتى تُرَدَّ إليه مَظْلَمَتُهُ ، فسَمَّتْ قريش ذلك الحلفَ حلفَ الفضول .

قال رسولُ الله ﷺ : لقد شهدتُ في دارِ عبدِ الله بنِ جُدعان حِلْفًا ما أُحِبُّ أن لي به حُمْزُ النِّعَمِ^(٢) ولو أَدْعَى به في الإسلامِ لأَجَبْتُ .

[تزويج خديجة - رضي الله عنها-]

وكانت خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ امرأةً تاجرةً ، ذاتَ شرفٍ ومالٍ ، تستأجرُ الرجالَ في مالِها وتُضَارِبُهُمْ إِيَّاهُ^(٣) بشيءٍ تجعلُهُ لهم ، وكانت قريش قومًا تُجَارًا ، فلما بلغها عن رسولِ الله ﷺ ما بلغها ، من صِدْقِ حديثهِ وعِظَمِ أمانتهِ وَكَرَمِ أخلاقِهِ ، بَعَثَتْ إليه ، فعرضت عليه أن يَخْرُجَ في مالِ لها إلى الشامِ تاجراً وتُعْطِيَهُ أَفْضَلَ ما كانت تُعْطِي غيرَهُ من الثُّجَارِ ، مع غلامٍ لها يُقالُ له مَيْسَرَةٌ حتى قَدِمَ الشامَ .

فنزل رسولُ الله ﷺ في ظِلِّ شجرةٍ قريبتا من صَوْمَعَةِ راهِبٍ^(٤) من الرُّهَبانِ ، فاطَّلَعَ

(١) ذكر ابن هشام أن رسول الله ﷺ شهد بعض أيام الفجار، أخرجته أعمامه معهم، وقال رسول الله ﷺ: « كنت أنبل على أعمامي »، أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها. وهذا الفجار هو الفجار الأخير، وهو فجار البراء، وقبله فجارات ثلاث: أولها بين كنانة وهوازن. والثاني بين قريش وهوازن، والثالث بين كنانة وهوازن. وتفصيلها في العقد الفريد، والأغاني.

(٢) حُمْزُ النِّعَمِ: ما لم يخالط حمرتها شيء، والعرب تقول: خير الإبل لحْمُها وضُهْبُها.

(٣) المضاربة: أن تعطي مالا لغيرك يتجر فيه، فيكون له سهم معلوم من الربح.

(٤) اسم هذا الراهب نسطورا.

الراهب إلى مَيْسَرَةَ فقال : مَنْ هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم . فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قَطُّ إِلَّا نَبِيٌّ ! ثم باع رسول الله ﷺ سِلْعَتَهُ التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرَةُ واشتدَّ الخُرُّ يرى مَلَكَيْنِ يُظِلَّانِهِ من الشمس وهو يسيرُ على بعيره . فلما قَدِمَ مكةً على خديجة بمالها باعَتْ ما جاء به فأُضْعِفَ^(١) أو قريئاً .

وَحَدَّثَهَا مَيْسَرَةُ عن قولِ الراهب ، وعَمَّا كان يرى من إِظلالِ المَلَكَيْنِ إِيَّاه . وكانت خديجةُ امرأةً حازمةً لبيبةً شريفةً ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها مَيْسَرَةُ بما أخبرها به بَعَثَتْ إلى رسولِ الله ﷺ فقالت له : يا ابنَ عَمِّ ، إني قد رَغِبْتُ فيكَ لقرابتك وَسِطَّتِكَ^(٢) في قومك ، وأمانتك وحسنِ خُلُقِكَ ، وصِدْقِ حَدِيثِكَ . ثم عَرَضَتْ عليه نَفْسَهَا ، وكانت خديجةُ يومئذٍ أَوْسَطَ^(٣) نساءِ قريشِ نَسَبًا ، وأعظمَهُنَّ شرفًا ، وأكثرَهُنَّ مالاً ، كُلُّ قَوْمِهَا كان حريصًا على ذلك منها لو يقدرُ عليه . فلما قالت ذلك لرسولِ الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامِهِ ، فخرج معه عَمُّهُ حمزة حتى دخل على خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ^(٤) فخطبها إليه فتزوجها^(٥) . فَوَلَدَتْ لرسولِ الله ﷺ وَلَدَهُ كُلَّهُمْ ، إِلَّا إِبْرَاهِيمَ^(٦) : القاسمُ ، وبه كان يُكْنَى ، والطاهر والطَّيِّبُ^(٧) ، وَزَيْنَبُ ، وَرُقَيْةُ ، وَأُمُّ كُلْثُومَ ، وفاطمة ، - عليهم السلام - .

فَأَمَّا الْقَاسِمُ ، وَالطَّيِّبُ وَالطَّاهِرُ ، فَهَلَكُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَمَّا بَنَاتُهُ فَكُلُّهُنَّ أَذْرَكُنَ الْإِسْلَامَ ، فَأَسْلَمْنَ وَهَاجَرْنَ معه ﷺ .

[حديث ورقة بن نوفل]

وكانت خديجةُ قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - وكان ابن عمها ،

(١) أضعف: صار مضاعفًا.

(٢) السطة: الشرف من الوسط، كالعدة من الوعد. (٣) أوسطهن: خيارهن.

(٤) هو خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

(٥) أصدقها ﷺ عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها، ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

(٦) أمه مارية القبطية، من « حفن » من كورة أنصنا من صعيد مصر، أهداها إليه المقوقس عظيم القبط.

(٧) الطاهر والطيب لقبان له، واسمه « عبد الله ».

وكان نصرانيًا قد تتبّع الكتب ، وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول
الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظللانه ، فقال ورقة: لئن كان هذا حقًا يا
خديجة إن محمدًا لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي يُنتظر ، هذا زمانه!
فجعل ورقة يشتطئ الأمر ويقول : حتّى متى؟ فقال ورقة في ذلك :

لَجِئْتُ^(١) وَكُنْتُ فِي الذُّكْرَى لِعُوجَا لَهُمْ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا^(٢)
وَوَضِفَ مِنْ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَضِفِ فَقَدْ طَالَ أَنْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
يَبْطِنُ الْمَكْتَبَيْنِ عَلَى رَجَائِي خَدِيبُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا^(٣)
بِمَا خَبَرْتَنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍ مِنَ الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يُعُوجَا^(٤)
بَأَنْ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ فِينَا وَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيجَا^(٥)
وَيُظْهِرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءَ نَوْرِ يُقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةَ^(٦) أَنْ تَمُوجَا^(٧)
فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَارًا وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا^(٨)
فِيَالَيْتِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ شَهِدْتُ فَكُنْتُ أَكْثَرَهُمْ وَلُوجَا^(٩)

[بنيان الكعبة]

فلما بلغ رسول الله ﷺ خمسًا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، وكانوا
يَهْمُونَ بذلك لِيُسَقِّفُوهَا ، ويهايون هدمها ، وإنما كانت رَضْمًا^(١٠) فوق القامة ، فأرادوا
رَفْعَهَا وَتَشْقِيفَهَا .

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّة . لرجل من تُجَّار الروم ، فتحطمت فأخذوا
خَشَبَهَا فَأَعَدُّوه لِتَشْقِيفِهَا . وكان بمكة رجل قِبطي نَجَّار ، فَتَهَيَّأَ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بَعْضُ مَا
يُضْلِحُهَا . وكانت حَيَّةٌ تَخْرُجُ مِنْ بئر الكعبة التي كان يُطْرَحُ فِيهَا مَا يُهْدَى لَهَا كُلَّ يَوْمٍ ،
فَتَشْرَقُ^(١١) عَلَى جِدَارِ الكعبة . وكانت مما يهايون . وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا

(١) لَجِئْتُهُ: لَجَّ فِي الْأَمْرِ، لَازِمُهُ وَأَبَى أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهُ. (٢) النَشِيجَا: الصَوْتُ الْمُرْتَدِدُ فِي الصَّدْرِ.

(٣) ثُبَى مَكَّة، لِأَنَّ لَهَا بَطَاحًا وَظَوَاهِرَ. (٤) أَنْ يَعُوجَا: أَنْ يَزِيغَ عَنِ الْحَقِّ وَالِاسْتِقَامَةِ.

(٥) يَخْصِمُ: يَغْلِبُ. وَالْحَجِيجُ: الَّذِي يَحَاجُ غَيْرَهُ بِالْحُجَّةِ. (٦) الْبَرِيَّةُ: الْخَلْقُ.

(٧) تَمُوجَا: تَخْتَلِفُ فِي أُمُورِهَا وَتَضْطَرِبُ. (٨) الْفُلُوجُ: النَّصْرُ وَالْغَلْبَةُ.

(٩) وَلُوجَا: أَيِ دَخُولَا فِي هَذَا الدِّينِ. (١٠) الرَضْمُ: حِجَارَةٌ مَنْصُودَةٌ مِنْ غَيْرِ مِلَاطٍ.

(١١) أَيِ تَبَرُّزٍ لِلشَّمْسِ.

احزألت وكشئت^(١) وفتحت فاهها فبينما هي ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله إليها طائر فاختطفها فذهبت بها، فقالت قريش: إننا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا، عندنا عامل رقيق^(٢)، وعندنا خشب، وقد كفانا الله الحية. فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حَجْرًا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبًا: لا يدخل فيها مهر بغي، ولا ينع ربها، ولا مظلمة أحد من الناس.

ثم إن قريشًا جزأت الكعبة، فكان شق^(٣) الباب لبني عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضمو إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جُمَح وسهم، وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزى، ولبني عدي بن كعب.

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا^(٤) منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدمها. فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم نزع^(٥)! اللهم إنا لا نريد إلا الخير! ثم هدم من ناحية الوكنين، فتربص الناس تلك الليلة وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهلك منها شيئًا ورددناها كما كانت، وإن لم يصيبه شيء فقد رضي الله صنعنا فهدمنا. فأصبح الوليد من ليلته غاديًا على عمله، فهدم وهدم الناس معه حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس، أساس إبراهيم - عليه السلام -، أفوضوا إلى حجارة خضر كالأسنمة^(٦) أخذ بعضهم بعضًا. ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها، حتى بلغ البنيان موضع الركن^(٧) فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوزوا^(٨) وتحالفوا، وأعدوا للقتال.

(١) احزألت: رفعت رأسها. وكشئت: صوتت باحتكاك جلدتها بعضه ببعض.

(٢) رقيق: نافع، لين الجانب. (٣) شق الباب: الجانب الذي به الباب.

(٤) فرقوا: جزعوا واشتد خوفهم. (٥) لم نزع: لم نمل عن دينك. زاع يزوغ، وزاع يزيع.

(٦) أسنمة: جمع سنام، وهو أعلى ظهر البعير. ويروى: «كالأسنة» جمع سنان، شبهت به في الخضرة.

(٧) يراد به الحجر الأسود، لأن موضعه في الركن. (٨) تحاوزوا: انحاز كل قبيل منهم إلى جانب.

فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة ، وكان عاميذاً أسيراً^(١) قريش كلها ، قال : يا معشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد ، يقضي بينكم فيه . ففعلوا . فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ ، فلما رآوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال ﷺ : « هَلَمْ إِلَيَّ ثَوْبًا » . فَأَتَى بِهِ ، فَأَخَذَ الرِّكَنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ : « لِنَأْخُذَ كُلَّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ثُمَّ ارْزُقُوهُ جَمِيعًا » ففعلوا حتى إذا بلغوا منه موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه .

[إخبار الكهان من العرب]

[والأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى]

وكانت الأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى ، والكهان من العرب ، قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب من زمانه . أما الأخبار من يهود والرهبان من النصارى ، فعلموا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه . وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع ، إذ كانت وهي لا تُعجب عن ذلك بالقذف بالثجوم . وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقعن منهما ذكر بعض أموره ، لا تلقى العرب لذلك فيه بالاً ، حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون ، فعرفوها .

فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر مبعثه ، حجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقع لاستراق السمع فيها ، فزموها بالثجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد .

[صفة رسول الله ﷺ]

قال ابن هشام : وكانت صفة رسول الله ﷺ فيما ذكر عمر مؤلى غفرة ، عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب قال : كان علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢) إذا نعت رسول الله ﷺ قال : لم يكن بالطويل الممغط^(٣) ، ولا القصير المتردد^(٤) ، وكان ربعة^(٥) من

(١) أسن: أكبرهم سناً. (٢) هكذا في الأصل. (٣) الممغط: الممتد.

(٤) المتردد: المجتمع الخلق القصير. (٥) الربعة: الذي ليس بالطويل ولا القصير.

القوم، ولم يكن بالجعد القَطَطُ^(١) ولا الشَّيْطُ^(٢). كان جَعْدًا رَجُلًا^(٣)، ولم يكن بالمَطْهَمِ^(٤) ولا المُكَلَّمِ^(٥). وكان أبيضَ مُشْرَبًا^(٦)، أَدْعَجَ العينين^(٧)، أَهْدَبَ الأَشْفَارَ^(٨)، جليلَ المُشَاشِ^(٩) والكَتَدِ^(١٠)، دقيقَ المَشْرُوبَةِ^(١١) أَجْرَدَ^(١٢) شَتْنُ الكَفَّينِ^(١٣) والقَدَمَيْنِ، إذا مشى تَقَلَّعَ^(١٤) كأنما يمشي في صَبَبٍ^(١٥)، وإذا التفت التفت معًا. بين كَتِفَيْهِ خَاتَمُ الثُّبُوءِ، وهو ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ. أجودُ الناس كَفًّا، وأجراً الناس صَدْرًا، وأصدقُ الناس لهجة^(١٦)، وأوفى الناس ذِمَّةً، وأليثهم غريكة^(١٧)، وأكرمهم عشرة. من رآه بديهة^(١٨) هابه ومن خالطه أحبه. يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ.

[صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل]

قال ابن إسحاق: وقد كان فيما بلغني عما كان وَضَعَ مع عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله ﷺ مما أثبت يُحْتَسَنُ الخواري لهم، حين نَسَخَ لهم الإنجيل عَنْ عهد عيسى ابن مريم عليه السلام في رسول الله ﷺ إليهم: أنه قال: «من أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ الرَّبَّ، ولولا أَنِّي صَنَعْتُ بِحَضْرَتِهِمْ صَنَائِعَ لَمْ يَصْنَعُهَا أَحَدٌ قبلي ما كانت لهم خطيئة. ولكن من الآن يَطْرُوا وَظَنُوا أَنَّهُمْ يُعْزُونِي^(١٩) وأيضًا للرب، ولكن لا بُدَّ مِنْ أن تَبَيَّنَ الكَلِمَةُ التي في الناموس إِنَّهُمْ أَبْغَضُونِي مَجَانًا أي باطلا. فلو قد جاء الْمُتَحَمِّتًا هذا الذي يُؤَسِّلُهُ الله إليكم من عند الرب. روح القدس هذا الذي من عند الرب خَرَجَ، فهو شَهِيدٌ عَلَيَّ وأنتم أيضًا، لأنكم قديمًا كنتم معي. في هذا قلت لكم لكيما لا تَشْكُرُوا^(٢٠)». و«الْمُتَحَمِّتًا»، بالسريانية: محمد، وهو بالرومية «الْبَرَقْلَيْطُس».

- | | |
|--|--|
| (١) القَطَط: الشديد جعودة الشعر. | (٢) الشَّيْط: المسترسل من الشعر غير الجعد. |
| (٣) الرجل: المسرح الشعر. | (٤) المَطْهَم: العظيم الجسد. |
| (٥) المكَلَّم: المستدير الوجه في صغر. | (٦) مُشْرَبًا: أي بخمرة. |
| (٧) الأَدْعَج: الأسود العينين. | (٨) أَهْدَبَ الأَشْفَار: طويل أهدابها. |
| (٩) المُشَاش: عظام رعوس المفاصل. | (١٠) الكَتَد: ما بين الكتفين. |
| (١١) المَشْرُوبَةُ: الشعر الممتد من الصدر إلى السرة. | (١٢) أَجْرَد: القليل الشعر. |
| (١٣) شَتْنُ: الغليظ. | (١٤) تَقَلَّع: لم يثبت قدميه. |
| (١٥) الصَّبَب: ما انحدر من الأرض. | (١٦) اللهجة: الكلام. |
| (١٧) لين العريكة: حسن العشرة. | (١٨) بديهة: ابتداء. |
| (١٩) عزه يعزه: بضم عين المضارع: غلبه. | (٢٠) انظر إنجيل يوحنا ١٥: ٢٣-٢٧. |

الفصل الثالث

من البعث إلى إسلام حمزة

[البعث]

فلما بلغ محمد رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به، والتصديق له، والنصر له على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه.

عن عائشة رضي الله عنها: إن أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من النبوة، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به، الرؤيا الصادقة، لا يرى رسول الله ﷺ رؤيا في نومه إلا جاءت كفلقي الصبح. وحُبب الله تعالى إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده. وعن عبد الملك بن عبيد الله: أن رسول الله ﷺ حين أراد الله بكرامته وابتدأه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسّر عنه البيوت^(١)، ويُفضي إلى شعاب^(٢) مكة وبُطون أوديتها، فلا يَمُرُّ رسول الله ﷺ بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. فيلتفت رسول الله ﷺ حوله وعن يمينه وشماله وخلفه، فلا يرى إلا الشجر والحجارة. فمكث رسول الله ﷺ كذلك يَرى ويسمع. ما شاء الله أن يَمُكث. ثم جاءه جبريل - عليه السلام - بما جاءه من كرامة الله، وهو بجرا^(٣) في شهر رمضان. عن عبيد بن عمير: كان رسول الله ﷺ يُجاور في جِراء من كل سنة شهراً، وكان ذلك مما تحنّ^(٤) به قريش في الجاهلية. فكان يُجاور ذلك الشهر من كل سنة، يُطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره من شهره ذلك كان أول

(١) أي تبعه عنه.

(٢) الشعب: ما انفرج بين الجبلين.

(٣) حراء: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال. (٤) التحنن: التبعيد واعتزال الأصنام.

ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة ، قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعة أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته . حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان . خرج رسول الله ﷺ إلى حراء كما كان يخرج لجواره ، ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمها الله فيها برساليته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى . قال رسول الله ﷺ : « فجاءني جبريل وأنا نائم ، بمط من ديباج ^(١) فيه كتاب ، فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ^(٢) . قال : فغتنني به ^(٣) حتى ظننت أنه الموت . ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ فغتنني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ماذا أقرأ ؟ فغتنني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ماذا أقرأ ؟ فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . قال فقرأتها ثم انتهى فأنصرف عني . وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتابا . فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل ! فرفعت رأسي إلى السماء أنظر ، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ! فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر . وجعلت أضرب وجهي عنه في آفاق السماء ، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك . فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أراجع ورائي ، حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها ، وأنا واقف في مكاني ذلك . ثم انصرف عني . وانصرف راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخذها مضيفا إليها ^(٤) ، فقالت : يا أبا القاسم : أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لي ! ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت : أبشرو يا بن عم وائبت ، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ! » .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به

(١) النمط: ضرب من البسط، والديباج: ثياب من الابرسم . (٢) ويروى: « ما أنا بقارئ » .

(٣) غته: عصره عصرا شديدا . (٤) مضيفا إليها: ملصقا بها مائلا إليها .

رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قُدُّوس قُدُّوس ، والذي نَفْسُ ورقة بيده ، لئن كُنْتُ صَدَقْتَنِي يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر^(١) ، الذي كان يأتي موسى^(٢) ، وإنه لَنَبِيُّ هذه الأمة ، فقولِي له فَلْيُثْبِتْ .

فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة ، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف ، صنع كما كان يصنع . بدأ بالكعبة فطاف بها ، فَلَقِيَهُ ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة ، فقال : يا ابن أخي ، أَخْبِرْنِي بما رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ . فأخبره رسول الله ﷺ ، فقال له ورقة : والذي نَفْسِي بيده إِنَّكَ لَنَبِيُّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، وَلَكَذَّبْتَهُ ، وَلَتُؤَذِّنُهُ ، وَلَتُخْرِجَنَّهُ وَلِتُفَاتِلَنَّهُ^(٣) ! ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لَأَنْصُرَنَّ اللهَ نَصْرًا يَعْلَمُهُ ! ثم أَدْنَى رَأْسَهُ مِنْهُ فَقَبِلَ يافوخه^(٤) ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله .

[ابتداء تنزيل القرآن]

فابتدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان ، يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ . وقال الله تعالى : ﴿ حَمْدٌ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبَرَّكِ * إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ . وذلك ملتقى رسول الله ﷺ والمشركين ببدر .

(١) أراد به الملك الذي جاءه بالوحي ، وأصل الناموس صاحب سر الرجل .

(٢) السهيلى : « إنما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى وهو أقرب ، لأن ورقة كان قد تنصر ، والنصارى لا يقولون في عيسى : إنه نبي يأتيه جبريل ، إنما يقولون فيه : إن أفنوما من الأفانيم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت المسيح واتحد به ، على اختلاف بينهم في ذلك الحلول » .

(٣) الهاء في كل هذه الأفعال هي هاء السكت . (٤) يافوخه : أم رأسه .

ثم تنام الوحي إلى رسول الله ﷺ. وهو مؤمن بالله مُصدِّق بما جاءه منه، قد قبله بقبوله، وتحمل منه ما حملته على رضا العباد وسخطهم، والثبوة أثقالاً ومؤنة، لا يحملها ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه، لما يلقون من الناس وما يُزد عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى.

قال : فمضى رسول الله ﷺ على أمر الله، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى.

[إسلام خديجة بنت خويلد]

وأمّنت به خديجة بنت خويلد : وصدّقت بما جاءه من الله ، ووازرت على أمره ، وكانت أوّل مَنْ آمَنَ بالله وبرسوله ، وصدّقت بما جاءه منه ، فحَقَّقَ الله بذلك عن نبيّه ﷺ ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه مِنْ رَدِّ عليه وتكذيب له ، فيحزّنه ذلك ، إلا فَرَّجَ الله عنه بها إذا رَجَعَ إليها ، تُبَيِّتُهُ وتُخَفِّفُ عليه ، وتُصَدِّقُهُ . وتُهَوِّنُ عليه أمرَ الناس ، رحمها الله تعالى . قال رسول الله ﷺ « أُمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خديجة ببيتٍ مِنْ قَصَبٍ ^(١) ، لا صَحْبَ فيه ولا نَصَبٍ ^(٢) » .

[فترة الوحي]

ثم فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة من ذلك ، حتّى شَقَّ ذلك عليه فأخزّنه . فجاءه جبريل بسورة الضحى ، يُقْسِمُ له ربّه ، وهو الذي أكرمه بما أكرمه به : ما ودّعه وما قلاه . فقال تعالى : ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ . يقول : ما صرّمت فتركك ، وما أبغضتك منذ أحبك . ﴿ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ . أي لما عندي من مَرْجِعِكَ إليّ خيرٌ لك مما عَجَلْتُ لك من الكرامة في الدنيا : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ ، من الفُلج ^(٣) في الدنيا . والثواب في الآخرة . ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ﴾ . يُعَرِّفُه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره . ومثّه عليه في يُثِمِّه وعيّلته ^(٤) وضلالته ، واشتقاقه من ذلك كُلّه برحمته . ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ . أي لا تكن جبّاراً ولا مُتَكَبِّراً . ولا فَحَّاشاً فظّاً

(١) القصب: اللؤلؤ المنحوت. (٢) نَصَب: تعب وإعياء.

(٣) الفُلج والفُلج والفُلج: الفوز والغلبة والنصر. (٤) عيّلته: فقره وحاجته.

على الضعفاء من عباد الله . ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الصّحى: ١-١١] أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدّث . أي اذكرها وادعُ إليها . فجعل رسولُ الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه . وعلى العباد به من النبوة سيّراً إلى مَنْ يطمئنُ إليه من أهله .

[ابتداء فرض الصلاة]

وافترضت الصلاة عليه ، فضلّى رسولُ الله ﷺ وأله ، والسلام عليه وعليهم ورحمةُ الله وبركاته . عن عائشة رضي الله عنها قالت : افترضت الصلاة على رسولِ الله ﷺ أوّل ما افترضت عليه ركعتين ركعتين ، كلّ صلاة ؛ ثم إن الله تعالى أتّمها في الحضر أربعا ، وأقرّها في الشّفر على فرضها الأوّل ركعتين .

[أول الناس إسلاماً]

ثم كان أوّل ذكرٍ من الناس آمن برسولِ الله ﷺ ، وصلّى معه وصدّق بما جاءه من الله تعالى : عليّ بن أبي طالب رضوانُ الله وسلامُه عليه ، وهو يومئذ ابنُ عشرٍ سنين . وكان من نعمة الله على عليّ بن أبي طالب ، ومِمّا صنع الله له ، وأراد به من الخير ، أن قرّشاً أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسولُ الله ﷺ للعبّاس عمّه ، وكان من أئسر بني هاشم : يا عبّاس ، إن أخاك أبا طالب كثيرُ العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فأنطلق بنا إليه ، فلنخفف عنه من عياله ، أخذ من بنيهِ رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفهما عنه . فقال العبّاس : نعم . فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ؛ فقالا له : إنّنا نريد أن نخفف من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه . فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما . فأخذ رسولُ الله ﷺ عليّاً فضمّه إليه . وأخذ العبّاس جعفرًا فضمّه إليه . فلم يزل عليّ مع رسولِ الله ﷺ ، حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً ، فاتّبعه عليّ رضي الله عنه وآمن به وصدّقه .

وذكر بعض أهل العلم أنّ رسولَ الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه عليّ بن أبي طالب مُستخفياً من أبيه ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا . فمكثا كذلك ما شاء الله أن يَفْكُثَا ، ثم إنّ أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يُصليان . فقال لرسولِ الله ﷺ : يا ابن أخي . ما هذا الدّين الذي أراك تدين به ؟ قال : أيّ عمّ ، هذا دينُ الله ودينُ ملائكته ودينُ رُسُله ودينُ

أينما إبراهيم ، بعثني الله به رسولا إلى العباد ، وأنت أي عمّ أحمق من بدلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحمق من أجابني إليه وأعانني عليه . فقال أبو طالب : أي ابن أخي ، إنني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه . ولكن والله لا يخلص^(١) إليك بشيء تكرهه ما بقيت !

ثم أسلم زيد بن حارثة بن شريحيل بن كعب بن عبد العزى . وكان حكيم بن حزام ابن خويلد قديم من الشام بريق ؛ فيهم زيد بن حارثة ، فدخلت عليه عمته خديجة ، وهي يومئذ عند رسول الله ﷺ ، فقال لها : اختاري يا عمّة أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك . فاختارت زيدا فأخذته ، فراه رسول الله ﷺ عندها فاستوهبها منها فوهبته له ، فأعتقه وتبناه ، وذلك قبل أن يوحى إليه .

ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة واسمه عتيق ، واسم أبي قحافة عثمان . فلم أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله . وكان أبو بكر رجلا مألفا لقومه ، محببا سهلا ، وكان أنسب^(٢) قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر : لعلمه ، وتجارته ، وحسن مجالسته . فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ، ممن يغشاه ويجلس إليه . فأسلم بدعائه عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فكان هؤلاء الثفر الثمانية^(٣) الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلوا وصدقوا رسول الله ﷺ لما جاءه من الله .

ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم^(٤) ، وعثمان بن مظعون ، وأخوه قدامة وعبد الله ، وعبيدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد بن عمرو ، وامرأته فاطمة أخت عمر بن الخطاب ، وأسما بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر ، وهي يومئذ صغيرة ، وخباب بن الأرت ، وعمير بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن القاري ، وسليط بن عمرو ، وأخوه حاطب بن عمرو ، وعياش بن أبي

(١) لا يخلص إليك: لا يصل إليك.

(٢) أنسب قريش: أعلمهم بالأنساب.

(٣) هم: علي، وزيد، وأبو بكر، ومن أسلم على يديه.

(٤) وفي داره كان رسول الله ﷺ مستخفيا من قريش بمكة يدعو الناس فيها إلى الإسلام، وكانت داره على الصفا، حتى تكامل المسلمون أربعين رجلا بإسلام عمر، فلما تكاملوا أربعين رجلا خرجوا.

رَبِيعَةَ، وامرأته أَسْمَاءُ بنت سَلَامَةَ، وَخُنَيْسُ بن حُذَافَةَ، وعامرُ بن رَبِيعَةَ، وعبدُ الله بن جَحْشٍ، وأخوه أبو أحمد، وجعفرُ بن أبي طالب، وامرأته أَسْمَاءُ بنت عُمَيْسٍ، وحاطِبُ ابن الحارِث، وامرأته فاطمةُ بنت المُجَلَّلِ، وأخوه حَطَّابٌ، وامرأته فُكَيْهَةُ بنت يَسَارٍ، ومُعَمَّرُ بن الحارِث، والسَّائِبُ بن عُثْمَانَ بن مَظْعُونٍ، والمُطَّلِبُ بن أَزْهَرَ، وامرأته رَمْلَةُ بنت أبي عَوْفٍ، والنَّحَّامُ واسمه نُعَيْمُ بن عبد الله، وعامرُ بن فَهَيْرَةَ، وخالدُ بن سَعِيدٍ بن العاصِ، وامرأته أُمَيَّةُ بنت خَلْفٍ، وحاطِبُ بن عَمْرٍو، وأبو حُدَيْفَةَ بن عُثْبَةَ بن رَبِيعَةَ، وواقِدُ بن عبد الله، وخالد وعامر وعافل وإياس: بنو البُكَيْرِ بن عبد ياليل، وعَمَّارُ بن ياسر، وصُهَيْبُ بن سنان (الرُّومِيُّ) ^(١).

[الجهر بالدعوة]

ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا ^(٢) من الرجال والنساء، حتى فشا ذِكْرُ الإسلام بمكة وتحدث به. ثم إن الله عز وجل أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه، وأن يُبَادِيَ ^(٣) الناس بأمره وأن يذعو إليه. وكان بين ما أخفى رسولُ الله أقره واشتر به إلى أن أمره الله بإظهار دينه، ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه، ثم قال الله تعالى له: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ * وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ *.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صَلُّوا ذَهَبُوا في الشُّعَابِ ^(٤) فاستَحَفُّوا بِصَلَاتِهِمْ من قومهم، فبينما سَعَدُ بن أبي وقَّاص في نَفَرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ في شُعْبٍ من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نَفَرٌ من المشركين وهو يُصَلُّونَ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سَعَدُ بن أبي وقَّاص يومئذ رجلاً من المشركين بلخي بعير فشجَّه ^(٥)، فكان أول دم هريق في الإسلام. فلما بادى رسولُ الله ﷺ قَوْمَهُ بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم ينعُدْ عنه قَوْمُهُ ولم يزدوا عليه - فيما بلغني - حَتَّى ذَكَرَ آلَهُتَهُمْ

(١) صهيب عربي، ولكن الروم سبته صغيراً فنشأ فيهم فصار ألكن، ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بمكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان فأعتقه. وفي الحديث « صهيب سابق الروم ».

(٢) أرسال: جمع رسل بالتحريك، وهي الجماعة. (٣) المباداة: المجاهرة.

(٤) الشعاب: جمع شُعْب، انفراج بين جبلين. (٥) اللحي: العظم الذي فيه الأسنان. شجّه: كسر رأسه.

وعابها، فلَمَّا فعل ذلك أعظموه ونَاكُزُوه، وأجمعوا خِلَافَه وَعَدَاوَتَه، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللّهُ تعالى منهم بالإسلام، وهم قليلٌ مُسْتَحْفُونٌ.

وَحَدِثَ^(١) على رسول الله ﷺ عُمَةُ أَبُو طَالِبٍ، وَمَنَعَهُ وَقَامَ دُونَهُ، وَمَضَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ على أَمْرِ اللّهِ مُظْهِرًا لِأَمْرِهِ، لَا يَزُدُّهُ عَنْهُ شَيْءٌ. فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ لَا يُعْتَبِرُهُمْ^(٢) مِنْ شَيْءٍ أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ، مِنْ فِرَاقِهِمْ وَعِيبِ آلِهِتِهِمْ، وَرَأَوْا أَنَّ عَمَّةَ أَبِي طَالِبٍ قَدْ حَدِثَ عَلَيْهِ، وَقَامَ دُونَهُ فَلَمْ يُسَلِّمُهُ لَهُمْ، مَشَى رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ آلَهُتِنَا وَعَابَ دِينَنَا، وَسَفَّهَ أَخْلَامَنَا، وَضَلَّلَ آبَاءَنَا، فِيمَا أَنْ تَكْفَهُ عَنَا، وَإِنَّمَا أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ؟ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ قَوْلًا رَفِيقًا، وَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا، فَانصرفوا عنه.

وَمَضَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ على مَا هُوَ عَلَيْهِ، يُظْهِرُ دِينَ اللّهِ وَيَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ شَرِي^(٣) الْأَمْرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ حَتَّى تَبَاعَدَ الرُّجَالُ وَتَضَاعَفُوا^(٤)، وَأَكْثَرَتْ قُرَيْشٌ ذِكْرَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بَيْنَهَا، فَتَذَامَرُوا فِيهِ^(٥)، وَحَضَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهِ. ثُمَّ إِنَّهُمْ مَشَوْا إِلَى أَبِي طَالِبٍ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّ لَكَ سِتًّا وَشَرْفًا وَمَنْزِلَةً فِينَا، وَإِنَّمَا قَدْ اسْتَنْهَيْتَنَاكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَلَمْ تَنْهَهُ عَنَّا. وَإِنَّا وَاللّهِ لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَمِّ آبَائِنَا وَتَسْفِيفِهِ أَخْلَامِنَا، وَعِيبِ آلِهِتِنَا، حَتَّى تَكْفَهُ عَنَا، أَوْ تُنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ، حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ.

فَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنْ قَوْمُكَ قَدْ جَاءُونِي فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا- لِلَّذِي كَانُوا قَالُوا لَهُ- فَأَبْقَى عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تُحْمِلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أَطِيقُ. فَظَنَّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لِعَمَّةٍ فِيهِ بَدَاءٌ^(٦) أَنَّهُ خَاذِلُهُ وَمُسْلِمُهُ، وَأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «يَا عَمُّ، وَاللّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي، عَلَى أَنْ أَتْرِكَ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللّهُ أَوْ أَهْلُكَ فِيهِ، مَا تَرَكْتُهُ!» ثُمَّ اسْتَعْبَرَ^(٧) رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَبَكَى، ثُمَّ قَامَ، فَلَمَّا وَلَّى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: أَقْبِلْ يَا ابْنَ أَخِي. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فَقَالَ: اذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي فَقُلْ مَا أَحْبَبْتُ، فَوَاللّهِ لَا أُسْلِمُكَ لَشَيْءٍ أَبَدًا.

(١) أي عطف ورق.

(٢) يعتبهم: يرضيهم.

(٣) شري: استطار وتفرق.

(٤) تضاعفوا: أضمر كل منهم الحقد على الآخر.

(٥) تذاَمَرُوا: حض بعضهم بعضًا. (٦) أي رأي جديد.

(٧) استعبر: جرت دمعته.

ثم إن قُرَيْشًا حين عرفوا أن أبا طالب قد أتى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم ، مشؤوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له - فيما بلغني - : يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد ، أنهد^(١) فتى في قريش وأجمله ، فخذْهُ فَلَكَ عَقْلُهُ^(٢) ونصره ، واتَّخِذْهُ وَلَدًا فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا ، الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرَّق جماعة قومك وسقَّه أخلامهم^(٣) فتقَّئله ، فإنما هو رجلٌ برجلٍ ! فقال : والله لبئس ما تسومونني^(٤) ! أتُعْطُونَنِي ابْنَكُمْ أَغْذُوهُ^(٥) لكم ، وأعطيتكم ابني تقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبدًا ! فقال الْمُطْعِم بن عدي : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التَّخْلِص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا ! فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ ، فاصنع ما بدا لك ؟ . فحَقَّب الأُمُر^(٦) ، وحميت الحرب ، وتنابد^(٧) القوم ، وبأذى بعضهم بعضًا .

ثم إن قريشًا تذاَمروا^(٨) بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يُعَذِّبونهم ويُفْتِنُونَهُمْ عن دينهم ، ومنع الله رسوله ﷺ منهم يعمه أبي طالب . وقد قام أبو طالب ، حين رأى قريشًا يصنعون ما يصنعون ، في بني هاشم وبني الْمُطَّلِب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ ، والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب عَدُوُّ الله الملعون .

[قول الوليد بن المغيرة في القرآن]

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سِنٍّ^(٩) فيهم ، وقد حضر المؤسِّم فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا المؤسِّم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا ، ويَزِدُّ قولكم بعضه بعضًا ، فقالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل ، وأقم لنا رأيًا نقول به . قال : بل أنتم فقولوا أسمع . قالوا : نقول كاهن . قال : لا والله ما هو

(١) أنهد : أي أشد وأقوى . (٢) العقل : الدية . (٣) أي عقولهم .

(٤) تسومونني : أي تكلفونني . (٥) أغذوه : أطعمه وأربيه . (٦) حقب أمرهم : فسد .

(٧) تنابد القوم : اختلفوا . (٨) تذاَمروا : حض بعضهم بعضًا .

(٩) ذا سِنٍّ : أي من أشرافهم وأكابرهم .

بكاهن ، لقد رأينا الكُهَّانَ ، فما هو بِزَمَزَمَةٍ^(١) الكاهن ولا سَجِيعِه . قالوا : فنقول : مجنون . قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجُنُونَّ وعَرَفْنَاهُ ، فما هو بِخَنَقِه ولا تَخَالِجِه^(٢) ولا وَسْوَستِه . قالوا : فنقول : شاعر . قال : ما هو بشاعر ، لقد عَرَفْنَا الشَّعْرَ كُلَّهُ رَجَزَه وهَزَجَه وقَرِيضَه ، ومَقْبُوضَه ومَبْسُوطَه ، فما هو بالشَّعْر . قالوا : فنقول : ساحر . قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا الشَّحَارَ وسَحَرَهُمْ فما هو بنَفْثِهِمْ ولا عَقْدِهِمْ^(٣) . قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس . قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإنَّ أَضْلَه لَعَذَقُ^(٤) ، وإن فَرْعَه لَجَنَاةٌ^(٥) ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عَرَفَ أنه باطل . وإنَّ أَقْرَبَ القول فيه لأن تقولوا : ساحر ، جاء بقولي هو سَحَرٌ يُفَرِّقُ بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرَّقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبيل النَّاسِ حين قَدِمُوا المَوْسِمَ ، لا يَمُرُّ بهم أحدٌ إلَّا حَذَرُوهُ إِثَّاهُ وذكروا لهم أمره : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ : ﴿ ذَرِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَيْنَ شُهُودًا * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴾ . فجعل أولئك النفوس يقولون ذلك في رسول الله ﷺ لمن لَقُوا من الناس ، وصَدَرَتِ الْعَرَبُ من ذلك المَوْسِمِ بأمرِ رسولِ الله ﷺ ، فانتشر ذكره في بلادِ الْعَرَبِ كُلِّهَا .

فلما انتشر أمرُ رسولِ الله ﷺ في الْعَرَبِ ، وَبَلَغَ الْبِلْدَانَ ، دُكِرَ بِالْمَدِينَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ حَيًّا من الْعَرَبِ أَعْلَمَ بأمرِ رسولِ الله ﷺ ، حين دُكِرَ وَقَبِلَ أَنْ يُذَكَّرَ ، من هذا الْحَيِّ من الْأَوْسِ وَالخَزَرَجِ ، وذلك لِمَا كانوا يسمعون من أخبار اليهود ، وكانوا لهم حُلَفَاءَ .

[ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه]

ثم إن قُرَيْشًا اشتد أمرهم ، للشقاء الذي أصابهم ، في عداوة رسولِ الله ﷺ ومن أشلَمَ معه منهم ، فَأَعَزُّوا برسولِ الله ﷺ سُفَهَاءَهُمْ فَكَذَّبُوهُ وَأَذَوْهُ ، وَرَمَوْهُ بالشَّعْرَ والشَّحَارَ والكِهَانَةَ^(٦) والجنون ، ورسولُ الله ﷺ مُظْهِرٌ لِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَسْتَخْفِي بِهِ ، مُبَادٍ^(٧) لهم بما يكرهون ، من غَيْبِ دينهم واعتزال أوثانهم ، وفراقه إِيَّاهُمْ على كفرهم . عن عبد الله بن

(١) الزمزمة: كلام خفي لا يسمع.

(٢) التخالج: الاضطراب.

(٣) كان الساحر يعقد خيطاً ثم ينفث فيه.

(٤) العذق، بالفتح : النخلة.

(٥) الجناة: ما يجنى.

(٦) الكهانة: حرفة الكاهن، الذي يدعي العلم بالغيب. (٧) أي مجاهر.

عمرو بن العاص قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر ، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثلاً ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ! سفة أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ! فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت ، فلما مرّ بهم غمزوه ببعض القول ، قال : فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ . فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ . ثم مرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : « أتسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح^(١) ! » . فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة^(٢) قبل ذلك ، ليوفوة^(٣) بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه يقول : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنت جهولاً ! . فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه ! فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ، إما كان يقول من غيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله ﷺ : « نعم أنا الذي أقول ذلك » . قال : فلقد رأيث رجلاً منهم أخذ بمجمع رداءه^(٤) ، فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه ، وهو يبكي ويقول : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ! ثم انصرفوا عنه . فإن ذلك لأشد ما رأيث قريشاً نالوا منه قط ؟

[إسلام حمزة]

حدثني رجل من أشلم ، كان واعية^(٥) : أن أبا جهل مرّ برسول الله ﷺ عند الصفا فإذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله ﷺ ، ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم . فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي

(١) كناية عن الهلاك إن لم يؤمنوا. (٢) الوصاة: الوصية، أي وصية بالأذى.

(٣) يرفؤه: يسكنه ويهدئه.

(٤) مجمع رداءه: أي جمع رداءه عند صدره وقبض عليه يجره.

(٥) واعية: حافظ.

الله عنه أن أقبلَ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ^(١) راجعًا من قَنَصٍ له^(٢)، وكان صاحبَ قَنَصٍ يَزْمِيهِ وَيَخْرِجُ لَهُ، وكان إذا فعل ذلك لم يَمُرَّ على نَادٍ من قريش إلا وقف وسلَّم وتحدَّثَ معهم، وكان أعزَّ فتًى في قريشٍ وأشدَّ شَكِيمَةً، فلما مَرَّ بِالْمَوْلَاةِ^(٣) وقد رجع رسولُ الله ﷺ إلى بيته قالت له: يا أبا عُمَارَةَ، لو رأيتَ ما لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مُحَمَّدٌ أَنفًا من أَبِي الْحَكَمِ^(٤) بن هشام؟ وجده ههنا جالسًا فَأَذَاهُ وَسَبَّهُ، وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه، ولم يُكَلِّمهُ مُحَمَّدٌ ﷺ فاحتمل حَمَزَةَ الْغَضَبِ لِمَا أَرَادَ اللهُ بِهِ من كرامته، فخرج يسعى ولم يَقِفْ على أحد، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لَقِيَهِ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ نَظَرَ إِلَيْهِ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ، حتى إذا قام على رأسه رفع القَوْسَ فضربه بها فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً. ثم قال: أَتَشْتُمُهُ وَأَنَا على دينه أقول ما يقول؟ فَوَدَّ ذَلِكَ عَلَيَّ إِنْ اسْتَطَعْتُ. فقامت رجالٌ من بني مَخْزُومٍ إلى حَمَزَةَ لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ سَبَّيْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا. وَتَمَّ حَمَزَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى إِسْلَامِهِ، وعلى ما تابع عليه رسولُ الله ﷺ. فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمَزَةُ عَرَفَتْ قَرِيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قد عَزَّ وَاْمْتَنَعَ، وَأَنَّ حَمَزَةَ سَيَمْنَعُهُ. فَكَفُّوا عَنْ بَعْضِ مَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُ.



(١) أي متقلدا لإياه.

(٢) القنص: الصيد.

(٣) هي مولاة عبد الله بن جدعان.

(٤) أبو الحكم: كنية أخري لأبي جهل. واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم.

الفصل الرابع

من قول عتبة بن ربيعة إلى هجرة الحبشة

[قول عتبة بن ربيعة في أمر رسول الله]

خَدْتُ أَنْ عُتْبَةَ بْنَ رَيْبَعَةَ - وَكَانَ سَيِّدًا - قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَخَذَهُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمَهُ وَأُعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا ، فَنُعْطِيهِ أَهْهَا شَاءَ وَيَكْفَى عَنَّا . وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ . فَقَالُوا : بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، قُمْ إِلَيْهِ فَكَلِّمَهُ . فَقَامَ إِلَيْهِ عُتْبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنَ السُّطَّةِ ^(١) فِي الْعَشِيرَةِ ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ ، فَرَّقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ ، وَسَفَّهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ ، وَعَبَّتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفَّرْتَ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا ، لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ » .

قال : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك ^(٢) علينا حتى لا نقطع أمورا دونك . وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا . وإن كان هذا الذي يأتيك ربييا ^(٣) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطَّبَّ وَبَدَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ ^(٤) عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوِيَ مِنْهُ ، أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ . حَتَّى إِذَا فَرَّغَ عُتْبَةُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَمِعُ مِنْهُ . قَالَ : أَقَدْ فَرَّغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَاسْمَعْ مِنِّي . قَالَ : أَفْعَلُ؟ فَقَالَ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حَمْدٌ * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ

(١) السُّطَّة: الشرف، من الوسط، كالعِدَّة من الوعد. (٢) سودناك: جعلناك سيذا.

(٣) الربيي: ما يترأى للإنسان من الجن. (٤) التابع: الصاحب من الجن.

لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْثَنِ مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴿١﴾ . ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها^(١) فسجد ، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال : ورائي أنني سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة . يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي . وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه . فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن نصيبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهروا على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ! . قالوا : سحرَكَ والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم .

[ما دار بين رسول الله ﷺ وبين رؤساء قريش]

ثم إن الإسلام جعل يفتشو بمكة في قبائل قريش ، في الرجال والنساء ، وقريش تحبس من قدرت على حبسه ، وتفتي من استطاعت فتنته من المسلمين . ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو شفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، وأبو البختري بن هشام ، والأسود بن المطلب ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية ، والعاص بن وائل ، وثيبة ومثبه ابنا الحجاج ، وأمية بن خلف ، اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تغيروا فيه^(٢) . فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك فأتهم . فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلّمهم فيه بداء^(٣) ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنثهم^(٤) ، حتى جلس

(١) هي قوله تعالى: ﴿وَمِن مَّآيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الْكَذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِتَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [نزلت: الآية ٣٧] .

(٢) تعذروا فيه: يثبت لكم فيه عذر. (٣) بدا لهم بداء: جد لهم رأي.

(٤) العنت: الجور والأذى.

إليهم ، فقالوا له : يا محمد ، إننا قد بعثنا إليك لئلكلّمك ، وإنّا والله ما نعلم رجلاً من العرب أَدْخَلَ على قومه مثل ما أَدْخَلْتَ على قومك : لقد سَتَمَتِ الآباءُ ، وعَثَتِ الدينُ ، وسَتَمَتِ الآلهةُ ، وسَفَهَتِ الأحلامُ ، وفَرَقَتِ الجماعةُ ، فما بَقِيَ أَمْرٌ قَبِيحٌ إِلَّا قد جِئْتَهُ فيما بيننا وبينك - أو كما قالوا له - فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلبُ به مالاً ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تطلبُ به الشرفَ فينا فنحن نُسوِّدُك علينا ، وإن كنت تريدُ به مُلكاً مَلَكْنَاك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئياً تراه قد غلب عليك بَدَلْنَا لك أموالنا في طلبِ الطُّبِّ لك ، حتى تُبْرِئَكَ منه أو نُغْذِرَ فيك . فقال لهم رسولُ الله ﷺ : « ما بي ما تقولون ، ما جئتُ بما جئْتُكم به أطلبُ أموالكم ، ولا الشرفَ فيكم ، ولا المُلْكَ عليكم ، ولكنَّ الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل عَلَيَّ كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبَلَّغْتُكم رسالاتِ ربي ونصحتُ لكم ، فإنْ تَقْبَلُوا مني ما جئْتُكم به فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة ، وإنْ تَوَدُّوه عَلَيَّ أَصْبِرْ لَأمرِ الله حتى يَحْكُمَ الله بيني وبينكم » . قالوا : يا محمد ، فإن كُنْتَ غَيْرَ قَابِلٍ مِنَّا شَيْئاً مما عَرْضَناه عليك فإنك قد علمتَ أن ليس من الناس أَحَدٌ أَضْيَقُ بِلَدًا ، ولا أَقَلُّ ماءً ، ولا أَشَدُّ عَيْشًا مِنَّا ، فسَلْ لنا رَجُلًا الذي بعثك بما بعثك به ، فليُسيِّرَ عَنَّا هذه الجبالَ التي قد ضَيَّقَتْ علينا ، وليُيسِّطَ لنا بلادنا ، وليَفْجُرْ لنا فيها أنهاراً كأنهارَ الشامِ والعراقِ ، وليبعثْ لنا مَنْ مَضَى مِن آبائنا ، وليكن فيمن يَبْعَثُ لنا منهم قُصِيٌّ بَنُ كِلابٍ ، فإنَّه كان شيخَ صِدْقٍ ، فنسألهم عما تقول ، أحقُّ هو أم باطل ؟ فإن صَدَّقوك وصنعتَ ما سألناك صَدَّقْنَاك ، وعرفنا به منزلتَكَ من الله ، وأنَّه بعثك رسولاً كما تقول . فقال لهم صلواتُ الله وسلامُه عليه : « ما بهذا يُعَثُّ إليكم ، إنَّما جئْتُكم من الله بما بَعَثَني به . وقد بَلَّغْتُكم ما أُرْسِلْتُ به إليكم ، فإنْ تَقْبَلُوهُ فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة ، وإنْ تَوَدُّوه عَلَيَّ أَصْبِرْ لَأمرِ الله تعالى حتى يَحْكُمَ الله بيني وبينكم » . قالوا : فإذا لم تفعل هذا لنا فخذْ لنفُسِكَ ، سَلْ رَبَّكَ أن يبعثَ معك مَلَكًا يُصَدِّقُك بما تقول ، ويُراجِعُنَا عنك ، وسلِّه فليجعلْ لك جَنَانًا وقُصُورًا وكنوزًا من ذهبٍ وفِضَّةٍ ، يُعْنِيكَ بها عَمَّا نراك تَبْتَغِي ، فإنَّك تقومُ بالأسواقِ كما تقوم ، وتلتَمِسُ المعاشَ كما نلتَمِسُه ، حتى نعرفَ فَضْلَكَ ومنزلتَكَ من ربِّكَ ، إن كنتَ رسولاً كما تزعم . فقال لهم رسولُ الله ﷺ : « ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل رَبَّهُ هذا ، وما يُعَثُّ إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً ، فإنْ تَقْبَلُوا ما

جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » . قالوا : فأسقط السماء علينا كسفاً^(١) كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل . فقال رسول الله ﷺ : « ذلك إلى الله ، إن شاء أن يفعله بكم فعل » . قالوا : يا محمد ، أفما علم ربك أننا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ؛ فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا ، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به ! إنه قد بلغنا أنك إنما تعلمك هذا رجل باليمامة يقال له : « الرحمن »^(٢) ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذرتنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى تهلكك أو تهلكنا ! وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وهي بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً .

فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، وهو ابن عمته^(٣) . فقال له : يا محمد ، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل . ثم سألوك أن تأخذ لنفسيك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب ، فلم تفعل - أو كما قال له . فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول . وأيم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أنني أصدقك ! ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف عنه رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا أسفاً ، لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدهم إيّاه .

[صنيع أبي جهل]

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل : يا معشر قريش ، إن محمداً قد آبى إلّا ما تروون من غيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتشفيه أحلامنا ، وشتم آلهتنا ، وإنني أعاهد الله

(١) كسّف : جمع كسفة بالكسر ، وهي القطعة من الشيء .

(٢) هو مسيلمة بن حبيب الحنفي ، المعروف بمسيلمة الكذاب ، كان قد تسمى بالرحمن في الجاهلية ، وكان من المعمرين . (الروض الأنف) .

(٣) أسلم عبد الله هذا قبل فتح مكة .

لأَجْلِسَنَّ له غَدًا بِحَجَرٍ مَا أُطِيقُ حَمْلَهُ - أو كما قال ، فإذا سَجَدَ في صلاته فَصَحَّحْتُ به رأسَه^(١) ، فأَسْلِمُونِي عند ذلك أو امنعوني ، فليصْنَعْ بعد ذلك بنو عبدِ منافٍ ما بدا لهم! قالوا : والله لا نُسْلِمُكَ لشيء أبَدًا ، فامْشِ لِمَا تريد .

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان بمكة وقبيلته إلى الشام ، فكان إذا صَلَّى صَلَّى بين الرُّكْنِ اليماني والحجر الأسود ، وجعل الكعبةَ بينه وبين الشام . فقام رسول الله ﷺ يصلي وقد غَدَتْ قُرَيْشٌ فجلسوا في أنديةٍ ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سَجَدَ رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رَجَعَ منهزماً مُتَتَقِعاً لوته^(٢) مرعوباً ، قد يَسْت يداه على حجره ، حتى قَذَفَ الحجرَ من يده ، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له : مالك يا أبا الحكم؟ قال : قمْتُ إليه لأفعلَ به ما قلتُ لكم البارحة ، فلما دَنَوْتُ منه عَرَضَ لي دونه فَحُلَّ^(٣) من الإبل ، لا والله ما رأيتُ مثلَ هامته^(٤) ، ولا مثلَ قَصْرته^(٥) ولا أنبياه ، لِفَحْلٍ قَطُّ ، فَهَمَّ بي أن يأكلني ! .

[خبر النضر بن الحارث]

فلما قال لهم ذلك أبو جهل قام النَّضْرُ بن الحارث فقال : يا معشر قُرَيْشٍ ، إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أَتَيْتُمْ له بحيلةٍ بعد ، قد كان محمدٌ فيكم غَلامًا حَدَثًا ، أَرْضَاكُمْ فيكم وأَصْدَقَكُمْ حديثًا ، وأَعْظَمَكُمْ أمانةً ، حتى إذا رأيتم في صُدُغَيْهِ^(٦) الشَّيْبَ ، وجاءكم بما جاء به ، قلتم : ساحرٌ! لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السَّحْرَةَ ونَفَثُهم وَعَقْدَهم . وقلتم : كاهن! لا والله ما هو بكاهن ، فقد رأينا الكهنة وتخالجهم وسَمِعْنَا سَجْعَهم . وقلتم : شاعر! لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشُّعْرَ . وسَمِعْنَا أَصْنَافَهُ كُلَّهَا : هَزَجُهُ وَرَجَزَهُ . وقلتم : مجنون! لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنونَ ، فما هو بحَقِّقه ، ولا وَسْوَستِهِ ، ولا تَخْلِيطِهِ . يا معشر قُرَيْشٍ ، فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيم! . وكان النَّضْرُ بن الحارث من شياطين قُرَيْشٍ ، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ ،

(١) فضخ رأسه: كسرهما وشقها.

(٣) فحل الإبل: الذكر القوي منها.

(٥) القصرة: أصل العنق.

(٢) انتقع لونه: (بالياء للمفعول): تغير من هم أو فرح.

(٤) الهامة: الرأس.

(٦) صدغيه: جانب الوجه من العين إلى الأذن.

وَيَنْصَبُ لَهُ الْعِدَاوَةَ ، وَكَانَ قَدِيمَ الْحَيَرَةِ وَتَعَلَّمَ بِهَا أَحَادِيثَ مَلُوكِ الْفَرَسِ ، وَأَحَادِيثَ رُسُثْمَ وَاسْفَنْدِيَارَ ، فَكَانَ إِذَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا فَذَكَرَ فِيهِ بِاللَّهِ ، وَخَذَرَ قَوْمَهُ مَا أَصَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ مِنْ نِقْمَةِ اللَّهِ ، خَلَفَهُ فِي مَجْلِسِهِ إِذَا قَامَ ثُمَّ قَالَ : أَنَا وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْهُ ، فَهَلُمَّ إِلَيَّ فَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ أَحْسَنَ مِنْ حَدِيثِهِ . ثُمَّ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ مَلُوكِ فَارَسَ وَرُسُثْمَ وَاسْفَنْدِيَارَ ، ثُمَّ يَقُولُ بِمَاذَا مُحَمَّدٌ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنِّي؟ وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ فِيمَا بَلَّغَنِي : نَزَلَ فِيهِ ثَمَانِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ : قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذَا تَتَلَّاهُ عَلَيْهِ مَا يَكُونُ قَالَ أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ، وَكُلَّ مَا ذُكِرَ فِيهِ مِنَ الْأَسَاطِيرِ مِنَ الْقُرْآنِ .

[ذَكَرَ عِدْوَانَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ أَسْلَمَ]

ثُمَّ إِنَّهُمْ عَدَوْا عَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَاتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ فَوَثَّيْتُ كُلَّ قَبِيلَةٍ عَلَى مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُشْلِكِينَ ، فَجَعَلُوا يَخْبِسُونَهُمْ وَيُعَذِّبُونَهُمْ بِالضَّرْبِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ ، وَيَرْمُضَاءُ مَكَّةَ إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ ، مَنْ اشْتَضَعُوا مِنْهُمْ ، يَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُفْتِنُ مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ الَّذِي يُصِيبُهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَصْلُبُ^(١) لَهُمْ ، وَيَعْصِمُهُ اللَّهُ مِنْهُمْ .

وَكَانَ بِلَالٌ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، لِبَعْضِ بَنِي جُمَحَ ، مُؤَلَّدًا^(٢) مِنْ مُؤَلَّدِيهِمْ ، وَهُوَ بِلَالُ بْنُ رَبَاحَ ، وَكَانَ اسْمُ أُمِّهِ حَمَامَةَ ، وَكَانَ صَادِقَ الْإِسْلَامِ طَاهِرَ الْقَلْبِ . وَكَانَ أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفِ بْنِ وَهَبٍ بْنِ حَذَافَةَ بْنِ جُمَحَ ، يُخْرِجُهُ إِذَا حَمَيْتِ الظَّهِيرَةُ فَيَطْرَحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ فِي بَطْحَاءِ^(٣) مَكَّةَ ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتَوْضَعُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : لَا وَاللَّهِ لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى! فَيَقُولُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ : أَخَذْتُ أَخَذًا! كَانَتْ وَرَقَةٌ بَنَ تَوْفَلَ يَمُرُّ بِهِ وَهُوَ يُعَذِّبُ بِذَلِكَ وَهُوَ يَقُولُ : أَخَذْتُ أَخَذًا ، فَيَقُولُ : أَخَذْتُ أَخَذًا وَاللَّهِ يَا بِلَالُ! ثُمَّ يُقِيلُ عَلَى أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفَ وَمَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِهِ مِنْ بَنِي جُمَحَ فَيَقُولُ : أَحْلَفُ بِاللَّهِ لَنْ قَتَلْتُمُوهُ عَلَى هَذَا لِأَتُخَذَّ^(٤) حَتَانًا! حَتَّى مَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا وَهُمْ يَصْنَعُونَ بِهِ ذَلِكَ ، فَقَالَ لِأُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفَ : أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذَا الْمَسْكِينِ ، حَتَّى مَتَى! قَالَ : أَنْتَ الَّذِي أَفْسَدْتَهُ فَأَنْقِذْهُ مِمَّا تَرَى! فَقَالَ

(١) يَصْلُبُ: يَقْوَى.

(٢) مؤلدا: من ولد عند العرب ونشأ مع أولادهم وتأدب بأدابهم، أو العربي غير المحض.

(٣) البطحاء: أو الأبطح، المكان المتسع يمر به السيل، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار.

(٤) أي: قبره موضع حنان، أتمسح به متبركا.

أبو بكر : أفعل ، عندي غلام أسود أجلدُ منه وأقوى ، على دينك ، أعطيكه به ، قال : قد قَبِلْتُ . فقال : هو لك . فأعطاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامه ذلك وأخذه فأعتقه .

ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة سيث رقاب ، بلال سابعهم : عامر بن فهيرة ، وأم غنيس ، وزنيرة ، وأصيب بصورها حين أعتقها فقالت قريش : ما أذهب بصورها إلا اللات والعزى ! فقالت : كذبوا وبيت الله ، ما تضر اللات والعزى وما تنفعان ! فرد الله بصورها . وأعتق التهديئة وبناتها ، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار ، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول : والله لا أعتقكما أبدا ! فقال أبو بكر رضي الله عنه : جل^(١) يا أم فلان ! فقالت : جل ؟ أنت أفسدتهم فأعتقتهما ! قال : فيكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا . قال : قد أخذتهما ، وهما حورتان ، أرجعا إليها طحينها . قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليهما ؟ قال : وذلك إن شئتما . ومرت بجارية بني مؤمل^(٢) ، وكانت مشلعة ، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام ، وهو يومئذ مشرك ، وهو يضربها حتى إذا مل قال : إني أعتذر إليك إني لم أتزك إلا ملالة ! فتقول : كذلك فعل الله بك ! فابتاعها أبو بكر فأعتقها . قال أبو قحافة لأبي بكر : يا بني ، إني أراك تغتق رقابا ضعافا ، فلو أنك إذ فعلت أعتقت رجالا مجلدا يمنعونك ويقومون دونك ؟ فقال أبو بكر : يا أبت إني إنما أريد ما أريد لله عز وجل !

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه ، وكانوا أهل بيت إسلام ، إذا حجيت الظهيرة ، ويعذبونهم برمضاء مكة^(٣) ، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول فيما بلغني : صبرا آل ياسر ، موعدكم الجنة ! فأما أمه فقتلوها وهي تأتي إلا الإسلام .

وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش ، إذا سمع بالرجل قد أسلم ، له شرف ومنعة ، أنبه وأخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ! لتسففهن حلمك ، ولتفيلن^(٤) رأيك ، ولتضعن شرفك ! وإن كان تاجرا قال : والله لتكسدن تجارتك ، ولتهلكن مالك ! وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به . عن سعيد بن جبير قال :

(١) أي تحللي من يمينك . (٢) حي من بني عدي بن كعب .

(٣) الرمضاء : الرمل الساخن من شدة حرارة الشمس . (٤) قيل رايه : قبحه وخطأه .

قلتُ لعبدِ الله بنِ عَبَّاسٍ : أكانَ المشركونَ يَبلغونَ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ من العذابِ ما يُغذِّرونَ به في تَركِ دينِهِم؟ قالَ : نعم والله ، إن كانوا ليضربونَ أَحَدَهُم ويُجيعونه ويُعَطِّشونه حتى ما يقدِرُ أن يستويَ جالسًا من شدَّةِ الضَّرِّ الذي نزلَ به ، حتى يُعطِيَهُم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له : اللَّاتُ والعُزَّى إلَهك من دُونِ الله؟ فيقول : نعم . حتى إن الجُعَلَ^(١) ليُمَرُّ بهم فيقولون له : أهذا الجُعَلُ إلَهك من دُونِ الله؟ فيقول : نعم ، افتدأءَ منهم مما يبلعونَ من جَهْدِهِ .

[الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة]

فلما رأى رسولُ الله ﷺ ما يصيبُ أصحابَه من البلاءِ وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عَمَّه أبي طالب ، وأنَّه لا يقدِرُ على أن يمنعَهُم مما هم فيه من البلاءِ ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرضِ الحبشةِ فإن بها مَلِكًا لا يُظَلِّمُ عنده أحد ، وهي أرضُ صدق ، حتى يجعلَ اللهُ لکم فَرَجًا مما أنتم فيه . فخرج عند ذلك المسلمون من أصحابِ رسولِ الله ﷺ إلى أرضِ الحبشةِ مخافةَ الفتنة ، وفرارًا إلى الله بدينِهِم . فكانت أولُ هجرةٍ كانت في الإسلام .

وكان أولُ من خرج من المسلمين : عثمانُ بن عفان ، معه امرأته رُقَيَّة بنتُ رسولِ الله ﷺ ، وأبو حذيفة بن عتبة معه امرأته سَهْلَة بنت شُهَيْل ، والزُّبَيْر بن العَوَّام ، ومُضْعَب بن عُمَيْر ، وعبدُ الرحمن بن عَوْف ، وأبو سَلَمَة بن عبد الأسد ومعه امرأته أُم سَلَمَة بنت أبي أمية ، وعُثْمان بن مَظْعُون ، وعامر بن ربيعة معه امرأته ليلَى بنت أبي حنْظَلَة ، وأبو سَبْرَة بن أبي رُهم ، وشُهَيْل بن بيضاء . فكان هؤلاء العشرة أولَ من خرج من المسلمين إلى أرضِ الحبشة ، فيما بلغني^(٢) . ثم خرج جَعْفَرُ بن أبي طالب رضي اللهُ عنه ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرضِ الحبشة ، فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم خرج بنفسه لا أهلَ له معه . فكان جميعُ من لحِقَ بأرضِ الحبشةِ وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائِهِم الذين خرجوا بهم مع صِغارًا وولَدوا بها ، ثلاثةٌ وثمانين رجلًا .

(١) الجُعَلُ: دابة سوداء كالخنفساء من دواب الأرض، قيل هو أبو جعران.

(٢) قال ابن هشام: وكان عليهم عثمان بن مظعون.

[إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها]

فلما رأت قريش أنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ قد أمَّنُوا واطمأنُّوا بأرضِ الحبشة ، وأنهم قد أصابُوا بها دارًا وقرارًا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رَجُلَيْنِ من قريش جَلَدَيْنِ إلى النَّجَاشِيِّ . فَبَرَزَهمَ عليهم ، لِيَفْتِنَهُمَ في دينهم ، ويُخْرِجَهُمَ من دارهم التي اطمأنُّوا بها وأمَّنُوا فيها . فبعثوا عبدَ الله بنَ أبي ربيعة ، وعُمَرو بنَ العاصِ بن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنَّجَاشِيِّ ولبطارقته ثم بعثوهما إليه فيهم . عن أُمِّ سَلَمَةَ بنتِ أبي أمية بن المُغيرة ، زوج رسولِ الله ﷺ قالت : لما نزلنا أرضَ الحبشة جاورنا بها خيرَ جارِ النَّجَاشِيِّ ، أمنا على ديننا ، وعَبَدْنَا اللهَ تعالى لا نُؤَدِّي ، ولا نَسْمَعُ شيئًا نكرهه . فلما بلغَ ذلكَ قُرَيْشًا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النَّجَاشِيِّ فينا رجلين منهم جَلَدَيْنِ^(١) . وأن يُهْدُوا للنَّجَاشِيِّ هدايا ما يُسْتَطَرَفُ من متاعِ مَكَّةَ . وكان من أعجب ما يأتيه منها الأَدَمُ^(٢) . فجمعوا له أدما كثيرا ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا له هديَّةَ . ثم بعثوا بذلك عبدَ الله بن أبي ربيعة ، وعُمَرو بن العاص ، وأمروهما بأمرهم . وقالوا لهما : ادفعا إلى كُلِّ بطريق هديَّته قبل أن تُكَلِّمَّا النَّجَاشِيَّ فيهم ، ثم قدِّما إلى النَّجَاشِيِّ هداياه ، ثم سلَّاهُ أن يسَلِّمَهُمَ إليكما قبل أن يكلِّمَهُمَ . فخرجا حتى قدِّما على النَّجَاشِيِّ ونحن عنده بخير دار عند خير جار ، فلم يَبْقَ من بطارقته بطريقٌ إلَّا دفعا إليه هديَّته قبل أن يُكَلِّمَّا النَّجَاشِيَّ ، وقالوا لكل بطريقٍ منهم : إنَّه قد ضَوَى^(٣) إلى بلدِ المَلِكِ مِنَّا غِلْمَانُ سَفَهَاءَ ، فارَقوا دينَ قَوْمِهِمْ ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مُبْتَدَعٍ ، لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بَعَثْنَا إلى المَلِكِ فيهم أشرافُ قَوْمِهِمْ لِيَرُدَّهُمَ إليهم ، فإذا كُلَّمَا المَلِكُ فيهم فأشيروا عليه بأن يُسَلِّمَهُمَ إلينا ولا يُكَلِّمَهُمَ ، فإنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بهم عَيْنًا^(٤) ، وأعلَمُ بما عابوا عليهم . فقالوا لهما : نعم . ثم إنهما قدِّما هداياهما إلى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَها منهما . ثم كُلَّمَاهُ فَقالا له : أيُّها المَلِكُ ، إنَّه قد ضَوَى إلى بلدِكَ منا غِلْمَانُ سَفَهَاءَ ، فارَقوا دينَ قَوْمِهِمْ ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بَعَثْنَا إليك فيهم أشرافُ قَوْمِهِمْ من آبائهم وأعمامهم وعشيرتهم ، لِيَرُدَّهُمَ إليهم ، فهم أَعْلَى بهم عَيْنًا ، وأعلَمُ بما عابوا عليهم

(١) جلدَيْنِ: الجَلْدُ القوي.

(٢) الأَدَمُ: الجلود.

(٣) ضوى إليه: لجأ وأوى.

(٤) هو أعلى به عينا، أي أبصر به.

وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي ، فقالت بطارقته حوله : صدقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما فليؤداهم إلى بلادهم وقومهم . فغضب النجاشي ثم قال : لاها الله^(١) . إذا لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواي ، حتى أذعهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسن جوارهم ما جاوروني . قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا : نقول والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنا في ذلك ما هو كائن . فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ، فقال له : أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي مما للضعيف ، فكنّا على ذلك حين بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه ، من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشارك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - قالت : فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنّا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشارك به شيئا ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردّنا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نشتحل ما كنّا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ،

(١) أي لا والله.

وَرَجَوْنَا أَلَّا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ! فَقَالَ لَهُ النِّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ: نَعَمْ؟ فَقَالَ لَهُ النِّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ. فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ «كَهَيْعَصَ». قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ^(١). وَبَكَتْ أَسَافِقَتُهُ حَتَّى اخْضَلُّوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ! ثُمَّ قَالَ لَهُمُ النِّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لَيُخْرِجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ^(٢)؟ انْطَلِقَا، فَلَا وَاللَّهِ لَا أَسْلِمُهُمَ إِلَيْكُمَا، وَلَا يُكَادُونَ! قَالَتْ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ لَا تَبِيتُهُ غَدًا عَنْهُمْ بِمَا اسْتَنَاصِلُ بِهِ خَضِرَاءَهُمْ^(٣)! فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ - وَكَانَ أَتَقَى^(٤) الرَّجُلَيْنِ فِينَا: لَا نَفْعَ لَ، فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا. قَالَ: وَاللَّهِ لَا تُخْبِرْتُهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ! ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَسَلِّهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ لِيَسْأَلَهُمْ عَنْهُ. قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهَا قَطُّ. فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِذَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ مَا قَالَ اللَّهُ، وَمَا جَاءَنَا بِهِ نَبِيُّنَا، كَأَنَّ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ! فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ جَعْفَرُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ، يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَثُولِ^(٥). فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ بِيَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عَوْدًا، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا عَدَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مِمَّا قُلْتُ هَذَا الْعَوْدَ^(٦). فَتَنَاحَرَتْ^(٧) بِطَارِقَتِهِ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَحَرْتُمْ وَاللَّهِ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ شُيُومٌ بِأَرْضِي^(٨)، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ! مَا أَحِبُّ أَنْ لِي ذَبْرًا^(٩) مِنْ ذَهَبٍ وَأَنْيَ أَذِيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ! رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَأَخَذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأَطِيعُهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ،

(١) أي ابتلت من الدموع.

(٢) أي شجرتهم التي تفرعوا منها. وخضراء كل شيء أصله.

(٣) ويروى: «أبقى».

(٤) البتول: العذراء المنقطعة عن الأزواج.

(٥) أي مقدار هذا العود.

(٦) تناحرت: صوتوا بخياشيمهم، أي تكلموا كلامًا مع غضب ونفور.

(٧) ويروى: «سيوم» أي آمنون.

(٨) الدبر، بلغة الحبشة: الجبل.

(٩) أي آمنون.

مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءُوا بِهِ وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ ، مَعَ خَيْرِ جَارٍ . قَالَتْ : فَوَاللَّهِ إِنَّا لَعَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ رَجُلٌ مِنَ الْحَبِشَةِ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا حَزَنًا حُزْنَا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْنَا مِنْ حَزَنِ حَزَنَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ ، تَحَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى النَّجَاشِيِّ ، فَيَأْتِي رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ . وَسَارَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عَرَضُ النَّيْلِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّى يَحْضُرَ وَقِيعَةَ^(١) الْقَوْمِ ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ؟ فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ : أَنَا . قَالُوا : فَأَنْتَ . وَكَانَ مِنْ أَحَدِثِ الْقَوْمِ سِنًّا ، فَنفَخُوا لَهُ قَوْزَةً فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ، ثُمَّ سَبَّحَ عَلَيْهَا حَتَّى خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ النَّيْلِ الَّتِي بِهَا مَلْتَقَى الْقَوْمِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى حَضَرَهُمْ . قَالَتْ : فَدَعَوْنَا اللَّهَ تَعَالَى لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ ، وَالتَّمَكُّنِ لَهُ فِي بِلَادِهِ . فَوَاللَّهِ إِنَّا لَعَلَى ذَلِكَ مَتَوَقِّعُونَ لِمَا هُوَ كَائِنٌ ، إِذْ طَلَعَ الزُّبَيْرُ وَهُوَ يَسْعَى ، فَلَمَعَ بِثَوْبِهِ^(٢) وَهُوَ يَقُولُ : أَلَا أُبَشِّرُوا فَقَدْ ظَفِرَ النَّجَاشِيُّ! وَأَهْلَكَ اللَّهُ عَدُوَّهُ ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي بِلَادِهِ . قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا فَرَحًا فَرَحًا قَطُّ مِثْلَهَا ، وَرَجَعَ النَّجَاشِيُّ ، وَقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ عَدُوَّهُ ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي بِلَادِهِ ، وَاسْتَوَسَّقَ^(٣) عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبِشَةِ . فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ .



(١) وقِيعَة: صدمة الحرب والقتال.

(٢) لمع بثوبه: رفعه وحركه ليراه غيره.

(٣) استوسق: اجتمع.

الفصل الخامس

من إسلام عمر بن الخطاب إلى الإسراء

[إسلام عمر بن الخطاب]

ولما قَدِمَ عُمَرُ بن العاص وعَبْدُ الله بن أَبِي رَبِيعَةَ على قُرَيْشٍ ، ولم يُذَرِّكُوا ما طلبوا من أصحابِ رسولِ الله ﷺ ، وردَّهما النجاشيُّ بما يكرهون ، وأسلمَ عمرُ بن الخطاب ، وكان رجلاً ذا شَكِيمَةٍ لا يُرَامُ ما وراءَ ظَهْرِهِ ، امتنع به أصحابُ رسولِ الله ﷺ وبَحْمَزَةُ ، حتى عازَّوا قُرَيْشًا^(١) . وكان عبدُ الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدرُ أن نُصَلِّيَ عند الكعبةِ حتى أسلمَ عمرُ بن الخطاب ، فلما أسلمَ قاتل قُرَيْشًا حتَّى صَلَّى عند الكعبة . وصلَّينا معه . وكان إسلامُ عمرَ بعد خروجٍ من خرج من أصحابِ رسولِ الله ﷺ إلى الحبشة . وكان إسلامُ عمرَ فيما بلغني ، أن أختَه فاطمةَ بنتَ الخطاب ، كانت قد أسلمتْ وأسلمَ بَغلُها سَعِيدُ بن زَيْدٍ ، وهما مُسْتَخْفِيَانِ بِإِسْلَامِهِمَا من عمر ، وكان نُعَيْمُ بن عبدِ الله النَّحَّامُ - رجلٌ من قومه من بني عَدِيٍّ بن كَعْبٍ - قد أسلم ، وكان أيضًا يستخفي بِإِسْلَامِهِ فَرَقًا من قومه^(٢) . وكان خَتَّابُ ابن الأَرْتِ يختلِفُ إلى فاطمةَ بنتِ الخطاب يُقْرِئُهَا القرآنَ ، فخرج عمرُ يومًا مُتَوَشِّحًا^(٣) سَيْفَهُ يريدُ رسولَ الله ﷺ ورَهْطًا من أصحابِهِ قد ذُكِرُوا له أنهم قد اجتمعوا في بيتٍ عند الصُّفا ، وهم قريبتُ من أربعين ما بينَ رجالٍ ونساءٍ ، ومع رسولِ الله ﷺ عُمَةُ حمزةُ بن عبدِ الْمُطَّلِبِ وأبو بكرُ الصِّدِّيق ، وعليُّ بن أَبِي طالب ، في رجالٍ من المسلمين ، ممن كان أقامَ مع رسولِ الله ﷺ بمكة ، ولم يَخْرُجْ فيمن خرج إلى أرضِ الحبشة ، فَلَقِيَهُ نُعَيْمُ بنُ عبدِ الله فقال له : أين تريدُ يا عمر؟ فقال : أريدُ محمدًا هذا الصَّابِئَ ، الذي فَرَّقَ أمرَ قريشٍ ، وسَفَّهَ أخلاقَها ، وعابَ دينَها ، وسَبَّ آلَها ، فأقْتُلْه . فقال له نُعَيْمُ : والله لقد عَرَّثَكَ نَفْسُكَ من نَفْسِكَ يا عمر! أتَري بني عبدِ مَنَافٍ تاركِيكَ تمشي على الأرضِ وقد قتلْتَ محمدًا . أفلا تَرْجِعُ إلى أهلِ بيتِكَ فتُقيمَ أمرَهم؟ قال : وأَيُّ

(١) أي غلبوهم.

(٢) الفَرَقَ: الخوف.

(٣) متوشحًا: متقلدا.

أهل بيتي؟ قال: خَتْنُكَ وابنُ عَمِّكَ سعيد بن زَيْد بن عَمْرٍو، وأخْتُكَ فاطمة بنت الخطَّاب، فقد والله أسلما، وتابعا محمداً على دينه، فعليك بهما^(١).

فرجع عمرُ عامداً إلى أخته وختنه^(٢). وعندهما خَبَابُ بن الأُرْتِ معهُ صحيفةٌ فيها: ﴿طه﴾ يُقْرَأُهَا إياها. فلَمَّا سَمِعُوا جِسَّ عُمَرَ تَغَيَّبَ خَبَابٌ فِي مَخْدَعٍ لَهُمْ^(٣)، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمةُ بنتُ الخطَّابِ الصحيفةَ فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمرُ حين دنا إلى البيت قراءةَ خَبَابٍ عليهما، فلَمَّا دخل قال: ما هذه الهَيْئَةُ^(٤) التي سمعتُ؟ قالوا له: ما سمعتُ شيئاً. قال: بلى والله، لقد أُخْبِرْتُ أنكما تابعتُمَا محمداً على دينه! وبَطَشَ بِخَتْنِهِ سعيدُ بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمةُ بنتُ الخطَّابِ لتُكْفَهُ عن زوجها، فضرَبَتْها فَشَجَّهَا^(٥)، فلَمَّا فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم، قد أسْلَمْنَا وَآمَنَّا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك! فلَمَّا رأى عمرُ ما بأخته من الدم نديم على ما صنع، فارْعَوَى^(٦)، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَأُونَهَا، أَنْظُرُوا ما هذا الذي جاء به محمد - وكان عمرُ كاتباً^(٧) - فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها. قال: لا تخافي. وحَلَفَ لها بآلهته لَيَرُدَّهَا إِذَا قرأها إليها. فلما قال ذلك طَمِعَتْ في إسلامه؛ فقالت له: يا أخي، إنك نجسٌ على شِرْكِكَ، وإنَّه لا يَمْسُهَا إِلَّا الطَّاهِرُ^(٨)! فقام عمرُ فاغْتَسَلَ، فأعطته الصحيفة وفيها: ﴿طه﴾ فقرأها، فلما قرأ منها صَدْرًا قال: ما أحسنَ هذا الكلامَ وأكرمَه! فلَمَّا سَمِعَ ذلك خَبَابٌ خرج إليه، فقال له: يا عمر، والله إنني لأرجو أن يكون الله قد خَصَلَكَ بدعوة نبيه، فَإِنِّي سمعته أمس وهو يقول: «اللهم أئِد الإسلامَ بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب!»، فالله الله يا عمر! فقال له عند ذلك عمر: فذلَّني يا خَبَابُ على محمدٍ حتى آتَيْتَهُ فَأُسْلِمَ. فقال له خَبَابٌ: هو في بيت عند الصُّفا، معه فيه نفرٌ من أصحابه. فأخذ عمرُ سَيْفَهُ فتوشَّحه، ثم عمَدَ إلى رسولِ الله ﷺ

(١) إنما أراد بذلك صرفه عن رسول الله ﷺ، خشية عليه. وإيذاء فاطمة وزوجها أهون من ذلك أمراً.

(٢) الختن: زوج البنت أو الأخت.

(٣) المخدع: بيت صغير داخل البيت الكبير، بفتح الميم أو ضمها.

(٤) الهَيْئَةُ: صوت كلام لا يفهم. (٥) شَجَّهَا: شق جلد رأسها أو وجهها.

(٦) ارْعَوَى: كَفَّ وارتدع. (٧) أي عارفاً بالكتابة.

(٨) اختلف في الطهارة عند مس المصحف، فقيل فرض، وقيل مندوب.

وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب ، فرأه متوشحاً السيف ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فرح فقال : يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف . فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه . فقال رسول الله ﷺ : « أئذن له » . فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة ، فأخذ حجزته^(١) أو بمجمع رداءه ، ثم جبذه^(٢) به جبذة شديدة ، وقال : ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزل الله بك قارعة^(٣) . فقال عمر : يا رسول الله ، جئت لك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله! فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عَرَفَ أَهْلَ الْبَيْتِ من أصحاب رسول الله ﷺ أَنَّ عُمَرَ قد أسلم . فنفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكائهم ، وقد عَزَّوا في أنفسهم حين أسلم عمر ، مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيمعنان رسول الله ﷺ ويتتصفون بهما من غدوهم .

عن عبد الله بن عمر ، قال : لما أسلم أبي عمر قال : أي قريش أنقل للحديث؟ ف قيل له : جميل بن مَعْمَر الجُمَحِي . قال : فعدا عليه . قال عبد الله بن عمر : فعَدَوْتُ أَتْبَعُ أثره ، وأنظر ما يفعل ، وأنا غلامٌ أعْقِلُ كُلَّ ما رأيتُ ، حتى جاءه ، فقال له : أعلمت يا جميل أنني قد أسلمتُ ، ودخلتُ في دين محمد؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يُجْرِي رِداءه وأتبعه عمر ، وأتبعه أبي ، حتى إذا قام على باب المسجد صَرَخَ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، وهم في أُنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الكعبة ، ألا إِنَّ عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ قد صَبَا . قال : يقول عُمَرُ مِنْ خَلْفِهِ : كَذَبَ ، ولكني قد أسلمتُ ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . وثاروا إليه ، فما بَرِحَ يُقَاتِلُهُمْ وَيُقَاتِلُونَهُ حتى قامت الشمس على رؤوسهم . قال : وطلخ^(٤) ، ففَعَدَ وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأخلف بالله أن لو قد كُنَّا ثَلَاثَ مِئَةِ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ ، أو تَرَكْتُمُوهَا لَنَا .

قال عمر : لما أسلمتُ تلك الليلة تَدَكَّرْتُ أَيَّ أَهْلِ مَكَّةَ أَشَدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عداوةً حتى آتَيْتُهُ فَأُخْبِرَهُ أَنِّي قد أسلمت . قال : قلتُ أبو جهل . فأقْبَلْتُ حين أصبحتُ حتى ضربتُ عليه بابه . قال : فخرج إليَّ أبو جهل فقال : مرحباً وأهلاً بابن أختي^(٥) ، ما جاء

(١) الحجزة: موضع شد الإزار . (٢) جبذه: شده . (٣) القارعة: الداهية .

(٤) طلع : أي أعيأ . (٥) كانت أم عمر حنمة بنت هشام بن المغيرة ، أخت أبي جهل بن هشام .

بك؟ قال : جئتُ لأخبركَ أني قد آمنتُ بالله وبرسوله محمد ، وصدَّقْتُ بما جاء به .
قال : فضرب الباب في وجهي ، وقال : قَبْحَكَ اللَّهُ وقَبْحَ ما جئتَ به !

[خبر الصحيفة]

فلما رأت قريشُ أن أصحابَ رسولِ الله ﷺ قد نزلوا بلدًا أصابوا به أثنًا وقرارًا ، وأن النجاشيَّ قد منعَ من لجأ إليه منهم ، وأن عمرَ قد أسلم ، فكان هو وحمزةُ بن عبد المطلب مع رسولِ الله ﷺ وأصحابه ، وجعل الإسلامُ يُفْشَو في القبائل ، اجتمعوا واثتمروا بينهم أن يكتبوا كتابًا فيه على بني هاشم وبني المطلب ، « على ألا يُنْكحُوا إليهم ولا يُنْكحُوهم ، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم » . فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة في جوفِ الكعبةِ توكيدًا على أنفسهم . وكان كاتبُ الصحيفة منصورُ بن عكرمة ، فدعا عليه رسولُ الله ﷺ فثُلَّ بعضُ أصابعه . فلما فعلت ذلك قريشُ انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه في شغبه واجتمعوا إليه . وخرج من بني هاشم أبو لهب ، عبد الغزى بن عبد المطلب ، إلى قريش فظاهروهم . وكان يقولُ في بعض ما يقول : يَعدُّني محمدٌ أشياء لا أراها ، يزعمُ أنها كائنةٌ بعد الموت ، فماذا وضع في يَدَيَّ بعد ذلك . ثم يُنْفِخُ في يديه ويقول : تَبًّا لكم^(١) ، ما أرى فيكما شيئًا مما يقولُ محمد! فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾^(٢) . فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثًا حتى جُهِدوا ، لا يصل إليهم شيءٌ إلا سرًّا ، مستخفيًا به من أرادَ صلّتهم من قريش .

[ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه من الأذى]

فجعلت قريشُ حين منعه الله منها وقام غمُّه وقؤمُه من بني هاشم وبني المطلب دونه ، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به ، يَهْمِزُونَهُ ويستَهْزِءُون به ويخاصمونَه ،

(١) تبالك: هلاكًا وخسرانًا.

(٢) وقيل: إن سبب نزولها أنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى أتى الصفاء، فصعد عليه وقال: يا صباحاه! فلما اجتمعوا إليه قال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعتنا! فأنزل الله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ .

وَجَعَلَ الْقُرْآنَ يَنْزِلُ فِي قُرَيْشٍ بِأَحْدَاثِهِمْ وَفِي مَنْ نَصَبَ لِعِدَاوَتِهِ مِنْهُمْ ، وَمِنْهُمْ مَنْ سُمِّيَ لَنَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ، فِي عَامَّةٍ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ مِنَ الْكُفَّارِ . فَكَانَ مِنْ سُمِّيَ لَنَا مِنْ قُرَيْشٍ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ عَنْهُ أَبُو لَهَبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَامْرَأَتُهُ أُمُّ جَمِيلُ بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ « حَمَّالَةُ الْحَطْبِ » ، لِأَنَّهَا كَانَتْ - فِيمَا بَلَغَنِي - تَحْمِلُ الشُّوْكَ فَتَطْرَحُهُ عَلَى طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ يَمُرُّ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَلِمٍ ﴾ .

قال ابن إسحاق : فذَكَرَ لِي أَنَّ أُمَّ جَمِيلَ ، حِينَ سَمِعَتْ مَا نَزَلَ فِيهَا وَفِي زَوْجِهَا مِنَ الْقُرْآنِ ، أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وَفِي يَدَيْهَا فَهْرٌ^(١) مِنْ حِجَارَةٍ ، فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيْهِمَا أَخَذَ اللَّهُ بَبَصَرِهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَرَى إِلَّا أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَيْنَ صَاحِبُكَ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَهْجُونِي ! وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتَهُ لَضَرَبْتُ بِهِذَا الْفَهْرَ فَاهُ ! ثُمَّ انْصَرَفَتْ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَمَا تُرَاهَا رَأَتْكَ؟ فَقَالَ : مَا رَأَتْنِي ، لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ بِبَصَرِهَا عَنِي .

وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفِ بْنِ وَهَبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ ، كَانَ إِذَا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَمَزَهُ وَلَمَزَهُ^(٢) ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ وَيَلُّ لِكُلِّ هَمَزَةٍ لُّمَزَةٌ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُكَبَّدَنَّ فِي الْخُطْمَةِ * وَمَا آدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمَوْفُودَةُ * الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ * فِي عَمَلٍ مُّمدَّدَةٍ ﴾ .

وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلِ السَّهْمِيِّ ، كَانَ خَتَّابُ بْنُ الْأَرْثِ ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَتِينًا يَغْمَلُ الشُّيُوفَ ، وَكَانَ قَدْ بَاعَ مِنَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ شُيُوفًا غَمَلَهَا لَهُ ، حَتَّى كَانَ لَهُ عَلَيْهِ مَالٌ ، فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا خَتَّابُ ، أَلَيْسَ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ صَاحِبُكُمْ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَى دِينِهِ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا ابْتَغَى أَهْلُهَا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ، أَوْ ثِيَابٍ أَوْ خَدَمٍ ! قَالَ خَتَّابُ : بَلَى . قَالَ : فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَا خَتَّابُ ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى تِلْكَ الدَّارِ فَأَقْضِيكَ هُنَالِكَ

(١) الفهر: مقدار ملء الكف.

(٢) الهمز: أن يشتم الرجل علانية ويكسر عينيه عليه، ويغمز به. واللمز: أن يعيبه سرا.

حَقُّكَ ، فوالله لا تكون أنت وصاحبك يا حَبَّابِ أَثَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنِّي وَلَا أَعْظَمُ حَقًّا فِي ذَلِكَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي وَقَالَ يَنْتَابِينَا وَقَالَ لِأَوْتَانِكَ مَا لَا وَلَدًا * أَطْلَعَ الْغَيْبَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ .

ولقي أبو جهل بن هشام رسول الله ﷺ - فيما بلغني - فقال له : والله يا محمد لتتوكلن سب آلهتنا أو لتستبجن إلهك الذي تعبد! فأُنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا يَغْيِرُ عَلِيمٌ ﴾ . فذكر لي أن رسول الله ﷺ كف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم إلى الله .

والنضر بن الحارث بن علقمة بن كلفة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسًا ، فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن ، وحذر فيه قريشًا ما أصاب الأمم الخالية ، خلّفه في مجلسه إذا قام ، فحدثهم عن رستم السندي^(١) ، وعن اسفنديار ، وملوك فارس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثًا مني ، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبها . فأُنزل الله فيه : ﴿ وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِّبَتْهَا فَهِيَ تُكَلِّمُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُوًّا رَحِيمًا ﴾ ، ونزل فيه : ﴿ إِذَا تَنَكَّلَ عَلَيْهِ ءَايُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ونزل فيه : ﴿ وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ ءَايَتِ اللَّهِ تَنَكُّلًا عَلَيْهِ ثُمَّ يُغْمِزُ مُسْتَخِيرًا كَانَتْ يَسْمَعُهَا فَيَنبِرُهُ بِعَدَابِ إِلِيمٍ ﴾ .

والأخنس بن شريق بن عمرو بن بن وهب الثقفي ، وكان من أشراف القوم وممن يُستَمَعُ منه ، فكان يُصِيبُ من رسول الله ﷺ ويردُّ عليه . فَأُنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَامٍ بِنَمِيمٍ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ زَنِيمٍ ﴾ .

والوليد بن المغيرة قال : أُيُنْزَلُ على محمد وأُتْرَكَ وأنا كبير قريش وسيدها! ويترك أبو مسعود عمرو بن عثمان الثقفي سيد ثقيف ، ونحن عظيمي القريتين^(٢) ! فَأُنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِثِيِّينَ عَظِيمٍ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وأبي بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ؛ وكانا متصافيين ، حسنًا ما بينهما ، فكان عقبة

(١) معناه في الفارسية: طلوع الشمس أو ضوءها. (٢) القريتان: مكة والطائف.

قد جلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه ، فبلغ ذلك أبيًا ، فأتى عُقْبَةَ فقال له : ألم يبلغني أنَّك جالستَ محمدًا وسمعتَ منه ! وجهي من وجهك حرام أن أكلمك - واستغلظ من اليمين - إن أنت جلستَ إليه أو سمعتَ منه ، أو لم تأتِه فتثقل في وجهه ! ففعل ذلك عدوُّ الله عُقْبَةُ بن أبي مُعَيْطٍ لعنه الله ، فأُنزل الله تعالى فيهما : ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ بَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ ... إلى قوله : ﴿ لِلْإِنْسَانِ حَذُولًا ﴾ . ومشى أبيُّ بن خلف إلى رسول الله ﷺ بعظمٍ بالٍ قد اذفت^(١) فقال : يا محمد ، أنت ترعُم أن الله يبعثُ هذا بعد ما أرم^(٢) ! ثم فته في يده ، ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ ؛ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يدخلُك الله النار ! فأُنزل الله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَبَيَّنَّا خَلْقَهُمْ قَالِ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴾ .

واعترض رسول الله ﷺ ، وهو يطوف بالكعبة فيما بلغني ؛ الأسود بن المطَّلِب بن أسد بن عبد الغزى ، والوليد بن المغيرة ، وأمّية بن خلف ، والعاص بن وائل السهمي ، وكانوا ذوي أسنان^(٣) في قومهم . فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، ونعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت في الأمر ، فإن كان الذي تعبد خيرًا مما نعبد ، كُنَّا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيرًا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه . فأُنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَتَّبِعُوا الْكُفْرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .

وأبو جهل بن هشام ، لما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفًا بها لهم قال : يا معشر قريش ، هل تَدْرُونَ ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا : لا . قال : عَجْوة يثرب بالزُّبد ، والله لئن استمككتُ منها لَتَنزَقَمَنَّهَا تَزَقَمًا^(٤) ! فأُنزل الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقْوَمِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلَى الْحَمِيمِ ﴾ . أي ليس كما يقول .

(١) اذفت: صار رفاتًا، أي مخطأًا وفاتًا. (٢) أرم: بلى، وصار رمة.

(٣) ذوي أسنان: أي من أكابرهم وأشرفهم. (٤) التزقم: الابتلاع.

ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يكلمه ، وقد طمِع في إسلامه ، فبينما هو في ذلك إذ مرَّ به ابنُ أمِّ مكتوم الأعمى ، فكلم رسول الله ﷺ ، وجعل يشتقرُّهُ القرآن ، فشقَّ ذلك منه على رسول الله ﷺ حتى أضجره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد ، وما طمِع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابثاً وتركه ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ . أي إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ، لم أخص بك أحداً دون أحد ، فلا تمنعه ممن ابتغاه ، ولا تتصدَّينَّ به لمن لا يريدُه .

وكان نفرُ الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته : أبا لهب ، والحكم بن أبي العاص ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدي بن حمراء الثقفِي ، وابن الأصداء الهذلي ، وكانوا جيرانه ، لم يُسلم منهم أحدٌ إلا الحكم بن أبي العاص . فكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه ﷺ رِجَمَ الشاة وهو يصلي ، وكان أحدهم يطرحها في بُزْمته^(١) إذا نُصبت له ، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجراً^(٢) يستترُّ به منهم إذا صلى رسول الله ﷺ . فكان إذا طرخوا عليه ذلك الأذى ، يخرج به رسول الله ﷺ على العود^(٣) ، فيقف به على بابهِ ، ثم يقول : يا بني عبد مناف ، أي جوارٍ هذا؟! ثم يلقيه في الطريق .

[عودة مهاجرة الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة]

وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا إلى أرض الحبشة ، إسلام أهل مكة ، فأقبلوا لِمَا بَلَغَهُمْ من ذلك حتى إذا دَنَوْا من مكة بَلَغَهُمْ أَنَّ ما كانوا تَحَدَّثُوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً ، فلم يَدْخُلْ منهم أحدٌ إلا بجوارٍ أو مُسْتَحْفِيًا . فَجَمِيعٌ من قَدِمَ عليه من مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلاً . فكان من دَخَلَ منهم بجوارٍ^(٤) فيمن سُمِّي لنا : عُثْمَانُ بن مَظْعُون بن حَبِيب الجُمَحِي ، دخل بجوارٍ من الوليد بن المغيرة . وأبو سَلَمَةَ بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْرُوم ، ودخل بجوارٍ من أبي طالب بن عبد المطلب - وكان خاله - وأمَّ أبي سَلَمَةَ بَرَّة بنت عبد المطلب .

(١) البرمة: القدر من حجارة.

(٢) الحجر: كل ما حجرتَه من حائط.

(٣) على العود: أي راجعاً.

(٤) بجوار: بعهد وأمان.

[حديث نقض الصحيفة]

ثم إنّه قام في نقض تلك الصحيفة التي تكاتبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب نفراً من قريش، ولم يُبل فيها أحدٌ أحسن من بلاء هشام بن عمرو، وذلك أنه كان ابن أخيه نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأُمّه، فكان هشام لبني هاشم واصلاً، وكان ذا شرف في قومه، فكان - فيما بلغني - يأتي بالبعير، وبني هاشم وبني المطلب في الشَّعب ليلاً، قد أوقَرَه^(١) طعاماً، حتى إذا أقبل به فَمَ الشَّعب خَلَعَ خطامه^(٢) من رأسه، ثم ضرب على جنبه، فدخل الشَّعب عليهم، ثم يأتي به قد أوقَرَه بَرّاً^(٣) فيفعل به مثل ذلك. ثم إنّه مَشَى إلى زُهَيْر بن أبي أمية بن المغيرة - وكانت أُمّه عاتكة بنت عبد المطلب - فقال: يا زُهَيْر، أقد رضيت أن تأكل الطَّعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأحوالك حيث قد علمت، لا يُباعون ولا يُبتاع منهم، ولا يَنكِحون ولا يَنكح إليهم؟ أمّا إنّي أخلف بالله أن لو كانوا أحوال أبي الحكم بن هشام، ثم دَعَوْتَه إلى مثل ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه أبداً! قال: وَيَحْك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجلٌ واحد. والله أن لو كان معي رجلٌ آخر لَقُمْتُ في نقضها حتى أنقضها. قال: قد وجدت رجلاً. قال: فمن هو؟ قال: أنا. قال له زهير: أبغنا رجلاً ثالثاً. فذهب إلى المُطِيع بن عديّ فقال له: يا مُطِيع، أقد رضيت أن يَهْلِكَ بَطْنان من بني عبد مناف، وأنت شاهدٌ على ذلك، موافقٌ لقريش فيه؟ أمّا والله لئن أمكننَّموهم من هذه لتجدنَّهم إليها منكم سراغاً. قال: وَيَحْك! فماذا أصنع؟ إنَّما أنا رجلٌ واحد. قال: قد وجدت ثانياً. قال: من هو؟ قال: أنا. قال: أبغنا ثالثاً. قال: قد فعلت. قال: مَنْ هو؟ قال: زُهَيْر بن أبي أمية. قال: أبغنا رابعاً. فذهب إلى أبي البختريّ بن هشام، فقال له نَحْوًا ممّا قال للمُطِيع بن عديّ، فقال: وهل من أحدٍ يُعِين على هذا؟ قال: نعم. قال: مَنْ هو؟ قال: زُهَيْر بن أبي أمية، والمُطِيع بن عديّ، وأنا معك. قال: أبغنا خامساً. فذهب إلى زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب، فكلمه، وذكر له قرابتهم وحَقُّهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم. ثم سَمَّى له القوم. فأتعدوا خَطَمَ الحَجُون^(٤) ليلاً بأعلى مكة، فاجتمعوا هنالك فأجمعوا

(١) أوقَرَه: حمّله.

(٢) خطامه: ما يوضع على أنف الجمل ليقاد به.

(٣) البز: الثياب.

(٤) خطم الحجون: موضع. والحجون: جبل بأعلى مكة.

أمرهم وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى يُنْقَضُوا. وقال زُهَيْر: أنا أبدؤكم، فأكون أول من يتكلم. فلما أصبحوا غَدُوا إلى أُنْدِيَّتِهِمْ، وغدا زُهَيْرُ بْنُ أُمَيَّةَ عليه حُلَّةٌ، فطاف بالبيت سبعا؛ ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، أنا أكل الطعام ولبس الثياب. وبنو هاشم هلكى لا يُباع ولا يُبتاع منهم! والله لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد: كَذَبْتَ والله لا تُشَقَّ! قال زَمْعَةُ بْنُ الْأَسود: أنت والله أكذب، ما رَضِينَا كِتَابَهَا حَيْثُ كُتِبَتْ. قال أبو الْبَخْتَرِيِّ: صَدَقَ زَمْعَةُ، لا نَرْضَى ما كُتِبَ فيها ولا نُقَرُّ به. قال الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ: صَدَقْتُمَا، وكذب من قال غير ذلك، نَبَرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا وَمِمَّا كُتِبَ فِيهَا! قال هشام بن عمرو نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ. فقال أبو جهل: هذا أَمْرٌ قُضِيَ بَلِيلٌ^(١)، تُشَوِّرُ فِيهِ بَغِيرَ هَذَا الْمَكَانِ. قال: وأبو طالب جالس في ناحية المسجد. فقام الْمُطْعِمُ إِلَى الصَّحِيفَةِ لِيُشَقَّهَا، فوجد الْأَرْضَةَ^(٢) قد أَكَلَتْهَا إِلَّا «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ». وكان كاتب هذه الصحيفة مَنْصُورُ بْنُ عِكْرَمَةَ، فَشَلَّتْ يَدُهُ فِيمَا يَزْعُمُونَ.

[أمر الإراشي الذي باع أبا جهل إبله]

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سُفْيَانَ التَّقْفِيّ، وكان واعية^(٣)، قال: قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ إِرَاشٍ يَابِلٌ لَهُ مَكَّةٌ، فابْتاعَهَا مِنْهُ أَبُو جَهْلٍ، فَمَطَّلَهُ^(٤) بِأَتْمَانِيهَا، فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيَّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ جَالِسٌ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَنْ رَجُلٌ يُؤَدِّينِي^(٥) عَلَى أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، فَإِنِّي رَجُلٌ غَرِيبٌ، ابْنُ سَبِيلٍ، وَقَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي؟ فَقَالَ لَهُ أَهْلُ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ: أَتَرَى ذَلِكَ الرَّجُلَ الْجَالِسَ - لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ يَهْزُؤُونَ بِهِ، لِمَا يَعْلَمُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي جَهْلٍ مِنَ الْعَدَاوَةِ - اذْهَبْ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يُؤَدِّيكَ^(٦) عَلَيْهِ! فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيَّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنْ أَبَا الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي لِي قَبْلَهُ، وَأَنَا رَجُلٌ

(١) قُضِيَ بَلِيلٌ: أَيُ مُحْكَمٌ فِيهِ وَأَمْضِي سَرًا.

(٢) الْأَرْضَةُ: حَشْرَةٌ بَيْضَاءُ مَصْفَرَةٌ تَشْبِهُ النَّمْلَةَ، وَتَأْكُلُ الْخَشَبَ وَنَحْوَهُ.

(٣) واعية: حافظ.

(٤) مَطَّلَهُ: أَجَلَ مَوْعِدَ الْوَفَاءِ بِدَيْنِهِ مَرَّةً بَعْدَ الْأُخْرَى.

(٥) يُؤَدِّينِي: يَعِينَنِي.

(٦) يُؤَدِّيكَ: يَقْضِي دَيْنَكَ.

غريبت ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يُؤديني عليه ، يأخذ لي حقِّي منه ، فأشاروا لي إليك ، فخذ لي حقِّي منه يرحمك الله ! قال : انطلق إليه . وقام معه رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قام معه قالوا لرجلٍ مِمَّنْ معهم : اتبعه فانظروا ماذا يصنع ؟ وخرج رسول الله ﷺ ، حتى جاءه فضرِبَ عليه بابُه ، فقال : مَنْ هذا . قال : محمد ، فاخرج إليَّ . فخرج إليه وما في وجهه من رائحة^(١) ، قد انتقع لونه^(٢) ، فقال : أعطِ هذا الرجل حقَّه . قال : نعم ، لا تَبْرُخَ حتَّى أُعْطِيَه الذي له . فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه . ثم انصرف رسول الله ﷺ ، وقال للإِراشي : الحقُّ بشأنك . فأقبل الإِراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لي حقِّي .

قال : وجاء الرجل الذي بعثوا معه ، فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت ؟ قال : عَجِبًا من العَجَب . والله ما هو إلا أن ضربَ عليه بابُه ، فخرج إليه وما معه رُوْحُه فقال له : أعطِ هذا حقَّه ، فقال : نعم ، لا تَبْرُخَ حتَّى أُخْرِجَ إليه حقَّه ، فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه ! ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا له : ويحك ! مالك ؟ والله ما رأينا مثل ما صَنَعْتَ قط ! قال : ويحكُم . والله ما هو إلا أن ضربَ عليَّ بابي وسمعتُ صَوْتَه فمُلْتُ رُغْبًا ثم خرجتُ إليه ، وإنَّ فوق رأسه لَفَحْلًا^(٣) من الإبل ، ما رأيتُ مثلَ هامتيه ، ولا قَصْرته^(٤) ، ولا أنيابه لَفَحْلٍ قط ! والله لو أُبَيِّتُ لأَكَلَنِي !

[حديث الإسراء]

ثم أُسْرِيَ برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى^(٥) ، وهو بيت المقدس من إيلياء^(٦) ، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها . فكان عبد الله ابن مسعود - فيما بلغني عنه - يقول : أتني رسول الله ﷺ بالبراق ، وهي الدابة التي كانت تُحْمَلُ عليها الأنبياء قبله ، تضعُ حافرَها في منتهى طرفها ، فحُجِلَ عليها ، ثم خرج به صاحبُه ، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتَّى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى ، في نفرٍ من الأنبياء قد جُمِعوا له ، فصلَّى بهم . ثم أتني بثلاثة

(١) أي بقية روح. (٢) انتقع لونه: تغير من هم أو فرح.

(٣) فحلا من الإبل: الذكر القوي. (٤) القصرة: أصل العنق.

(٥) قال السهيلي: قيل كان عام الهجرة بعام. (٦) مدينة بيت المقدس (القدس).

آنية: إناؤه فيه لبن، وإناؤه فيه خمر، وإناؤه فيه ماء. فقال رسول الله ﷺ: «فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ حِينَ غُرِضْتُ عَلَيَّ: إِنْ أَخَذَ الْمَاءَ غَرِقَ وَغَرِقَتْ أُمَّتُهُ، وَإِنْ أَخَذَ الْخَمْرَ غَوَى وَغَوَتْ أُمَّتُهُ، وَإِنْ أَخَذَ اللَّبْنَ هُدِيَ وَهُدِيتْ أُمَّتُهُ». قَالَ: فَأَخَذْتُ إِنْاءَ اللَّبَنِ فَشَرِبْتُ مِنْهُ. فَقَالَ لِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُدَيْتَ وَهُدِيتَ أُمَّتُكَ يَا مُحَمَّدُ!». قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَخُذْتُ عَنْ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحَجْرِ إِذْ جَاءَنِي جَبْرِيلُ فَهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ، فَجَلَسْتُ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا، فَعُدْتُ إِلَى مَضْجَعِي. فَجَاءَنِي الثَّانِيَةُ فَهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ. فَجَلَسْتُ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا، فَعُدْتُ إِلَى مَضْجَعِي. فَجَاءَنِي الثَّالِثَةُ فَهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ، فَجَلَسْتُ، فَأَخَذَ بَعْضُي، فَقُمْتُ مَعَهُ، فَخَرَجَ بِي إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَإِذَا دَابَّةٌ أَبْيَضُ، بَيْنَ الْبَغْلِ وَالْحِمَارِ، فِي فَخِذَيْهِ جَنَاحَانِ يَحْفَظُ^(١) بَهْمَا رِجْلَيْهِ، يَضَعُ يَدَهُ فِي مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فَحَمَلَنِي عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ مَعِيَ لَا يَفُوتُنِي وَلَا أَفُوتُهُ». قَالَ الْحَسَنُ فِي حَدِيثِهِ: فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَضَى جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُ، حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَوَجَدَ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى، فِي نَقْرِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَتَاهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى بِهِمْ، ثُمَّ أَتَى بِإِنَاءَيْنِ، فِي أَحَدِهِمَا خَمْرٌ، وَفِي الْآخَرِ لَبَنٌ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنْاءَ اللَّبَنِ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَتَرَكَ إِنْاءَ الْخَمْرِ، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ: «هُدَيْتَ لِلْفِطْرَةِ وَهُدِيتَ أُمَّتُكَ يَا مُحَمَّدُ، وَحُرِّمْتَ عَلَيْكُمُ الْخَمْرَ». ثُمَّ انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَاً عَلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ، فَقَالَ أَكْثَرُ النَّاسِ: هَذَا وَاللَّهِ الْإِمْرُ^(٢) الْبَيِّنُ! وَاللَّهِ إِنَّ الْعَيْرَ لَتَطْرُدُ^(٣) شَهْرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ مُدْبِرَةً، وَشَهْرًا مُقْبِلَةً، أَفِيذْهُبُ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَيَرْجِعُ إِلَى مَكَّةَ! قَالَ: فَارْتَدَّ كَثِيرٌ مِمَّنْ كَانَ أَسْلَمَ، وَذَهَبَ النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالُوا لَهُ: هَلْ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فِي صَاحِبِكَ، يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَصَلَّى فِيهِ وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ! فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ. فَقَالُوا: بَلَى، هَا هُوَ ذَاكَ فِي الْمَسْجِدِ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَعَنَ كَانَ قَالَهُ لَقَدْ صَدَقَ، فَمَا يُعْجِبُكُمْ مِنْ ذَلِكَ! فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لِيُخْبِرُنِي أَنَّ الْخَبَرَ لَيَأْتِيهِ مِنَ اللَّهِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ فَأُصَدِّقُهُ! فَهَذَا أَبْعَدُ مِمَّا تَعْجَبُونَ مِنْهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَخَدْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ أَنَّكَ جِئْتَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ.

(١) يحفظ: يدفع.

(٢) الإمر، بكسر الهمزة: العجيب المنكر.

(٣) العير: القافلة. تطرد اطرادًا: تجري وتسرع.

قال : نعم . قال : يا نبي الله فصِّفهْ لي ، فإنِّي قد جئتُه . فقال رسول الله ﷺ : « فزِفِّعْ لي حتى نَظَرْتُ إليه » . فجعل رسول الله ﷺ يَصِفُهْ لأبي بكر ، ويقول أبو بكر : صَدَقْتَ ، أشهدُ أنك رسول الله . حتى إذا انتهى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر : وأنت يا أبا بكر : الصَّدِّيقُ . فيومئذِ سَمَّاهُ « الصَّدِّيق » . عن سعيد بن المُسَيَّب ، أن رسول الله ﷺ وصف لأصحابه إبراهيمَ وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة ، فقال : « أمَّا إبراهيمُ فلم أر رجلاً أشبَهه قطُّ بصاحبِكُم ، ولا صاحبُكُم أشبَهه به منه ^(١) . وأما موسى فرجلٌ آدمٌ طويلٌ ضَرَبَ جَعْدُ أَقْنَى ^(٢) ، كأنه من رجالِ شَنْوَةَ ^(٣) . وأما عيسى ابن مريم فرجلٌ أحمر ، بين القصيرِ والطويل ، سَبَطُ الشعرِ ^(٤) كثيرٌ خِيْلانٍ الوَجْه ^(٥) ، كأنَّه خَرَجَ من ديماس ^(٦) ، تخالُ رأسُه يَقْطُرُ ماءً ، وليس به ماء ، أشبَهه رجالُكم به عُزْوَةُ بن مَشْعُودِ الثَّقَفِيِّ » .



(١) أي ولم أر رجلاً صاحبكم أشبه به منه.

(٢) آدم: أسمر. الضرب: الخفيف اللحم. الجعد: المجتمع بعضه إلى بعض. الأَقْنَى: العالي قصبة الأنف.

(٣) شَنْوَةُ: قبيلة من الأُرْد. (٤) سبط الشعر: شعره مسترسل غير جعد.

(٥) الخيلان: جمع خال، وهو الشامة السوداء. (٦) الديماس، بكسر الدال وفتحها: الحمام.

الفصل السادس

من المعراج إلى بيعة العقبة

[قصة المعراج]

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لَمَّا فَرَعْتُ مِمَّا كَانَ فِي بَيْتِ الْمَقْدَسِ ، أَتَيْتُ بِالْمِعْرَاجِ ، وَلَمْ أَرِ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي يُمَدُّ إِلَيْهِ مَيْتُكُمْ عَيْنَيْهِ إِذَا حُضِرَ ، فَأَصْعَدَنِي صَاحِبِي فِيهِ ، حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ بَابُ الْحَفْظَةِ ، عَلَيْهِ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ ، تَحْتَ يَدَيْهِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ ، تَحْتَ يَدَيَّ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ - يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ - فَلَمَّا دُخِلَ بِي قَالَ : مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا مُحَمَّدٌ . قَالَ : أَوْ قَدْ بُعِثَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَدَعَالِي بِخَيْرٍ وَقَالَ . قَالَ : لَمَّا دَخَلْتَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا رَأَيْتُ بِهَا رَجُلًا جَالِسًا تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ ، فَيَقُولُ لِبَعْضِهَا إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَيُسَرُّ بِهِ ، وَيَقُولُ : رُوْحٌ طَيِّبَةٌ خَرَجَتْ مِنْ جَسَدٍ طَيِّبٍ . وَيَقُولُ لِبَعْضِهَا إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ : أَفْ ! وَيَغْيِسُ بَوَجْهِهِ وَيَقُولُ : رُوْحٌ خَبِيثَةٌ خَرَجَتْ مِنْ جَسَدٍ خَبِيثٍ . قُلْتُ : مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا أَبُوكَ آدَمُ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ دُرِّيَّتِهِ ، فَإِذَا مَرَّتْ بِهِ رُوْحُ الْمُؤْمِنِ مِنْهُمْ سُرَّ بِهَا وَقَالَ : رُوْحٌ طَيِّبَةٌ خَرَجَتْ مِنْ جَسَدٍ طَيِّبٍ ! وَإِذَا مَرَّتْ بِهِ رُوْحُ الْكَافِرِ مِنْهُمْ أَفَفَ^(١) مِنْهَا وَكَرِهَهَا وَسَاءَ ذَلِكَ ، وَقَالَ : رُوْحٌ خَبِيثَةٌ خَرَجَتْ مِنْ جَسَدٍ خَبِيثٍ . ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا لَهُمْ مَشَافِؤُ^(٢) كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ فِي أَيْدِيهِمْ قَطْعٌ مِنْ نَارٍ ، كَالْأَفْهَارِ^(٣) ، يَقْذِفُونَهَا فِي أَفْوَاهِهِمْ فَتَخْرُجُ مِنْ أَدْبَارِهِمْ . فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا . ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا لَهُمْ بُطُونٌ لَمْ أَرِ مِثْلَهَا قَطُّ ، بِسَبِيلِ آلِ فِرْعَوْنَ^(٤) يَمْزُونُ عَلَيْهِمْ كَالْإِبِلِ الْمَهْيُومَةِ^(٥) حِينَ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ ، يَطْعُونَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ

(١) أي قال: أف، تضجرا.

(٢) المشفر: شفة البعير.

(٣) الأفهار: جمع فهر، حجر مقدار ملء الكف. (٤) آل فرعون، لهم في الآخرة أشد العذاب.

(٥) المهيومة: العطاش.

على أن يتحوّلوا من مكانهم ذلك . قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلكم الربا . ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحم سمين طيب ، إلى جنبه لحم غنّ مئتين^(١) يأكلون من الغنّ المئتين ، ويتركون السمين الطيب . قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحلّ الله لهم من النساء ، ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن . ثم رأيت نساءً معلقاتٍ بثديهنّ ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي أذخّلن على الرجال من ليس من أولادهم . ثم أضعّدني إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكريا . ثم أضعّدني إلى السماء الثالثة . فإذا فيها رجلٌ صورته كصورة القمر ليلة البدر ، قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن يعقوب . قال : ثم أضعّدني إلى السماء الرابعة . فإذا فيها رجلٌ ، فسألته : من هو ؟ فقال : هذا إدريس . قال : يقول رسول الله ﷺ ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ . قال : ثم أضعّدني إلى السماء الخامسة ، فإذا فيها كهّل أبيض الرأس واللحية ، عظيم العُشُون^(٢) ، لم أر كهلاً أجمل منه ؛ قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا المحبّب في قومه هارون بن عمران . ثم أضعّدني إلى السماء السادسة ، فإذا فيها رجلٌ آدم طويل أفتى^(٣) ، كأنه من رجال شنوءة ، فقلت له : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى ابن عمران . ثم أضعّدني إلى السماء السابعة ، فإذا فيها كهّل جالس على كُوسيّ إلى باب البيت المعمور ، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه . قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم . ثم دخل بي الجنة فرأيت فيها جاريةً لعمساء^(٤) . فسألتها : لمن أنت . وقد أعجبتني حين رأيته . فقال : لزيد بن حارثة . فبشّر بها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة . قال رسول الله ﷺ : « فأقبلت راجعاً ، فلما مررت بموسى بن عمران ، ونعم الصاحب كان لكم ، سألتني : كم فرض عليك من الصلاة ؟ فقلت : خمسين صلاة كل يوم . فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك . فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي ، فوضع عني عشرًا . ثم انصرف فمررت على موسى

(١) الغنّ: الضعيف المهزول. (٢) العُشُون: اللحية.

(٣) الأفتى: الطويل الأنف مع دقة الأنفة وحذب في وسطه.

(٤) اللعمساء: التي يضرب لون شفتها إلى السواد قليلاً.

فقال لي مثْل ذلك . فرَجَعْتُ فسألْتُ رَبِّي فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا . ثم انصرفتُ فَمَرَزْتُ على موسى فقال لي مثْل ذلك ، فرَجَعْتُ فسألته فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا . ثم لم يَزَلْ يقولُ لي مثْل ذلك ، كلما رَجَعْتُ إليه قال : فارْجِعْ فاسْأَلْ ، حتى انتهيتُ إلى أن وُضِعَ ذلك عَنِّي ، إلَّا خَمْسَ صَلَواتٍ في كلِّ يومٍ وَلَيْلَةٍ . ثم رَجَعْتُ إلى موسى ، فقال لي مثْل ذلك ، فقلتُ : قد راجعتُ رَبِّي وسألته ، حتى اسْتَحْيَيْتُ منه ، فما أنا بفاعل . فمنْ أَدَاهُنَّ منكم إيمانًا بهن واحتسابًا لهنَّ ، كان له أجرُ خَمْسِينَ صلاةً مكتوبةً .

[وفاة أبي طالب وخديجة]

ثم إن خديجة بنت خُوَيْلِد وأبا طالب هَلَكَا في عامٍ واحدٍ . فتتابعت على رسولِ الله ﷺ المصائبُ . بهُلكَ خديجة ، وكانت له وَزِيرٌ^(١) صِدْقِي على الإسلام ، يشكو إليها . وبُهِلكَ عَمَّهُ أبي طالب ، وكان له عَضُدًا وَجُوزًا^(٢) في أمره ، وَمَنْعَةً وناصرًا على قَوْمِهِ . وذلك قبل مُهاجرِهِ إلى المدينة بثلاثِ سنين . فلما هَلَكَ أبو طالب نالت قُرَيْشٌ من رسولِ الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمَعُ به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سَفِيهَةٌ من سُفْهَاءِ قُرَيْشٍ ، فَتَنَّتْ على رأسِهِ تراثًا . دخل رسولُ الله ﷺ بيته والترابُ على رأسِهِ . فقامت إحدى بناته ، فجعلت تُغَيِّلُ عنه الترابَ وهي تبكي ، ورسولُ الله ﷺ يقولُ لها : « لا تَبْكِي يا بُنَيَّةُ فَإِنَّ اللهَ مانِعٌ أَبَاكَ » . ويقولُ بين ذلك : « ما نالت مِنِّي قريشٌ شيئًا أكرهه ، حتى مات أبو طالب » .

ولما اشتكى أبو طالب^(٣) وبلغ قُرَيْشًا ثَقَلَهُ ، قالت قُرَيْشٌ بعضُها لبعض : إن حَمْرَةَ وَغَمْرَ قد أسلما ، وقد فشا أمرُ محمدٍ في قبائل قُرَيْشٍ كُلِّها ، فائْطَلِقُوا بنا إلى أبي طالب ، فليأخذ لِمَا على ابنِ أخيه ، وَلْيُعْطِهِ مَنَّا . والله ما نَأْمَنُ أن يَبْتَزُونَا^(٤) أَمْرَنَا^(٥) . قال ابنُ عباس : مَشَنُوا إلى أبي طالب فَكَلَّمُوهُ ؛ وهم أشرافُ قومه : عتبةُ بنُ ربيعة ، وشيبةُ بنُ ربيعة ، وأبو جهل بنُ هشام ، وأُمَيَّةُ بن خَلَف ، وأبو سُفْيَانَ بن حَزْب ، في رجالٍ من أَشْرَافِهِمْ ؛ فقالوا : يا أبا طالب ، إنك مِنّا حيث قد عَلِمْتَ ، وقد حَضَرَكَ ما ترى ، وَتَخَوَّفْنَا

(١) وزير: موازر، أي معين ومقوي.

(٣) اشتكى: مرض. والشكو والشكوى والشكاة والشكاء: المرض.

(٤) يبتزوننا: يسلبونا.

(٥) أي يسلبونا أمرنا ويغلبونا عليه.

(٢) حوزا: ملجأ.

عليك ، وقد عَلِمْتَ الذي بيننا وبين ابن أخيك ، فاذْعُهُ فَمُخَذُ لَهُ مِنَّا وَخُذْ لَنَا مِنْهُ ، لِيَكْفَ عَنَا وَنُكْفَ عَنْهُ ، وَلِيَدْعَنَا وَدِينَنَا وَنَدْعَهُ وَدِينَهُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ ، فَبَجَّاهُ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، هَؤُلَاءِ أَشْرَافُ قَوْمِكَ ، قَدْ اجْتَمَعُوا لَكَ ، لِيُعْطَوْكَ وَلِيَأْخُذُوا مِنْكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَعَمْ ، كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تُعْطُونِيهَا تَمْلِكُونُ بِهَا الْعَرَبَ ، وَتَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمَ » . فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : نَعَمْ وَأَيُّكَ ، وَعَشْرُ كَلِمَاتٍ . قَالَ : « تَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَتَخْلَعُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ » . فَصَفَّقُوا بِأَيْدِيهِمْ ، ثُمَّ قَالُوا : أَتُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَجْعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ، إِنْ أَمَرْنَاكَ لَعَجَبًا ! ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا هَذَا الرَّجُلُ بِمُعْطِيكُمْ شَيْئًا مِمَّا تُرِيدُونَ ، فَانْطَلِقُوا وَامْضُوا عَلَى دِينِ آبَائِكُمْ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ . ثُمَّ تَفَرَّقُوا ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَخِي ، مَا رَأَيْتُكَ سَأَلْتَهُمْ شَطَطًا ! فَلَمَّا قَالَهَا أَبُو طَالِبٍ طَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِسْلَامِهِ ، فَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ : أَيَّ عَمٍّ ، فَأَنْتَ فَقُلْهَا أَشْتَجِلُ لَكَ بِهَا الشَّفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَلَمَّا رَأَى جِرَوصَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، وَاللَّهِ لَوْلَا مَخَافَةُ الشُّبَّةِ (١) عَلَيْكَ وَعَلَى بَنِي أَبِيكَ مِنْ بَعْدِي ، وَأَنْ تَنْظُرَ قَرِيْشٌ أَنِّيْ إِنَّمَا قُلْتُهَا جَزَعًا مِنَ الْمَوْتِ لَقُلْتُهَا ، لَا أَقُولُهَا إِلَّا لِأَمْرِكَ بِهَا . فَلَمَّا تَقَارَبَ مِنْ أَبِي طَالِبٍ الْمَوْتُ نَظَرَ الْعَبَّاسُ إِلَيْهِ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ ، فَأَصْغَى إِلَيْهِ بِأُذُنِهِ فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، وَاللَّهِ لَقَدْ قَالَ أَخِي الْكَلِمَةَ الَّتِي أَمَرْتَهُ أَنْ يَقُولَهَا ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَمْ أَسْمَعْ » . قَالَ : وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الرَّهْطِ الَّذِي كَانُوا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ وَرَدُّوا عَلَيْهِ مَا رَدُّوا : ﴿ صَ وَالْفَرَّانِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَادٍ * وَأَنْطَلِقِ الْأَمَلَاءُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى الْهَيْكَةِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِهَةِ الْآخِرَةِ ﴾ يَعْنُونَ النَّصَارَى لِقَوْلِهِمْ : ﴿ إِنْكَ اللَّهُ تَالِكُ ثَلَاثَةً ﴾ وَ : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ ﴾ . ثُمَّ هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ .

[سعي الرسول إلى ثقيف يطلب النصرة]

ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في

(١) الشُّبَّة: العار.

حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف ، يلتمس الثَّصْرَةَ من ثقيف ، والمنعة^(١) بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل . فخرج إليهم وخذّه .

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف ، عمَدَ إلى نفرٍ من ثقيف ، هو يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم ، وهم إخوة ثلاثة : عبدُ ياليلَ بن عمرو بن عُمَيْر ، ومَشْعُودُ بن عمرو بن عُمَيْر ، وحبیبُ بن عمرو بن عُمَيْر ، وعند أخذهم امرأةً من قُرَيْشٍ من بني جُمَح ، فجلس إليهم رسول الله ﷺ ، فدعاهم إلى الله ، وكَلَّمَهُم بما جاءهم له من نُصْرَتِهِ على الإسلام ، والقيام معه على مَنْ خالفه مِنْ قومه ، فقال له أخذهم : هو يُقْرُطُ^(٢) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك . وقال الآخر : أما وجدَ الله أحداً يُؤسِّلهُ غيرك ! وقال الثالث : والله لا أُكَلِّمَكَ أبداً ، لكن كُنْتُ رسولاً من الله كما تقول ، لأنَّ أعظمَ حَظْراً من أن أُرَدَّ عليك الكلام ، ولكن كُنْتُ تكذبُ على الله ما ينبغي لي أن أُكَلِّمَكَ !

فقام رسول الله ﷺ مِنْ عِنْدِهِمْ ، وقد قال لهم : « إِذْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَانْكُثُوا عَنِّي » . وَكَرِهَ رسول الله ﷺ أَنْ يَتَلَفَّ قَوْمَهُ عَنْهُ فَيُذَيِّرَهُمْ^(٣) ذلك عليه . فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءُهم وعبيدُهم ، يَشُبُّونَهُ ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجئوه إلى حائطٍ^(٤) لعُتْبَةَ بن ربيعة وشَيْبَةَ بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاءِ ثقيف من كان يَتَّبِعُهُ ، فَعَمَدَ إِلَى ظِلِّ حَبْلَةٍ^(٥) من عنب ، فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لَقِيَ من سفهاءِ أَهْلِ الطائف . وقد لَقِيَ رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - المرأة التي من بني جُمَح فقال لها : ماذا لَقِينَا مِنْ أَخْمَانِكَ !!

فلما اطمأنَّ رسول الله ﷺ قال - فيما ذكر لي : « اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، وَأَنْتَ رَبِّي ، إِلَى مَنْ تَكَلَّمْتُ؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي^(٦) ، أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أُمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بَكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي ، وَلَكِنْ عَافَيْتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي . أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ

(١) المنعة: العز والقوة.

(٢) أذَّارُهُ عَلَيْهِ: أَثَارُهُ وَجَرَاهُ.

(٣) الحبل: شجرة العنب.

(٤) يمرطها: يزعها ويرمي بها.

(٥) الحائط: البستان إذا كان عليه جدار.

(٦) يتجهمني: يلقاني بالغلظة والوجه الكريه.

الظلمات ، وصَلَحَ عليه أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . من أن تُنْزَلَ بي غَضَبُكَ ، أو يُحْلَ عَلَيَّ سَخَطُكَ ، لك العُتْبَى^(١) حتى تَرْضَى ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بك ! » فلما رآه ابنا ربيعة : عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ، وما لَقِيَا ، تحركت له رِجْمُهُمَا ، فدَعَوْا غُلَامًا لهما نَصْرَانِيًّا يقال له : « عَدَّاس » ، فقالا له : خُذْ قِطْفًا من هذا العنب ، فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه . ففعل عَدَّاس ، ثم أَقْبَلَ به حَتَّى وضعه بين يَدَي رسول الله ﷺ ، ثم قال له : كُلْ . فلمَّا وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال : « باسم الله » . ثم أكل ، فنظر عَدَّاس في وجهه ، ثم قال : والله إنَّ هذا الكلامَ ما يقوله أهل هذه البلاد ! فقال له رسول الله ﷺ : « ومن أهل أيِّ البلاد أنت يا عداس ، وما دينك ؟ » قال : نصراني ، وأنا رجلٌ من أهل نَيْنَوَى^(٢) . فقال له رسول الله ﷺ : « من قرية الرجل الصالح يونس بن مَتَّى ؟ » فقال له عَدَّاس : وما يُدْرِيكَ ما يونس بن مَتَّى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ذاك أخي ، كان نبيًّا وأنا نبي » ! فأَكَبَّ عَدَّاسُ على رسول الله ﷺ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدِيهِ وَقَدَمَيْهِ . قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامُك فقد أفسده عليك ! فلما جاءهما عَدَّاس ، قالاه : ويلك يا عَدَّاس ، ما لك تُقَبِّلُ رَأْسَ هذا الرجل وَيَدِيهِ وَقَدَمَيْهِ ؟ قال : يا سيدي ، ما في الأرض شيءٌ خَيْرٌ من هذا ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي ! قالاه : وَيَحْك يا عَدَّاس ، لا يَصْرَفَنَّكَ عن دينك ، فإنَّ دينك خيرٌ من دينه .

[أَمْرُ جَنِّ نَصِيبِينَ]

ثم إنَّ رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعًا إلى مكَّة . حين يئس من خَيْرِ ثَقِيف ، حتى إذا كان بَنَحْلَةَ^(٣) قام من جَوْفِ اللَّيْلِ يُصَلِّي ، فمر به الثَّقَفُ من الجَنِّ الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهُم - فيما ذُكِرَ لي - سبعة نفرٍ من جَنِّ أَهْلِ نَصِيبِينَ^(٤) ، فاستمعوا له ، فلمَّا فَرَّغَ من صَلَاتِهِ وَلَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سَمِعُوا . فَقَصَّ اللَّهُ خَبَرَهُمْ عَلَيْهِ ﷺ . قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَيَجْرِكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . وقال تبارك

(١) العتبي: الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضي العاتب. (٢) نينوى: قرية بالموصل، من العراق.

(٣) نخلة: واديان على ليلتين بين مكة، يقال لأحدهما نخلة الشامية، وللآخر نخلة اليمانية.

(٤) نصيبين: مدينة من بلاد الجزيرة على طريق القوافل من الموصل إلى الشام.

وتعالى : ﴿ قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ... ﴾ إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة .

[عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل في مواسمهم]

ثم قَدِمَ رسولُ الله ﷺ مَكَّةَ وَقَوْمُهُ أَشَدَّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ وَفِرَاقِ دِينِهِ ، إِلَّا قَلِيلًا مُسْتَضْعَفِينَ يَمْنَنُ أَمَنَ بِهِ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْرِضُ نَفْسَهُ فِي الْمَوَاسِمِ إِذَا كَانَتْ ، عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَيَخْبِرُهُمْ أَنَّهُ نَبِيُّ مُرْسَلٍ ، وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يُصَدِّقُوهُ وَيَمْتَنِعُوهُ ، حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ عَنِ اللَّهِ مَا بَعَثَهُ بِهِ .

قال ربيعة بن عباد : إِنِّي لَعَلَّامٌ شَابَّ مَعَ أَبِي بِنْتَى ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقِفُ عَلَى مَنَازِلِ الْقِبَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ ، فيقول : يا بني فلان ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ، يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَخْلَعُوا مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْدَادِ ، وَأَنْ تَوَدَّعُوا بِي وَتُصَدِّقُوا بِي وَتَمْنَعُونِي ، حَتَّى أُبَيِّنَ عَنِ اللَّهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ . وَخَلَفَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ وَضِيءٌ ، لَهُ غَدِيرَتَانِ^(١) ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ غَدِيرِيَّةٌ ، فَإِذَا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ وَمَا دَعَا إِلَيْهِ ، قَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : يَا بَنِي فُلَانٍ ، إِنَّ هَذَا إِنَّمَا يَدْعُوكُمْ إِلَى أَنْ تَشْلَخُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى مِنْ أَعْنَاقِكُمْ ، وَخُلَفَاءُكُمْ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ أَقْيِشٍ^(٢) ، إِلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ ، فَلَا تُطِيعُوهُ وَلَا تَسْمَعُوا مِنْهُ ! فَقُلْتُ لِأَبِي : مَنْ هَذَا الَّذِي يَتَّبِعُهُ وَيُرَدُّ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ ؟ قَالَ : هَذَا عَمُّهُ عَبْدُ الْعُزَّى بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . أَبُو لَهَبٍ .

قال ابن إسحاق : حَدَّثَنَا ابْنُ شَهَابٍ الزُّهْرِيُّ : أَنَّهُ أَتَى كِنْدَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ ، وَفِيهِمْ سَيِّدٌ لَهُمْ يَقَالُ لَهُ مُلَيْحٌ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ فَأَبَوْا عَلَيْهِ . وَأَنَّهُ أَتَى بَنِي عَامِرٍ بَنَ صَعْصَعَةَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ « بَيْحَزَةُ بْنُ فِرَاسٍ » : وَاللَّهِ لَوْ أَتَى أَخَذْتُ هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ لَأَكَلْتُ بِهِ الْعَرَبَ ! ثُمَّ قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ نَحْنُ بَايَعْنَاكَ عَلَى أَمْرِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ أَيْكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ ؟ قَالَ : الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ . فَقَالَ لَهُ : أَفَتُثْبِتُ^(٣) نُحُورَنَا

(١) الغديرة: الذؤابة من الشعر.

(٢) هم حي من الجن تنسب إليهم الإبل الأقيشية، وهي إبل ليست عتاقاً، تنفر من كل شيء.

(٣) تُثْبِتُ: تصير هدفاً للرمي.

للعرب دونك ، فإذا أظهرَكَ الله كان الأمرُ لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرِكَ! فأَبَوْا عليه . فلما صَدَرَ الناسُ رجعت بنو عامرٍ إلى شيخٍ لهم قد كان أدركته السُّنُّ حتى لا يَقْدِرُ أَنْ يوافيَ معهم المواسم . فكانوا إذا رَجَعُوا إليه حَدَّثُوهُ بما يَكُونُ في ذلك المَوسِم ، فلما قَدِمُوا عليه ذلك العام سألهم عما كان في مَوسِمِهِمْ ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أَخَذَ بني عبدِ المَطْلِبِ ، يزعمُ أنه نبيٌّ ، يدعونا إلى أَنْ نَمُنَّعَهُ ونَقومَ معه ، ونُخرجَ به إلى بلادنا! فوضَعَ الشيخ يَدَيْهِ على رأسِهِ ثم قال : يا بني عامر ، هل لها من تَلَافٍ^(١) ، هل لِدُناباها من مَطْلَبٍ^(٢)! والذي نَفْسُ فلانٍ بيده ما تَقُولُها إسماعيلي قَطُ ، وإنَّها لَحَقٌّ ، فأين رأيكم كان عنكم؟! رأيكم كان عنكم؟! رأيكم كان عنكم؟!

عن عبد الله بن كعب بن مالك أن رسولَ الله ﷺ أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله ، وعَرَضَ عليهم نفسَهُ ، فلم يَكُنْ أَحَدٌ من العرب أَقْبَحَ عليه رَدًّا منهم . فكان رسولُ الله ﷺ على ذلك من أمرِهِ ، كلما اجتمع له الناسُ بالمَوسِمِ أتاهاهم يدعو القبائلَ إلى الله وإلى الإسلام ، وَيَعْرِضُ عليهم نفسَهُ وما جاء به من الله من الهُدَى والرحمة ، وهو لا يسمَعُ بِقَادِمٍ يَقدِمُ مَكَّةَ من العرب له اسمٌ وشرف ، إلا تَصَدَّى له فدعاه إلى الله ، وعرض عليه ما عنده .

قَدِمَ سُوَيْدُ بن صامِت . أَخُو^(٣) بني عَمْرِو بن عَوْف ، مَكَّةَ حاجًّا أو مُعْتَمِرًا ، فتصدَّى له رسولُ الله ﷺ حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له سُوَيْدُ : فلعل الذي معك مثل الذي معي . فقال رسولُ الله ﷺ : « وما الذي معك؟ » قال : مَجَلَّةُ لُقْمَانَ^(٤) . فقال له رسولُ الله ﷺ : « اغْرِضْها عَلَيَّ » . فعرضها عليه . فقال له : « إِنَّ هذا لكلامٌ حَسَنٌ ، والذي معي أَفْضَلُ من هذا : قرآنٌ أنزله الله تعالى عَلَيَّ ، هو هُدًى ونورٌ » . فتلا عليه رسولُ الله ﷺ القرآن ، ودعاه إلى الإسلام فلم يَبْعُدْ منه . وقال : إِنَّ هذا لَقَوْلُ حَسَنٍ . ثم انصرف عنه ، فَقَدِمَ المدينةَ على قَوْمِهِ ، فلم يلبثْ أَنْ قَتَلَتْهُ الخَزْرَجُ . فَإِنْ كان رجالٌ من قومه ليقولون : إنا لنراه قد قُتِلَ وهو مُسْلِمٌ . وكان قَتْلُهُ قبلَ يَوْمِ بُعَاثٍ^(٥) .

(١) التلافي: التدارك.

(٢) مثل يضرب لما فات ، وهو من « ذنابي الطائر » أي ذنبه ، إذا أفلت من الحيلة فطلبت الأخذ به .

(٣) أخو: أي أحد .

(٤) يعني حكمة لقمان .

(٥) بعث: موضع من نواحي المدينة ، كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج .

[بدء إسلام الأنصار]

فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه . وإعزاز نبيه ﷺ ، وإنجاز مواعده له ، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة^(١) لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً^(٢) . لمّا لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم : « من أنتم ؟ » قالوا : نفر من الخزرج قال : « أمن موالي يهود ؟ » قالوا : نعم . قال : « أفلا تجلسون أكلّمكم ؟ » قالوا : بلى . فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام ، أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل بيوت وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عزّوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبياً مبعوث الآن قد أظلم زمانه ، نبيعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ! فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلموا والله إنه للنبى الذي توعدكم به يهود ، فلا تشيقتكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام . وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشرا ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقذهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا .

وهم فيما ذكر لي ستة نفر من الخزرج ، فلما قدموا المدينة إلى قويمهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ، ودعّوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم تبق دائر من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ .

[بيعة العقبة الأولى]

حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلحقوه بالعقبة ، وهي العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء^(٣) وذلك قبل أن تُفترض

(١) العقبة: موضع بين منى ومكة، بينها وبين مكة نحو ميلين، ومنها ترمى جمرة العقبة.

(٢) كان ذلك في السنة الحادية عشر من النبوة.

(٣) أي على نمطها. وكانت بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا بعد ما فرغ من بيعة الرجال، وانظر سورة الممتحنة: ١٢.

عليهم الحرب ، منهم أشعد بن زُرارة ، ورافع بن مالك ، وعُبادَةُ بن الصَّامِت ، وأبو الهيثم ابن التَّيْهَان وعُقْبَةُ بن عامر ، وعُوَيْم بن ساعدة .

عن عُبادَةَ بن الصَّامِت قال : كنتُ فيمن حَضَرَ الْعَقَبَةَ الأولى ، وكنا اثْنَيْ عَشَرَ رجلاً ، فبايَعنا رسولَ الله ﷺ على بَيْعَةِ النِّسَاءِ ، وذلك قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الحربُ ، على أَلَا تُشْرِكُ باللهِ شيئاً ، ولا تَشْرِكُ ، ولا تَزْنِي ، ولا تَقْتُلَ أولادنا ، ولا نَأْتِيَ بِيَهْتَانٍ نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نَعْصِيَهُ في معروف . فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فلكم الجنة ، وَإِنْ غَشَيْتُمْ من ذلك شيئاً فَأمرُكم إلى الله عزَّ وجلَّ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ .

قال ابن إسحاق : فلما انصرفَ عنه القومُ بعثَ رسولُ الله ﷺ معهم مُضْعَبَ بن عُمَيْرَ بن هاشم بن عبد مَنَاف ، وأمره أن يُقرئَهُم القرآنَ ويُعَلِّمَهُم الإسلامَ ، ويُفَقِّهَهُم في الدين . فكان يُسَمَّى المقرئَ بالمدينة . وأنه كان يصلِّي بهم ، وذلك أن الأوسَ والخزرجَ كَرِهَ بَعْضُهُمْ أَنْ يُؤَمَّهُ بعض .

[بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ]

ثم إن مُضْعَبَ بنَ عُمَيْرَ رجعَ إلى مَكَّةَ ، وخرجَ مَنْ خرجَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إلى الْمَوْسِمِ ، مع حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشُّرْكِ ، حتى قَدِمُوا مَكَّةَ ؛ فَوَاعَدُوا رسولَ الله ﷺ الْعَقَبَةَ ، مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ^(١) حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنَّصَرَ لِنَبِيِّهِ ، وإِعْزَازَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وإِذْلالَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ .

قال كَعْبُ بن مالك : خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَقَدْ صَلَّيْنَا وَقَفَّهْنَا ، وَمَعَنَا الْبَرَاءُ بن مَعْرُور ، سَيِّدُنَا وَكَبِيرُنَا ، فَلَمَّا وَجَّهْنَا^(٢) لِسَفَرِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَالَ الْبَرَاءُ لَنَا : يَا هَؤُلَاءِ ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيَا فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَتَوَافِقُونَنِي عَلَيْهِ أَمْ لَا؟ قُلْنَا : وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ أَلَّا أَدْعَ هَذِهِ النَّبِيَّةَ مِنِّي بظَهْرٍ - يعني الكعبة - وَأَنْ أَصَلِّيَ إِلَيْهَا . فَقُلْنَا : وَاللهِ مَا بَلَّغْنَا أَنْ نَبِيَّنَا ﷺ يَصَلِّيَ إِلَّا إِلَى الشَّامِ^(٣) ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ نَخَالَفَهُ . فَقَالَ : إِنِّي لَمُصَلٍّ إِلَيْهِمَا . فَقُلْنَا لَهُ : لَكِنَّا لَا نَفْعَلُ . فَكُنَّا إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ صَلَّيْنَا إِلَى الشَّامِ وَصَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ ، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ ، وَقَدْ كُنَّا عَيْنًا عَلَيْهِ مَا صَنَعَ وَأَبَى إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ لِي : يَا ابْنَ

(١) أَيَّامُ التَّشْرِيقِ : ثَلَاثَةٌ بَعْدَ النَّحْرِ ، كَانُوا يُشْرِقُونَ فِيهَا لَحْمَ الْأَضَاحِيِّ لِلشَّمْسِ لِيَجْفَوْهَا .

(٢) وَجَّهْنَا : اتَّجَّهْنَا . (٣) أَيَّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .

أخي ، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى نَسْأَلَهُ عما صَنَعْتُ في سفري هذا ، فإنه والله لقد وقع في نفسي منه شيء ، لِمَا رَأَيْتُ من خلافكم إِيَّايَ فيه . قال : فخرجنا نَسْأَلُ عن رسول الله ﷺ ، وَكُنَّا لَا نَعْرِفُهُ وَلَمْ نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَلَقِينَا رَجُلًا من أَهْلِ مَكَّةَ ، فسألناه عن رسول الله ﷺ ، فقال : هل تَعْرِفَانِهِ؟ فقلنا : لا . قال : فهل تعرفانِ العَبَّاسَ بن عبد المَطَّلِبِ عَمَّهُ؟ قلنا : نعم - وقد كُنَّا نَعْرِفُ العَبَّاسَ ، كان لا يَزَالُ يَقْدُمُ عَلَيْنَا تاجِرًا - قال : فإذا دخلتما المسجدَ فهو الرجلُ الجالسُ مع العَبَّاسِ؟ فدخلنا المسجدَ فإذا العَبَّاسُ جالس ، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ معه ، فسَلَّمْنَا ثم جلسنا إليه ، فقال رسولُ الله ﷺ للعَبَّاسِ : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفَضْلِ؟ قال : نعم ، هذا البراءُ بن مَعْرُورَ سيدُ قومه ، وهذا كَعْبُ بن مالك . فوالله ما أنسى قولَ رسولِ الله ﷺ : الشاعر؟ قال : نعم . فقال له البراءُ بن مَعْرُورَ : يا نبيَّ الله . إني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للإسلام . فرأيتُ أَلَّا أَجْعَلَ هذه البَيْتَةَ مِنِّي بظَهْرٍ فَصَلَّيْتُ إِلَيْهَا ، وقد خالفني أصحابي في ذلك ، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء ، فماذا ترى يا رسولَ الله؟ قال : قد كنتَ على قِبَلَةٍ لَوْ صَبَرْتَ عَلَيْهَا .

قال : فرجع البراءُ إلى قِبَلَةِ رسولِ الله ﷺ ، وَصَلَّى معنا إلى الشام . ثم خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسولَ الله ﷺ بالعَقَبَةِ من أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ . فلما فَرَعْنَا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسولَ الله ﷺ لها ، ومعنا عَبْدُ اللهِ بن عَمْرٍو بن حَرَامِ أبو جابر ، سَيِّدٌ من ساداتنا ، وشريفٌ من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَفْرَنًا ، فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ : يا أبا جابر ، إنك سَيِّدٌ من ساداتنا ، وشريفٌ من أشرافنا ، وَإِنَّا نَوَعِبُ بِكَ عما أنتَ فيه أن تكونَ حَطْبًا لِلنَّارِ غَدًا . ثم دَعَوْنَاهُ إِلَى الإِسْلَامِ ، وأخبرناه بميعادِ رسولِ الله ﷺ إِيَّانَا العَقَبَةَ . فَأَسْلَمَ وشَهِدَ معنا العَقَبَةَ ؛ وَكَانَ نَقِيًّا .

فمنما تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثُلُثُ اللَّيْلِ خرجنا من رحالنا لميعادِ رسولِ الله ﷺ نَتَسَلَّلُ نَتَسَلَّلُ القَطَا^(١) مُسْتَحْفِفِينَ ، حتى اجتمعنا في الشَّعْبِ عند العَقَبَةِ ، ونحن ثلاثَةٌ وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نسائنا : نُسَيْبَةُ بنت كعب ، وأسماءُ بنت عمرو بن عَدِي^(٢) . قال : فاجتمعنا في الشَّعْبِ نَنْتَظِرُ رسولَ الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عَمَّهُ

(١) القَطَا: نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء.

(٢) قال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ لا يصفح النساء، إنما كان يأخذ عليهن، فإذا أقرن قال: اذهبن لقد بايعتكن.

العبّاس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يخصّص أمر ابن أخيه ويتوثّق له . فلما جلس كان أولُ متكلم العبّاس بن عبد المطلب ، فقال : يا معشر الخزرج - وكانت العرب إنما يُسمّون هذا الحيّ من الأنصار : الخزرج ، خُزِرْجُها وأَوْشُها - إن محمداً مِنّا حيث قد علمتم ، وقد متّعناه من قَوْمِنَا . ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزٍّ من قومه ، ومنّعة في بلده ، وإنه قد أتى إلا الانحياز إليكم ، والحق بكم ، فإن كنتم تروّون أنكم وافون له بما دَعَوْتُمُوهُ إليه ، وما نعوهُ مِنّ خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم تروّون أنكم مُشليموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه في عزٍّ ومنّعة من قومه وبلده . فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلّم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فتكلّم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم!

فأخذ البراء بن مغرور بيده ثم قال : نعم ، والذي بعثك بالحق نبياً ، لنمنعك مما نمنع منه أُرُونا^(١) ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب ، وأهل الحلقة^(٢) ، ورثناها كابراً عن كابر!

فاعترض القول ، والبراء يُكلّم رسول الله ﷺ ، أبو الهيثم بن التيهان ، فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبّالاً وإنّا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيّت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله على أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدّم الدّم ، والهَدْمُ الهَدْمُ^(٣) ، أنا منكم وأنتم مِنّي ، أحارب من حاربتم ، وأسألم من سألمتم!

وقد كان . قال رسول الله ﷺ : « أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم » . فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً : تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس^(٤) .

(١) كنوا بالأزر عن النساء . أو عن النفوس ، يقال لكل منهما : إزار . (٢) الحلقة : السلاح كله .

(٣) الهدم : بإسكان الدال وفتحها : إهدار الدم ، أي إن طلب دمكم فقد طلب دمي ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمي . والهدم ، بالتحريك : القبر والمنزل . أي أقبر حيث تقبرون ، وأنزل حيث تنزلون .

(٤) أما نقيب الخزرج السبعة فهم : أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع ، وعبد الله بن رواحة ، ورافع بن مالك ، والبراء بن معرور ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، وعبادة بن الصامت ، وأما نقيب الأوس فهم : أسيد بن حضير ، وسعد بن خيثمة ، ورافعة بن المنذر . قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان ، ولا يعدون رافعة .

كان أوَّل من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور ، ثم بايع بَعْدُ القوم . فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطانُ من رأس العقبة بأنفِذ صوتَ سمعته قط : يا أهل الجَبَاجِبِ^(١) ، هل لكم في مُدَمِّمِ^(٢) والصُّبَاةِ^(٣) معه ، قد اجتمعوا على خِزْبِكُمْ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هذا أَرَبُ العقبة ، هذا ابن أَرَيْبِ^(٤) » . ! ثم قال رسول الله ﷺ : « اِرْفَضُوا^(٥) إلى رحالِكُمْ » . فقال له العَبَّاسُ بن عَبَّادَةَ بن نَضْلَةَ : والله الذي بعثك بالحق ، إن شئتَ لَتَمِيلَنَّ على أَهْلِ مِنَى غَدًا بِأَسْيَافِنَا! فقال رسول الله ﷺ : « لم نُؤْمَرْ بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالِكُمْ » . فرجعنا إلى مضاجِعِنَا ، فمنا عليها حتى أصبحنا ، فلما أصبحنا غدت علينا جَلَّةٌ^(٦) قريش حتى جاءونا في منازلنا فقالوا : يا معشرَ الحَزْرَجِ ، إنه قد بَلَغَنَا أنكم قد جئتم إلى صاحبِنَا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على خِزْبِنَا ، وإنه والله ما مِنْ حَيٍّ من العربِ أَبْغَضُ إلينا أن تَنشَبَ الحربُ بيننا وبينهم ، منكم! فانبعثَ مَنْ هُناك مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِنَا يَحْلِفُونَ بالله : ما كان من هذا شيءٌ ، وما عَلِمْنَاهُ! وقد صَدَقُوا ، لم يَعْلَمُوهُ . قال : وبعضُنَا ينظُرُ إلى بعض . ونَفَرَ النَّاسُ مِنْ مِنَى ، فَتَنَطَّسَ القَوْمُ الخَبِرَ^(٧) فوجدوه قد كان ، وخرجوا في طلبِ القوم ، فأدركوا سَعْدَ بن عَبَّادَةَ بِأَذَاخِرِ^(٨) ، والمُنْذِرَ بن عَمْرٍو ، وكلاهما كان نقييًّا . فأما المُنْذِرُ فَأَعْجَزَ القوم ، وأما سَعْدٌ فَأَخَذُوهُ ، فربطوا يَدَيْهِ إلى عُقْبَةِ بَيْشَعِ رَحْلِهِ^(٩) ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ، ويجذبونه بِجُمُتَيْهِ^(١٠) ، وكان ذا شَعِيرٍ كثير . قال سَعْدٌ : فوالله إنِّي لَفِي أَيْدِيهِمْ إِذْ طَلَعَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فِيهِمْ رَجُلٌ وَضِيءٌ أبيض ، شَعَشَاعٌ^(١١) حُلُوٌّ من الرجال ، فقلْتُ في نفسي ، إن يَكُ عندَ أَحَدٍ من القومِ خَيْرٌ فعند هذا . فلما دنا مِنِّي رفع يَدَهُ فلكمني لَكَمَةً شديدة ، فقلْتُ في نفسي : لا والله ما عندهم بعد هذا مِنْ خَيْرٍ! فوالله إنِّي لَفِي أَيْدِيهِمْ يَسْحَبُونَنِي إِذْ أَوَى لِي^(١٢) رَجُلٌ مِمَّنْ كان معهم فقال :

(١) الجَبَاجِبُ: المنازل، منازل منى.

(٢) الصُّبَاةُ: جمع صَبَاءٍ. والصَّبَاءُ: الخارج من دينه، كانوا يسمون من أسلم بذلك.

(٣) أَرَبُ بن أَرَيْبِ: اسم شيطان.

(٤) اِرْفَضُوا: أي تفرقوا.

(٥) جَلَّةٌ: مُعْظَم.

(٦) أذَاخِرُ: موضع قريب من مكة.

(٧) النِّسْعُ: شراك يشد به الرجل.

(٨) الجَمَّةُ: مجتمع شعر الرأس.

(٩) أَوَى لِي: رق له ورحمه.

(١٠) الشَّعَشَاعُ: الطويل الحسن.

(١١) رَجُلٌ مِمَّنْ كان معهم فقال :

ويحك! أما بينك وبين أحد من قُرَيْشٍ جِوَارٌ ولا عهد؟ قلت : بلى والله ، لقد كنت أُجِيرُ
لِجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ بنِ عَدِيٍّ بنِ نَوْفَلٍ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ تِجَارَةً ، وأمنعُهم ممن أراد ظلمَهم ببلادِي ؛
وللحارِثِ بنِ حَرْبٍ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ . قال : وَيُحَكِّ فَاهْتِفْ بِاسْمِ
الرَّجُلَيْنِ ، واذْكُرْ ما بَيْنَكَ وبينهما . قال : ففعلتُ ، وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدهما في
المسجدِ عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلاً من الخزرج الآن يُضْرَبُ بالأَبْطَحِ^(١) ويهتَفُ
بكما ، ويذْكُرُ أنَّ بينه وبينكما جِوَارًا . قالا : ومن هو؟ قال : سَعْدُ بنُ عُبادَةَ . قالا : صدَقَ
والله ، إنَّ كان ليجيرُ لنا تِجارَتنا ، ويمنعُهم أن يُظْلَمُوا ببلدِهِ! قال : فجاء فأخَصَصَا سَعْدًا من
أيديهم ، فانطلق .

[شروط بيعَةِ العقبة الأخيرة]

وكانت بيعَةُ الحربِ حين أذِنَ اللهُ لرسولِهِ في القتالِ شروطًا سيوى شَرْطُهُ عليهم في
العقبةِ الأولى . كانت الأولى على بَيْعَةِ النساءِ ، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسولِهِ
ﷺ في الحربِ ، فلما أذن اللهُ لَهُ فيها ، وبايعَهُم رسولُ اللهِ ﷺ في العقبةِ الأخيرة على
حربِ الأحمرِ والأسودِ ، أَخَذَ لِنَفْسِهِ ، واشترط على القومِ لِرَبِّهِ ، وجعل لَهُم على الوفاءِ
بذلك الجنةَ . قال عُبادَةُ بنُ الصَّامِتِ : بايَعْنَا رسولَ اللهِ ﷺ بَيْعَةَ الحربِ ، على السمعِ
والطاعة ؛ في عُسْرنا ويُسْرنا ، وَمُنْشَطِنا وَمَكْرَهِنَا^(٢) ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا^(٣) ، وألا ننازعَ الأمرَ
أهلَهُ ، وأن نقولَ بالحقِّ أينما كُنَّا لا نخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ .



(١) الأَبْطَحُ: المكان المتسع يمر به السيل فيترك فيه الرمل والحصى الصغار.

(٢) المنشط: الأمر تنشط له وتخف له. وهو خلاف المكروه.

(٣) الأثرَة بمعنى الاستثارة، إشارة إلى إثارهم المهاجرين على أنفسهم.

الفصل السابع

من نزول الأمر بالقتال إلى قدوم المدينة

[نزول الأمر بالقتال]

وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تُحلل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل. وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنواهم عن دينهم، ونفواهم من بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه، ومن بين مُعَذَّب في أيديهم، وبين هارب في البلاد فرار منهم؛ منهم من بأرض الحبشة، ومنهم من بالمدينة، وفي كل وجه. فلما عتث قريش على الله عز وجل، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، وكذبوا نبيهم ﷺ، وعذبوا ونفوا من عبده وولده وصدق نبيه، واعتصم بدينه، أذن الله - عز وجل - لرسوله ﷺ في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب، وإحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم، فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء، قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوْمُوعُ وَيَبِيعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسْجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١﴾ أي إني إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظلموا، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس، إلا أن يعبدوا الله، وإنهم إذا ظهروا^(١) أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. يعني النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين. ثم

(١) ظهروا: غلبوا.

أنزل الله تبارك وتعالى عليه : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ...﴾ أي حتى لا يُفْتَنَ مؤمنٌ عن دينه ﴿...وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ...﴾ ، أي حتى يُعْبَدَ الله لا يُعْبَدَ معه غيره .

[الإذن بهجرة المسلمين إلى المدينة]

فلما أذن الله - تعالى - له ﷺ في الحرب ، وبايعه هذا الحَيُّ من الأنصارِ على الإسلام والتَّصَرُّفِ له وللمن اتَّبَعَهُ وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحوق بإخوانهم من الأنصار ، وقال : « إن الله عزَّ وجلَّ قد جعل لكم إخوانًا ودارًا تَأْمَنُونَ بها » . فخرجوا أرسالاً^(١) ، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة ، والهجرة إلى المدينة .

[ذكر المهاجرين إلى المدينة]

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش : من بني مَخْزُوم : أبو سَلَمَةَ بن عبد الأسد ، هاجر إلى المدينة قبل بَيْعَةِ أصحابِ العَقَبَةِ بسنة ، وكان قَدِيمَ على رسول الله ﷺ مكة من أرض الحبشة ، فلما أذنته قريش وبلغه إسلام مَنْ أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مُهاجِرًا .

ثم كان أول من قَدِمَها من المهاجرين بعد أبي سَلَمَةَ : عامر بن ربيعة ، معه امرأته ليلى بنت أبي حَتْمَةَ . ثم عبد الله بن جَحْش ، احتمل^(٢) بأهله وبأخيه عبد بن جَحْش ، وهو أبو أحمد ، وكان أبو أحمد رجلاً ضَرِيرَ البصر ، وكان يطوفُ مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعرًا . ثم قَدِمَ المهاجرون أرسالاً ، ثم خرج عمرُ بن الخطاب ، وعُيَاش بن أبي ربيعة المخزومي ، حتى قَدِمَا المدينة ثم تتابع المهاجرون .

[هجرة الرسول ﷺ]

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤْذَنَ له في الهجرة ، ولم يَتَخَلَّفْ معه بمكة أحدٌ من المهاجرين إلا من حُبِسَ أو فُتِنَ ، إلا عَلِيٌّ بن أبي طالب ،

(٢) احتمل بأهله: حملهم وارتحل بهم.

(١) أي جماعات، واحدة إثر الأخرى.

وأبو بكر بن أبي قُحافة الصَّدِّيق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - وكان أبو بكرٍ كثيرًا ما يستأذنُ رسولَ الله ﷺ في الهجرة ، فيقول له رسولُ الله ﷺ : « لا تَعْجَلْ لعلَّ اللهَ يجعلُ لك صاحبًا » ، فيطمعُ أبو بكرٍ أن يكونه .

ولما رأت قُرَيْشٌ أن رسولَ الله ﷺ قد صارت له شِيعَةٌ وأصحابٌ من غيرهم بغيرِ بلدهم ، ورأوا خُروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم ، عَرَفُوا أَنَّهُمْ قد نَزَلُوا دارًا وأصابوا منهم مَنعةً ، فحذروا خروجَ رسولِ الله ﷺ إليهم ، وعَرَفُوا أَنَّهُ قد أَجْمَعَ لحزبهم . فاجتمعوا له في دارِ النَّدْوَةِ - وهي دارُ قُصَيِّ بنِ كِلاب التي كان قُرَيْشٌ لا تَقْضِي أمرًا إلا فيها - يتشاورون فيها ما يَصْنَعُونَ في أمرِ رسولِ الله ﷺ ، حين خافوه .

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : لما أَجْمَعُوا لذلك واتَّعَدُوا أن يدخلوا في دارِ النَّدْوَةِ ، ليتشاوروا في أمرِ رسولِ الله ﷺ ، عَدَّوْا في اليوم الذي اتَّعَدُوا له ، وكان ذلك اليومُ يسمَّى يومَ الرَّحْمَةِ ، فاعترضهم إبليسُ في هيئة شيخٍ جليل^(١) ، عليه بَتٌ^(٢) ، فوقف على بابِ الدار ، فلما رَأَوْه واقفاً على بابها قالوا : مَنْ الشَّيْخُ؟ قال : شَيْخٌ من أَهْلِ نَجْدٍ^(٣) سَمِعَ بالذي اتَّعَدْتُمْ له ، فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى ألا يُعْذِرْكم منه رأيًا ونُصْحًا! قالوا : أَجَلٌ فادخل . فدخلَ معهم وقد اجتمع فيها أشرافُ قُرَيْشٍ ، فقال بعضهم لبعض : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فَإِنَّا وَاللَّهِ ما نَأْمَنُهُ على الوَثْبِ علينا فيمن قد اتَّبَعَهُ من غيرنا . فَأَجْمِعُوا فيه رأيًا . فتشاوروا ، ثم قال قائلٌ منهم : احسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه بابًا ، ثم تَرَبَّصُوا به ما أصاب أشباهه من الشُّعْرَاء الذين كانوا قبله : زُهَيْرًا والنَّابِغَةَ ، ومن مضى منهم من هذا الموت ، حتى يُصِيبَهُ ما أصابهم! فقال الشيخُ التَّجْدِي : لا والله ما هذا لكم برأي ، والله لئن حَبَسْتُمُوهُ كما تقولون لَيُخْرِجَنَّ أَمْرُهُ من وراءِ البابِ الذي أغلقتُم دونه إلى أصحابه ، فَلَا تُشْكُوا أن يَتَّبِعُوا عليكم فينزعوه من أيديكم ثم يُكَاثِرُوكم به حتَّى يَغْلِبُوكم على أمرِكم . ما هذا لكم برأي ، فانظروا في غيره . فتشاوروا ثم قال قائلٌ منهم^(٤) : نُخْرِجْهُ من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا أخرج عتًا

(١) جليل: سمن.

(٢) البت: كساء غليظ مربع.

(٣) السهيلي: إنما قال لهم، إني من أهل نجد، لأنهم قالوا: لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة، لأن هواهم مع محمد، فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجد.

(٤) هو أبو الأسود ربيعة بن عامر.

فوالله ما بُالي أين ذهب ، ولا حيث وَقَعَ ، إذا غاب عَنَّا وَفَرَّغْنَا مِنْهُ ، فَأَصْلَحْنَا أَمْرَنَا وَأُلْقَيْنَا
كما كانت . فقال الشيخ النجدي : لا والله ، ما هذا لكم برأي ، ألم تَرَوْا حُسْنَ حَدِيثِهِ ،
وحلاوة مَنْطِقِهِ ، وَغَلَبَتِهِ عَلَى قُلُوبِ الرِّجَالِ بما يَأْتِي بِهِ ، والله لو فَعَلْتُمْ ذَلِكَ ما أَمِئْتُمْ أَنْ
يَحُلَّ عَلَى حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ ، فَيَغْلِبَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ وَحَدِيثِهِ ، حَتَّى يُتَابِعُوهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ
يَسِيرُ بِهِمْ إِلَيْكُمْ حَتَّى يَطْأَ كَم بِهِمْ فِي بِلَادِكُمْ ، فَيَأْخُذَ أَمْرَكُمْ مِنْ أَيْدِيكُمْ ، ثُمَّ يَفْعَلَ بِكُمْ مَا
أَرَادَ ، أَدِيرُوا فِيهِ رَأْيًا غَيْرَ هَذَا . فقال أبو جَهْلٍ بن هشام : والله إِنَّ لِي فِيهِ لِرَأْيًا ما أَرَاكُمْ
وَقَعْتُمْ عَلَيْهِ بَعْدُ . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ فَتًى شَابًا
جَلِيدًا^(١) نَسِيئًا وَسِيطًا^(٢) ، فِينَا ، ثُمَّ نُعْطِي كُلَّ فَتًى مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا^(٣) ، ثُمَّ يَعْمِدُوا إِلَيْهِ
فِيضْرِبُوهُ بِهَا ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَقْتُلُوهُ ، فنستريح منه ، فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دُمُهُ فِي
الْقِبَائِلِ جَمِيعًا ، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَاظٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا ، فَرَضُوا مِنَّا بِالْعَقْلِ^(٤) ،
فَعَقَلْنَاهُ لَهُمْ . فقال الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل . هذا الرَّأْيُ الَّذِي لَا رَأْيَ غَيْرَهُ !!
فتفرق القوم على ذلك وهو مُجْمِعُونَ لَهُ .

فَأَتَى جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : لَا تَبْتَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى فَرَاثِكَ الَّذِي
كَنتَ تَبِيتُ عَلَيْهِ . فلما كانت عَثَمَةُ مِنَ اللَّيْلِ اجتمعوا على بَابِهِ يَرِضُدُونَهُ مَتَى يَنَامُ ، فَيَثْبُونَ
عَلَيْهِ ؛ فلما رأى رسولُ اللَّهِ ﷺ مَكَانَهُمْ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : « نَمْ عَلَى فَرَاثِي ،
وَتَسَجَّ^(٥) بِبُرْدِي^(٦) هَذَا الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ^(٧) » ، فَتَمَّ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ
تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ » . وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَنَامُ فِي بُرْدِهِ ذَلِكَ إِذَا نَامَ .

عن محمد بن كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ : لَمَّا اجتمعوا لَهُ وَفِيهِمْ أَبُو جَهْلٍ بن هشام ، فَقَالَ
وَهُمْ عَلَى بَابِهِ : إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّكُمْ إِنْ تَابَعْتُمُوهُ عَلَى أَمْرِهِ كُنْتُمْ مَلُوكَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ،
ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ فَجُعِلَتْ لَكُمْ جَنَّاتُ الْأَزْدَدِ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ لَهُ فِيكُمْ
ذَنْجٌ ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ، ثُمَّ جُعِلَتْ لَكُمْ نَارٌ تُحْرَقُونَ فِيهَا .
وخرج عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ حَفَنَةً مِنْ تَرَابٍ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ ،

(١) جليدا: قويا.

(٢) الوسيط: الشريف.

(٣) صارما: قاطعا.

(٤) العقل: الدية.

(٥) تسجي بالثوب: غطي به جسده ووجهه.

(٦) البُرْد: كساء مخطط يلتحف به.

(٧) الحضرمي، منسوب إلى حضرموت.

أَنْتَ أَحَدُهُمْ . وَأَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى - عَلَى أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ فَلَا يَرَوْنَهُ فَجَعَلَ يُنْثَرُ ذَلِكَ التُّرَابَ عَلَى رُءُوسِهِمْ وَهُوَ يَتْلُو هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ مِنْ يَس : ﴿ يَس * وَالْقُرْآنَ الْكَبِيرَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَأَعَشَيْنَاهُمُ فَنُفْسَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ، حَتَّى فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُّرَابًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ . فَأَتَاهُمْ آتٍ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ فَقَالَ : مَا تَنْتَظِرُونَ هَا هُنَا؟ قَالُوا : مُحَمَّدًا . قَالَ : خَيِّبَكُمْ اللَّهُ ! قَدْ وَاللَّهِ خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ ، ثُمَّ مَا تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ رَأْسَهُ تُّرَابًا ، وَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ ، أَمَّا تَزْوَنَ مَا بِكُمْ؟ فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَإِذَا عَلَيْهِ تُّرَابٌ ، ثُمَّ جَعَلُوا يَتَطَلَّعُونَ فَيَزْوَنَ عَلَيَّا عَلَى الْفَرَّاشِ مُتَسَجِّجًا بِرُودِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُونَ : وَاللَّهِ إِنْ هَذَا لِمُحَمَّدٍ نَائِمًا ، عَلَيْهِ بُرْدُهُ . فَلَمْ يَبْرَحُوا كَذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحُوا . فَقَامَ عَلَيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْفَرَّاشِ فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ صَدَقْنَا الَّذِي حَدَّثَنَا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا ذَا مَالٍ ، فَكَانَ حِينَ اسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْهَجْرَةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تَعْجَلْ لَعَلَّ اللَّهَ يَجِدُ لَكَ صَاحِبًا ، قَدْ طَمِعَ بَأَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا يَعْنِي نَفْسَهُ حِينَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ ، فَابْتَاعَ رَاحِلَتَيْنِ فَاحْتَبَسَهُمَا فِي دَارِهِ يَغْلِفُهُمَا إِعْدَادًا لَذَلِكَ .

قَالَتْ عَائِشَةُ : كَانَ لَا يَخْطِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيْ النَّهَارِ ، إِمَّا بُكْرَةً وَإِمَّا عَشِيَّةً ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي أُذِنَ فِيهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْهَجْرَةِ ، وَالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرِي قَوْمِهِ ، أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْهَاجِرَةِ ، فِي سَاعَةٍ كَانَ لَا يَأْتِي فِيهَا ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو بَكْرٍ قَالَ : مَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ السَّاعَةَ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ ! فَلَمَّا دَخَلَ تَأَخَّرَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ عَنْ سَرِيرِهِ ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا أَنَا وَأُخْتِي أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَخْرِجْ عَنِّي مَنْ عِنْدَكَ » . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ ، وَمَا ذَاكَ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ! فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ وَالْهَجْرَةِ » . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : الصُّحْبَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « الصُّحْبَةُ » . قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنْ أَحَدًا يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي يَوْمَئِذٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنْ هَاتَيْنِ رَاحِلَتَانِ قَدْ كُنْتُ أَعْدَدْتُهُمَا لِهَذَا . فَاسْتَأْجَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَرْقَطَ ، وَكَانَ مُشْرِكًَا ، يَدُلُّهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا ، فَكَانَتَا عِنْدَهُ يِرْعَاهُمَا لِمِيعَادِهِمَا .

قال ابن إسحاق : ولم يَعْلَمْ - فيما بلغني - بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج ، إلا عَلِيَّ بن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق ، وآل أبي بكر . أمّا عَلِيٌّ فَإِنَّ رسولَ الله ﷺ - فيما بلغني - أخبره بخروجه ، وأمره أن يَخْلَفَ بعده بمكة حتى يُؤَدِّيَ عن رسولِ الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسولُ الله ﷺ ليس بمكة أحدٌ عنده شيءٌ يَخْشَى عليه إلا وضعه عنده ، لِمَا يُعْلَمُ من صدقه وأمانته ﷺ .

فلما أَجْمَعَ رسولُ الله ﷺ الخروجَ ، أتى أبا بكر بن أبي قُحافة فخرجا من خَوْخَةٍ^(١) لأبي بكرٍ في ظهرِ بيته ، ثم عَمَدَا إلى غَارِ بَثُورِ^(٢) فدخلا ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يَسْمَعَ لهما ما يقولُ الناسُ فيهما نهاره ، ثم يَأْتِيَهُمَا إذا أَمْسَى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر . وأمر عامر بن فُهَيْرَةَ مولاة أن يرعى غنمه نهاره ثم يُرِيحَهَا^(٣) عليهما ، يَأْتِيَهُمَا إذا أَمْسَى في الغار . وكانت أسماء بنتُ أبي بكرٍ تَأْتِيَهُمَا من الطعام إذا أَمْسَتْ بما يُضْلِحُهُمَا^(٤) .

فأقام رسولُ الله ﷺ في الغارِ ثلاثًا ومعه أبو بكر ، وجعلت قريشٌ فيه ، حين فقدوه ، مائة ناقة ، لمن يُؤَدِّهِ عليهم . وكان عبدُ الله بن أبي بكر يكونُ في قريش نهاره معهم ، يسمع ما يَأْتِمُرُونَ به ، وما يقولون في شأنِ رسولِ الله ﷺ وأبي بكر ، ثم يَأْتِيَهُمَا إذا أَمْسَى فيخبرُهُما الخبر ، وكان عامرُ بن فُهَيْرَةَ مولى أبي بكر - رضي الله عنه - يَرْعَى في رُغْيَانِ أهلِ مكة ، فإذا أَمْسَى أراح عليهما غَنَمَ أبي بكر ، فاحتلبا ودَبَحَا . فإذا عبدُ الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة ، اتَّبَعَ عامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ أَثَرَهُ بالغنمِ حتى يُعْفَى عليه . حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبُهُما الذي استأجراه ، يَبْعِرُهُمَا وبعير له ، وأَتَتْهُمَا أسماء بنتُ أبي بكرٍ بِشَفَرَتِهِمَا^(٥) ، ونَسِيَتْ أن تجعلَ لهما عَصَامًا^(٦) ، فلما ارتحلا

(١) الخوخة: باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين ينصب عليهما باب.

(٢) ثور: جبل بأسفل مكة. (٣) يريحها: يردّها.

(٤) ابن هشام عن الحسن البصري: « انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر - رضي الله عنه - قبل رسول الله ﷺ ، فلمس الغار ، لينظر: أفيه سبع أو حية؟ بقي رسول الله ﷺ بنفسه ».

(٥) السفرة: الطعام يصنع للمسافر ، وما يحمل فيه هذا الطعام.

(٦) العصام: رباط القرية والمزادة ونحوهما.

ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس لها عصام ، فتحل نطاقتها فتجعله عصامًا ، ثم علقها به . فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : ذات النطاق ، لذلك^(١) .

فلما قرب أبو بكر - رضي الله عنه - الراحلتين إلى رسول الله ﷺ قدم له أفضلهما ثم قال : اركب ، فذاك أبي وأمي ! فقال رسول الله ﷺ : « إني لا أركب بغيري ليس لي » . قال : فهي لك يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ! قال : « لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ » قال : كذا وكذا . قال : « قد أخذتها به » . قال : هي لك يا رسول الله . فركبا وانطلقا ، وأردف أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - عامر بن فهيرة موله خلفه ، ليخدمهما في الطريق . قالت أسماء بنت أبي بكر : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قلت : لا أدري والله أين أبي ؟ قالت : فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشًا خبيثًا - فلطم خدي لطمه طرخ منها قوطي ! ثم انصرفوا . فمكثنا ثلاث ليال وما ندري أين وجه رسول الله ﷺ ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة ، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليشعونه يسمعون صوته ، وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جَزَى اللَّهُ رَبَّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلًّا خِيَمَتِي أُمَّ مَعْبِدٍ^(٢)
هُمَا نَزَلَا بِالْبَرِّ ثُمَّ تَزَوَّحَا فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
لِيَهْنِ^(٣) بَنِي كَعْبٍ مَكَانَ فِتَاتِهِمْ وَمَقْعَدَهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدٍ

فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ ، وأن وجهه إلى المدينة . قال شراقة بن مالك بن جعشم : لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجرا إلى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقية لمن رده عليهم . فبينما أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجل منّا حتى

(١) قال ابن هشام : « سمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين . وتفسيره أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقتها بائنين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر » .

(٢) أم معبد : واسمها عاتكة بنت خالد : امرأة من بني كعب ، نزل بها رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وعبد الله بن أرقط ، فسألوها لحما وتمرا يشترون منها ، فلم يصيبوا عندها شيئا ، ورأى رسول الله ﷺ شاة بكسر الخيمة لا تدر ، فاستأذنها أن يحلبها ، فمسح ضرعها فدرت درًا غزيرًا ، ثم بايعته المرأة على الإسلام .

(٣) ليهن : يسر ، يفرح .

وقف علينا ، فقال : والله لقد رأيت رَكْبَةً ثلاثة مَرُّوا عَلَيَّ آنِفًا ، إني لأراهم محمدًا وأصحابه . فأومأت إليه بعيني : أن اسكث ، ثم قلت : إنما هم بنو فلان يبتغون ضالَّةً لهم ! قال : لَعَلَّهُ . ثم سكث . ثم مكثت قليلاً ثم قمت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسي فقُيِّد لي إلى بطن الوادي وأمرت بسلاحه فأخرج لي من دُبُرِ حجرتي ، ثم أخذت قِداحي^(١) التي أَسْتَقْسِمُ بها ، ثم انطلقت فلبست لأمتي^(٢) ثم أخرجت قِداحي فاستَقْسَمْتُ بها ، فخرج السهم الذي أكره : « لا يَضُرُّهُ »^(٣) . وكنت أرجو أن أُرُدَّهُ على قريش فأخذ المائة الناقة .

فركبت على أثره ، فبينما فرسي يشتد بي عثر بي ، فسقط عنه ، فقلت : ما هذا ! ثم أخرجت قِداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره : « لا يَضُرُّهُ » . فأثيت إلا أن أتبعه ، فركبت في أثره ، فبينما فرسي يشتد بي عثر بي ، فسقط عنه ، فقلت : ما هذا ! ثم أخرجت قِداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره : « لا يَضُرُّهُ » . فأثيت إلا أن أتبعه ، فركبت في أثره . فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي . فذهبت يده في الأرض ، وسقط عنه . ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهما دُحَانٌ كالإعصار ، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنِعَ مني وأنه ظاهر^(٤) ، فناديته القوم فقلت : أنا شراقة بن جُعْشَم أنظروني أكلمكم ، فوالله لا أريكم^(٥) ، ولا يأتكم مني شيء تكرهونه . فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر : قل له : وما تبغي منا ؟ فقال ذلك أبو بكر . قلت : تكتب لي كتاباً يكون آيةً بيني وبينك . قال : اكتب له يا أبا بكر .

فكتب لي كتاباً في عَظْم ، أو في رُقعة^(٦) ، أو في خَزَفَة ، ثم ألقاه إلي ، فأخذته فجعلته في كِنَانَتِي^(٧) ثم رجعت . فسكت فلم أذكر شيئاً مما كان ، حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ﷺ ، وفرغ من حنين والطائف ، خرجت ومعني الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجعرانة^(٨) ، فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار . فجعلوا يقرعونني بالرمح

(١) القداح: جمع قذح، قطع من الخشب تُعرض قليلاً وتسوى، ليستقسم بها.

(٢) اللأمة: الدرع والسلاح. (٣) أي المكتوب فيه هذه الكلمة.

(٤) أي غالب منتصر. (٥) أريكم: يريه، يجعله شاكاً.

(٦) رُقعة: قطعة من الورق أو الجلد يكتب فيها. (٧) كنانتي: جعبة صغيرة من جلد يوضع فيها الثبل.

(٨) الجعرانة: ماء بين الطائف ومكة.

ويقولون : إليك إليك ، ماذا تريد؟ فذَنُوثُ من رسول الله ﷺ وهو على ناقته ، والله لكأنني أنظر إلى ساقه في غَزْزه^(١) كأنها جُمارة^(٢) ، فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت : يا رسول الله . هذا كتابك لي ، أنا سُرَاقَةُ بن جُعْثَم . فقال رسول الله ﷺ : « يَوْمُ وَقَاءٍ وَبَرٌّ » ، اذْنُهُ . فذَنُوثُ منه فَأَسْلَمْتُ . ثم تذكرتُ شيئاً أسألُ رسولَ الله ﷺ عنه فما أذكره ، إلا أَنِّي قُلْتُ : يا رسولَ الله ، الضَّالَّةُ من الإِبِلِ تَغْشَى حِيَاضِي^(٣) وقد ملأَتْها لِإِبِلِي ، هل لي من أَجْرٍ في أن أَشَقِيَّهَا؟ قال : « نعم ، في كل ذاتِ كَبِدٍ حَرَّى^(٤) أَجْرٌ » . ثم رجعتُ إلى قومي فشققتُ إلى رسولِ الله ﷺ صَدَقَتِي .

قال ابن إسحاق : فلما خرج بهما دليلهما عبدُ الله بن أَزْقَط ، سلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على الساحلِ حتى عارضَ الطريقَ أسفلَ من عُشْفَان ، ثم سلك بهما على أسفل أَمَج ، ثم استجَارَ بهما حتى عارضَ بهما الطريقَ بعد أن أجازَ قُدَيْدًا ، ثم أجازَ بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الحَرَّار ، ثم سلك بهما ثِيَّةَ المَرَّة ثم سلك بهما لِقْفًا ، ثم أجازَ بهما مَدْلَجَةَ لِقْف ، ثم استبطنَ بهما مَدْلَجَةَ مَحَاج ، ثم سلك بهما مَرْجَحَ مَحَاج ، ثم تَبَطَّنَ بهما مَرْجَحَ من ذي العَصَوَيْن ، ثم بَطَّنَ ذي كَشْر ، ثم أخذَ بهما على الجَدَاجِد ، ثم على الأَجْرَد . ثم سلك بهما ذا سَلَم من بَطْنِ أَعْدَاءِ مَدْلَجَةَ يَعْهِن ، ثم على العَبَايِد ، ثم أجازَ بهما الفَاجَّة .

قال ابن هشام : ثم هبطَ بهما العَرَجَ وقد أَبْطَأَ عليهما بعضُ ظَهْرِهِم ، فحملَ رسولُ الله ﷺ رجلٌ من أَشْلَمَ يقال له أَوْسُ بن حَجَر^(٥) ، على جملٍ له يقال له : ابن الرِّدَاءِ ، إلى المدينة ، وبعثَ معه غلامًا له يقال له : مسعودُ بن هُتَيْدَةَ ، ثم خرجَ بهما دليلهما من العَرَج ، فسلكَ بهما ثِيَّةَ العائِرِ عن يمينِ رَكُوبَةٍ ، حتَّى هبطَ بهما بَطْنُ رِيم ، ثم قَدِمَ بهما قُبَاءَ على بني عَمْرُو بن عَوْف ، لاثْنَتَيْ عشرة ليلةً خلَّت من شهرِ ربيعِ الأولِ يومَ الاثنين ، حين اشتدَّ الصُّحَاءُ وكادت الشمسُ تعتدل .

(١) الغرز للرجل، بمنزلة الركاب للسرّج.

(٢) جُمارة: جمع حوض، الحوض مجتمع الماء.

(٣) حياضي: خوي: غطش، للمبالغة أي أنها لشدة حرها قد عطشت وبيست من العطش ، أي كل كائن حي.

(٤) ذا كبد خوي: خوي: غطش، وهو غير أوس الشاعر الجاهلي.

[قدوم قباء]

عن عبد الرحمن بن غُوَيْر بن ساعدة ، قال : حَدَّثَنِي رَجَالٌ مِنْ قَوْمِي ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا : لَمَّا سَمِعْنَا بِمَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ ، وَتَوَكَّفْنَا^(١) قُدُومَهُ ، كُنَّا نَخْرُجُ إِذَا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ إِلَى ظَاهِرِ حَرَّتِنَا^(٢) ، نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَوَاللَّهِ مَا نَبْرُحُ حَتَّى تَغْلِبَنَا الشَّمْسُ عَلَى الظَّلَالِ ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ ظِلًّا دَخَلْنَا ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ حَارَّةٍ ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَلَسْنَا كَمَا كُنَّا نَجْلِسُ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتَّقِ ظِلُّ دَخَلْنَا بِيوتَنَا . وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ دَخَلْنَا الْبُيُوتَ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ رَأَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ ، وَقَدْ رَأَى مَا كُنَّا نَصْنَعُ وَأَنَا نَنْتَظِرُ قُدُومَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا ، فَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا بَنِي قَيْلَةَ^(٣) ، هَذَا جَدُّكُمْ^(٤) قَدْ جَاءَ . فَخَرَجْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي ظِلِّ نَخْلَةٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي مِثْلِ سِنِّهِ ، وَأَكْثَرُنَا لَمْ يَكُنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَرَكِبَهُ النَّاسُ^(٥) وَمَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، حَتَّى زَالَ الظِّلُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَأَظْلَمَ بِرِدَائِهِ فَعَرَفْنَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ .

قال ابن إسحاق : فنزل رسولُ الله ﷺ فيما يذكرون - على كُثُومِ بْنِ هِذَمٍ ، ويقال بل نزل على سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ . ويقول من يذكر أنه نزل على كُثُومِ بْنِ هِذَمٍ : إِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِ كُثُومِ بْنِ هِذَمٍ جَلَسَ لِلنَّاسِ فِي بَيْتِ سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ عَزَبًا لَا أَهْلَ لَهُ ، وَكَانَ مَنْزِلُ الْأَعْرَابِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ . وَنَزَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى خُبَيْبِ بْنِ إِسَافٍ . وَيَقُولُ قَائِلٌ : كَانَ مَنْزِلُهُ عَلَى خَارِجَةِ بْنِ زَيْدٍ . وَأَقَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِمَكَّةَ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَأَيَّامَهَا ، حَتَّى أَدَّى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْهَا لَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَنَزَلَ مَعَهُ عَلَى كُثُومِ بْنِ هِذَمٍ . فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُبَاءَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَيَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ، وَيَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ . وَأَسَّسَ مَسْجِدَهُ .

(١) توكفناه: استشعرناه وانتظرناه.

(٢) حرتنا: الحرة، أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت.

(٣) هم الأنصار جميعًا، وقيلة جدة كانت لهم.

(٤) الجدة، الحظ.

(٥) ركبته الناس ، أي ازدحموا عليه.

[قدوم المدينة]

ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف ، فصلاها في المسجد الذي يطن الوادي ، وادي رانونا ، فكانت أول الجمعة صلاها بالمدينة . فأتاه عثبان بن مالك ، وعباس بن عباد بن نضلة ، في رجال من بني سالم بن عوف ، فقالوا : يا رسول الله ، أقم عندنا في العدي والغدة والمنعة^(١) . قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة - لناقته - فخلوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني نياضة تلقاه زياد بن أبيد ، وفروة بن عمرو ، في رجال من بني نياضة ، فقالوا : يا رسول الله ، هلم إلينا ، إلى العدي والغدة والمنعة . قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة . فانطلقت حتى إذا مرّت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عباد ، والمثد بن عمرو ، في رجال من بني ساعدة ، فقالوا : يا رسول الله ، هلم إلينا ، إلى العدي والغدة والمنعة . قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة . فخلوا سبيلها فانطلقت ، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج ، اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن رواحة ، في رجال من بني الحارث بن الخزرج فقالوا : يا رسول الله ، هلم إلينا ، إلى العدي والغدة والمنعة . فخلوا سبيلها فإنها مأمورة . فخلوا سبيلها فانطلقت . حتى إذا مرّت بدار بني عدي بن النجار ، وهم أخواله دنيا - أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو ، إحدى نسائهم - اعترضه سليط بن قيس ، وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة ، في رجال من بني عدي بن النجار ، فقالوا : يا رسول الله ، هلم إلى أخوالك ، إلى العدي والغدة والمنعة . قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة . فخلوا سبيلها فانطلقت .

حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار ، بركت على باب مسجده ﷺ وهو يومئذ موبد^(٢) لغلّامين يتيمين من بني النجار - وهما في حجر معاذ بن عفراء - سهل وشهيل ابني عمرو . فلما بركت ورسول الله ﷺ لم ينزل وثبت ، فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنى بها ، ثم التفتت إلى خلفها ، فرجعت إلى مبركها أول مرة ، فبركت فيه ، ثم تحلحلت^(٣) وأرزمت^(٤) ووضعت جرائنها^(٥) ، فنزل عنها رسول الله

(١) المنعة: العز والقوة.

(٢) المريد: الموضع الذي يجفف فيه التمر.

(٣) تحلحلت: تحركت.

(٤) أرزمت: صوتت.

(٥) الجران: ما يصيب الأرض من صدر الناقة وباطن خفها.

ﷺ ، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رَحْلَهُ فوضَعَهُ فِي بَيْتِهِ ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَأَلَ عَنِ الْمَزِيدِ : لِمَنْ هُوَ ؟ فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ : هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِسَهْلٍ وَسُهَيْلِ ابْنَيْ عَمْرٍو ، وَهُمَا يَتِيمَانِ لِي ، وَسَأَرْضِيهِمَا مِنْهُ ، فَاتَّخَذَهُ مَسْجِدًا .

فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبْنَى مَسْجِدًا ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي أَيُوبَ حَتَّى بَنَى مَسْجِدَهُ وَمَسَاكِنَهُ ، فَعَمِلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُرْغَبَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَمَلِ فِيهِ ، فَعَمِلَ فِيهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، وَدَأَبُوا فِيهِ . فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ :

لَسْنَا قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضِلُّ
وارتجز المسلمون ، وهو يَتَنَوَّنُهُ ، يَقُولُونَ :

« لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ » .

فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ » .

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ أَبِي أَيُوبَ حَتَّى بُنِيَ لَهُ مَسْجِدُهُ وَمَسَاكِنُهُ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَسَاكِنِهِ مِنْ بَيْتِ أَبِي أَيُوبَ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَرِضْوَانُهُ - . قَالَ أَبُو أَيُوبَ : لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي نَزَلَ فِي الشُّفْلِ ، وَأَنَا وَأُمُّ أَيُوبَ فِي الْغُلُو ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ . بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، إِنِّي لِأَكْرَهُ وَأَعْظُمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ وَتَكُونَ تَحْتِي ، فَظَهَرَ أَنْتَ فَكُنْ فِي الْغُلُو ، وَنَزَلَ نَحْنُ فَكُنْ فِي الشُّفْلِ . فَقَالَ : « يَا أَبَا أَيُوبَ ، إِنَّ أَرْفَقَ بِنَا وَبِمَنْ يَغْشَانَا ^(١) أَنْ نَكُونَ فِي شُفْلِ الْبَيْتِ » . قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شُفْلِهِ وَكُنَّا فَوْقَهُ فِي الْمَسْكَنِ ، فَلَقَدْ انْكَسَرَ حُبٌّ ^(٢) لَنَا فِيهِ مَاءٌ ، فَقَمِئْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُوبَ بِقَطِيفَةٍ ^(٣) لَنَا ، مَا لَنَا لِحَافٌ غَيْرُهَا ، نُنَشِّفُ بِهَا الْمَاءَ ، تَحَوُّفًا أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ شَيْءٌ يُؤْذِيهِ . قَالَ : وَكُنَّا نَصْنَعُ لَهُ الْعِشَاءَ ثُمَّ نَبْعَثُ بِهِ إِلَيْهِ فَإِذَا رَدَّ عَلَيْنَا فَضَلَّهُ تَبِعْمَتْ أَنَا وَأُمُّ أَيُوبَ مَوْضِعَ يَدِهِ . فَأَكَلْنَا مِنْهُ نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ ، حَتَّى بَعَثْنَا إِلَيْهِ لَيْلَةً بَعْشَاءَهُ وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ فِيهِ بَصَلًا أَوْ ثُومًا ، فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمْ أَرْ لِيَدِهِ أَثَرًا ، فَجِئْتُهُ فَرَعَا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، رَدَدْتَ عِشَاءَكَ وَلَمْ أَرْ فِيهِ مَوْضِعَ يَدِكَ ، وَكُنْتُ إِذَا رَدَدْتُهُ عَلَيْنَا

(١) يَغْشَانَا: يَأْتِينَا.

(٢) الْحُب: الْحَجَرَةُ، أَوْ جَرَّةٌ ضَخْمَةٌ.

(٣) الْقَطِيفَةُ: كِسَاءٌ لَهُ خَمَلٌ، أَيْ أَهْدَابٌ.

تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِكَ ، نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ . قَالَ : « إِنِّي وَجَدْتُ فِيهِ رِيحَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ . وَأَنَا رَجُلٌ أَنَاخِي ، فَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُوهُ » . قَالَ : فَأَكَلْنَاهُ ، وَلَمْ نَصْنَعْ لَهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بَعْدَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَتَلَا حَقَّ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَبْقَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ ، إِلَّا مَفْتُونٌ أَوْ مَحْبُوسٌ ، وَلَمْ يُوعَبْ^(١) أَهْلُ هَجْرَةٍ مِنْ مَكَّةَ بِأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ إِلَى اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَهْلُ دُورٍ مُسَمَّوْنَ : بَنُو مَظْعُونٍ مِنْ بَنِي جُمَحَ ، وَبَنُو جَحْشِ بْنِ رِثَابٍ حُلَفَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَبَنُو الْبُكَيْرِ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ لَيْثٍ حُلَفَاءُ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ ، فَإِنَّ دُورَهُمْ غُلِقَتْ بِمَكَّةَ هَجْرَةً ، لَيْسَ فِيهَا سَاكِنٌ .

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ إِذْ قَدِمَهَا شَهْرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ إِلَى صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الدَّاخِلَةِ ، حَتَّى بُنِيَ لَهُ فِيهَا مَسْجِدُهُ وَمَسَاكِنُهُ ، وَاسْتَجْمَعَ لَهُ إِسْلَامُ هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَلَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنَ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا أَسْلَمَ أَهْلُهَا ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خَطْمَةِ وَوَأَقْفِ وَأُمَيَّةَ ، وَتِلْكَ أَوْسُ اللَّهِ ، وَهَمَّ حَيٌّ مِنَ الْأَوْسِ ، فَإِنَّهُمْ أَقَامُوا عَلَى شِرْكِهِمْ .



(١) لم يوعب: أوعب القوم، خرجوا كلهم.

الفصل الثامن

من الخطب والعهود إلى ما قبل بدر

[الخطب والعهود بالمدينة]

وكانت (أول خطبة) خطبها رسول الله ﷺ فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، نعوذ بالله أن نقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل - أنه قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، أيها الناس، فقدّموا لأنفسكم. تعلّموا والله ليضعقن أخذكم، ثم ليدعن غتمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربّه وليس له توجمان ولا حاجب يحجبّه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك، وأتيتك مالا وأفضلت عليك؟ فما قدّمت لنفسيك؟ فليظننّ يمينًا وشمالًا فلا يرى شيئًا، ثم لينظرنّ قدّامه فلا يرى غير جهنّم. فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشقّ^(١) من تمره فليفعل، ومن لم يجد في كلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنّة بعشر أمثالها، إلى سبع مائة ضعف. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

ثم خطب رسول الله ﷺ الناس مرّة أخرى فقال: «إن الحمد لله، أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضللّ فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إن أحسن الحديث كتاب الله - تبارك وتعالى -، قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنّه أحسن الحديث وأبلغه. أجيئوا ما أحبّ الله، أحبوا الله من كلّ قلوبكم، ولا تملّوا كلام الله وذكره. ولا تقسّ عنه قلوبكم، فإنّه من كلّ ما يخلق الله يختار ويصطفى، قد سمّاه الله خيرته من الأعمال^(٢) ومُصطفاه من العباد^(٣)، والصالح من الحديث، ومن كلّ ما أوتي الناس من الحلال

(١) شق: نصف، أو جزء.

(٢) أي الذكر وتلاوة القرآن، لقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: الآية ٦٨].

(٣) أي وسمى المصطفى من عباده.

والحرام فاعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً ، واتَّقوه حَقَّ تُقَاتِهِ . واضدُّقُوا اللَّهَ صَالِحِ مَا تَقُولُونَ بأفواهكم ، وتحاثُّوا بروحِ اللَّهِ بينكم . إنَّ اللَّهَ يَغْضِبُ أَنْ يُنْكِتَ عَهْدَهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ » .

وكتب رسولُ اللَّهِ ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادَّعَ فيه يهودٌ ، وعاهدهم ، وأقوَّهم على دينهم وأموالهم ، وشرَّطَ لهم واشترطَ عليهم :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هذا كتابٌ من محمدٍ النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريشٍ ويثربٍ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ . إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ ، الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ^(١) يَتَعَاقَلُونَ بَيْنَهُمْ^(٢) ، وَهُوَ يَفْدُونَ عَانِيَتَهُمْ^(٣) بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَبَنُو عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، كُلُّ طَائِفَةٍ تَقْدِي عَانِيَتَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَبَنُو سَاعِدَةَ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَقْدِي عَانِيَتَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَبَنُو الْحَارِثِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَقْدِي عَانِيَتَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَبَنُو جُشَمٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَقْدِي عَانِيَتَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَبَنُو النَّجَّارِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَقْدِي عَانِيَتَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَبَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَقْدِي عَانِيَتَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَإِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتَزَكُّونَ مُفْرَحًا^(٤) بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطَوْهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلٍ^(٥) .

وَأَلَّا يُحَالِفَ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا دُونَهُ ، وَإِنْ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ أَوْ

(١) الرِّبْعَةُ: الحال التي وجدهم عليها الإسلام . (٢) أي يعقل بعضهم عن بعض . والعقل: الدية .

(٣) العاني: الأسير . (٤) المفروح: المثقل بالدين والكثير العيال .

(٥) عَقْلٌ: عَقْلُ الْقَتِيلِ ، وداه فَعَقَلَ دَيْتَهُ بِالْعَقْلِ فِي فَنَاءٍ وَرَثَتِهِ ، وَكَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْإِبْلِ .

ابْتَعَى دَسِيعَةً^(١) ظَلَمَ أَوْ إِثْمَ أَوْ عَدْوَانٍ أَوْ فُسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنْ أَيْدِيهِمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا ، وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ . وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ ، وَلَا يَنْصُرُ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ . وَإِنْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَاحِدَةٌ ، يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَذْنَاهُمْ^(٢) . وَإِنْ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ . وَإِنَّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأَشْوَةَ . غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ . وَإِنْ سَلِمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ ، لَا يَسَالِمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ . وَإِنْ كُلُّ غَازِيَةٍ غَزَتْ مَعَنَا يُعْقَبُ^(٣) بَعْضُهَا بَعْضًا . وَإِنْ الْمُؤْمِنِينَ يُبَيِّئُ^(٤) بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِمَا نَالَ دِمَاءَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَإِنْ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى أَحْسَنِ هَدْيٍ وَأَقْوَمِهِ . وَإِنَّهُ لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالًا لِقَرِيشٍ وَلَا نَفْسًا ، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ عَلَى مُؤْمِنٍ ، وَإِنَّهُ مَنْ اعْتَبَطَ^(٥) مُؤْمِنًا قَتْلًا عَنْ بَيِّنَةٍ فَإِنَّهُ قَوْدٌ بِهِ إِلَّا أَنْ يَرْضَى وَلِيُّ الْمَقْتُولِ ، وَإِنْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافَّةً ، وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ إِلَّا قِيَامُ عَلَيْهِ . وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَقَرُّ بِمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، وَأَمِنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، أَنْ يَنْصُرَ مُخَدِّثًا^(٦) وَلَا يُؤْوِيَهُ ، وَإِنَّهُ مَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ فَإِنَّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ^(٧) وَلَا عَدْلٌ^(٨) . وَإِنْ كُنْتُمْ مَعَهُمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنْ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ .

وَإِنْ الْيَهُودَ يَنْفَقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ . وَإِنْ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ ، مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يُؤْتِغُ^(٩) إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَإِنْ لِيَهُودَ بَنِي النَّجَّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودَ بَنِي عَوْفٍ ، وَإِنْ لِيَهُودَ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودَ بَنِي عَوْفٍ . وَإِنْ لِيَهُودَ بَنِي سَاعِدَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودَ بَنِي عَوْفٍ ، وَإِنْ لِيَهُودَ بَنِي جَحْشَمَ مِثْلَ مَا لِيَهُودَ بَنِي عَوْفٍ : وَإِنْ لِيَهُودَ بَنِي الْأُرْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودَ بَنِي عَوْفٍ ، وَإِنْ لِيَهُودَ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودَ بَنِي عَوْفٍ . إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يُؤْتِغُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ . وَإِنْ جَفَنَةٌ بَطَرٌ مِنْ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ ، وَإِنْ لِبَنِي الشُّطَيْبَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودَ بَنِي عَوْفٍ وَإِنْ الْبَرَّ دُونَ الْإِثْمِ^(١٠) ، وَإِنْ مَوَالِي ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ ، وَإِنْ بَطَانَةُ يَهُودَ كَأَنْفُسِهِمْ ، وَإِنَّهُ لَا يَخْرُجُ

(١) الدسيسة: العظيمة. (٢) أذناهم: أقربهم. (٣) يعقب: يخلف.

(٤) أباءه به: قتله به. جعله بواء له. (٥) اعتبطه: قتله بلا جناية توجب القتل.

(٦) مخدثًا: أي جانيًا، آواه وأجاره وحال بينه وبين أن يقتص منه.

(٧) صرف: توبة. (٨) عدل: فداء. (٩) يوتغ: يهلك.

(١٠) أي إن البر والوفاء ينبغي أن يكون حاجزا عن الإثم.

منهم أحدٌ إلا يأذن محمد ﷺ . وإنه لا يُنَحِّجُ^(١) على ثأرٍ جُرح ، وإنه من فَتَكَ فبنفسه فَتَكَ وأهل بيته ، إلا من ظَلَم . وإن الله على أبرّ هذا^(٢) . وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم . وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم التَّصَحُّح والنصيحة والبرّ دون الإثم .

وإنه لم يَأْثُم امرؤٌ بخليفه ، وإن النصر للمظلوم . وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين^(٣) . وإن يَثْرَب حرامٌ جَوْفُهَا لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجارَ كالنفس غير مُضَارٍّ ولا آثم ، وإنه لا تُجَارُ حُرْمَةٌ^(٤) إلا يأذن أهلها . وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَثٍ ، أو اشتجارٍ يُخَافُ فسادُه فإن مَرَدَّهُ إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى محمد رسول الله ﷺ . وإن الله على أَتَقَى ما في هذه الصحيفة وأبرّه . وإنه لا تُجَارُ قُرَيْشٌ ولا مَنْ نَصَرَهَا . وإن بينهم النَّصْر على مَنْ دَهَمَ يَثْرَب ، وإذا دَعُوا إلى ضُلُجٍ يصلحونه ويلبسونه^(٥) ، وإنَّهم إذا دَعُوا إلى مثل ذلك فإنَّه لهم على المؤمنين ، إلّا من حارب في الدِّين ، على كُلِّ أناسٍ حصَّتْهم من جانبهم الذي قبلهم . وإنَّ يهود الأوس ، مواليهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البرِّ المَحْضِ^(٦) من أهل هذه الصحيفة . وإن البرَّ دون الإثم ، لا يَكْسِبُ كاسِبٌ إلّا على نفسه . وإن الله على أَصْدَقِ ما في هذه الصحيفة وأبرّه ، وإنه لا يحولُ هذا الكتابُ دون ظالمٍ أو آثم . وإنه من خرج آمين ، ومن قَعَدَ آمينٌ بالمدينة ، إلّا من ظَلَمَ وأثم ، وإن الله جازٌّ لمن بَرَّ وأتقى ، ومحمد رسول الله ﷺ . »

[المواخاة بين المهاجرين والأنصار]

قال ابن إسحاق : وأخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال ، فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل : « تَأَخَّوْا فِي اللَّهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ » . ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال : « هذا أخي » . فكان رسول الله ﷺ سَيِّدُ المرسلين وإمام

(١) ينحجز: يمتنع.

(٢) أي إن الله وحزبه المؤمنين على الرضا به.

(٣) كان هذا قبل أن تفرض الجزية وحين كان الإسلام ضعيفاً. كان لليهود إذ ذاك نصيب في المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين شرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب.

(٤) لا تجار: أجاره، حماه وأنقذه.

(٥) يلبسونه: يقبّلونه .

(٦) محض: خالص لم تشبه شائبة.

المتقين ، ورسولُ رب العالمين ، الذي ليس له خطيئة^(١) ولا نظيرُ من العباد وعليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - أخوين . وكان حمزةُ بن عبد المطلب أسدُ الله وأسدُ رسوله ﷺ وعمُّ رسولِ الله ﷺ ، وزَيْدُ بن حارثة مولى رسولِ الله ﷺ أخوين ، وإليه أوصى حمزةُ يوم أُحُد حين حضره القتالُ إن حدثَ به حادثُ الموت . وجعفرُ بن أبي طالب ذو الجناحين ، الطيَّار في الجنة ، ومُعَاذُ بن جبل أخو بني سلمة أخوين . وكان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - ابن أبي قُحافة وخارجةُ بن زُهَيْر أخوين . وعُمَرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - وعِثْبَانُ ابن مالك أخوين . وأبو عُبيدةُ بن الجراح وسَعْدُ بن مُعَاذ أخوين . وعبدُ الرحمن بن عَوْف وسَعْدُ بن الرَّبيع أخوين . والزُّبَيْرُ بن العوام وسَلَمَةُ بن سلامة بن وَقَّش أخوين . وعثمانُ بن عفان وأَوْسُ بن ثابت بن المُنذر أخوين . وَطْلَحَةُ بن عُبيد الله وكَعْبُ بن مالك أخوين . وسعيد بن زَيْد بن عمرو بن نُفَيْل وأُبَيُّ بن كَعْب أخوين . ومُصْعَبُ بن عُمَيْر وأبو أيوب خالد ابن زَيْد أخوين . وأبو مُحْدَيْفَةَ بن عُتْبَةَ وَعَبَّادُ بن بِشْر أخوين . وعَمَّارُ بن ياسر ومُحْدَيْفَةُ بن اليمان أخوين . وأبو ذَرٍّ الغفاري والمُنذر بن عمرو أخوين . وكان حاطبُ بن أبي بلتعة وعُثْوَيْمُ ابن ساعدة أخوين . وسَلْمَانُ الفارسي وأبو الدُّرداء أخوين . وبلالُ مولى أبي بكر وأبو رُوَيْحَةَ أخوين . فهؤلاء من سُمِّي لنا ، ممن كان رسولُ الله ﷺ أخى بينهم من أصحابه .

[خبر الأذان]

فلما اطمأنَّ رسولُ الله ﷺ بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين ، واجتمع أمرُ الأنصار ، استحکم أمرُ الإسلام ، فقامت الصلاة ، وفُرِضَت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود ، وفُرِضَ الحلال والحرام ، وتبوا^(٢) الإسلام بين أظهرهم . وكان هذا الحي من الأنصار هم الذين تبوءوا الدارَ والإيمان . وقد كان رسولُ الله ﷺ حين قَدِمَهَا إِنَّمَا يجتمع الناسُ إليه للصلاة لحين موافقتها بغير دَعْوَةٍ ، فَهَمَّ رسولُ الله ﷺ حين قَدِمَهَا أَنْ يجعل بُوقًا كبوقِ يَهُودَ الذي يدعون به لصلاتهم ، ثم كَرِهَهُ . ثم أمرَ بالناقوسِ فَنَحَتْ لِيَضْرِبَ به للمسلمين للصلاة . فبينما هم على ذلك إذ رأى عبدُ الله بن زَيْد بن ثَعْلَبَةَ أخو بَلْحَارِثِ بن الحَزْرَجِ النداء^(٣) ، فأتى رسولُ الله ﷺ فقال له : يا رسولَ الله ، إِنَّهُ طاف بي

(١) خطيئة: مثيل في الشرف والرفعة.

(٢) تبوا المكان: نزله وأقام به.

(٣) النداء: الأذان.

هذه الليلة طائف^(١) : مَرَّ بي رجلٌ عليه ثوبان أخضران ، يحملُ ناقوسًا في يده فقلتُ له : يا عبدَ الله ، أتبيعُ هذا الناقوسَ؟ قال : وما تصنعُ به؟ قلت : ندعو به إلى الصلاة ، قال : «أفلا أدلُّكَ على خَيْرٍ من ذلك؟» قلت : وما هو؟ قال : تقول : «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ . أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله ، أشهدُ أن محمدًا رسولُ الله ، أشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ الله . حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الصلاة . حيَّ على الفلاح ، حيَّ على الفلاح . اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ . لا إلهَ إلا الله .»

فلما أخبر بها رسولُ الله ﷺ قال : «إنها لوؤيا حقٌّ إن شاء الله ، فقمُ مع بلالٍ فألقيها عليه فليؤذِّن بها ، فإنه أنذَى صوتًا منك»^(٢) فلما أذَّن بها بلالٌ سمعها عمرُ بن الخطاب وهو في بيته ، فخرج إلى رسولِ الله ﷺ ، وهو يجر رداءه ، وهو يقول : يا نبيَّ الله ، والذي بعثك بالحق لقد رأيتُ مثلَ الذي رأى . فقال رسولُ الله ﷺ : «فليِّله الحمدُ على ذلك» .

[ذكر من اعتلَّ من أصحاب رسول الله ﷺ]

عن عائشة- رضي الله عنها- قالت : لما قدِم رسولُ الله ﷺ المدينة قدِمها وهي أوبأ أرضِ الله من الحمى ، فأصاب أصحابه منها بلاءٌ وسقمٌ ، فصرفَ الله تعالى ذلك عن نبيِّه ﷺ . فكان أبو بكرٍ ، وعامرُ بنُ فهيرةٍ وبلالُ مؤليا أبي بكرٍ ، مع أبي بكرٍ في بيتٍ واحدٍ ، فأصابتهم الحمى ، فدخلتُ عليهم أعوذهم ، وذلك قبل أن يُضربَ علينا الحجاب . وبهم ما لا يعلمه إلا اللهُ من شدَّةِ الوُعك^(٣) ، فدنوتُ من أبي بكرٍ فقلتُ له : كيف تجدُك يا أبت؟ فقال :

كل امرئٍ مُصَبَّحٍ في أهله والموتُ أذنى من يشارك نعليه^(٤)
فقلتُ : والله ما يدري أبي ما يقول :

ثم دنوتُ إلى عامر بن فهيرة فقلتُ له : كيف تجدُك يا عامر؟ قال :
لقد وحدث الموت قبل ذوقه إنَّ الجبانَ خشفه من فوقه

(١) طائف: حُلُم.

(٢) أي أعلى وأرفع وأبعد مذهبا.

(٣) الوُعك: شدة ألم المرض.

(٤) يشارك النعل: سَيره على ظهر القدم.

كُلُّ امْرِئٍ مُجَاهِدٌ بِطَوِّقِهِ^(١) كَالثُّورِ يَخْمِي جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ^(٢)
 فقلتُ: واللّٰه ما يدري عامرٌ ما يقول! . وكان بلالٌ إذا تركته الحُمَيّ اضطجع بفناء
 البيت ثم رفع عقيرته^(٣) فقال:

أَلَا لَيْتَ شُعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً بِفَخٍّ وَحَوْلِي إِذْ خَرَّ وَجَلِيلُ^(٤)
 وَهَلْ أَرَدَنَ يَوْمًا مِياهَ مَجْنَةِ^(٥) وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ^(٦)
 فَذَكَرْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا سَمِعْتُ مِنْهُمْ فَقُلْتُ: إِنَّهُمْ لَيَهْذُونَ وَمَا يَعْقِلُونَ مِنْ شِدَّةِ
 الْحُمَى. فقال رسولُ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ،
 وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدَّهَا وَصَاعِهَا^(٧)، وَانْقُلْ وَبَاءَهَا إِلَى مَهْيَعَةٍ^(٨)».

[تاريخ الهجرة]

قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، حِينَ اشْتَدَّ الضَّحَاءُ وَكَادَتْ الشَّمْسُ
 تَعْتَدِلُ، لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ ربيعِ الأولِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَلَاثٍ
 وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، فَأَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ شَهْرِ
 ربيعِ الأولِ وَشَهْرَ ربيعِ الآخرِ، وَجُمَادَيْنِ، وَرَجَبًا، وَشَعْبَانَ، وَشَهْرَ رَمَضَانَ، وَشَوَّالًا،
 وَذَا الْقَعْدَةِ، وَذَا الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمِ.

[أول الغزوات]

ثُمَّ خَرَجَ غَارِيًّا فِي صَفَرٍ، عَلَى رَأْسِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ حَتَّى بَلَغَ
 وَدَّانَ، وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ، يَرِيدُ قَرِيشًا وَبَنِي ضَمْرَةَ بْنَ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاهَ بْنِ كِنَانَةَ، فَوَادَعَتْهُ
 فِيهَا بَنُو ضَمْرَةَ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلْقَ كَثِيرًا. فَأَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ صَفَرٍ
 وَصَدْرًا مِنْ شَهْرِ ربيعِ الأولِ.

(١) الطوق: الطاقة. (٢) الروق: القرن. (٣) أي رفع صوته.

(٤) فخ: موضع خارج مكة. الإذخر: نبت طيب الرائحة. والجليل: الشام.

(٥) مجنة: اسم سوق للعرب في الجاهلية كانت بأسفل مكة على قدر يريد منها. وشامة وطفيل: جبلان بمكة.

(٦) أي ما يكال بالمد والصاع. المد يعادل لثرا ونصف. والصاع: أربعة أمداد عند الحجازيين.

(٧) مهية: هي الجحفة، وهي ميقات أهل الشام.

[سريّة عُبيدة بن الحارث ، وهي أول راية عقدتها- عليه الصلاة والسلام-]

وبعث رسول الله ﷺ ، في مقامه ذلك بالمدينة ، عُبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قُصَيٍّ ، في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصارِ أحدٌ ، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل ثِيَّةِ المَرَّةِ^(١) ، فَلَقِيَ بها جَمْعاً عظيماً من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إِلَّا أَنَّ سَعْدَ بن أبي وقاص قد رُمِيَ يومئذٍ بسهم ، فكان أولَ سهم رُمِيَ به في الإسلام . ثم انصرف القَوْمُ ، وللمسلمين حامية .

[سرية حمزة إلى سيف البحر]

وبعث في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر^(٢) من ناحية العيص ، في ثلاثين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصارِ أحدٌ ، فَلَقِيَ أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلثمائة راكبٍ من أهل مكة ، فحجز بينهم مَجْدِيٌّ بن عمرو الجُهَنِيّ ، وكان موادعاً للفريقين ، فانصرف بعضُ القومِ عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال .

[غزوة بواط]

ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول يريدُ قريشاً^(٣) ، حتى بلغ بواط^(٤) ، من ناحية رَضْوَى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلَقَ كَيْدًا ، فَلَيْتَ بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأول .

[غزوة الغشيرة]

ثم غزا قُرَيْشًا^(٥) ، فسلك على نَقَبِ بني دينار ، ثم على فَيْفَاءِ الْخَبَارِ ، فنزل تحت شجرة يَبْطَحَاءِ ابنِ أَزْهَر ، يقال لها ذات الشاق ، فَصَلَّى عندها ، فَتَمَّ مسجده ﷺ ، وَصْنَعَ له عندها طعاماً فأكل منه وأكل الناسُ معه ، فَمَوْضِعُ أَثَافِيِ الْبُرْمَةِ^(٦) معلومٌ هنالك ، واستثقي له من ماءٍ به يقال : له : الْمُشْتَرَب ، ثم ارتحل رسول الله ﷺ فترك الخلائقَ^(٧) بيسار ،

(١) ضبطه في معجم ما استعجم ١٢٠٩ بقوله: « تخفيف مرأة ».

(٢) السيف، بالكسر: الشاطئ. (٣) واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون.

(٤) جبل من جبال جهينة، بقرب ينبع. (٥) واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد.

(٦) أثافي البرمة: الأثافي: أحجار ثلاثة كانت توضع عليها القدر لطهي الطعام، والبرمة: القدر من الحجارة.

(٧) أرض بالمدينة لعبد الله بن أبي أحمد بن جحش.

وسلك شُعْبَةُ يقال لها شُعْبَةُ عبد الله ، ثم صَبَّ لليسارِ حتى هبط يَلِيل ، فنزل بمُجْتَمَعِهِ ومَجْتَمَعِ الصُّبُوعَةِ ، واستقى من بئرِ الصُّبُوعَةِ . ثم سلك الفُوشَ : فَوَشَّ مَلَكٌ ، حتى لَقِيَ الطريقَ بِصُخَيْرَاتِ اليمامِ ، ثم اعْتَدَلَ به الطريقُ حَتَّى نَزَلَ العُشَيْرَةَ من بَطْنِ يَنْبُوعٍ ، فَأَقَامَ بها جُمَادَى الأولى وليالي من جُمَادَى الآخرة ، ووَادَعَ فيها بني مُذَلِّجٍ وحلفاءهم من بني ضَمْرَةَ ، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْقَ كَيْدًا .

[سرية سعد بن أبي وقاص]

وقد كان بَعَثَ رسولُ الله ﷺ فيما بين ذلك من غَزْوَةِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، في ثمانية رَهْطٍ من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخَزَّازَ من أرضِ الحجاز ، ثم رَجَعَ ولم يَلْقَ كَيْدًا .

[غزوة سفوان ، وهي غزوة بدر الأولى]

ولم يُقَمِّ رسولُ الله ﷺ بالمدينة حين قَدِمَ من غزوة العُشَيْرَةِ إلا ليالي قلائل لا تَبْلُغُ العَشْرَ ، حتى أغار كُزُّ بْنُ جَابِرٍ الْفَهْرِيُّ على سَرْحِ المدينة^(١) فخرج رسولُ الله ﷺ في طلبِهِ^(٢) حتى بلغ وادِيًا يقال له سفوان من ناحية بدر ، وفاتَهُ كُزُّ بْنُ جَابِرٍ فلم يُذِرْكَه ، وهي غزوة بَدْرِ الأولى . ثم رجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة فَأَقَامَ بها بقية جُمَادَى الآخرة ورَجَبَ وشعبان .

[سرية عبد الله بن جحش]

وبعث رسولُ الله ﷺ عبدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ ، في رَجَبٍ ، مَقْفَلَهُ من بَدْرِ^(٣) الأولى ، وبعث ثمانية رَهْطٍ من المهاجرين ليس فيهم من الأنصارِ أحد ، وكتب له كتابًا ، وأمره ألا يُنْظَرُ فيه حتى يسيرَ يومين ثم ينظرَ فيه ، فيمضي لما أَمَرَهُ به ولا يستكره من أصحابِهِ أحدًا . فلما سار عبدُ اللَّهِ بن جحش يومين فتح الكتابَ فنظرَ فيه ، فإذا فيه : إذا نظرتَ في كتابي هذا فامضِ حتى تنزل « نَحْلَةَ » بين مكة والطائف ، فترصدْ بها قريشًا وتعلمْ لنا من أخبارهم . فلما نظر عبدُ اللَّهِ بن جحش في الكتاب قال : سمعًا وطاعة . ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسولُ الله ﷺ أن أمضي إلى نَحْلَةَ ، أرصدْ بها قريشًا حتى آتِيَهُ منهم

(١) السرح: الإبل والمواشي تسرح للرعي بالغداة. (٢) واستعمل على المدينة زيد بن حارثة.

(٣) مقفله من بدر: رجوعه منها.

بَخَرٍ ، وقد نهاني أن أَسْتَكْرِهَ أَحَدًا مِنْكُمْ . فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الشَّهَادَةَ وَيَرْغُبُ فِيهَا فَلْيَنْطَلِقْ ، وَمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ فَلْيَرْجِعْ ، فَأَمَّا أَنَا فَمَاضٍ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَمَضَى وَمَضَى مَعَهُ أَصْحَابُهُ ، لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

وسلك على الحجاز حتى إذا كان بِمَعْدَنَ فَوْقَ الْفُرْعِ^(١) يُقَالُ لَهُ : بَحْرَان ، أَضَلَّ سَعْدُ ابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بَعِيرًا لهُمَا كَانَ يَغْتَقِيَانِهِ ، فَتَخَلَّفَا عَلَيْهِ فِي طَلَبِهِ ، وَمَضَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَبَقِيَّةُ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ بِنَخْلَةٍ ، فَمَرَّتْ بِهِ عَيْرٌ لَقْرِيشَ تَحْمِلُ زَيْبًا وَأَدَمًا^(٢) ، وَتِجَارَةً مِنْ تِجَارَةِ قَرِيشَ ، فِيهَا عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ وَعُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَأَخُوهُ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَخْزُومِيَّانِ ، وَالْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، فَلَمَّا رَأَاهُم الْقَوْمُ هَابُوهُمْ وَقَدْ نَزَلُوا قَرِيبًا مِنْهُمْ ، فَأَشْرَفَ لَهُمْ عُكَّاشَةُ بْنُ مِخْصَنَ ، وَكَانَ قَدْ حَلَقَ رَأْسَهُ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ آمَنُوا وَقَالُوا : عُثَاظٌ لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ . وَتَشَاوَرَ الْقَوْمُ فِيهِمْ ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : وَاللَّهِ لَئِنْ تَرَكْتُمُ الْقَوْمَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَيَدْخُلَنَّ الْحَرَمَ فَلَيَقْتَتِلَنَّ مِنْكُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ لَتَقْتُلُنَّهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ! فَتَرَدَّدَ الْقَوْمُ وَهَابُوا الْإِقْدَامَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ شَجَّعُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَأَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِ مَنْ قَدَّرُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ وَأَخَذُوا مَا مَعَهُمْ . فَرَمَى وَقْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيَّ عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ، وَاسْتَأْسَرَ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ ، وَأَفْلَتَ الْقَوْمُ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَأَعْجَزَهُمْ ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَأَصْحَابُهُ بِالْعَيْرِ وَالْأَسِيرَيْنِ ، حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ .

فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ قَالَ : « مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ » . فَوَقَّفَ الْعَيْرَ وَالْأَسِيرَيْنِ ، وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَقِطَ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ هَلَكُوا ، وَعَتَّقَهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا صَنَعُوا . وَقَالَتْ قَرِيشٌ : قَدْ اسْتَحَلَّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ الشَّهْرَ الْحَرَامَ ! وَسَفَكُوا فِيهِ الدَّمَ وَأَخَذُوا فِيهِ الْأَمْوَالَ ، وَأَسْرَوْا فِيهِ الرِّجَالَ ! فَقَالَ مَنْ يَزُودُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَتَى كَانَ بِمَكَّةَ : إِنَّمَا أَصَابُوا مَا أَصَابُوا فِي شُعْبَانَ .

(١) بِمَعْدَنَ فَوْقَ الْفُرْعِ : مَكَانٌ يَثْبِتُ فِيهِ النَّاسُ . وَالْفُرْعُ (بِسُكُونِ الرَّاءِ) : مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَهُوَ أَيْضًا مَاءٌ بَعِينُهُ .
(٢) الْأَدَمُ : الْجِلْدُ .

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَتَالِ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ، أي : إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم : ﴿ وَأَلْفِتْنَهُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ أي : قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبر عند الله من القتل : ﴿ وَلَا يَرَالُونَ يُقْبِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا ﴾ ، أي : ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه ، غير تائبين ولا نازعين^(١) . فلما نزل القرآن بهذا من الأمر ، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق^(٢) ، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين ، وبعث إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله ﷺ : « لا نفديكموهما حتى تقدم صاحبانا » - يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - فإننا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما نقتل صاحبكم ! فقدم سعد وعتبة ، فأفادهما رسول الله ﷺ منهم . فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بدر مؤونة شهيدا . وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافرا .

[صرف القبلة إلى الكعبة]

ويقال : ضربت القبلة في شعبان ، على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدم رسول الله ﷺ المدينة .



(١) نازعين: نزعوا عن الأمر، كفوا وانتهوا.

(٢) الشفق: الخوف والحذر.

الفصل التاسع

غزوة بدر

[غزوة بدر الكبرى]

ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حذافٍ مُقْبِلًا من الشام في غير لقريش عزيمة، فيها أموال لقريش، وتجارة من تجاراتهم، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون، منهم مخزومة بن نوفل، وعمر بن العاص. فندب المسلمين إليهم وقال: هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكمهما، فانتدب الناس، فحفف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي حرباً. وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان، تخوفاً على أمر الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان: أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك! فحذِر عند ذلك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم ابن عمرو سريعاً إلى مكة.

وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب، قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعته، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتنني، وتخوفت أن يدخل علي قومك منها شر ومصيبة فأكثمت عني ما أحدثك به. فقال لها: وما رأيت؟ قال: رأيت راكباً أقبل علي بعير له، حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا لغدر^(١) لمصارعكم في ثلاث! فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به^(٢) بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث! ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس، فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت^(٣) فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة! قال

(١) يالغدر: غدر جمع غادر.

(٢) مثل به: قام.

(٣) ارفضت: تفرقت وتفتت.

العَبَّاسُ : والله إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا! وَأَنْتِ فَاتُكُمِيهَا وَلَا تَذْكُرِيهَا لِأَحَدٍ . ثُمَّ خَرَجَ الْعَبَّاسُ فَلَقِيَ الْوَلِيدَ بْنَ عُثْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا ، فَذَكَرَهَا لَهُ وَاسْتَكْتَمَهَا إِيَّاهَا ، فَذَكَرَهَا الْوَلِيدُ لِأَبِيهِ عُثْبَةَ ، فَفَشَا الْحَدِيثُ بِمَكَّةَ حَتَّى تَحْدُثُ بِهِ قَرِيشٌ فِي أُنْدِيَّتِهَا .

قال الْعَبَّاسُ : فَعَدَوْتُ لِأَطُوفَ بِالْبَيْتِ ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ فِي رَهْطٍ مِنْ قَرِيشٍ قُعودٌ يَتَحَدَّثُونَ بِرُؤْيَا عَاتِكَةَ ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو جَهْلٍ قَالَ : يَا أَبَا الْفَضْلِ ، إِذَا فَرَعْتَ مِنْ طَوَافِكَ فَأَقْبِلْ إِلَيْنَا . فَلَمَّا فَرَعْتُ أَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَهُمْ فَقَالَ لِي أَبُو جَهْلٍ : يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، مَتَى حَدَّثْتُ فِيكُمْ هَذِهِ النَّبِيَّةَ؟ قُلْتُ : وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ : تِلْكَ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَتْ عَاتِكَةُ . فَقُلْتُ : وَمَا رَأَتْ؟ قَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَمَا رَضِيتُمْ أَنْ يَتَنَبَّأَ رَجَالُكُمْ حَتَّى تَتَنَبَّأَ نِسَاؤُكُمْ! قَدْ زَعَمَتْ عَاتِكَةُ فِي رُؤْيَاهَا أَنَّهُ قَالَ: انْفِرُوا فِي ثَلَاثٍ . فَسَتَرَبِضُ بِكُمْ هَذِهِ الثَّلَاثُ ، فَإِنْ يَلُكُ حَقًّا مَا تَقُولُ فَسَيَكُونُ ، وَإِنْ تَمِضُ الثَّلَاثُ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ نَكُتُ عَلَيْكُمْ كِتَابًا أَنْكُمْ أَكْذَبُ أَهْلِ بَيْتٍ فِي الْعَرَبِ .

قال الْعَبَّاسُ : فَوَاللَّهِ مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْهِ كَبِيرٌ ، إِلَّا أَنِّي جَحَدْتُ ذَلِكَ! وَأَنْكَرْتُ أَنْ تَكُونَ رَأَتْ شَيْئًا . ثُمَّ تَفَرَّقْنَا ، فَلَمَّا أُمْسَيْتُ لَمْ يَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَّا أَتَتْنِي فَقَالَتْ : أَقَرَرْتُمْ لِهَذَا الْفَاسِقِ الْخَبِيثِ أَنْ يَقَعَ فِي رَجَالِكُمْ ، ثُمَّ قَدْ تَنَاوَلَ النِّسَاءُ وَأَنْتِ تَسْمَعُ ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ غَيْرُ^(١) لَشَيْءٍ مِمَّا سَمِعْتَ! قُلْتُ : قَدْ وَاللَّهِ فَعَلْتُ ، مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْهِ مِنْ كَبِيرٍ ، وَابْتَغِ اللَّهَ لَأَتَعَرَّضَنَّ لَهُ ، فَإِنْ عَادَ لَأُكْفِيَنَّكَهُ .

فَعَدَوْتُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ مِنْ رُؤْيَا عَاتِكَةَ وَأَنَا حَدِيدٌ^(٢) مُغْضَبٌ : أَرَى أَنِّي قَدْ فَاتَنِي مِنْهُ أَمْرٌ أَجِبُ أَنْ أَدْرِكَهُ مِنْهُ . فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَرَأَيْتُهُ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَمْشِي نَحْوَهُ أَتَعَرَّضُهُ لِيَعُودَ لِبَعْضِ مَا قَالَ فَأَقَعَ بِهِ - وَكَانَ رَجُلًا خَفِيفًا ، حَدِيدَ الْوَجْهِ ، حَدِيدَ اللَّسَانِ ، حَدِيدَ النَّظَرِ - إِذْ خَرَجَ نَحْوَ بَابِ الْمَسْجِدِ يَشْتَدُّ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا لَهُ لَعْنَةُ اللَّهِ ، أَكُلُّ هَذَا فَرَقٌ مِنِّي أَنْ أَشَاتِمَهُ! وَإِذَا هُوَ قَدْ سَمِعَ مَا لَمْ أَسْمَعْ : صَوْتُ ضَمَضَمِ بْنِ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ وَهُوَ يَصْرُخُ بِيَطْنِ الْوَادِي وَاقِفًا عَلَى بَعِيرِهِ ، قَدْ جَدَّعَ بَعِيرَهُ^(٣) وَخَوَّلَ رَحْلَهُ^(٤) وَشَقَّ قَمِيصَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ ، اللَّطِيمَةُ^(٥)! أَمْوَالُكُمْ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمَّدٌ

(١) الغير: الغيرة. (٢) حديد: مغضب. (٣) جدعه: قطع أنفه.

(٤) خَوَّلَ رَحْلَهُ: حمّله على ظهره، ورحله: متاعه وما بعد الرحيل.

(٥) اللطيمة: العير تحمل المسك والبز وغيرهما للتجارة.

في أصحابه ، لا أرى أن تُدْرِكوها! العَوْتُ العَوْتُ! فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر .

[تجهيز قريش للخروج]

فتجهز الناس سراً وقالوا : أَيْظُنُّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَنْ تَكُونَ كَعِيرِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ^(١) . كلا والله لَيُعْلَمَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ ! فكانوا بين رجلين : إما خارج وإما باعِثَ مكانه رجلاً . وأوعِبت^(٢) قريش ، فلم يَتَخَلَّفْ مِنْ أَشْرَافِهَا أَحَدٌ ، إِلَّا أَنَّ أَبَا لَهَبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَخَلَّفَ ، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكان قد لاط له^(٣) بأربعة آلاف دِرْهَمٍ كانت له عليه ، أَفْلَسَ بها ، فاستأجره بها على أن يُجْزِي عنه .

وإن أُمِيَّةَ بْنَ خَلْفٍ كَانَ أَجْمَعَ الْقُعُودَ ، وَكَانَ شَيْخًا جَلِيلًا جَسِيمًا ثَقِيلًا ، فَأَتَاهُ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمِهِ ، بِمَجْمَرَةٍ يَحْمِلُهَا فِيهَا نَارٌ وَمِجْمَرٌ^(٤) حَتَّى وَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ، اسْتَجِمِرْ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنَ النِّسَاءِ . قَالَ : قَبَّحَكَ اللَّهُ وَقَبَّحَ مَا جِئْتَ بِهِ ! ثُمَّ تَجَهَّزَ فَخَرَجَ مَعَ النَّاسِ . وَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ جِهَازِهِمْ وَأَجْمَعُوا الْمَسِيرَ ، ذَكَرُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ مِنَ الْحَرْبِ ، فَقَالُوا : إِنَّا نَخْشَى أَنْ يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا . فَكَادَ ذَلِكَ يَنْتَهِمُ ، فَتَبَدَّى لَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَرَّاقَةٍ بَنِي مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ الْمُدَلْجِي ، وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي كِنَانَةَ فَقَالَ لَهُمْ : أَنَا جَائِلٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كِنَانَةُ مِنْ خَلْفِكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ . فَخَرَجُوا سِرَاعًا .

[خروج الرسول ﷺ]

وخرج رسولُ الله ﷺ في ليالٍ مضت من شهر رمضان ، في أصحابه ، واستعمل عُمَرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ عَلَى الصَّلَاةِ بِالنَّاسِ ، ثُمَّ رَدَّ أَبَا لُبَابَةَ مِنَ الرُّوحَاءِ وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَدَفَعَ اللِّوَاءَ إِلَى مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، وَكَانَ أَبْيَضَ . وَكَانَ أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَايَتَانِ سَوْدَاوَانِ ، إِحْدَاهُمَا مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، يُقَالُ لَهَا الْعُقَابُ ، وَالْأُخْرَى مَعَ بَعْضِ الْأَنْصَارِ .

(١) هو عمرو بن الحضرمي الذي قتل في سرية عبد الله بن جحش. انظر ما سبق: سرية عبد الله بن جحش.

(٢) أوعبت: خرجت كلها للغزو.

(٣) لاط: احتبس وامتسك.

(٤) المجرم: العود يتبخر به.

وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعين بعيرا فاعتقبوها^(١)، فكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب، ومزئذ بن أبي مزئذ العنوي يعتقبون بعيرا. وكان حمزة بن عبد المطلب وزئذ بن حارثة وأبو كبشة وأنسة مولاتا رسول الله ﷺ يعتقبون بعيرا. وكان أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرا.

فسللك طريقه من المدينة إلى مكة على نَقَب^(٢) المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الحليفة، ثم على أولات الجيش. ثم مرَّ على ثوبان ثم على ملل ثم غميس الحمام من مَرَيْن. ثم على صُخَّيرات اليمام، ثم على السَّيَّالة، ثم على فَجِّ الرُّوحاء ثم على شَنُوكَة. حتَّى إذا كان بعوق الطَّيِّبَةِ لَقُوا رجلاً من الأعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً، فقال له الناس: سلَّم على رسول الله ﷺ. قال: أوفيكُم رسول الله؟ قالوا: نعم. فسَلَّم عليه. ثم قال: إن كنت رسول الله فأخبرني عَمَّا في بطن ناقتي هذه. قال له سَلَمَة بن سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل عليَّ فأنا أخبرك عن ذلك، نزوت عليها، ففي بطنها منك سَخْلَة^(٣)؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَهْ، أَفَحَشْتُ عَلَى الرجل!». ثم أَغْرَضَ عن سَلَمَة.

ونزل رسول الله ﷺ سَجَسَج، وهو بئر الرُّوحاء، ثم ارتحل منها، حتَّى إذا كان بالْمُنْصَرَفِ^(٤) ترك طريق مكة يسار، وسللك ذات اليمين على التَّازِيَةِ يريد بَدْرًا، فسللك في ناحية منها حتَّى جَزَعَ^(٥) وادياً يُقال له رُخْقَان، بين التَّازِيَةِ وبين مُضِيقِ الصَّفْرَاء. ثم على المضيق، ثم انْصَبَّ^(٦) منه، حتَّى إذا كان قريباً من الصَّفْرَاء بعث بَشْبَسَ بن عمرو الجُهَنِيِّ وعَدِيَّ بن أبي الرُّغْبَاء الجُهَنِيِّ إلى بَدْرِ يتَحَسَّسان له الأخبار عن أبي سُفْيَان بن حرب وغيره.

[استشارة الأنصار]

ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدَّمَهُمَا. وأتاه الحَبْرُ عن قريش بمسيرهم ليمنعوا

(١) فاعتقبوها: تناوبوها. (٢) نقب المدينة: الطريق بين جبلين.

(٣) السخلة: الصغيرة من الضأن، استعارها لولد الناقة.

(٤) بالمنصرف: مكان الانصراف. (٥) جزع وادياً: قطعه عرضاً.

(٦) انصب منه: انحدر منه.

عَمَرَهُمْ ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق ، فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : « اذهب أنت وزبك فقاتلنا إنا هاهنا قاعدون » ، ولكن اذهب أنت وزبك فقاتلنا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد^(١) ، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ! فقال له رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له به .

ثم قال رسول الله ﷺ : « أشيروا علي أيها الناس » . وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عدد الناس^(٢) ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله إنا برآء من ذمامك^(٣) حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا ، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ : والله لكأنتك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : « أجل » . قال : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك غهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة . فامض يا رسول الله لما أريدت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت^(٤) بنا هذا البحر فخضته لخضناه ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسير بنا على بركة الله !

فشر رسول الله ﷺ بقول سعد . ونشطه^(٥) ذلك ، ثم قال : « سيروا وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين^(٦) » ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم ! .

(١) برك الغماد : موضع باليمن . (٢) عدد الناس : أي أكثر الناس .

(٣) ذمامك : الذمام ، العهد والأمان والكفالة . (٤) استعرضت البحر : استقبلته .

(٥) نشطه ذلك : جعله ينشط ، طابت نفسه له .

(٦) الطائفة الأولى : طائفة عير قريش ذات التجارة العظيمة ، وفيها أبو سفيان وأبو عمرو بن العاص ، والأخرى : الطائفة التي استنفرها أبو جهل ، وكانوا ذوي شوكة وعدد .

[التعرف على أخبار قريش]

ثم نزل رسول الله ﷺ قريشاً من بَدْر، فركب هو ورجلٌ من أصحابه^(١) حتى وقف على شيخ من العرب^(٢) فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك». قال: أذاك بذاك؟ قال: «نعم». قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ. وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي فيه قريش. فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء!» ثم انصرف عنه. يقول الشيخ: ما من ماء؟ أم من ماء العراق؟

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه، إلى ماء بَدْر يلتمسون الخبر له عليه، فأصابوا رواية^(٣) لقريش فيها أسلم، غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار، غلام بني العاص بن سعيد. فأتوا بهما فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي. فقالا: نحن سقاء قريش بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما ورجحوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما، فلما أذلّوهما^(٤) قالوا: نحن لأبي سفيان. فتركوهما، وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدة، ثم سَلَّم وقال: «إذا صدقاكم ضربتُموهما، وإذا كذباكم تركتُموهما؟» صدقًا والله إنهما لقريش! أخبراني عن قريش؟ قالوا: هم والله وراء هذا الكتيب الذي ترى بالغدوة القُصوى. فقال لهما رسول الله ﷺ: كم القوم؟ قالوا: كثير. قال: كم يَنَحِرُونَ^(٥) كل يوم؟ قالوا: يومًا تسعًا ويومًا عشرًا. فقال رسول الله ﷺ: القوم فيما بين التسعمائة والألف. ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟ قالوا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن حوئل،

(١) هو أبو بكر الصديق. (٢) هو سفيان الثوري.

(٣) الرواية: البعير يستقي عليه الماء. والمراد بها السقاء.

(٤) أذلّوهما: بالغوا في ضربهما حتى أجهدوهما. (٥) كم ينحرون: من الإبل ل طعامهم.

والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدي بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأميمة بن خلف ، ونبية ونبية ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ود . فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كيديها^(١) !

وكان بنسب بن عمرو ، وعدي بن أبي الزغباء ، قد مضيا حتى نزلا بدرا ، فأناخا^(٢) إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذوا شئا^(٣) لهما يستقيان فيه . ومجدي بن عمرو الجهني على الماء ، فسمع عدي وبنسب جاريتين من جوازي الحاضر^(٤) وهما يتلازمان^(٥) على الماء ، والملزومة^(٦) تقول لصاحبتها : إنما تأتي العير غدا أو بعد غد ، فأعمل لهم ، ثم أقضيك الذي لك . قال مجدي : صدقت . ثم خلص بينهما . وسمع ذلك عدي وبنسب فجلسا على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ : فأخبراه بما سمعا .

وأقبل أبو سفيان بن حرب حتى تقدم العير خيلا حتى ورد الماء ، فقال لمجدي بن عمرو : هل أحسست أحدا؟ قال : ما رأيت أحدا أنكره . إلا أنني قد رأيت راكبتين قد أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا في شئ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناهما^(٧) فأخذ من أبعار^(٨) بعيريهما ففقه فإذا فيه التوى . فقال : هذه والله علائف^(٩) يثرب . فرجع إلى أصحابه سريعا فضرب وجهه عيره عن الطريق فساخل^(١٠) بها ، وترك بدرا بيسار ، وانطلق حتى أسرع .

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز^(١١) عيره أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله فارجعوا . فقال أبو جهل ابن هشام : والله لا نؤجج حتى نرد بدرا - وكان بدرا مؤسما من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سوق كل عام - فنقيم عليه ثلاثا ، فننحر الجزر ونطعم الطعام ، ونشقى الخمر وتعزف علينا

(١) أفلاذ : جمع فلذة ، وهي القطعة .

(٢) فأناخا : أقاما .

(٣) الشئ : الرق البالي .

(٤) الحاضر : القوم النزول على الماء .

(٥) التلازم : أن يتعلق الغريم بغريمه .

(٦) الملزومة : المدينة ، التي عليها الدين .

(٧) مناهما : مبرك الإبل ، ومحل الإقامة .

(٨) أبعار : جمع بعر ، رجيع الإبل .

(٩) علائف : جمع عليف ، ما يُغلف للثمن من الدواب .

(١٠) فساخل بها : أتى الساحل ، أو سار عليه .

(١١) أحرز عيره : حازه .

القيان^(١)، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها، فامضوا. ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي، وبعث الله السماء وكان الوادي دهباً^(٢)، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لئد لهم الأرض ولم يمنعهم عن السير، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على أن يتحلوا معه. فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أذننى ماء من بدر نزل به.

[مشورة الحباب]

قال الحباب بن المنذر: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أذننى ماء من القوم فنزله، ثم تغور^(٣) ما وراءه من القلب^(٤)، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءً، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي. فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أذننى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت، وبنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه، فملئ ماءً، ثم قدفوا فيه الآنية.

قال سعد بن معاذ: يا نبي الله، ألا نبني لك غريشاً^(٥) تكون فيه، ونعبد عندك ركائبك^(٦)، ثم تلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا. وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلجفت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنحك الله بهم، يئاصحونك ويجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله ﷺ عريش فكان فيه.

وقد ارتحلت قريش حين أصبحت، فأقبلت، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوب^(٧)

- | | |
|-------------------------------|---|
| (١) القيان: الجواري المغنيات. | (٢) الدهس: اللين لم يبلغ أن يكون رملاً. |
| (٣) التغوير: الدفن والطمس. | (٤) القلب: جمع قلب، البئر. |
| (٥) غريشاً: ما يستظل به. | (٦) ركائبك: المركوب من الدواب، جمع ركوبة. |
| (٧) تصوب: أي تنحدر. | |

من العَقَتَل - وهو الكَثِيبُ الذي جَاءُوا منه إلى الوادي - قَالَ : اللَّهُمَّ هذه قريشٌ قد أَقْبَلَتْ بِخِيَلَاهَا^(١) وَفَخَرَهَا ، تُحَادِّثُ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ . اللَّهُمَّ فَتَضَرَّكَ الذي وَعَدْتَنِي ، اللهم أَحْنَهُمُ الْعَدَاةَ^(٢) !

فلما نزل الناسُ أَقبل نفرٌ من قريشٍ حتَّى وردوا حَوْضَ رسولِ الله ﷺ . فيهم حَكِيم ابن حزام ، فقال رسولُ الله ﷺ : « دَعُوهُمْ » . فما شَرِبَ منه رجلٌ يومئذٍ إِلَّا قُتِلَ ، إِلَّا ما كان من حَكِيم بن حزام ، فإنه لم يُقْتَلْ ، ثم أَسْلَمَ بعد ذلك فَحَسُنَ إِسلامُهُ ، فكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نَجَّاني من يوم بَدْر !

[تشاور قريش]

ولما اطمأنَّ القومُ بعثوا عُمَيْرَ بن وَهَبِ الْجُمَحِيِّ فقالوا : اخْزُرْ^(٣) لنا أصحابَ محمد . فاستجَالَ^(٤) بفرسه حولَ العَشْكِيرِ ثم رجع إليهم فقال : ثلثمائةُ رجلٍ ، يزيدون قليلاً أو يُنْقَضُونَ ، ولكن أمهلوني حتَّى أنظرَ أَلَلِقَوْمِ كَمِينٍ أو مَدَدٍ؟ فضرب في الوادي حتَّى أَبْعَدَ ، فلم يَرَ شيئاً ، فرجع إليهم فقال : ما وجدتُ شيئاً ، ولكني قد رأيتُ ، يا معشرَ قريش ، البَلايا^(٥) تَحْمِلُ المَنَاقِبَ ، نَوَاضِحُ يَثْرِبَ تَحْمِلُ المَوْتَ النَاقِعَ^(٦) ، قومٌ ليس معهم مَنَعَةٌ ولا ملجأٌ إِلَّا سُيُوفُهُمْ ، والله ما أرى أن يُقْتَلَ رجلٌ منهم حتَّى يُقْتَلَ رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادَهُم فما خَيْرُ العَيْشِ بعد ذلك ! فَزَوْا رَأْيَكُمْ .

فلما سمع حَكِيم بن حِزَام ذلك مشي في الناس ، فَأَتَى عُثْبَةَ بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد ، إنك كبيرُ قريشٍ وسيدُها ، والمطاعُ فيها ، هل لك إلى أَلَّا تَزَالَ تُذَكِّرُ فيها بخيرٍ إلى آخرِ الدهر ، قال : وما ذاك يا حَكِيم؟ قال : تَوَجَّعُ بالناسِ وتحملُ أمرَ حليفك عَمْرُو بن الحَضْرَمِيِّ^(٧) قال : قد فعلتُ ، أنتَ عَلَيَّ بذلك ، إِنَّمَا هو حليفي ، فَعَلَيْ عَقْلِهِ^(٨) وما

(١) الخيلاء : الكبير والمعجب . (٢) أحْنَهُم : أهلَكهم . حان : هلك .

(٣) اخْزُر : أي قدر بالحدس والظن . (٤) فاستجَالَ بفرسه : ساقه وذهب به .

(٥) البَلايا : جمع بلية ، وهي الناقة أو الدابة التي تربط إلى قبر الميت فلا تelf ، ولا تسقى حتَّى تموت .

(٦) النواضِح : الإبل يستقي عليها . الناقِع : الثابت ، البالغ في الإفناء .

(٧) انظر ما مضى في سرية عبد الله بن جحش .

(٨) العَقْل : الدية .

أُصِيبَ مِنْ مَالِهِ ، فَأَتَى ابْنَ الْحَنْظَلِيَّةِ^(١) . فَأَنِي لَا أَخْشَى أَنْ يَشْجُرَ أَمْرَ النَّاسِ^(٢) غَيْرُهُ . ثُمَّ قَامَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ خَطِيئًا فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا تَصْنَعُونَ بِأَنْ تَلْقُوا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ شَيْئًا ، وَاللَّهِ لَنْ أَصْبِتُمْوه لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ رَجُلٍ يَكْرَهُ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، قَتَلَ ابْنَ عَمِّهِ أَوْ ابْنَ خَالِهِ أَوْ رَجُلًا مِنْ عَشِيرَتِهِ ، فَارْجِعُوا وَخَلُّوا بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ وَسَائِرِ الْعَرَبِ : فَإِنْ أَصَابُوهُ فَذَلِكَ الَّذِي أَرَدْتُمْ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ أَلْفَاكُم^(٣) وَلَمْ تَعَرَّضُوا^(٤) مِنْهُ مَا تَرِيدُونَ .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثَلَ^(٥) دِرْعًا لَهُ مِنْ جِرَابِهَا فَهُوَ يَهَيْئُهَا^(٦) ، فقلت له : يَا أبا الحكم ، إِنْ عُتْبَةُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ بِكَذَا وَكَذَا ، لِلَّذِي قَالَ . فَقَالَ : انْتَفِخَ وَاللَّهِ سَخْرُهُ^(٧) حِينَ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ . كَلَّا وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ، وَمَا بَعْتُهُ مَا قَالَ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَأَى أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ أَكَلَةَ جَزُورٍ^(٨) وَفِيهِمْ ابْنُهُ ، فَقَدْ تَخَوَّفَكُمْ عَلَيْهِ . ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عَامِرِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ فَقَالَ : هَذَا حَلِيفُكَ يَرِيدُ أَنْ يَزْجَعَ بِالنَّاسِ ، وَقَدْ رَأَيْتَ تَأْرَكَ بَعِينِكَ ، فَقُمْ فَأَنْشُدْ حُفْرَتَكَ^(٩) وَمَقْتَلَ أَخِيكَ . فَقَامَ عَامِرُ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ فَاكْتَشَفَ ثُمَّ صَرَخَ : وَاعْمُرَاهُ وَاعْمُرَاهُ^(١٠) ! فَحَمِيَّتِ الْحَرْبِ ، وَحَقِيبَ أَفْرُ النَّاسِ^(١١) ، وَاسْتَوْسَقُوا^(١٢) عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ ، وَأَقْسَدَ عَلَى النَّاسِ الرَّأْيُ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ عُتْبَةُ .

[بدء القتال]

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي - وكان رجلًا شرسًا سيئ الخلق -

(١) هو أبو جهل بن هشام . أمه من حنظلة بن مالك .

(٢) أي يخالف بينهم . (٣) أَلْفَاكُم : وجدكم .

(٤) لم تعرضوا منه : لم يكن لكم عرضة وهدفًا . (٥) نثَلَ : أخرج .

(٦) يهينها : يطلبها بعكر الزيت . ويروي : يهينها .

(٧) السحر : الرثة . وهذا كناية عن الجبن .

(٨) أي قليلو العدد : وأكلة الجزور نحو المائة .

(٩) أي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك ، أي عهدهم ، فقد كان جازًا لهم وحليفًا .

(١٠) يندب أخاه عمرو بن الحضرمي . (١١) حَقِيب : اشتد .

(١٢) استوسقوا : اجتمعوا .

فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمته أو لأموتنّ دونه ! فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فأطعن قدمه ^(١) بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب ^(٢) رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى افتحّم فيه ، يريد أن يبرّ يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض . ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة ، بين أخيه شيبه وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة . وهم : عوف ومعوذ ابنا الحارث ، ورجل آخر يقال هو عبد الله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رهط من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم من حاجة . ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفأنا من قَوْمنا . فقال رسول الله ﷺ : قُم يا عبيدة بن الحارث ، وقُم يا حمزة ، وقُم يا علي . فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال علي : علي . قالوا : نعم ، أكفأنا كرام . فبارز عبيدة - وكان أسن القوم ^(٣) - عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة . فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ^(٤) . وكرو حمزة وعليّ بأسيا فهما على عتبة فدفعاً عليه ^(٥) ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه .

ثم تراخف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه ألا يحملوا ^(٦) حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنّفكم ^(٧) القوم فأنصحوهم ^(٨) عنكم بالنبل . ورسول الله ﷺ في العريش ، معه أبو بكر الصديق . فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان .

ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع إلى العريش ، فدخله ومعه فيه أبو بكر الصديق ، ليس معه غيره ، ورسول الله ﷺ يناشد ربّه ما وعدّه من النصّر ، ويقول فيما يقول : « اللَّهُمَّ إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعَصَابَةُ الْيَوْمَ لَا تُعْبِدُ ! » وأبو بكر يقول : يا نبيّ الله ، بعض

(١) أطارها : أطارها .

(٢) تشخب : تسيل بصوت .

(٣) أسن القوم : أكبرهم سناً .

(٤) أثبتّه : جرحه جراحة لم يقم معها .

(٥) دَفَف عليه : أجهز وأسرع .

(٦) ألا يحملوا : يكرّوا عليهم .

(٧) اكتنّفكم القوم : أحاطوا بكم .

(٨) انصحوهم : ارموهم .

مُنَاشِدَتِكَ رَبِّكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ لِّكَ مَا وَعَدَكَ . وقد خفق رسولُ الله خَفَقَةً^(١) وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : أَبَشِّرْ يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَتَاكَ نَصْرُ اللَّهِ ! هَذَا جَبْرِيلُ آخِذٌ بِعِنَانٍ فَرَسٍ^(٢) يَقُودُهُ ، عَلَى ثَنَائِيهِ النَّقْعُ^(٣) . ثم خرج رسولُ الله ﷺ إلى النَّاسِ فَخَرَّصَهُمْ وقال : والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ . فقال عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ ، وفي يده ثَمَرَاتٌ يَأْكُلُهُنَّ : بَخْ بَخْ^(٤) ، أَفَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلَاءِ ! ثم قَذَفَ الثَّمَرَاتِ مِنْ يَدِهِ وَأَخَذَ سَيْفَهُ ، فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ .

[هزيمة قريش]

ثم إن رسولَ الله ﷺ أخذ حُفْنَةً مِنَ الْحَصْبَاءِ^(٥) فاستقبلَ قريشًا بها ، ثم قال : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ! ثم نَفَحَهُمْ^(٦) بها ، وأمر أصحابه فقال : شُدُّوا ! فكانت الهزيمة . فقتل الله تعالى مَنْ قَتَلَ مِنْ صَنَادِيدِ قَرِيشٍ ، وَأَسْرَ مِنْ أَسْرَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ .

عن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَئِذٍ : إِنِّي عَرَفْتُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كُرْهًا ، لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا ، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ بْنَ هِشَامٍ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ فَلَا يَقْتُلْهُ . وَمَنْ لَقِيَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَلَا يَقْتُلْهُ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا . فقال أبو حذيفة : أَنْقَتُلْ أَبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَتَنَا وَعَشِيرَتَنَا ، وَنَتْرِكَ الْعَبَّاسَ ! والله لئن لَقِيتُهُ لَأُلْجِمَنَّهُ السَّيْفَ^(٧) ! فبلغت رسولَ الله ﷺ فقال لعمر بن الخطاب : يَا أَبَا حَفْصٍ ، أَيَضْرِبُ وَجْهَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ بِالسَّيْفِ ؟ فقال عُمر : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي فَلَاضْرِبُ عُنْقَهُ بِالسَّيْفِ ، فوالله لقد نافق ! فكان أبو حذيفة يقول : مَا أَنَا بِأَمِنْ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي قُلْتُ يَوْمَئِذٍ ، وَلَا أَزَالُ مِنْهَا خَائِفًا إِلَّا أَنْ تُكْفِّرَهَا عَنِّي الشَّهَادَةُ ! فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا .

عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لي أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، وَأَنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنَيْهِ ، آخِذٌ بِأَيْدِيهِمَا : يَا عَبْدَ الْإِلَهِ ، مَنِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ الْمُعْلَمُ بِرِيثَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ ؟ قال : قلت : ذاك

(١) أي نام نومة يسيرة .

(٢) آخذ بعنان فرسه : ممسك بسير لجامه .

(٣) النقع : الغبار .

(٤) نفحهم بها : رماهم بها .

(٥) الحصباء : صغار الحجارة .

(٦) نفحهم بها : رماهم بها .

(٧) أي لأمكنن منه السيف . ويروى : « لألجمنه » أي لأضربنه به في وجهه .

حمزة بن عبد المطلب؛ قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل؛ قال عبد الرحمن: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلالٌ معي - وكان هو الذي يُعذَّب بلالاً بمكة على ترك الإسلام، فيُخْرِجُه إلى رمضاء مكة إذا حميت، فيُضَجِّعُه على ظهره، ثم يأُمُرُ بالصَّخْرَةَ العظيمة فتُوضَعُ على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا أو تُقَارِقَ دينَ محمد؛ فيقول بلال: أأخذ أحد.

ولم تُقاتل الملائكة في يوم سوى بذر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً، لا يضربون.

[قتلى قريش]

فلما فرغ رسول الله ﷺ من عذوه أمر بأبي جهل أن يُلتَمَسَ^(١) في القَتْلَى . قال ابن مسعود: احتزرتُ رأسه^(٢) ثم جئتُ به رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، هذا رأسُ عذوِّ الله أبي جهل. فقال رسول الله ﷺ: «آله^(٣) الذي لا إلهَ غَيْرُهُ؟» - قال: وكان يمين رسول الله ﷺ - قلتُ: نعم والله الذي لا إلهَ غَيْرُهُ؟ ثم أَلْقَيْتُ رأسه بين يدي رسول الله ﷺ، فحَمِدَ الله.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لما أمر رسول الله ﷺ أن يُطْرَحوا في القَلْبِ^(٤) طُرِحوا فيه، إلّا ما كان من أُمَيَّة بن خَلَف، فإنه انتَفَخَ في دِرْعِه فمَلَأَهَا، فذهبوا لِيَحْرُكُوهُ فَتَزَايَلُ^(٥) لَحْمُهُ، فَأَقْرُوهُ وَأَلْقُوا عَلَيْهِ ما غَيَّبَهُ من التراب والحجارة. فلما أَلْقَاهُمْ في القَلْبِ وقف عليهم رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: سمع أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ من جَوْفِ الليل وهو يقول: يا أهل القَلْبِ، يا عُثْبَةَ بنَ ربيعة، ويا شَيْبَةَ بنَ ربيعة، ويا أُمَيَّةَ بنَ خَلَف، ويا أبا جهل بن هشام - فَعَدَّدَ من كان منهم في القَلْبِ - هل وَجَدْتُمْ ما وعد رُبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي قد وَجَدْتُ ما وعدني رَبِّي حَقًّا؟ فقال المسلمون: يا رسول الله، أتنادي قَوْمًا قد جَيَّفُوا^(٦)؟ قال: ما أنتم بأَسْمَعَ لما أقولُ منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يُجيبوني!

(١) يُلتَمَس: يُطلب.

(٢) احتزرت رأسه: قطعت.

(٣) آله أي والله.

(٤) القَلْب: البئر.

(٥) تَزَايَل: أُنْتَوَا.

(٦) جَيَّفُوا: أي تساقط.

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر ، مما جَمَعَ الناس ، فجميع ، فاختلف المسلمون فيه ، فقال مَنْ جَمَعَهُ : هو لنا . وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه : والله لولا نحن ما أَصْبَحْتُمُوه ، لَنَحْنُ شَغَلْنَا عَنْكُمْ الْقَوْمَ حَتَّى أَصْبَحْتُمْ ما أَصْبَحْتُمْ؟ وقال الذين كانوا يَحْرُسُونَ رسول الله ﷺ مَخَافَةَ أَنْ يُخَالِفَ إِلَيْهِ الْعَدُوُّ : والله ما أنتم بأحق منا ، والله لقد رأينا أن نَقْتُلَ الْعَدُوَّ إِذْ مَنَحَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَكْثَافَهُ^(١) ، ولقد رأينا أن نَأْخِذَ الْمَتَاعَ حين لم يكن دونه مَنْ يَمْنَعُهُ ، ولكنَّا خِفْنَا عَلَى رسول الله ﷺ كَرَّةَ^(٢) الْعَدُوِّ فَقَمْنَا دُونَهُ ، فما أنتم بأحق به مِنَّا .

[عودة رسول الله إلى المدينة]

ثم بعث رسول الله ﷺ عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية^(٣) بما فتح الله عز وجل على رسوله ﷺ وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة^(٤) . ثم أقبل رسول الله ﷺ قَافِلًا^(٥) إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين ، وفيهم عُقْبَةُ ابن أبي مُعَيْط ، والنَّضْرُ بن الحارث . واحتمل رسول الله ﷺ معه النَّفْلَ^(٦) الذي أُصِيب من المشركين ، وجعل على النَّفْلِ عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف . ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مَضِيقِ الصَّفْرَاءِ نزل على كَثِيبٍ^(٧) بين المَضِيقِ وبين النَّازِيَةِ ، فَقَسَمَ هُنَاكَ النَّفْلَ الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السَّوَاءِ^(٨) . ثم ارتحل رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالزَّوْحَاءِ لَقِيَهِ المسلمون يهتفون به بما فتح الله عليه وَمَنْ مَعَهُ من المسلمين ، فقال لهم سَلَمَةٌ بن سلامة : ما الذي تَهْتِفُونَ به؟ فوالله إن لقينا إِلَّا عَجَائِزَ ضُلْعًا كَالْبُذْنِ^(٩) الْمُعَقَّلَةَ فَتَحَرَّوْهَا! فَتَبَسَّمَ رسول الله ﷺ ثم قال : أي ابن أخي ، أولئك الملاء^(١٠)!

حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصَّفْرَاءِ قُتِلَ النَّضْرُ بن الحارث ، قتله علي بن أبي طالب . ثم خرج حتى إذا كان بِغَرْقِي الطَّيْبَةِ قَتَلَ عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط ، فقال عُقْبَةُ حين أمر

(١) منحنا أكثافه : مكنا منه .

(٣) العالية : أعلى المدينة .

(٥) قافلاً : راجعاً .

(٧) كتيب : الرمل المستطيل المحدودب .

(٩) البذن : الإبل .

(٢) كرة العدو : رجوعه .

(٤) السافلة : أسفل المدينة .

(٦) النفل : الغنمة .

(٨) على السواء : بالمثل .

(١٠) الملاء : أشرف القوم وسراتهم .

رسولُ الله ﷺ بقتله : فمن للصُّبَّةِ يا محمد؟ قال : التار ، فقتله عاصمُ بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري . ثم مضى رسولُ الله ﷺ حتى قَدِمَ المدينةَ قبل الأسارى بيوم ، وحين أقبل بالأسارى فَرَّقَهُمْ بين أصحابه وقال : اسْتَوْصُوا بِالْأَسَارَى خَيْرًا . وكان أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ مكةَ بمصابٍ قريش الحِشْمان بن عبد الله .

وناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ محمدًا وأصحابه فيشتموا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأثروا بهم^(١) لا يَأْرَبُ^(٢) عليكم محمدٌ وأصحابه في الفداء . وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولديه : زَمْعَةُ بن الأسود ، وعقيل ابن الأسود ، والحارث بن زَمْعَةَ ، وكان يُحِبُّ أن يبكي على بنيهِ . فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال للغلام له وقد ذهب بصره : انظرو هل أجل النحب^(٣) ! هل بكت قريش على قتلاها؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة - يعني زَمْعَةَ - فإن جؤفي قد احترق ! فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته^(٤) . فذاك حين يقول الأسود :

أَتُبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ الشُّهُودُ^(٥)
فَلَا تُبْكِي عَلَى بَكْرِ^(٦) وَلَكِنْ عَلَى بَذْرِ تَقَاصَرَتْ^(٧) الْجُدُودُ^(٨)
عَلَى بَذْرِ سَرَاةٍ^(٩) بَنِي هُصَيْنٍ وَمَخْزُومٍ وَزَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ
وَبَكِيٍّ إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلٍ وَبَكِيٍّ خَارِئًا أَسَدَ الْأَسُودِ
وَبَكِيَّهُمْ وَلَا تَسْمِي جَمِيعًا وَمَا لِأَبِي حَكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدٍ^(١٠)
أَلَا قَدْ سَادَ بَغْدُهُمْ رَجَالٌ وَلَوْلَا يَوْمٌ بَذَرَ لَمْ يَسُودُوا

(١) أي تأخروا فداءهم .

(٢) يَأْرَبُ : يشتد .

(٣) أضلته : ضيعته .

(٤) البكر : الفتى من الإبل . وفي الشعر إقواء ظاهر .

(٥) تقاصرت : عجزت .

(٦) سرارة : جمع سري ، أشراف .

(٧) لا تسمي : لا تسألي ، والنديد : المثليل .

(٨) النحب : النحب . رفع الصوت بالبكاء .

(٩) السهود : الأرق .

(١٠) الجدود : جمع جد ، المكانة والمنزلة عند الناس .

[أسارى بدر]

ثم بعثت قريش في فداء الأسارى . فقدم مكرز بن حفص في فداء سهيل بن عمرو فلما قال لهم فيه مكرز وانتهى إلى رضاهم قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رجلي مكان رجله وخلّوا سبيله حتى يُبعث إليكم بفدائه . فخلّوا سبيل سهيل ، وحبسوا مكرزاً مكانه عندهم .

عن محمد بن عمر بن عطاء ، أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، دعني أنزع ثيبي^(١) سهيل بن عمرو ، ويدلّع^(٢) لسائه ، فلا يقوم عليك خطيئتي في موطن أبداً . فقال رسول الله ﷺ : « لا أمثل به فيمثل الله بي ، وإن كنت نبياً » . وقد كان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى : خت^(٣) رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب ، وكان الإسلام فرق بين زينب حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع ، إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدّر أن يفرق بينهما ، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه ، حتى هاجر رسول الله ﷺ ، فلما سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص بن الربيع ، فأصيب في الأسارى يوم بدر ، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ . ولما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم ، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها^(٤) . فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رقّة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وتزودوا عليها مآلها فافعلوا . فقالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه وزدوا عليها الذي لها .

وكان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه ، أو وعد رسول الله ﷺ ذلك ، أن يخلي سبيل زينب إليه ، أو كان فيما شرط عليه في إطلاقه . فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالحق بأبيها ، فخرجت تجهّز .

(١) ثيبي : الثنية إحدى الأسنان الأربع التي في مقدم الفم .

(٢) يدلّع : يخرج .

(٣) ختن : الختن كل من كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها ، وكذلك زوج البنت أو زوج الأخت .

(٤) بنى عليها : دخل عليها .

[خروج زينب إلى المدينة]

وكان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه، أو وعد رسول الله ﷺ ذلك، أن يُخَلِّي سبيلَ زَيْنَبَ إليه، أو كان فيما سَرَطَ عليه في إطلاقه، ولم يَظْهَرْ ذلك منه ولا من رسول الله ﷺ فيُعْلَمَ ما هو، إلا أنه لَمَّا خرج أبو العاصِ إلى مكة وخَلَّى سبيلَه، بعث رسول الله ﷺ زَيْنَبَ بنَ حارِثَةَ ورجلاً من الأنصارِ مكانَه، فقال: كُونا بِبَطْنِ يَأْجُجٍ^(١) حتى تَمُرَّ بِكُما زَيْنَبُ، فَتَضَعُهَا حتى تَأْتِيَانِي بِهَا. فَخَرَجَا مَكَانَهُمَا، وذلك بعد بَدْرِ بِشَهْرٍ أو شَيعِهِ، فَلَمَّا قَدِمَ أبو العاصِ مَكَّةَ أَمَرَهَا بِاللَّحُوقِ بِأَيِّهَا، فَخَرَجَتْ تَجَهُّزًا.

وأقام أبو العاصِ بمكة، وأقامت زينب عند رسول الله ﷺ بالمدينة حين فَرَّقَ بينهما الإسلام، حتى إذا كان قُبَيْلَ الفتح خرج أبو العاصِ تاجراً إلى الشام، وكان رجلاً مأموناً، بمالٍ له وأموالٍ لرجالٍ من قريش، أُبْضَعُوها^(٢) معه، فَلَمَّا فَرَّغَ من تجارته وأقبل قافلاً لَقِيَتْهُ سَرِيَّةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَصَابُوا ما معه، وَأَعْجَزَهُمْ هَارِبًا. فلما قَدِمَتِ السَّرِيَّةُ بما أصابوا من ماله، أقبل أبو العاصِ تحت الليل حتى دخل على زَيْنَبَ بنتِ رسول الله ﷺ فاستجار بها فَأَجَارَتْهُ، وجاء في طلبِ ماله، فَلَمَّا خرج رسول الله ﷺ إلى الصُّبْحِ فَكَبَّرَ وَكَثَّرَ النَّاسُ معه، صرخت زَيْنَبُ من صُفَّةِ النِّسَاءِ^(٣): «أيها الناس، إني قد أجزتُ أبا العاصِ بنَ الربيع». فَلَمَّا سَلَّمَ رسول الله ﷺ من الصَّلَاةِ أَقبل على الناس، فقال: أيها الناس، هل سمعتم ما سَمِعْتُ؟ قالوا: نعم. قال: أما والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده ما عَلِمْتُ بشيءٍ من ذلك حتى سَمِعْتُ ما سمعتم، إنه يُجِيرُ على المسلمين أَدْنَاهُمْ^(٤). ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته فقال: أَيُّ بُنَيَّةٍ، أَكْرَمِي مَثْوَاهُ، ولا يَخْلُصَنَّ^(٥) إليك، فإنك لا تَحْلِينَ له.

عن عبد الله بن أبي بكر، أن رسول الله ﷺ بعث إلى السَّرِيَّةِ الذين أصابوا مالَ أبي العاصِ فقال لهم: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِتَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ أَصَبْتُمْ لَهُ مَالًا، فَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَرُدُّوا عَلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَإِنَّا نَحِبُّ ذَلِكَ، وَإِنْ أَيْبَسْتُمْ فَهُوَ فِيَّ^(٦) اللَّهُ الَّذِي أَفَاءَ عَلَيْكُمْ، فَأَنْتُمْ

(١) يَأْجُج: موضع على ثمانية أميال من مكة. (٢) أَبْضَعُوها: جعلوها بضاعة.

(٣) الصُّفَّة: السقيفة. (٤) أَدْنَاهُمْ: أقربهم.

(٥) يَخْلُصَنَّ إليك: يصل إليك. (٦) فِيَّ: الفاء الغنيمة ثنال بغير قتال.

أَحَقُّ بِهِ . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَلْ نَرُدُّهُ عَلَيْهِ . فَرَدَّوهُ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ لِيَأْتِي بِالْدَّلْوِ ^(١) ، وَيَأْتِي الرَّجُلُ بِالشَّنَّةِ ^(٢) وَالْإِدَاوَةَ ^(٣) ، حَتَّى إِنْ أَحَدَهُمْ لِيَأْتِي بِالشُّظَاظِ ^(٤) حَتَّى رَدُّوا عَلَيْهِ مَالَهُ بِأَشْرِهِ لَا يَفْقِدُ مِنْهُ شَيْئًا . ثُمَّ احْتَمَلَ ^(٥) إِلَى مَكَّةَ فَأَدَّى إِلَى كُلِّ ذِي مَالٍ مِنْ قَرِيشٍ مَالَهُ ، وَمَنْ كَانَ أَبْضَعَ مَعَهُ . ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ ، هَلْ بَقِيَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدِي مَالٌ لَمْ يَأْخُذْهُ ؟ قَالُوا : لَا ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، فَقَدْ وَجَدْنَاكَ وَفِيًّا كَرِيمًا . قَالَ : فَأَنَا أَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ! وَاللَّهِ مَا مَنَعَنِي مِنَ الْإِسْلَامِ عِنْدَهُ إِلَّا تَخَوُّفٌ أَنْ تَظُنُّوا إِنِّي إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَكُلَ أَمْوَالَكُمْ ، فَلَمَّا أَذَاهَا اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَفَرَعْتُ مِنْهَا أَشْلَمْتُ . ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ .

وَكَانَ مِنْهُمْ سُمِّيَ لَنَا مِنَ الْأَسَازَى مِمَّنْ مَنَّ عَلَيْهِ بِغَيْرِ فِدَاءٍ : أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ وَالْمِطْلُبُ بْنُ حَنْطَلٍ ، وَصَيْفِيُّ بْنُ أَبِي رِفَاعَةَ ، وَأَبُو عَزَّةَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ أَهْيَبَ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُحَمَحَ ، كَانَ مُحْتَاجًا ذَا بَنَاتٍ ، فَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ عَرَفْتُ مَالِي مِنْ مَالٍ ، وَإِنِّي لَذُو حَاجَةٍ وَذُو عِيَالٍ فَاثْنُنْ عَلَيَّ . فَمَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَخَذَ عَلَيْهِ أَلَا يُظَاهِرَ عَلَيْهِ أَحَدًا ، فَقَالَ أَبُو عَزَّةَ فِي ذَلِكَ يَمْدُحُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيَذْكُرُ فَضْلَهُ فِي قَوْمِهِ :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الرَّسُولَ مُحَمَّدًا بِأَنَّكَ حَقٌّ وَالْمَلِيكَ حَمِيدٌ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدٌ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ بُوِّئَتْ فِيْنَا مَبَاءَةٌ لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصَعُودٌ ^(٦)
فَإِنَّكَ مَنْ حَارَبْتَهُ لِمُحَارَبٍ شَقِيٍّ وَمَنْ سَأَلْتَهُ لَسَعِيدٍ
وَلَكِنْ إِذَا ذُكِرْتَ بَدْرًا وَأَهْلَهُ تَأَوَّبَ مَا بِي : خَشَرَةٌ وَقُعُودٌ
وَكَانَ فِدَاءُ الْمُشْرِكِينَ يُؤَمِّدُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ لِلرَّجُلِ إِلَى أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، إِلَّا مَنْ لَا شَيْءَ لَهُ . فَمَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ .

(١) الدلو: الإناء الذي يستقي به من البئر .

(٢) الشنة: السقاء البالي .

(٣) الإداوة: وعاء من الجلد صغير .

(٤) الشظاظ: خشبة تدخل في عروتي الجوالق. والجوالق: وعاء من صوف أو شعر أو غيرهما .

(٥) احتمل: ارتحل .

(٦) بوئت، أي أنزلت منزلة عظيمة . والصعود: الطريق الصاعد .

وجميع من شهد بدراً من المهاجرين ، ومن ضرب^(١) له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره ، ثلاثة وثمانون رجلاً . وجميع من شهد بدراً من الأوس مع رسول الله ﷺ ومن ضرب له بسهمه وأجره أحد وستون رجلاً ، وجميع من شهد بدراً من الخزرج مائة وسبعون رجلاً . فجميع من شهد بدراً من المسلمين ، ومن المهاجرين والأنصار ، من شهدها منهم ومن ضرب له بسهمه وأجره ، ثلثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً .



(١) ضرب بسهمه وأجره : شارك .

الفصل العاشر

ما بعد بدر إلى أحد

[إسلام عمير بن وهب]

عن عروة بن الزبير قال: جلس عُمرُ بن وهب الجُمَحِيُّ مع صفوان بن أمية بعد مُصابِ أهلِ بدرٍ من قُرَيْشٍ في الحجرِ بيسير، وكان عُمرُ بن وهب شيطانًا من شياطين قُرَيْشٍ، وممن كان يُؤذي رسولَ الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه غناءً وهو بمكة، وكان ابنه وهبُ بن عُمرٍ في أسارى بدر.

قال ابن هشام: أسرهُ رفاعَةُ بن رافع أحد بني زُرَيْق.

قال ابن إسحاق: عن عروة بن الزبير، قال: فذكر أصحاب القليب ومصابيهم، فقال صفوان: والله إن في العيش بَعْدَهُمْ خَيْرٌ؛ قال له عُمرُ: صدقتَ والله، أما والله لولا ديني عليّ ليس له عندي قضاءٌ وعيالٌ أحسنُ عليهم الضيعةَ بعدي، لركبتُ إلى محمدٍ حتى أقتله، فإن لي قبلهم علةٌ: ابني أسيرٌ في أيديهم؛ قال: فاعتنمها صفوان وقال: عليّ دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أو أسيرهم ما بقوا، لا يسعني شيءٌ ويعجزُ عنهم؛ فقال له عُمرُ: فاكثم شأني وشأنك؛ قال: أفعل. ثم انطلق حتى قَدِمَ المدينة، فبينما عمرُ بن الخطاب في نفرٍ من المسلمين إذ نظرَ إلى عُمرِ بن وهب حين أناخ على باب المسجد مُتَوَسِّحًا السيف، فقال: هذا الكلب عدوُّ الله، والله ما جاء إلا لشرٍّ. ثم دخل عمرُ على رسولِ الله ﷺ فقال: يا نبي الله، هذا عدوُّ الله عُمرُ بن وهب قد جاء مُتَوَسِّحًا سيفه؛ قال: فأدخله عليّ، قال: فأقبلَ عمرُ حتى أخذ بجمالة سيفه في عنقه فلبَّيه بها. فلما رآه رسولُ الله ﷺ، وعمرُ أخذ بجمالة سيفه في عنقه، قال: أرسله يا عمر، اذنُ يا عُمرُ؛ فدنا ثم قال: إنعموا صبايحًا، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم؛ فقال رسولُ الله ﷺ: قد أكرمنا الله بِتَحِيَّةٍ خَيْرٌ من تحيتك يا عُمرُ، بالسلام: تحية أهل الجنة. فقال: أما والله يا محمد إن كنتُ بها لحديث عهد؛ قال: فما جاء بك يا عُمرُ؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأخسئوا فيه؛ قال: فما بال السيف في عنقك؟ قال: فَبَحَّها الله من شئوف، وهل

أَعْنَتْ عَنَّا شَيْئًا؟ قَالَ: اضْطَرُّنِي، مَا الَّذِي جِئْتَ لَهُ؟ قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا لَذَلِكَ؛ قَالَ: بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ، فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلْبِ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ قُلْتَ: لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ وَعِيَالٌ عِنْدِي لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا، فَتَحَمَّلَ لَكَ صَفْوَانُ بِدِينِكَ وَعِيَالِكَ، عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي لَهُ، وَاللَّهِ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ؛ قَالَ عُمَيْرٌ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ نُكَذِّبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ، وَهَذَا أَفْزَلُ لَمْ يَخْضُرْهُ إِلَّا أَنَا وَصَفْوَانُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا أَتَاكَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ، فَالْحَقْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، وَسَاقَنِي هَذَا الْمَسَاقَ، ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقَهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ. وَأَقْرَبُوهُ الْقُرْآنَ، وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ، فَفَعَلُوا.

[غزوة بني سليم بالكدر]

فلما قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ لم يُقِمَ بها إِلَّا سَبْعَ لَيَالٍ حَتَّى غَزَا بِنَفْسِهِ يَرِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ^(١). فَبَلَغَ مَاءً مِنْ مِيَاهِهِمْ يُقَالُ لَهُ «الْكَدْرُ»، فَأَقَامَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، فَأَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ شَوَّالٍ وَذَا الْقَعْدَةِ، وَأَقْدَى فِي إِقَامَتِهِ تِلْكَ لُجْلُ الْأَسَارَى مِنْ قُرَيْشٍ.

[غزوة السويق]

ثُمَّ غَزَا أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ غَزْوَةَ السَّوِيقِ^(٢) فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَوَلِيَّ^(٣) تِلْكَ الْحِجَّةَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ، فَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ، حِينَ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ وَرَجَعَ فَلُ^(٤) قُرَيْشٍ مِنْ بَدْرِ، نَذَرَ أَلَا يَمَسَّ رَأْسَهُ مَاءً مِنْ جَنَابَةِ^(٥) حَتَّى يُغْزَوْ مُحَمَّدًا ﷺ فَعُجِرَ فِي مَائَتِي رَاكِبٍ مِنْ قُرَيْشٍ لِيَبْرَ يَمِينَهُ، فَسَلَكَ التَّجْدِيَّةَ حَتَّى نَزَلَ بِصَدْرِ قَنَاةَ إِلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ «ثَيْبٌ»، مِنْ الْمَدِينَةِ عَلَى بَرِيدٍ أَوْ نَحْوِهِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى أَتَى بَنِي النَّضِيرِ تَحْتَ اللَّيْلِ، فَأَتَى حُثَيِّ ابْنَ أَخْطَبَ فَضْرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ بَابَهُ وَخَافَهُ. فَانْصَرَفَ إِلَى سَلَامِ بْنِ

(١) واستعمل على المدينة حينئذ سباع بن عرفة الغفاري، وقيل: ابن أم كلثوم.

(٢) سميت بذلك لأن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم فيها السويق، فهاجم المسلمون على كثير منه. والسويق: مطحون الحنطة أو الشعير، ويؤكل ممزوجا باللين والعسل والسمن، أو بالماء.

(٣) ولي الحجة: قام بها وملك أمرها. (٤) الفل: المنهزمون.

(٥) كان الغسل من الجنابة معمولاً به في الجاهلية، كالحج والنكاح.

مَشْكَمَ ، وكان سَيِّدُ بني التُّضِيرِ في زمانه ذلك ، وصاحِبُ كَثْرِهِمْ^(١) فاستأذَنَ فَأَذِنَ له ، فقرأه^(٢) وسَقاه ، وبَطَّنَ له من خَبَرِ النَّاسِ^(٣) . ثم خرج في عَقَبِ ليلته حتى أتى أصحابه ، فيبعث رجالاً من قريش إلى المدينة ، فأتوا نَاجِيَةً منها يقال لها العُرَيْضُ ، فحَرَّقوا في أَصْوارِ^(٤) من نَحَلِ بها ، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حَرْثِ لهما ، فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ، ونَذَرَ بهم الناس^(٥) ، فخرج رسولُ الله ﷺ في طلبهم ، واستعمل على المدينة بَشِيرَ بنَ عبد المُنْذِرِ ، وهو أبو لُبَابَةَ ، حتى بلغ « قَرْقَرَةَ الكَدْرِ » ، ثم انصرف راجعاً وقد فاتهُ أبو سُفْيَانٍ وأصحابه ، وقد رأوا أَزْوَادَ^(٦) من أَزْوَادِ^(٦) القوم قد طَرَحوها في الحَرْثِ^(٧) ، يتخَفَّفون منها للتَّجاء ، فقال المسلمون حين رَجَعَ بهم رسولُ الله ﷺ : يا رسولَ الله ، أنطمعُ لنا أن تكونَ غَزْوَةٌ؟ قال : « نعم » .

[غزوة ذي أمر]

فلما رجع رسولُ الله ﷺ من غَزْوَةِ السَّوِيقِ أقام بالمدينة بقية ذي الحِجَّةِ أو قريباً منها ، ثم غَزَا نَجْدًا ، يريدُ غَطَفَانَ ، وهي غَزْوَةُ ذي أَمَرٍ^(٨) . فأقام بَنَجْدٍ صَفْراً كُلَّهُ أو قريباً من ذلك ، ثم رَجَعَ إلى المدينة ولم يَلَقَ كَيْدًا فلبث بها شهرَ ربيعِ الأولِ كُلَّهُ ، أو إلا قليلاً منه .

[غزوة الفُزْع من بَخْران]

ثم غَزَا رسولُ الله ﷺ يريدُ قَرِيشًا^(٩) حتى بلغ بَخْرَانَ : مَغْدِنًا بالحِجَازِ من ناحية الفُزْعِ ، فأقام بها شهرَ ربيعِ الآخِرِ وجمادى الأولى ، ثم رَجَعَ إلى المدينة ولم يَلَقَ كَيْدًا .

[أمر بني قَيْنَقاع]

كان من أمر بني قَيْنَقَاعِ^(١٠) أَنَّ امْرَأَةً من العربِ قَدِمَتْ بِجَلَبٍ^(١١) لها فباعته بسوقِ

(١) يراد بالكثرة ما كانوا يجمعونه من مال بينهم ، لنوابيتهم وما يعرض لهم .

(٢) قرأه : أطلعته القرى ، وهو طعام الضيف . (٣) بطن له من خبرهم : أعلمه سرهم .

(٤) أصوار : جمع صور ، بالفتح ، وهو جماعة النخل . (٥) نذروا بهم : علموا بهم .

(٦) أزواد : جمع زاد ، الطعام يتخذ للسفر . (٧) الحَرْث : الطريق المثار بالحوافر لكثرة السير عليه .

(٨) واستعمل على المدينة عثمان بن عفان . (٩) واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

(١٠) بفتح القاف وتثنية النون ، شعب من اليهود .

(١١) الجلب ، بالتحريك : ما يجلب للأسواق لبيع فيها .

بني قَيْنِقَاعَ ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يُريدونها على كَشْفِ وَجْهِهَا فَأَبَتْ ، فَعَمَدَ الصائغُ إلى طَرْفِ ثوبِها فَعَقَدَهُ إلى ظَهْرِها ، فلما قامت انكشفت سَوْءُ ثُوبِها ، فضحكوا بها ، فصاحت ، فَوَثَبَ رَجُلٌ من المسلمين على الصائغِ فقتله - وكان يهوديًا - وشَدَّتِ اليهودُ على المسلمِ فقتلوه ، فاستَصْرَخَ أَهْلُ المسلمِ المسلمينَ على اليهودِ . فغَضِبَ المسلمون ، فوقع الشَّرُّ بينهم وبين بني قَيْنِقَاعَ . وكان بنو قَيْنِقَاعَ أَوَّلَ يهودٍ نَقَضُوا ما بينهم وبين رسولِ الله ﷺ ، فحاصَرهم ^(١) رسولُ الله ﷺ حتى نزلوا على حُكْمِهِ ، فقام إليه عبدُ الله بن أُبَيِّ ابنِ سلول حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسين في مَوَالِيَّ ! فأبطأ عليه رسولُ الله ﷺ ، فقال : يا محمد ، أحسين في مَوَالِيَّ ! فأعرض عنه ، فأدخل يده في جَيْبِ دِرْعِ رسولِ الله ﷺ فقال له رسولُ الله ﷺ : أُرْسِلْنِي ! وغضب رسولُ الله ﷺ حتى رَأَوْا لَوَجْهَهُ ظِلًّا ^(٢) ، ثم قال : وَيَحْكُ أُرْسِلْنِي . قال : لا ، والله لا أُرْسِلُكَ حتى تُحْسِنَ في مَوَالِيَّ : أربعمائة حاسِرٍ ^(٣) وثلاثمائة دارعٍ ^(٤) ، قد منعوني من الأحمرِ والأسودِ ^(٥) . تَحْصُدُهُمْ في عَدَاةٍ واحدةٍ ! إِنِّي والله امرؤُ أخشى الدَّوَاتِرَ . فقال رسولُ الله ﷺ : « هُم لك » .

ومشى عُبادَةُ بن الصامِتِ إلى رسولِ الله ﷺ ، وكان أحد بني عَوْفٍ ، لهم من جَلْفِهِ مِثْلُ الذي لهم من عبدِ الله بن أُبَيِّ ، فخلعهم إلى رسولِ الله ﷺ ، وتبرأ إلى الله - عزَّ وجلَّ - وإلى رسولِ الله ﷺ من جَلْفِهِمْ ، وقال : يا رسولَ الله ، أَتَوَلَّى اللهَ ورسولَهُ ﷺ والمؤمنين ، وأُبرأ من جَلْفِ هؤلاء الكفارِ وولايتهم .

ففيه وفي عبدِ الله بن أُبَيِّ نزلت هذه القصة من المائدة : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّا اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا * وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴿ ثُمَّ الْقِصَّةُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا وَرَدْنَاكُمْ

(١) حاصَرهم خمس عشرة ليلة ، واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر .

(٢) ظلل : جمع ظلة ، وأصلها السحابة ، عني بذلك تغير الوجه إلى السواد حين يشتد الغضب .

(٣) الحاسر من الجنود : من لا درع له ولا مغفر . (٤) الدارع : لابس الدرع .

(٥) أي المعجم والعرب .

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿١﴾ . وَذِكْرُ لَتَوَلَّى عِبَادَةَ
ابن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا ، وتبرؤيه من بني قينقاع وجلهم وولايتهم : ﴿٢﴾ وَمَنْ
يَتَوَلَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٣﴾ .

[سريته زيد بن حارثة إلى القردة من مياه نجد]

وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم الذين كانوا يسلكون إلى الشام ، حين
كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن
حرب ، ومعه فضة كثيرة ، وهي عظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل
يقال له فرائث بن حيان ، يدلهم في ذلك على الطريق ، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن
حارثة فلقيهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال ، فقدم بها على
رسول الله ﷺ .

[غزوة أحد]

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القلب ، ورجع فلهم^(١) إلى مكة ،
ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ،
وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش ، ممن أصيب أبائهم وأبنائهم وإخوانهم يوم بدر ،
فكلموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا :
يا معشر قريش ، إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ،
فلعلنا ندرك منه ثأراً بمن أصاب منا . ففعلوا . فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ
حين فعل ذلك ، أبو سفيان بن حرب وأصحاب العير بأحايشها^(٢) ، ومن أطاعها من قبائل
كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظعن^(٣) التماس الحفيظة^(٤) ، وألاً يفرّوا . فخرج
أبو سفيان بن حرب . وهو قائد الناس ، بهند بنت عتبة ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم
حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة

(١) فلهم : المنهزمون .

(٢) الأحايش : من اجتمع إلى العرب وانضم إليهم من غيرهم .

(٣) الظعن : جمع ظعينة ، وهي المرأة .

(٤) الحفيظة : الأنفة والغضب ، أو الحمية والدفاع عن العرض .

بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية بيزرة بنت مسعود الثقفية ، وخرج عمرو بن العاص بزيطة بنت منبه بن الحجاج .

وكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحيشي أو مر بها، قالت: وفيها (١) أبا دسمة أشف واستشف، وكان وحيشي يكنى بأبي دسمة، فأقبلوا حتى نزلوا بعينين، بجبل بطن السبخة من قناة على شفير الوادي، مقابل المدينة.

[رؤيا الرسول ومشاورة القوم]

فأقبلوا حتى نزلوا بعينين، بجبل بطن السبخة، من قناة (٢) على شفير الوادي (٣)، مقابل المدينة. فلما سمع بهم رسول الله ﷺ، والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا، قال رسول الله ﷺ للمسلمين: «إني قد رأيْتُ واللّه خيرا، رأيْتُ بقوا لي تدبج، ورأيْتُ في ذباب (٤) سيفي ثلما (٥)، ورأيْتُ أنّي أدخلْتُ يدي في دُرْع حصينة (٦)، فأولتُها المدينة. فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها». وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ يرى رأيَه في ذلك وألا يخرج إليهم، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج، فقال رجال من المسلمين، ممن أكرم الله بالشهادة يوم أُحُد وغيره، ممن كان فاته بدر: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنّا جئنا عنهم وضغفنا! فقال عبد الله بن أبي سلول: يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب ميتا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشرّ محبس (٧)، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا. فلم يزل الناس برسول الله ﷺ، الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم، حتّى دخل رسول الله ﷺ بيته، فليس لأمتّه (٨)، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو، فصلّى

(١) وفيها: كلمة معناها الإغراء والتحريض.

(٢) قناة: مجرى للماء.

(٣) شفير الوادي: حرفة وجانبه وناحيته.

(٤) ذباب السيف: حده.

(٥) ثلما: شقا.

(٦) قال ﷺ: «أما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون. وأما الثلم الذي رأيْتُ في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل».

(٧) محبس: المكان يحبس فيه.

(٨) اللأمة: الدرع، وقيل: السلاح.

عليه رسول الله ﷺ ثم خرج عليهم ، وقد ندِم الناس وقالوا : اشكرونا رسول الله ﷺ ، ولم يكن لنا ذلك . فلما خرج عليهم رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله ، اشكركم هناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلي الله عليك . فقال رسول الله ﷺ : « ما ينبغي لبيبي إذا ليس لأمته أن يصنعها حتى يُقاتل » . فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه ، حتى إذا كان بالشَّوْط ، بين المدينة وأحد ، انخزل^(١) عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثُلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما نذري غلام نقُثل أنفُسنا ها هنا أيها الناس !

[انخزال المنافقين]

فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل التفاق والزَّيْب ، واتَّبعهم عبد الله بن عمرو بن خرام يقول : يا قوم ، أذكركم الله ألا تحذلوا قومكم ونبئكم عندما حضر من عدوهم . فقالوا : لو تعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال . فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال : أتعدكم الله أعداء الله ، فسئغني الله عنكم نبيي . وقال الأنصار يوم أحد : يا رسول الله ، ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟ فقال : لا حاجة لنا فيهم .

[نزول الرسول بالشعب]

ومضى رسول الله ﷺ حتَّى نزل الشَّعْب^(٢) من أحد غدوة^(٣) الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعشكره إلى أحد . وقال : لا يُقاتل أحد منكم حتَّى نأمره بالقتال . وقد سرَّحت قريش الظَّهر والكراع^(٤) في زُرُوع كانت بالصَّمْعَةِ^(٥) من «قناة» للمسلمين ، فقال رجل من الأنصار حتَّى نهى رسول الله ﷺ عن القتال : أتزعى زُرُوع بني قَيْلَة^(٦) ولما نُضارب! وتعبى رسول الله ﷺ للقتال ، وهو في سبعِمائة رجل ، وأمر على الرُّمَّة عبد الله بن جُبَيْر ، وهو مُغلَّم يومئذٍ بثياب بيض ، والرُّمَّة خمسون رجلاً ، فقال : انضح الخيل عتاً بالنبيل^(٧) ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك لا نُؤتيت من قبلك^(٨) . وظاهر رسول الله ﷺ بين دُرعين^(٩) ودفع اللواء إلى مُضْعَب بن عُمَيْر ، أخي بني عبد الدار .

- | | |
|--|---------------------------------------|
| (١) انخزل : انقطع . | (٢) الشَّعْب : انفراج بين جبليْن . |
| (٣) عدوة : العدوة المكان المرتفع . | (٤) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل . |
| (٥) الصمغة : أرض قرب أحد . | (٦) هم الأوس والخزرج ، وقيلة أهمهم . |
| (٧) انضحهم : ادفهمهم . | (٨) من قبلك : من جهتك أو ناحيتك . |
| (٩) ظاهر بينهما : لبس إحداهما فوق الأخرى . | |

[من أجازهم الرسول ﷺ]

وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سُمُرَةَ بن جُنْدَب ، ورافع بن خُدَيْج أَخا بني حارِثة ، وهما ابنا خَمْسِ عَشْرَةَ سنة ، وكان قد رَدَّهُمَا ، فقبل له : يا رسول الله ، إنَّ رافعاً رام . فأجازه . فلمَّا أجاز رافعاً قيل له : يا رسول الله ، فإنَّ سُمُرَةَ يَصْرُخُ رافعاً . فأجازه . ورَدَّ رسول الله ﷺ أَسَامَةَ بن زَيْدٍ ، وعبد الله بن عمر بن الخطَّاب ، وزَيْدَ بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وعُمَرُ بن حَزْم ، وأَسِيدَ بن ظَهَيْر ، ثم أجازهم يوم الخَنْدَق وهم أبناء خمس عشرة سنة . وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرس قد جَنَّبُوها^(١) ، فجعلوا على مَيْمَنَةِ الْخَيْلِ خَالِدَ بن الوليد ، وعلى مَيْسَرَتِهَا عِكْرِمَةَ بن أبي جهل .

[أمر أبي دجانه]

وقال رسول الله ﷺ : مَنْ يَأْخُذْ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ فقام إليه رجالٌ فَأَمْسَكَهُ عَنْهُمْ ، حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بن خَرْشَةَ فقال : وما حَقُّه يا رسول الله؟ قال : أَنْ تَضْرِبَ بِهِ الْعَدُوَّ حَتَّى يَنْحَنِي . قال : أنا أَخْذُهُ يا رسول الله بِحَقِّهِ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ . وكان أبو دُجَانَةَ رجلاً شجاعاً يَخْتَالُ عِنْدَ الْحَرْبِ إِذَا كَانَتْ ، وكان إِذَا أُغْلِمَ بِعَصَابَةٍ^(٢) له حمراء فاعتصب^(٣) بها عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ سَيَقَاتِلُ . فلمَّا أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أخرج عَصَابَتَهُ تِلْكَ فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ ، وجعل يَنْتَحِرُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ ، فقال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دُجَانَةَ : « إِنِّهَا لِمِشْيَةٍ يَغْضُهَا اللَّهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمُؤْطِنِ » .

[تحريض قريش على القتال]

وقد قال أبو سُفْيَانُ لأَصْحَابِ اللِّوَاءِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يُحَرِّضُهُمْ بِذَلِكَ عَلَى الْقِتَالِ : يا بني عبد الدار ، إنكم قد وُلِّيتُمْ لِيَوَاعِنَا يَوْمَ بَدْرٍ ، فَأَصَابَنَا مَا قَدَرْتُمْ ، وَإِنَّمَا يُوْتَى النَّاسُ مِنْ قِتْلِ رَايَاتِهِمْ ، إِذَا زَالَتْ زُلُومَاتُ اللَّيْلِ ، فَإِنَّمَا أَنْ تَكْفُونَا لِيَوَاعِنَا وَإِنَّمَا أَنْ تَخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَتَكْفِيكُمْوه . فَهَمُّوا بِهِ وَتَوَاعَدُوهُ ، وقالوا : نَحْنُ نُسَلِّمُ إِلَيْكَ لِيَوَاعِنَا ، سَتَعْلَمُ غَدًا إِذَا التَّقَيْنَا كَيْفَ نَصْنَعُ ! وذلك أَرَادَ أَبُو سُفْيَانٍ . فلما التقى النَّاسُ وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، قَامَتْ هُنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ فِي النَّشْوَةِ اللَّاتِي مَعَهَا ، وَأَخَذَتِ الدَّفُوفَ يَضْرِبُ بِهَا خَلْفَ الرِّجَالِ وَيُحَرِّضُهُمْ ، فَقَالَتْ هُنْدُ فِيمَا تَقُولُ : وَيَهَّاهُ^(٤) بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيَهَّاهُ حِمَاةَ الْأُدْبَارِ^(٥)

صَرَبًا بِكُلِّ بَنِي

- (١) جنبوها : أبعدها . (٢) أغلِمَ بعصاية : جعلها علامة له في الحرب .
(٣) فاعتصب بها : لفها ولواها على رأسه . (٤) ونهها : كلمة إغراء وحث وتحريض .
(٥) حماة الأدبار : الذي يحمون أعقابهم . (٦) البتار : السيف القاطع .

وتقول :

إِنْ تُقْبِلُوا نَعَانِقُ وَنَفْرِشُ النُّمَارِقِ^(١)
أَوْ تُذْبِرُوا نَفَارِقِي فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقِي^(٢)
وكان شِعَارُ^(٣) أصحابِ رسولِ الله ﷺ يومَ أُحُدَ : أَمِيتْ أَمِيتْ !

[بدء القتال]

فاقتتل الناس حتى حَمِيَّتِ الحربُ ، وقاتل أبو دُجَانَةَ حتى أَمْعَنَ في الناس ، فجعل لا يُلْقِي أَحَدًا إلا قتله ، وكان في المشركين رَجُلٌ لا يَدْعُ لَنَا جَرِيحًا إِلَّا دَفَّفَ عَلَيْهِ^(٤) ، فجعل كُلُّ واحدٍ منهما يَدْنُو من صاحبه ، فدَعَوْتُ الله أن يَجْمَعَ بينهما ، فالتَقيا ، فاختلفا صُورَتَيْنِ ، فضرب المُشْرِكُ أبا دُجَانَةَ فَاتَّقَاهُ بِدَرَقَتِهِ^(٥) فَعَصَصَتْ^(٦) بِسَيْفِهِ ، وضربه أبو دُجَانَةَ فقتله ، ثم رَأَيْتُهُ قد حمل السَّيْفَ على مَفْرِقِ رَأْسِ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ ، ثم عَدَلَ السَّيْفَ عَنْهَا^(٧) . وقاتل حمزةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى قَتَلَ أَوْطَاةَ بْنَ عَبْدِ شُرَحْبِيلَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ ، وكان أَحَدُ النَّفَرِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ اللَّوَاءَ ، ثم مَرَّ بِهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى الْعُشَيْنِيُّ ، وكان يُكْنَى بِأَبِي نِيَارٍ ، فقال له حمزة : هَلَمْ إِلَيَّ يَا ابْنَ مُقَطَّعَةِ الْبُظُورِ ! وكانت أمه أُمُّ أُنْمَارَ حَتَّانَةَ بِمَكَّةَ .

[مقتل حمزة]

قال وحشي غلامُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ : واللَّهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى حَمْزَةِ يَهْدُ^(٨) النَّاسَ بِسَيْفِهِ مَا يُلِيقُ^(٩) بِهِ شَيْعًا ، مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْزُقِ^(١٠) ، إِذْ تَقَدَّمَنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى ، فقال له حَمْزَةُ : هَلَمْ إِلَيَّ يَا ابْنَ مُقَطَّعَةِ الْبُظُورِ ! فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً فَكَأَنَّ مَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ ، وَهَزَزْتُ خَوْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ ، فَوَقَعَتْ فِي ثُنْيَيْهِ^(١١) حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ

(١) النمرقة : الوسادة .

(٢) الواسق : المحب .

(٣) الشعار : علامة يتنادون بها في الحرب بعضهم بعضًا . (٤) دَفَفَ عَلَيْهِ : أجهز عليه .

(٥) بدرقته : في الحرب الدركة : الثرس من جلد ليس فيه خشب ولا عَقَب . (العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار) .

(٦) فَعَصَصَتْ : أَمْسَكَت . (٧) قال أبو دُجَانَةَ : رَأَيْتُ إِنْسَانًا يَخْمَشُ النَّاسَ خَمَشًا شَدِيدًا ، فَصَمَدَتْ لَهُ ، فَلَمَّا حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ وَلَوُلِ ، فإِذَا امْرَأَةٌ ، فَأَكْرَمَتْ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً .

(٨) يَهْدُ : يسرع في قطع لحومهم بسيفه . ويروى : « يهد » بالمهمله ، ومعناها يرديهم ويهلكهم .

(٩) مَا يُلِيقُ : ما يليق . (١٠) الْأَوْزُقُ : ما لونه إلى الغبرة .

(١١) الثنية : ما بين أسفل البطن إلى العانة .

نحوي فغلب فوقع ، وأمهله حتى إذا مات جئت فأخذت حزيتي ، ثم تنحيت إلى العسكر . ولم تكن لي بشيء حاجة غيره ، وإنما قتلته لأعتق^(١) ، فلما قدمت مكة أعتقت ، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف فمكثت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليُسَلِّموا تَعَيَّثَ^(٢) علي المذاهب ، فقلت : أَلْحَقْ بِالشَّامِ ، أَوِ الْيَمَنِ ، أَوِ بَعْضِ الْبِلَادِ . فوالله إني لفي ذلك من همي ، إذ قال لي رجل : وَيَحْكُ! إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يَقْتُلُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ دَخَلَ فِي دِينِهِ ، وَتَشْهَدُ شَهَادَتَهُ . فلما قال لي ذلك خَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَلَمْ يَرُعْهُ^(٣) إِلَّا بِي قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ أَتَشْهَدُ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ ، فَلَمَّا رَأْنِي قَالَ : أَوْحِشِي؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : أَفَعُدُّ فَحْدَثْنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟ فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ حَدِيثِي قَالَ : وَيَحْكُ! غَيَّبَ عَنِّي وَجْهَكَ فَلَا أُرِيكَ! فَكُنْتُ أَتَنَكَّبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ كَانَ ، لَعَلَّ يَرَانِي ، حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ ، ﷺ .

[قتل وحشي لمسيلمة] :

فلما خرج المسلمون إلى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ خَرَجْتُ مَعَهُمْ ، وَأَخَذْتُ حَزِيَّتِي الَّتِي قَتَلْتُ بِهَا حَمْزَةَ؛ فَلَمَّا التَّقَى النَّاسُ رَأَيْتُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ قَائِمًا فِي يَدِهِ السَّيْفِ ، وَمَا أَعْرَفُهُ ، فَتَهَيَّأْتُ لَهُ ، وَتَهَيَّأَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى ، كِلَانَا يُرِيدُهُ ، فَهَزَزْتُ حَزِيَّتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ ، فَوَقَعَتْ فِيهِ ، وَشَدَّ عَلَيْهِ الْأَنْصَارِيُّ فَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ ، فَرُبُّكَ أَعْلَمُ أَئِنَّا قَتَلَهُ ، فَإِنْ كُنْتُ قَتَلْتُهُ ، فَقَدْ قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ قَتَلْتُ شَرَّ النَّاسِ .

[خلع وحشي من الديوان] :

قال ابن هشام : فبلغني أنَّ وحشيًا لم يزل يُحَدِّثُ فِي الْخَمْرِ حَتَّى خُلِعَ مِنَ الدِّيَوَانِ ، فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ لِيَدْعَ قَاتِلَ حَمْزَةَ . وَقَاتَلَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قُتِلَ ، وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ ابْنُ قَمْئَةَ

(١) كان غلاما لجبير بن مطعم الذي أصيب عمه يوم بدر ، فقال لوحشي : إن قتل حمزة عم محمد بعني فأنت عتيق .

(٢) تعيت على المذاهب : أعجزتني فلم أهتم لأيهما .

(٣) فلم يره إلا بي : ما شغرت إلا به أمامه ، أي فاجأه من غير موعد ولا معرفة .

اللَّيْثِيَّ ، وهو يَظُنُّ أنه رَسُولُ الله ﷺ ، فَرَجَعَ إلى قريش فقال : قتلْتُ محمداً ! فلما قُتِلَ مُصْعَبُ أعطى رسولُ الله ﷺ اللّواءَ عليَّ بنَ أبي طالب ، وقاتل عليُّ بن أبي طالب ورجالُ من المسلمين .

[اشتداد القتال]

لما اشتدَّ القتالُ يوم أُحُدٍ ، جلس رسولُ الله ﷺ تحت رايةِ الأنصار ، وأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى عليِّ بن أبي طالب : أن قَدِّمَ الرايةَ . فتقدَّمَ عليٌّ فقال : أنا أبو القُصَمِ (١) فناداه أبو سَعْدُ بنُ أبي طَلْحَةَ ، وهو صاحبُ لواءِ المشركين : أن هل لك يا أبا القُصَمِ في البرازِ مِنْ حاجة؟ قال : نعم . فبرزَا بين الصَّفَيْنِ فاختلفا ضَرْبَتَيْنِ ، فَضْرِبَهُ عليٌّ فَصْرَعَهُ ، ثم انصرفَ عنه ولم يُجْهِزْ عليه ، فقال له أصحابه : أفلا أُجْهِزْتَ عليه؟ قال : إنه استَقْبَلَنِي بِعُورَتِهِ فَعَطَفْتَنِي (٢) عنه الرَّحِمَ ، وَعَرَفْتُ أن اللهَ - عزَّ وجلَّ - قد قتله .

وقاتَلَ عاصِمُ بن ثابت بن أبي الأفلَحِ ، فَقَتَلَ مُسَافِقَ بنَ طَلْحَةَ وأخاه الجُلاسَ بن طَلْحَةَ . كلاهما يُشْعِرُهُ سَهْمًا (٣) ، فيأتي أمَّهُ سُلَاقَةً ، فيضَعُ رأسَهُ في جِجْرَها فتقول : يا بُنِّي ، مَنْ أصابَكَ؟ فيقول : سَمِعْتُ رجلاً حينَ رَماني وهو يقول : خُذْها وأنا ابنُ أبي الأفلَحِ ، فَتَذَرُثُ إن أَمَكْنَهَا اللهُ من رأسِ عاصِمٍ أن تَشْرَبَ فيه الحَمْرَ .

والتقى حَنْظَلَةُ بن أبي عامرَ العَسِيلِ وأبو سُفْيَانَ . فلَمَّا اسْتَعْلَاهُ (٤) حَنْظَلَةُ بن أبي عامرَ رَأه شَدَادُ بن الأسود - وهو ابنُ شُعُوب - قد علا أبو سُفْيَانَ ، فَضْرِبَهُ شَدَادُ فقتله . فقال رسولُ الله ﷺ : إنَّ صَاحِبَكُمْ - يعني حَنْظَلَةَ - لَتُعَسِّلُهُ الملائكةُ . فسألوا أهْلَهُ : ما شأنُهُ؟ فُسِيْلَتْ صَاحِبَتُهُ (٥) عنه فقالت : خَرَجَ وهو مُجْتَبٍ حينَ سَمِعَ الهاتِفَةَ (٦) . ثم أنزَلَ اللهُ نَصْرَهُ على المسلمين وصدَقَهُمْ وَعَدَهُ ، فَحَشَوْهُمْ بالشُّيُوفِ (٧) ، حتى كشفوهم عن العَشْكَرِ ، وكانت الهزيمةُ لا شَكَّ فيها .

قال الزُّبَيْرُ : والله لقد رَأَيْتُنِي أَنْظُرُ إلى خَدَمِ (٨) هِنْدَ بنتِ عُبَيْتٍ وصَوَاحِبِها ، مُسَمَّرَاتٍ

(١) القُصَمِ : الدواهي ، واحدها قُصَمَى . وإنما قال ذلك ردًا على قول أبي سعد : أنا قاصم من ييارزني !

(٢) فعطفتني عنه : جعلتني أرجع وأنصرف عنه . (٣) أشعره السهم : أصابه في جسده فصار له كالشعار .

(٤) استعلاه : قهره وغلبه . (٥) صاحبتة : زوجته .

(٦) الهاتفة : الدعاء والنداء ، أو الصيحة . (٧) حشوهم : قتلوهم واستأصلوهم .

(٨) خدم : سيقان .

هوارب ، مادون أخذهن قليل ولا كثير ، إذ مالت الرماة إلى العشكر حين كَشَفْنَا القوم عنه ،
وَحَلُّوا ظُهورَنَا للخيل ، فَأَتَيْنَا من خَلْفِنَا ، وصرخ صارخ : أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ! فَأَنكَفَأْنَا^(١)
وَأَنكَفَأْنَا علينا القوم بعد أن أَصَبْنَا أصحاب اللِّواء حتى ما يَدْنُو منه أَحَدٌ من القوم .

[انكشاف المسلمين]

ولم يزل اللِّواء صريعاً حَتَّى أَخَذَتْهُ عُمرة بنتُ عَلَقَمَةَ الحَارِثِيَّة فرَفَعَتْهُ لقريش ، فَلَاثُوا
به^(٢) . وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، وكان يومَ بلاءٍ وتَمَحِيص ، أكرم الله
فيه من أَكْرَمَ من المسلمين بالشهادة حَتَّى خَلَصَ العدو إلى رسولِ الله ﷺ ، فَوُثِّ^(٣)
بالججارة حَتَّى وَقَعَ لثيقُه^(٤) ، فأصيب رِبَاعِيَّتُه^(٥) ، وشَجَّ^(٦) في وجهه ، وكَلِمَت^(٧)
شَفَتْهُ ، وكان الذي أصابه عُتْبَةُ بن أبي وقاص . فجعل الدَّم يسيلُ على وجهه ، وجعل
يمسحُ الدَّم وهو يقول : « كيف يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا^(٨) وَجْهَ نَبِيِّهِمْ وهو يدعوهم إلى
رَبِّهِمْ ! » ، فَأَنزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في ذلك : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ
يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ .

[ما لقيه الرسول]

وعن أبي سعيد الخُدْرِي ، أن عُتْبَةَ بنَ أبي وَقَاص رَمَى رسولَ الله ﷺ يومئذٍ فَكَسَرَ
رِبَاعِيَّتَه اليُمْنَى الشُّفْلَى ، وجرح شَفَتَه الشُّفْلَى ، وأن عبدَ اللهِ بنَ شِهَابِ الزُّهْرِيَّ شَجَّه في
جَبْهَتِهِ ، وأن ابنَ قَمِيَّة جَرَحَ وَجْهَتَه^(٩) . فدخلت حَلَقَتَان من حَلَقِ المَغْفَر^(١٠) في وَجْهَتِهِ ،
ووقع رسولُ الله ﷺ في حُفْرَةٍ من الحُفَرِ التي عمل أبو عامرُ ليقعَ فيها المسلمون ، وهم
لا يعلمون . فأخذَ عَلِيٌّ بنَ أبي طالب بيدَ رسولِ الله ﷺ ، ورفعهُ طَلْحَةُ بنَ عُبَيْدِ اللهِ حتى
استوى قائماً ، وَمَصَّ مالِكُ بنُ سِنَان ، أبو أبي سَعِيدِ الخُدْرِي ، الدَّم عن وجهِ رسولِ الله
ﷺ ثم اُزْدَرَدَه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « مَنْ مَسَّ دَمِي دَمَهُ لَمْ تُصِبه النار » .
قال ابن هشام : وذكر عبدُ العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِي : أن النَّبِيَّ ﷺ قال : مَنْ أَحَبَّ

- (١) انكفأنا : رجعنا . (٢) لاثوا به : اجتمعوا من حوله والتفوا . (٣) رث : أصيب .
(٤) الشق : الجانب . (٥) الرباعية ، كثمانية : السن المجاورة للنايب .
(٦) الشج : الجرح في الوجه والرأس . (٧) كلمت : جرحت .
(٨) خضبوا : غيروا لونه ، لطلخوه بالدماء . (٩) الوجنة : أعلى الخد .
(١٠) المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس ، يلبس تحت القلنسوة .

أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمُوتُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ.
وذكر أيضًا عن عائشة، عن أبي بكر الصديق: أن أبا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ نَزَعَ إحدى
الْخُلُقَيْتَيْنِ مِنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَقَطَتْ ثِيَابُهُ، ثُمَّ نَزَعَ الْأُخْرَى، فَسَقَطَتْ ثِيَابُهُ
الْأُخْرَى، فَكَانَ سَاقِطَ الثِّيَابَيْنِ.

وقال رسول الله ﷺ: حين غَشِيَهُ (١) القوم: مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي لِنَا نَفْسَهُ؟ فقام زيادُ بْنُ
السَّكَنِ فِي نَفَرٍ خَمْسَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلُوا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا ثُمَّ رَجُلًا، يُقْتَلُونَ
دُونَهُ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ زِيَادٌ، أَوْ عِمَارَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ، فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَهُ (٢)
الْجَرَّاحَةُ، ثُمَّ فَاءَتْ فِئَةٌ (٣) مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَجْهَضُوهُمْ عَنْهُ (٤)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«أَذْنُوهُ مِنِّي. فَأَذْنُوهُ مِنْهُ، فَوَسَدَ قَدَمُهُ فَمَاتَ وَخُذَهُ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

قال ابن هشام: وَقَاتَلَتْ أُمُّ عُمَارَةَ، نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبِ الْمَازِينَةِ يَوْمَ أُحُدٍ. فذكر سعيد
ابن أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَّ أُمَّ سَعْدٍ بِنْتَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ كَانَتْ تَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ
عُمَارَةَ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا خَالَه، أَخْبِرْنِي خَبْرَكَ؛ فَقَالَتْ: خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ وَأَنَا أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ
النَّاسُ، وَمَعِيَ سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، فَأَتَيْتُهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ، وَالْدَّوْلَةُ
وَالرَّيْحُ (٥) لِلْمُسْلِمِينَ. فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ، انْحَزَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُمْتُ أَبَاشِرُ
الْقِتَالِ، وَأَذْبْتُ عَنْهُ بِالسَّيْفِ، وَأَزْمِي عَنْ الْقَوْسِ، حَتَّى خَلَصْتُ الْجَرَّاحَ إِلَيَّ. قَالَتْ: فَرَأَيْتُ
عَلَى عَاتِقِهَا مَجْرَحًا أَجْوَفَ لَهُ غَوْرٌ، فَقُلْتُ: مَنْ أَصَابَكَ بِهَذَا؟ قَالَتْ: ابْنُ قَمْعَةٍ، أَقْمَاهُ (٦)
اللَّهُ! لَمَّا وَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ يَقُولُ: دُلُونِي عَلَى مُحَمَّدٍ، فَلَا نَجُوتُ إِلَّا نَجَا،
فَاعْتَرَضْتُ لَهُ أَنَا وَمُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَأَنَاسٌ مِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَضَرَبْتَنِي هَذِهِ
الصُّرْبَةَ وَلَكِنْ فَلَقَدَ ضَرْبُهُ عَلَى ذَلِكَ ضَرْبَاتٍ، وَلَكِنْ عَدُوُّ اللَّهِ كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَان.

وَتَرَسَ (٧) دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو دُجَانَةَ بِنَفْسِهِ، يَقَعُ النَّبْلُ فِي ظَهْرِهِ وَهُوَ مُنْحَنٍ
عَلَيْهِ. حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبْلُ. وَرَمَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ سَعْدُ:
فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنَاوِلُنِي النَّبْلَ، وَهُوَ يَقُولُ: ازْمِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي! حَتَّى إِنَّهُ لِيُنَاوِلُنِي السَّهْمَ مَالَهُ

(١) غشيه القوم: أتوه.

(٢) الفئة: الجماعة.

(٣) يريد «بالريح» النصر.

(٤) ترس: تَوَقَّى بِالْتَرَسِ.

(٥) أثبتته الجراحة: حبسته.

(٦) أجهضوهم: أزالوهم وغلبوهم.

(٧) أقماه الله: أذله.

نُصِّلَ، فيقول : ازم به .

وعن عاصم بن غمَر بن قَتَادَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: رَمَى عَنْ قَوْسِيهِ حَتَّى انْدَقَتْ سِيَّتُهَا^(١)، فَأَخَذَهَا قَتَادَةُ بْنُ الثُّعْمَانِ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ، وَأَصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ قَتَادَةُ بْنُ الثُّعْمَانِ، حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ. وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَدَّهَا بِيَدِهِ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِيهِ وَأَحَدَهُمَا. وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ، وَقَوْلِ النَّاسِ: قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَعُثْبُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: عَرَفْتُ عَيْنِيهِ تَزْهَرَانِ^(٢) مِنْ تَحْتِ الْمَغْفَرِ، فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَتُبْشِرُوا، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ! فَأَشَارَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَنْصِتَ .

فَلَمَّا عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَضُوا بِهِ، وَنَهَضَ مَعَهُمُ نَحْوُ الشَّعْبِ، مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُثَيْدٍ اللَّهِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - وَالْحَارِثُ بْنُ الصُّمَّةِ، وَرَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَلَمَّا أُسْنِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الشَّعْبِ أَذْرَكَهُ أُتَيْيُ بْنُ خَلْفٍ، وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّ مُحَمَّدٍ، لَا نَجُوتُ إِنْ نَجُوتُ! فَقَالَ الْقَوْمُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْعِطُفُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِثَّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعُوهُ . فَلَمَّا دَنَا تَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحِزْبَةَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ الصُّمَّةِ . يَقُولُ بَعْضُ الْقَوْمِ فِيمَا ذَكَرَ لِي: فَلَمَّا أَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ انْتَفَضَ بِهَا انْتِفَاضَةً تَطَايَرْنَا عَنْهُ تَطَايِيرَ الشُّعْرَاءِ^(٣) عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إِذَا انْتَفَضَ بِهَا . ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ فُطِعْنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَادُ^(٤) مِنْهَا عَنْ فَرَسِهِ مِرَارًا .

وَكَانَ أُتَيْيُ بْنُ خَلْفٍ يَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنْ عِنْدِي الْعُودُ^(٥) فَزَسْنَا، أَعْلِفْهُ كُلَّ يَوْمٍ فَرَقًا^(٦) مِنْ دُرَّةٍ، أَقْتُلْكَ عَلَيْهِ . فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ وَقَدْ خَدَشَتْهُ فِي عُنُقِهِ خَدَشًا غَيْرَ كَبِيرٍ، فَاحْتَقَنَ الدَّمَ، قَالَ: قَتَلَنِي وَاللَّهِ مُحَمَّدًا! قَالُوا لَهُ: ذَهَبَ وَاللَّهِ فَوَاؤُكَ، وَاللَّهِ إِنْ يَكُ مِنْ

(١) السية : طرف القوس .

(٢) تزهرا : تلمعان .

(٣) الشعراء : ذباب له لدغ .

(٤) العود : اسم فرسه .

(٦) الفرق : بالفتح والتحريك : مكيال يسع اثني عشر رطلا .

(٤) تدادأ : تدرج .

بأس . قال : إله قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك ، فوالله لو بصق عليّ لقتلني . فمات عدو الله بسرف^(١) وهم قافلون به إلى مكة .

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى قم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درفته^(٢) ماء من المهراس^(٣) ، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرّب منه ، فوجد له ريحا ، فعافه فلم يشرّب منه ، وغسل عن وجهه الدم ، وصب على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من دمي وجهه نبيّه .

ونهب رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليقلوها ، وقد كان بدّن^(٤) رسول الله ﷺ ، وظاهر^(٥) بين درعين ، فلما ذهب لينهب رسول الله ﷺ لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها ، فقال رسول الله ﷺ يومئذ : « أوجب طلحة^(٦) » . حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع .

قال ابن هشام : وذكر غمر مؤلى غفرة : أن النبي ﷺ صلى الظهر يوم أحد قاعدا من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه فعودا .

قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى المنقى ، دون الأعوص^(٧) .

لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد ، رفع حسيل بن جابر ، وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان ، وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وهما شيخان كبيران : ما أبا لك ، ما تنتظر ؟ فوالله لا بقي لواجد منا من غمره إلا ظم^(٨) جمار ، إنما نحن هامة^(٩) اليوم أو غدي ، أفلا نأخذ أسيافتنا ، ثم نلحق برسول الله ﷺ ، لعل الله يوزقنا

(١) سرف ، بفتح فكسر : موضع على ستة أميال من مكة . (٢) الدرفة : ترس من جلود .

(٣) المهراس : ماء بأحد ، أو حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر ويودع فيه الماء .

(٤) بدن تبدينا : أسن وضعف .

(٥) ظاهر بين درعين : طابق بينهما ولبس أحدهما على الآخر .

(٦) أي وجبت له الجنة . (٧) الأعوص : موضع قرب المدينة .

(٨) الظم : مقدار ما يكون بين الشربتين . وأقصر الأظماء ظمء الحمار ، لأنه لا يصبر عن الماء ، فضرِب مثلا لقرب الأجل .

(٩) الهامة : طائر يخرج من رأس القتيل إذا قتل (زعموا) فلا يزال يصيح : اسقوني اسقوني ! حتى يؤخذ بتأره فضربه العرب مثلا للموت .

شهادة مع رسول الله ﷺ؟ فأخذوا أسياهما ثم خرّجا، حتى دخلا في الناس، ولم يُعلم بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حسيّل بن جابر، فاختلفت عليه أسياف المسلمين، فقتلوه ولا يعرفونه^(١)، فقال حذيفة: أيي؟ فقالوا: والله إن عرفناه، وصدّقوا. قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه؛ فتصدّق حذيفة بدينه على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيرا.

وكان ممن قُتل يوم أُحُدٍ مُحَيَّرِيق، وكان أخذ بني ثعلبة بن الفطيمون، لما كان يوم أُحُدٍ قال: يا معشر يهود، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحقّ. قالوا: إن اليوم يوم السبت. قال: لا سبت لكم. فأخذ سيفه وعُدته، وقال: إن أُصِبتُ فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء. ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قُتل، فقال رسول الله ﷺ: « مُحَيَّرِيقُ خَيْرُ يَهُودٍ ».

[أمر أصيرم]

وكان أبو هريرة يقول: حدّثوني عن رجلٍ دخل الجنة لم يُصلِّ قط؟ فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟ فيقول: أصيرم بني عبد الأشهل، عمرو بن ثابت بن وقش. قال الحُصَيْن بن عبد الرحمن: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يأتي الإسلام على قومه، فلما كان يوم خرج رسول الله ﷺ إلى أُحُدٍ بدا له في الإسلام فأشلم، ثم أخذ سيفه فعُدا حتى دخل في غرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة^(٢). فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتبسون قتلاهم في المعركة إذا هم به. فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، ما جاء به؟ لقد تزكناه وإنه لمُنَكِّرٌ لهذا الحديث. فسألوه: ما جاء به؟ فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أخذت على قومك أم رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأشلمت، ثم أخذت سيفي فعُدوت مع رسول الله ﷺ ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني؟ ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «إنه لمن أهل الجنة».

[مقتل عمرو بن الجموح]

وكان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأشد،

(١) قيل إن الذي قتله خطأ هو عتبة بن مسعود، أخو عبد الله بن مسعود، وجد عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الفقيه. وعتبة هذا هو أول من سمي المصحف مصحفًا. (٢) أثبتته: أثقلته فلم يتحرك.

يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهيد، فلما كان يوم أُحُد أرادوا حبسه وقالوا له: إنَّ الله - عز وجل - قد عذرك! فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إنَّ بنيَّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعزجتي هذه في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: «أما أنتَ فقد عذرك الله فلا جهادَ عليك». وقال لبنيه: «ما عليكم ألا تمنعوه، لعلَّ الله أن يزوجه الشهادة» فخرج معه فقتل يوم أُحُد.

[تمثيل هند بحمزة]

ووقفت هُند بنت عُثبة والنسوة اللاتي معها، يُمتلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يُجدعن الآذان والأنف. حتَّى اتَّخذت هُند من آذان الرجال وأنفهم خدماً^(١) وفلائد، وأعطت خدماً وقلائد وقراطها وخشيئاً غلام جُبَيْر بن مُطْعِم، وبقرت عن كبد حمزة، فلاكتها^(٢) فلم تستطع أن تسيغها، فلفظتها^(٣). وقد كان الحُليْس بن زبَّان، وهو يومئذ سيّد الأحابيش^(٤)، قد مرَّ بأبي سُفيان، وهو يضرب في شذق^(٥) حمزة بن عبد المطلب بزُح^(٦) الرُمح ويقول: دُقْ عُقْق^(٧)! فقال الحُليْس: يا بني كنانة، هذا سيّدُ قريش يصنعُ بابنِ عمِّه ما ترؤن لحماً^(٨)! فقال: ويحك، اكتمها عني، فإنها كانت زلة.

[حديث أبي سفيان]

ثم إنَّ أبا سُفيان بن حرب حين أراد الانصرافَ أشرفَ على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته فقال: أنعمتَ فعّال^(٩)، وإن الحرب سجال^(١٠) يومَ يوم، أغلِ هُبَل^(١١) أي أظهر دينك. فقال رسول الله ﷺ: قُمْ يا عُمَرُ فأجبه، فقل: الله أغلَى وأجل. لا سِواءَ^(١٢)، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. فلما أجاب عُمَرُ أبا سفيان قال له أبو سُفيان: هَلُمَّ إلَيَّ يا عمر. فقال رسول الله ﷺ لعُمَر: ائْتِه فانظُرْ ما شأنه؟ فجاءه فقال له أبو سُفيان: أنشدك

(١) الخدم: جمع خدمة، وهي الخلخال. (٢) لاكتها: مضغتها. (٣) لفظتها: طرحتها.

(٤) الأحابيش: جماعة من قريش وكنانة وخزاعة اجتمعوا عند حُثيبي - جبل بأسفل مكة، وتحالفوا.

(٥) شذق: جانب الفم مما تحت الخد. (٦) زج: الحديد في أسفل الرمح.

(٧) ياعقق، أي يا عاق. (٨) أي ميتاً ليست به قدرة على الانتصار.

(٩) أنعمت: بالفت، بفتح التاء خطاب لنفسه، وبكسرهما خطاب للحرب أو الواقعة، عال، أي ارتفع وعالي: ارتفع. أو فعال: اسم للفعلة، كما قالوا فجار للفجرة.

(١٠) أي مداولة، مرة لهذا الفريق ومرة لذلك. (١١) هبل: اسم صنم.

(١٢) أي لا نحن سواء، لسنا مستويين.

الله يا عُمَرُ أَقْتَلْنَا مُحَمَّدًا؟ قال عُمَرُ: اللهم لا، وإنه ليشمخُ كلامك الآن. قال: أنت أصدقُ عندي من ابن قَيْمَةَ وأَبَرُّ، لقول ابن قَيْمَةَ لهم^(١): إني قد قَتَلْتُ مُحَمَّدًا! ثم نادى أبو سُفْيَانٍ: إنه قد كان في قتلاكم مثل^(٢)، والله ما رَضِيتُ وما سَخِطْتُ، وما نَهَيْتُ وما أَمَرْتُ! ولما انصرف أبو سُفْيَانٍ ومن معه نادى: إن موعدكم بدرٌ للعام القابل. فقال رسولُ الله ﷺ لِرَجُلٍ من أصحابه: قُلْ: نعم، هو بيننا وبينكم مَوْعِدٌ. ثم بعثَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالبٍ فقال: اخرج في آثارِ القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جَنَّبُوا الخيلَ^(٣) وامتطوا الإبلَ فإنَّهم يريدون مكة؛ وإن رَكِبُوا الخيلَ وساقوا الإبلَ فإنَّهم يريدون المدينة. والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرنَّ إليهم فيها، ثم لأناجزنَّهم^(٤). قال عليٌّ: فَخَرَجْتُ في آثارهم أنظر ماذا يصنعون. فَجَنَّبُوا الخيلَ، وامتطوا الإبلَ وَوَجَّهُوا إلى مكة.

[شهداء المسلمين]

وَفَرَّخَ النَّاسُ لِقَتْلَاهُم، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ؟» أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجلٌ من الأنصار^(٥): أنا أنظرُ لك يا رسولَ الله ما فعل سَعْدُ. فنظرَ فَوَجَدَهُ جريحًا في القَتْلِ وبه رَمَقٌ. فقلت له: إن رسولَ الله ﷺ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ، أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات، فأبلغَ رسولَ الله ﷺ عَنِّي السَّلامَ، وقُلْ له: إن سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يقول لك: جزاك الله عَنَّا خَيْرَ ما جَزَى نَبِيًّا عن أُمَّتِهِ، وأبلغَ قَوْمَكَ عَنِّي السَّلامَ وقل لهم: إن سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يقول لكم: إِنَّهُ لَا عُذْرَ لَكُمْ عند الله إِنْ خُلِصَ إِلَى نَبِيِّكُمْ ﷺ ومنكم عَيْنٌ تَطْرِفُ^(٦). قال: ثم لم أَبْرَحْ حَتَّى مات، فَجِئْتُ رسولَ الله ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرَهُ.

وخرج رسولُ الله ﷺ، فيما بلغني، يلتمسُ حَمْرَةَ بَنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ، فوجده يَبْطِنُ الوادي قد بَقِرَ بَطْنُهُ عن كَبِدِهِ، ومُثِّلَ به فُجِدَعٌ^(٧) أَنْفُهُ وَأُذُنَاهُ، فقال رسولُ الله ﷺ حين رأى ما رأى: «لولا أن تَحَزَنَ صَفِيَّةٌ وَيَكُونَ سِتَّةٌ من بَعْدِي لَتَرَكْتُه حَتَّى يَكُونَ فِي بُطُونِ

(١) انظر ما سبق.

(٢) المثل: التمثيل بالقتيل.

(٣) جنبوا الخيل: قادوها إلى جنوبهم.

(٤) لأناجزنهم: أنازلهم وأقاتلهم.

(٥) هو محمد بن مسلمة الأنصاري.

(٦) تطرف: تضرب بجفنها الأعلى على الأسفل.

(٧) خلصوا إلى نبيكم: وصلوا إليه.

السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمتلن بثلاثين رجلاً منهم!». فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا: والله لئن أظفرننا الله بهم يوماً من الدهر لثمتلن بهم مثله لم يمتلها أحد من العرب.

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله ﷺ على حفرة قال: لن أصاب بمثلك أبداً! ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلي من هذا! ثم قال: جاءني جبريل فأخبرني أن حفرة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع: حفرة بن عبد المطلب، أسد الله، وأسد رسوله. وكان رسول الله ﷺ وحفزة وأبو سلمة بن عبد الأسد، إخوة من الرضاة، أضععتهم مولاة لأبي لهب.

عن ابن عباس أن الله - عز وجل - أنزل في ذلك من قول رسول الله ﷺ وقول أصحابه: ﴿إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١١٦) وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُفْ فِي صَبْرٍ مِمَّا بَمَكُورُونَ (١١٧). فعفا رسول الله ﷺ، ونهى عن المثلة. وأمر رسول الله بحفزة فمسيجي^(١) بيودة، ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات^(٢)، ثم أتى بالقتلى فيوضعون إلى حفرة، فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة.

قال ابن إسحاق: وقد أقيمت - فيما بلغني - صفيّة بنت عبد المطلب لتنظر إليه، وكان أخاها لأبيها وأُمُّها، فقال رسول الله ﷺ لائيهما الرُّبَيْرُ بن العَوَّام: ألقها فأرجعها لا ترى ما بأخيها. فقال لها: يا أمه، إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن تزجي. قالت: ولم؟ وقد بلغني أن مثل بأخي. وذلك في الله، فما أوضانا بما كان من ذلك! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله! فلما جاء الرُّبَيْرُ إلى رسول الله ﷺ، فأخبره بذلك؛ قال: خل سبيلها. فأتته فتطرت إليه، فصلت عليه، واشترجعت^(٣) واستغفرت له. ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن.

(١) سجي: غطي.

(٢) فكبر سبع تكبيرات: هذه رواية ضعيفة لا يؤخذ بها، ولم يؤد عنه ﷺ أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه.

(٣) استرجعت: قالت: إن لله إنا إليه راجعون.

وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، فدفنوه بها ، ثم نهي رسول الله ﷺ عن ذلك وقال : « ادفنوهم حيث صرخوا » . عن عبد الله بن ثعلبة أن رسول الله ﷺ لما أشرف على القتلَى يوم أُحُد قال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء ، إنه ما من جريح يُجرَح في الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة يدْمى جرحه ، اللُّؤْلُؤُ لَوْنُ دَمٍ ، والريِّحُ ريحُ منسك ! انظروا أكثر هؤلاء جَمْعًا للقرآن فاجعلوه أما أصحابه في القبر » . وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد .

[رجوع الرسول إلى المدينة]

ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة ، فلقيته حمنة بنت جحش ، كما ذكر لي ، فلما لقيت الناس نعي إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له . ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها زوجها مُضْعَب بن عُمَيْر ، فصاحت وولولت ! فقال رسول الله ﷺ : « إن زوج المرأة منها لِمَكَان ! » لِمَا رأى من تنبئها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

ومرَّ رسول الله ﷺ بدارٍ من دورِ الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله ﷺ فبكى ، ثم قال : « لَكِنَّ حَمَزَةَ لَا بَوَاكِي لَهُ » . فلما رجع سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ . ولما سمع رسول الله ﷺ بُكاءهن على حمزة خرج عليهن وهنَّ على باب مسجده يبكين عليه ، فقال : « ارجعن يزحمكن الله ، فقد أسيتن^(١) بأنفسكن » .

ومرَّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحُد ، فلما نعو لها قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين . قالت : أرونيه حتى أنظر إليه . فأشير لها إليه ، حتى إذا رآته قالت : كلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ . تريد : صغيرة . فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : « اغسلي عن هذا دمه يا بنية ، فوالله لقد صدقني اليوم » . وناولها عليّ ابن أبي طالب سيفه فقال : وهذا أيضاً فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم . فقال

(١) المؤاساة : التعزية والمعاونة .

رسول الله ﷺ : « لَئِنْ كُنْتُ صَدَقْتُ الْقِتَالَ لَقَدْ صَدَقَ مَعَكَ سَهْلُ بْنُ حَنْثَلٍ ، وَأَبُو دُجَانَةَ » .

[غزوة حمراء الأسد]

وكان يومُ أحدٍ يومَ السبت ، لِلنَّصَفِ من شَوَّال . فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ من يَوْمِ الْأَحَدِ لَيْسَتْ عَشْرَةٌ لَيْلَةً مَضَتْ من شَوَّال ، أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ بِطَلَبِ الْعَدُوِّ ، فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُهُ أَنْ لَا يَخْرُجَنَّ مَعَنَا أَحَدٌ إِلَّا أَحَدٌ حَضَرَ يَوْمَنَا بِالْأَمْسِ . فَكَلَّمَهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنَ حَرَامٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبِي كَانَ خَلَفَنِي عَلَى أَخَوَاتٍ لِي سَبْعَ ، وَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي وَلَا لَكَ أَنْ تَتْرَكَ هَؤُلَاءِ النَّشْوَةَ لَا رَجُلَ فِيهِنَّ ، وَلَسْتُ بِالَّذِي أُوتِرَكَ بِالْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَفْسِي ، فَتَخَلَّفَ عَلَى أَخَوَاتِكَ . فَتَخَلَّفْتُ عَلَيْهِنَّ . فَأَذَّنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ مَعَهُ . وَإِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُوَهَّبًا لِلْعَدُوِّ ، وَلِيُبَلِّغَهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ لِيُظْطُّوا بِهِ قُوَّةً ، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ لَمْ يُؤْهِنْهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ .

فخرج رسول الله ﷺ حَتَّى انْتَهَى إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ - وهي من المدينة على ثمانية أُمْيَالٍ - وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ، فَأَقَامَ بِهَا الْاِثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ وَالْأَرْبَعَاءَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَقَدْ مَرَّ بِهِ مَعْبِدُ بْنُ أَبِي مَعْبِدٍ الْخُزَاعِيُّ ، وَكَانَتْ خُرَاعُهُ مُسْلِمُهُمْ وَمُشْرِكُهُمْ عَيْبَةً نُصِجَ^(١) لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِيْتِهَامَةٍ ، صَفَقَتْهُمْ مَعَهُ^(٢) ، لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا كَانَ بِهَا ، وَمَعْبِدٌ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ ، وَلَوْ دُذْنَا أَنَّ اللَّهَ عَافَاكَ فِيهِمْ ، ثُمَّ خَرَجَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ ، حَتَّى لَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَزْبٍ وَمَنْ مَعَهُ بِالرَّوْحَاءِ^(٣) ، وَقَدْ أَجْمَعُوا الرُّجْعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، وَقَالُوا : أَصَبْنَا حَدًّا أَصْحَابِهِ وَأَشْرَافَهُمْ وَقَادَتِهِمْ . ثُمَّ تَزَجَّعَ قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ ! لَنَكْرُرَنَّ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ فَلَنَقْرَعَنَّ مِنْهُمْ . فَلَمَّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ مَعْبِدًا قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا مَعْبِدُ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرِ مِثْلَهُ قَطُّ ، يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرُّقًا^(٤) ، قَدْ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا ، فِيهِمْ مِنَ الْحَقْنِ^(٥) عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرِ

(١) عيبة نصحه : موضع سره .

(٢) الصفقة : الاجتماع .

(٣) الروحاء : قرية لمزينة على ليلتين من المدينة .

(٤) الحقن : شدة الغيظ .

(٥) التحرق : الغيظ .

مِثْلَهُ قَطُّ! قال : وَيَحْك! ما تقول؟ قال : والله ما أرى أن تَوْتَجِلَ حتى ترى نواصيي الحَيْل . قال : فوالله لقد أجمَعنا الكَرَّةَ عليهم لَنَسْتَأْصِلَ بِقِيَّتِهِمْ . قال : فَأَنِّي أَنهَكَ عن ذلك ، والله لقد حَمَلَنِي ما رَأَيْتُ على أن قُلْتُ فيهم أُنْيَاً من شِعْرِ . قال : وما قُلْتُ؟ قال : قُلْتُ :

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي إِذْ سَالَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ^(١)
تَرْدِي بِأَشَدِّ كِرَامٍ لَا تَنَابِلَةَ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلَ مَعَارِيزِ^(٢)
فَطَلْتُ عَذْوًا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً لَمَّا سَمَوْا بِرُئُوسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ^(٣)
فَقُلْتُ : وَيَلَّ ابْنِ حَزْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ إِذَا تَغَطَّمَتِ الْبَطْحَاءُ^(٤) بِالْجِيلِ^(٥)
إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسَلِ ضَاحِيَةٌ لِكُلِّ ذِي إِزْنَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ^(٦)
مِنْ جَيْشٍ أَحْمَدَ لَا وَخْشٍ تَنَابِلَةَ وَلَيْسَ يَوْصَفُ مَا أُنْذَرْتُ بِالْقِيلِ^{(٧)(٨)}

فَنَتَى ذَلِكَ أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ . وَمَرَّ بِهِ رَكْبٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُونَ؟ قالوا : نُرِيدُ الْمَدِينَةَ . قال : وَلِمَ؟ قالوا : نُرِيدُ الْمِيرَةَ^(٩) قال : فَهَلْ أَنْتَ مُبْلِغُونَ عَنِّي مُحَمَّداً رِسَالَةَ أَوْسَلِكُمْ بِهَا إِلَيْهِ ، وَأَحْمَلْ لَكُمْ هَذِهِ عَدَا زَبِيئًا بَعُكَازٍ إِذَا وَافَيْتُمُوهَا؟ قالوا : نعم . قال : فإِذَا وَافَيْتُمُوهُ فَأَخْبِرُوهُ أَنَّا قَدْ أَجْمَعْنَا السَّيْرَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ ، لَنَسْتَأْصِلَ بِقِيَّتِهِمْ . فَمَرَّ الرَّكْبُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ ، فَأَخْبِرُوهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو سُفْيَانَ ، فَقَالَ : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جَهَةِ ذَلِكَ ، قَبْلَ رُجُوعِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، مُعَاوِيَةَ بْنَ الْمُغِيرَةَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ، وَأَبَا عَزَّةَ الْجُمَحِيِّ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَسْرَهُ بَيْدَرٍ ثُمَّ مَرَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَقْلَنِي^(١٠) . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَاللَّهِ لَا تَمْسُحُ

(١) تهد : تسقط لهول ما رأت . والجرد : جمع أجرد ، وهو الفرس القصير الشعر . الأبايل : الجماعات .

(٢) تردي : تسرع . التنايلة : القصار . الأميل : الذي لا يثبت على السرج . المعزال : الذي لا سلاح معه .

(٣) العدو : مثني سريع . سموا : ارتفعوا إلينا .

(٤) البطحاء : المكان المتسع يمر به السيل ، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار .

(٥) تغطمطت : اهتزت . الجيل : الصنف من الناس .

(٦) البسل : الحرام . والمراد قريش لأنهم أهل مكة ، ومكة حرام . ضاحية ، أي علانية . الإرية : العقل ، وكذلك المعقول .

(٧) القيل : القول ، المراد فضول القول .

(٨) الوخش : رذالة الناس والأخساء منهم . والتنايلة : القصار .

(٩) الميرة : الطعام يجلب من بلد إلى آخر . (١٠) أقلني : اصفح عني وتجاوز .

عارضيك^(١) بمكة بَعْدَهَا وتقول : خَدَعْتُ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ^(٢) ، اضْرِبْ عُنُقَهُ يَا زُبَيْرُ! »
فضرب عُنُقَهُ .

فلما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينة ، وكان عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ بنِ سُلُولٍ له مَقَامٌ يَقُومُهُ كُلُّ
جُمُعَةٍ لَا يُتَكَّرُ ، شَرَفًا لَهُ فِي نَفْسِهِ وَفِي قَوْمِهِ ، وكانَ فِيهِمْ شَرِيفًا ، إِذَا جَلَسَ رسولُ الله ﷺ
يَوْمَ الْجُمُعَةِ وهو يَخْطُبُ النَّاسَ ، قامَ فقال : أَيُّهَا النَّاسُ ، هَذَا رسولُ الله ﷺ بينَ
أَظْهُرِكُمْ ، أَكْرَمَكُمُ اللهُ وَأَعَزَّكُمْ بِهِ ، فَأَنْصُرُوهُ وَعَزِّزُوهُ^(٣) ، وَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا ، ثم
يَجْلِسُ . حتى إِذَا صَنَعَ يَوْمَ أُحُدٍ مَا صَنَعَ وَرَجَعَ بِالنَّاسِ ، قامَ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ ،
فَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ بِثِيَابِهِ مِنْ نَوَاحِيهِ وَقَالُوا : اجْلِسْ أَيُّ عَدُوِّ اللهِ ، لَسْتَ لَذَلِكَ بِأَهْلٍ وَقَدْ
صَنَعْتَ مَا صَنَعْتَ! فَخَرَجَ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ وهو يَقُولُ : وَاللَّهِ لَكَأَنَّمَا قُلْتُ بُجْرًا^(٤) أَنْ
قُمْتُ أَشَدُّ أَمْرَهُ! فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِيَابِ الْمَسْجِدِ فقال : مَا لَكَ؟ وَتِلْكَ! قال :
قُمْتُ أَشَدُّ أَمْرَهُ فَوَثَّبَ عَلَيَّ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَجْذِبُونَنِي وَيُعْتَقُونََنِي ، لَكَأَنَّمَا قُلْتُ بُجْرًا
أَنْ قُمْتُ أَشَدُّ أَمْرَهُ . قال : وَتِلْكَ ، ارْجِعْ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رسولُ الله ﷺ قال : وَاللَّهِ مَا أَبْتَغِي
أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي .

قال ابن إسحاق : كان يوم أُحُدٍ يَوْمَ بَلَاءٍ وَمُصِيبَةٍ وَتَمَحِيصٍ ، اختبرَ اللهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ
وَمَحَنَ بِهِ الْمُنَافِقِينَ . مِمَّنْ كَانَ يُظْهِرُ الْإِيمَانَ بِلِسَانِهِ ، وَهُوَ مُسْتَخْفٍ بِالْكَفْرِ فِي قَلْبِهِ .
وَيَوْمًا أَكْرَمَ اللهُ فِيهِ مَنْ أَرَادَ كَرَامَتَهُ بِالشَّهَادَةِ مِنْ أَهْلِ وَلَايَتِهِ .



(١) العارضين : صفحتا الخد .

(٢) وقيل : قال له : إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين! اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت . فضرب عنقه .

(٣) التعزيز : النصر .

(٤) البجر : الشر والأمر العظيم .

الفصل الحادي عشر من بعد أهدأ إلى ما قبل المنذر

[يوم الرجيع في سنة ثلاث]

قَدِمَ على رسولِ الله ﷺ بعد أُحُدٍ رَهْطٌ من عَضَلِ والقَارَةِ^(١) فقالوا : يا رسولَ الله ،
إن فينا إسلامًا ، فابْعَثْ معنا نَفَرًا من أصحابِكَ يُفَقِّهُونَا في الدين ، ويُقَرِّئُونَا القرآنَ ،
وَيُعَلِّمُونَا شَرَائِعَ الإسلامِ . فبعث رسولُ الله ﷺ معهم نَفَرًا ستة من أصحابِهِ . وهم مَوْثِدُ
ابن أبي مَوْثِدٍ ، وخَالِدُ بن البَكِيرِ ، وعاصِمُ بن ثابت ، وَخَبِيبُ بن عَدِيٍّ ، وَزَيْدُ بن الدَّثَنَةِ ،
وعبدُ الله بن طارق . وأمر رسولُ الله ﷺ على القومِ مَوْثِدُ بن أب مَوْثِدٍ ، فخرج مع القومِ
حتى إذا كانوا على الرَّجِيعِ : ماءً لَهْدِيلَ بناحيةِ الحِجَازِ على صُدُورِ^(٢) الهَدَاةِ^(٣) ، غَدَرُوا
بهم ، فاستَصْرَحُوا^(٤) عليهم هُدَيْلًا ، فلم يَرُعِ القومَ وَهُمْ في رِحَالِهِمْ إلا الرِّجَالُ بأيديهم
الشيوفَ ، قد غَشَوْهُمْ ، فَأَخَذُوا أَسْيَافَهُمْ لِيَقَاتِلُوهُمْ ، فقالوا لهم : إِنَّا واللهِ ما نُرِيدُ قَتْلَكُمْ ،
ولَكِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُصِيبَ بكم شَيْئًا من أَهْلِ مَكَّةَ ، ولكم عَهْدُ اللهِ وميثاقُهُ ألا نقتلكم .
فأما مَوْثِدُ بن أبي مَوْثِدٍ ، وخَالِدُ بن البَكِيرِ ، وعاصِمُ بن ثابت ، فقالوا : واللهِ لا نَقْبَلُ
من مُشْرِكٍ عَهْدًا ولا عَقْدًا أبدًا . فقال عاصِمُ بن ثابت :

مَا عَلَّيَ وَأَنَا جَلْدٌ نَائِلٌ^(٥) وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ غَنَائِلٌ^(٦)
تَزُلُ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ^(٧) الْمَرْؤُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلٌ
وَكُلُّ مَا حَمَّ الإِلَهِ نَازِلٌ^(٨) بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءُ إِلَيْهِ آيِلٌ^(٩)
ثم قاتل القومَ حَتَّى قُتِلَ وَقُتِلَ صَاحِبَاهُ . فلما قُتِلَ عاصِمُ أَرَادَتْ هُدَيْلُ أَخَذَ رَأْسَهُ ،

(١) قبيلتان من الهُذُنِ بن خزيمة بن مدركة . (٢) الصدور : جمع صدر ، أعلى كل شيء وأوله .

(٣) الهَدَاةُ : موضع بين عسفان ومكة . (٤) استصرخوا : استنصروا .

(٥) الجلد : الشديد . النابل : صاحب النبل . (٦) العنابل : الغليظ الشديد .

(٧) المعابل : جمع معبلة ، وهو نصل عريض طويل .

(٨) حَمَّ الإِلَهِ : قدره . (٩) آيِلٌ : صائر .

ليبيعوه من سُلَاقَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ شَهِيدٍ ، وكانت قد نَذَرَتْ حين أصاب ابنتها يوم أُحُد : لَئِنْ قَدَرْتُ عَلَى رَأْسِ عَاصِمٍ لَتَشْرَبَنَّ فِي قَحْفِهِ (١) الْحَمْرُ ، فمنعته الدَّيْرُ (٢) فَلَمَّا حَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُم الدَّيْرُ قَالُوا : دَعُوهُ حَتَّى يُمِيسِي فَتَذْهَبَ عَنْهُ فَأَخَذَهُ . فَبَعَثَ اللَّهُ الْوَادِيَّ (٣) فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا فَذْهَبَ بِهِ . وقد كان عَاصِمٌ قد أعطى الله عَهْدًا أَلَّا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ وَلَا يَمَسَّ مُشْرِكًا أَبَدًا ، تَنْجُسًا . فكان عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه يقولُ حين بلغه أَنَّ الدَّيْرَ مَنَعَتْهُ : يحفظُ الله العَبْدَ الْمُؤْمِنَ ، كان عَاصِمٌ نَذَرَ أَلَّا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ وَلَا يَمَسَّ مُشْرِكًا أَبَدًا فِي حَيَاتِهِ ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه في حياته .

وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدَّيْتَةِ ، وَخُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ ، فَلَانُوا وَرَقُوا وَرَغَبُوا فِي الْحَيَاةِ ، فَأَعْطُوا بِأَيْدِيهِمْ فَأَسْرَوْهُمْ ، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى مَكَّةَ ، لِيَبْعُوهُمْ بِهَا ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالظُّهْرَانِ انْتَرَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ يَدَهُ مِنَ الْقِرَانِ (٤) ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ ، وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُ الْقَوْمَ فَرَمَوْهُ بِالْجِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ ، فَقَبَرُوهُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالظُّهْرَانِ .

وَأَمَّا خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ الدَّيْتَةِ ، فَقَدِمُوا بِهِمَا مَكَّةَ ، فَبَاعَوْهُمَا مِنْ قُرَيْشٍ بِأَسِيرَيْنِ مِنْ هَذِيلٍ كَانَ بِمَكَّةَ . فَاِبْتَاعَ خُبَيْبًا حُجَيْرُ بْنُ أَبِي إِهَابٍ لِعُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ ، لَقَتْلِهِ بِأُيَيْهِ . وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدَّيْتَةِ فَاِبْتَاعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ لِيَقْتُلَهُ بِأُيَيْهِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ . وَبَعَثَ بِهِ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ مَعَ مَوْلَى لَهُ ، يُقَالُ لَهُ نِسْطَاسُ ، إِلَى التَّنْعِيمِ (٥) ، وَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ . واجتمع رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فِيهِمْ أَبُو سُفْيَانُ بْنُ حَزْبٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانُ حِينَ قَدِمَ لِيُقْتَلَ . أَنْشُدْكَ اللَّهَ يَا زَيْدُ ، أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الْآنَ فِي مَكَانِكَ نَضْرِبُ عَنْقَهُ وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ سَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنْتِي جَالِسٌ فِي أَهْلِي!

يقول أبو سُفْيَانُ : مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا! ثُمَّ قَتَلَهُ نِسْطَاسُ ، بِرَحْمَةِ اللَّهِ .

عن مَازِيَّةَ مَوْلَاةٍ حُجَيْرِ بْنِ أَبِي إِهَابٍ - وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ - قَالَتْ : كَانَ خُبَيْبُ

(١) قحفه : القحف أحد أحقاف ثمانية تكون الجمجمة .

(٢) الدبر : الزنابير والنحل .

(٣) فبعث الله الوادي : أرسل فيه الماء سيلًا .

(٤) القران : جبل يربط به الأسير .

(٥) التنعيم ، موضع بين مكة وسرف ، على فرسخين من مكة .

عندي ، خُيسَ في بيتي ، فلقد اطلَّعتُ عليه يوماً وإنَّ في يده لَقَطْفًا من عِنَبٍ مثلَ رأسِ الرجلِ ، يأكلُ منه ، وما أعلمُ في أرضِ الله عِنَبًا يُؤْكَلُ ، قال لي حينَ حَضَرَهُ القَتْلُ : ابعثني إلَيَّ بحديدةٍ أَتَطَهَّرُ بها للقتلِ . فَأَعْطَيْتُ غُلَامًا من الحَيِّ المَوْسَى فقلتُ : ادْخُلْ بها على هذا الرجلِ البيتِ . قالتُ : فوالله ما هو إلا أن وَلَّى الغلامُ بها إليه ، فقلتُ : ماذا صَنَعْتَ! أَصابَ الله والرجُلُ ثأْرَهُ بقتلِ هذا الغلامِ ، فيكونُ رجلًا برَّجلٍ! فلما ناولَهُ الحديدةَ أَخَذَهَا من يده ثم قال : لَعَمْرُكَ ، ما خافتَ أُمُّكَ غَدْرِي حينَ بَعَثْتُكَ بهذهِ الحديدةِ إليَّ؟! ثم خَلَّى سَبِيلَهُ .

ثم خرجوا بخَيْبٍ حتى إذا جاءوا به إلى التَّنْعِيمِ لِيَصْلُبُوهُ قالَ لهم : إنَّ رأيَكم أن تَدْعُونِي حتى أَرْكَعَ رُكْعَتَيْنِ فافْعَلُوا . قالوا : دونَكَ فارْكَعْ . فركَعَ رُكْعَتَيْنِ أَتَمَّهُمَا وَأَحْسَنَهُمَا . ثم أَقْبَلَ على القومِ فقال : أما والله لولا أن تَطُنُّوا أَنِّي إِنَّمَا طَوَّلْتُ جَزْعًا من القَتْلِ لاسْتَكْنَوْتُ من الصلاة! فكان خَيْبُ بن عَدِيٍّ أَوَّلَ من سَنَّ هَاتَيْنِ الرُّكْعَتَيْنِ عند القتلِ للمسلمين .

ثم رفعوه على حَشَبَةٍ . فلما أَوْثَقُوهُ قال : اللَّهُمَّ إِنَّا قد بَلَّغْنَا رِسَالَةَ رَسولِكَ فَبَلِّغْهُ الغَدَاةَ ما يُصْنَعُ بنا!! ثم قال : اللَّهُمَّ أَخْصِبْهم عَدَدًا ، واقتُلْهم بَدَدًا^(١) ، ولا تُغَادِرْ منهم أحدًا!! ثم قتلوه رَحِمَهُ الله .

فكان معاويةُ بن أبي سُفْيَانَ يقولُ : حَضَرْتُهُ يَوْمَئِذٍ فيمن حَضَرَهُ مع أبي سُفْيَانَ ، فلقد رَأَيْتُهُ يُلْقِينِي إلى الأَرْضِ فَرَقًا^(٢) من دَعْوَةِ خَيْبٍ . وكانوا يقولون : إنَّ الرجلَ إذا دُعِيَ عليه فَاضْطَجَعَ لَجَنِبِهِ زَالَتْ عنه .

وكان عُمَرُ بن الخطابِ رَضِيَ اللهُ عنه استعملَ سَعِيدَ بن عامرٍ بن جَذِيمَ الجُمَحِيِّ على بعضِ الشامِ ، فكانت تُصِيبُهُ عَشْبِيَّةٌ وهو بين ظَهْرِي القومِ ، فذَكَرَ ذلكَ لِعُمَرَ بن الخطابِ ، وقيل : إن الرجلَ مُصَابٍ . فسأله عُمَرُ في قَدَمَةٍ قَدِمَهَا عليه فقال : يا سَعِيدُ ، ما هذا الذي يُصِيبُكَ؟ فقال : والله يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ما بي من بَأْسٍ ، ولكِنِّي كُنْتُ فيمن حَضَرَ خَيْبُ بن عَدِيٍّ حينَ قُتِلَ ، وسمِعْتُ دَعْوَتَهُ فوالله ما حَظَرْتُ على قَلْبِي وأنا في مَجْلِسٍ قَطُّ إِلَّا عُثِيَّ عَلَيَّ! فزادته عند عُمَرَ خَيْرًا .

(١) بددا : متفرقين .

(٢) الفرق ، بالتحريك : الخوف والفرع .

قال ابن عباس : لما أُصِيبَت الشَّرِيعَةُ التي كان فيها مَرَدُّ وعاصِمٌ بالرَّجِيعِ ، قال رِجَالٌ من المنافقين : يا وَيْحَ هؤلاءِ المَفْتُونين الذين هَلَكُوا هَكَذَا ، لا هم قَعَدُوا في أَهْلِيهِمْ ، ولا هُمْ أَدَّوْا رِسَالَةَ صَاحِبِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى في ذَلِكَ من قَوْلِ المنافقين : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ، أي لما يُظْهِرُ من الإسلام بلسانه ﴿ وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ وهو مخالفٌ لما يقول بلسانه ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ ، أي ذو جدالٍ إذا كَلَّمَكَ وراجَعَكَ . ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى ﴾ أي خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ ﴿ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ أي لا يُحِبُّ عَمَلَهُ ولا يَرْضاه . ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسِبُهُمْ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ أَلْمَهُادُ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ، أي قد شَرَوْا أَنْفُسَهُمْ من الله بالجِهادِ في سبيله ، والقيام بحَقِّهِ ، حتى هَلَكُوا على ذَلِكَ . يعني تلك الشَّرِيعَةَ . وكان مِمَّا قِيلَ في ذَلِكَ من الشُّعْرِ قَوْلُ خُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ حين بلغه أَنَّ القَوْمَ قد اجْتَمَعُوا لِصَلْبِهِ :

لقد جَمَعَ الْأَخْرَابُ حَوْلِي وَأَلْبُوا
وَكُلُّهُمْ مُبْدِي الْعَدَاوَةِ جَاهِدُ
وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ
إِلَى اللَّهِ أَشْكَو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي
فَذَا الْعَرْشُ ، صَبَّرَنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ
وَقَدْ خَيَّرُونِي الْكُفْرَ وَالْمَوْتَ دُونَهُ

قَبَائِلُهُمْ وَاسْتَجَمَعُوا كُلُّ مُجْمَعٍ^(١)
عَلَيَّ لِأَنِّي فِي وَثَاقٍ^(٢) بِمَضْيعٍ
وَقُرْنَتْ مِنْ جَذْعٍ طَوِيلٍ مُمْنَعٍ^(٣)
وَمَا أَرْصِدُ الْأَخْرَابَ لِي عِنْدَ مَضْرَعِي^(٤)
فَقَدْ بَضَّعُوا لِحِمِي وَقَدْ يَاسَ مَطْمَعِي^(٥)
يُبَارِكُ عَلَى أَوْصَالٍ^(٦) يَشْلُو مُمَزَّعٍ^(٧)
وَقَدْ هَمَلْتُ^(٨) غَيْنَتَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْرَعٍ

(١) ألبوا : جمعوا .

(٢) وثاق : منيع محمي .

(٣) منع : منيع محمي .

(٤) أرصدوا : أعدوا .

(٥) بضعوا : قطعوا . ياس : يفس .

(٦) أوصال : جمع وصل ، الواو بالفتح والضم والكسر ، المفصل أو مجتمع العظام .

(٧) الشلو : الجسد . الممزع : المقطع .

(٨) هملت العين : فاضت وسالت .

وَمَا بِي حَذَّارِ الْمَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ وَلَكِنْ حَذَّارِي جَحْمِ نَارِ مُلْفَعٍ^(١)
فَوَاللَّهِ مَا أَرْجُو إِذَا مِتُّ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَضْرَعِي^(٢)
فَلَسْتُ بِمُبِيدٍ لِلْعَدُوِّ تَحْشَعَا وَلَا جَزَعًا إِنِّي إِلَى اللَّهِ مَرْجِعِي
وقال حسان بن ثابت يكي حبيبا :
مَا بَالُ غَيْبِكَ لَا تَرْقَا مَدَامُهَا سَخَا عَلَى الصَّدْرِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ الْقَلِقِ^(٣)
عَلَى حُبَيْبٍ فَتَى الْفِثْيَانِ قَدْ عَلِمُوا لَا فَشِيلَ حِينَ تَلْقَاهُ وَلَا نَزِقٍ^(٤)
فَاذْهَبْ حُبَيْبُ جَزَاكَ اللَّهُ طَيِّبَةً وَجَنَّةَ الْخُلْدِ عِنْدَ الْخُورِ فِي الرَّفْقِ^(٥)
مَاذَا تُقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ حِينَ الْمَلَائِكَةُ الْأَبْرَارُ فِي الْأَفْقِ
فِيمَ قَتَلْتُمْ شَهِيدَ اللَّهِ فِي رَجُلٍ طَاغٍ^(٦) قَدْ أَوْعَتْ^(٧) فِي الْبُلْدَانِ وَالرَّفْقِ^(٨)
[حديث بئر معونة في صفر سنة أربع]

فأقام رسول الله ﷺ بقية شوال ، وذا القعدة ، وذا الحجة - وولي^(٩) تلك الحجة المشركون - والمُحَرَّم ، ثم بعث رسول الله ﷺ أصحاب بئر معونة في صفر ، على رأس أربعة أشهر من أحد .

قَدِمَ أَبُو بَرَاءٍ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جَعْفَرٍ مُلَاعِبَ الْأَسِنَّةِ^(١٠) ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامَ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يُسَلِّمْ وَلَمْ يَتَّعِدْ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، لَوْ بَعَثْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَى أَهْلِ نَجْدٍ ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى أَمْرِكَ ، رَجَوْتُ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي أَخَشَى عَلَيْهِمْ أَهْلَ نَجْدٍ » . قَالَ أَبُو بَرَاءٍ : أَنَا لَهُمْ جَارٌ ، فَأَبْعَثْهُمْ فَلْيَدْعُوا النَّاسَ إِلَى أَمْرِكَ .

فبعث رسول الله ﷺ الْمُثَنَّى بْنَ عَمْرٍو أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ ، « الْمُعْتَنِقَ لِيَمُوتَ^(١١) » ، فِي

(١) الجحيم : اضطراب النار . ملفع : يشمل من جميع نواحيه .

(٢) أرجو : أخاف . (٣) ترقا : تسكن . السخ : الصب .

(٤) نزق : من النزق ، وهو التسرع والطيش . (٥) الرفق : جمع رفقة ، وهم الأصحاب .

(٦) طاغ : متجاوز الحد في الظلم . (٧) أوعت : أفسد .

(٨) الرفق ، بالتحريك : المرتع السهل المطلب . (٩) ولي الحجة : قام بها وملك أمرها .

(١٠) ملاعب الأسنة : أي الرماح ، سمي بذلك يوم سوبان (من أيام العرب بين قيس وتميم) .

(١١) اعتنق : أسرع . وإنما سمي بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة .

أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين، منهم: الحارث بن الصّمة، وحرام بن ملحان، وغزوّة بن أسماء بن الصّلت، ونافع بن بُذيل بن وَزْقاء، وعامر بن فُهَيْرَة مَوْلى أبي بكر الصّدّيق، في رجالٍ مُسمّين من خيار المسلمين، فساروا حتى نزلوا بيثِر مَعُونَة، وهي بين أرض بني عامر وخِزّة^(١) بني سُليّم، كِلا البَلَدَيْنِ منها قريب، وهي إلى خِزّة بني سُليّم أقرب.

فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عَدُوّ الله عامر بن الطّفَيْل. فلما أتاه لم يَنْظُرْ في كتابه حتى عدا على الرّجل فقتله، ثم استَصْرَحَ^(٢) عليهم بني عامر فأبوا أن يُجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا: لن نُخْفِرَ أبا براء^(٣)، وقد عَقَدَ لهم عَقْدًا وجوارًا. فاستَصْرَحَ عليهم قبائل من بني سُليّم فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى عَشَوْ القوم فأحاطوا بهم في رجالهم، فلما رأوهم أخذوا سُيُوفَهُمْ، ثم قاتلوهم حتى قُتِلُوا من عند آخرهم، يرحمهم الله؛ إلّا كَعْب بن زَيْد فإنهم تركوه وبه رَمَقٌ، فازْتَتْ^(٤) من بين القتلى، فعاش حتّى قُتِلَ يوم الحَنْدَقِ شهيدًا، يرحمه الله.

وكان في سَرْح^(٥) القوم عَمْرُو بن أُمَيَّة الضّمَرِيّ، ورجلٌ من الأنصارِ أخذ بني عَمْرُو ابن عَوْف^(٦)، فلم يُنَبِّئْهُمَا بمُصَابِ أصحابيهما إلّا الطّائِرُ تَحُومٌ حول العسكر، فقالا: والله إنّ لهذه الطّائر لَشَأْنًا. فأقبلا لِيَنْظُرَا، فإذا القوم في دِمَائِهِمْ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة، فقال الأنصاريّ لعَمْرُو بن أُمَيَّة: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ، فتُخْبِرَهُ الخبر. فقال الأنصاريّ: لكني ما كنت لأرغب بنفسِي عن موطنٍ قُتِلَ فيه المُنْذِرُ ابن عَمْرُو. وما كنت لتُخْبِرَنِي عنه الرجال! ثُمَّ قاتل القوم حتى قُتِل. وأخذوا عَمْرُو بن أُمَيَّة أسيرًا، فلمّا أخبرهم أنّه من مُضَرَ أطلقه عامر بن الطّفَيْل، وجَزَّ ناصيته، وأعتقه عن رَقَبَةٍ زَعَمَ أنها كانت على أُمّة، فخرج عَمْرُو بن أُمَيَّة حتّى إذا كان بالقَوْقَرَة^(٧) من صَدْر قَنَاة^(٨)، أقبل رجلان من بني عامر حتى نَزَلَا معه في ظِلِّ هو فيه. وكان مع العامريّين عَقْدٌ

(١) خِزّة: الحرة أرض ذات حجارة سود كأنها أحقرت.

(٢) استصْرَحَهُمْ: استعان بهم.

(٣) نخفروه: نقض عهده.

(٤) الارتثاث: أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أُنْخِثَتْه الجراح.

(٥) سرح: ماشية، ولا يسمى سرحًا إلّا ما يُغذى به ويراح. (٦) هو المنذر بن محمد بن عقبة.

(٧) قرقرة الكدر، بينها وبين المدينة ثمانية برد. (٨) قَنَاة: واد يصب في قنارة الكدر.

من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممن أنتما؟ فقالا : من بني عامر . فأمهلهما حتى إذا ناما غدا عليهما ، فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة^(١) من بني عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ .

فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، قال الرسول ﷺ : (لقد قتلت قتيلين لأديئهما !) ثم قال رسول الله ﷺ : « هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارها متخوفا ! » . فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفاء عامر إياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره .

وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة . عن هشام بن عروة عن أبيه ، أن عامر بن الطفيل كان يقول : من رجل منهم لما قتل رأيت رُفَع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه؟ قالوا : هو عامر بن فهيرة .

وعن بعض بني جبّار بن سلمى بن مالك بن جعفر - وكان جبّار فيمن حصرها يومئذ مع عامر ثم أنسلم : إن مما دعاني إلى الإسلام أنني طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنطرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعتة يقول : فزت والله ! فقلت في نفسي : ما فاز ! ألست قد قتلت الرجل ! قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : للشهادة ؛ فقلت : فاز لعمرو الله .

[إجلاء بني النضير في سنة أربع]

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعيثهم في دية ذئب القتلين من بني عامر ، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما ، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف ، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعيثهم في دية ذئب القتلين قالوا : نعم ، يا أبا القاسم ، نعيثك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه . ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد ، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه ! فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، أخذهم ، فقال : أنا لذلك . فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلي ، رضوان الله عليهم .

(١) الثؤرة : بالضم : الثأر .

فأتى رسول الله ﷺ الحَبَرُ من السَّمَاءِ بما أراد القَوْمُ ، فقام وخرج راجِعًا إلى المدينة .
 فَلَمَّا اسْتَلْبِثَ^(١) النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ قَامُوا فِي طَلَبِهِ ، فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ فَسَأَلُوهُ
 عَنْهُ . فَقَالَ : رَأَيْتُمْ دَاخِلًا الْمَدِينَةَ . فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ ﷺ
 فَأَخْبَرَهُم الْخَبَرَ ، بِمَا كَانَتْ الْيَهُودُ أَرَادَتْ مِنَ الْعَدْرِ بِهِ . وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّهْيِ
 لِحَرْبِهِمْ وَالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ سَارَ بِالنَّاسِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ ، فَتَخَصَّنُوا مِنْهُ فِي الْحَصُونِ ، فَأَمَرَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَطْعِ النَّخِيلِ وَالتَّحْرِيقِ فِيهَا ، فَنَادَوْهُ : أَنْ يَا مُحَمَّدَ ، قَدْ كُنْتَ تَنْهَى عَنِ
 الْفَسَادِ وَتَعْيِيهِ عَلَى مَنْ صَنَعَهُ ، فَمَا بَالُ قَطْعِ النَّخِيلِ وَتَحْرِيقِهَا !

وَقَدْ كَانَ رَهْطٌ مِنْ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، مِنْهُمْ عَدُوُّ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُتَيْيَ بْنِ سَلُولٍ ،
 وَوَدِيعَةُ ، وَمَالِكُ بْنُ أَبِي قَوْقَلٍ ، وَسُوَيْدٌ ، وَدَاعِسٌ ، قَدْ بَعَثُوا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ : أَنْ اثْبَتُوا
 وَتَمَتُّعُوا ، فَإِنَّا لَنُثْلِمَكُم ، إِنْ قَوَيْتُمْ قَاتَلْنَا مَعَكُمْ ، وَإِنْ أَخْرَجْتُمْ خَرَجْنَا مَعَكُمْ . فَتَرَبَّصُوا
 ذَلِكَ مِنْ نَصْرِهِمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا ، وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِم الرُّغْبَ ، وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ
 يُجْلِيَهُمْ وَيَكْفَ عَنْ دِمَائِهِمْ ، عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا الْخَلْقَةَ^(٢) .
 فَفَعَلَ ، فَاحْتَمَلُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ الْإِبِلُ ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَهْدِمُ بَيْتَهُ عَنْ نِجَافٍ
 بَابِهِ^(٣) فَيَضُمُّهُ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ فَيَنْطَلِقُ بِهِ . فَخَرَجُوا إِلَى خَيْبَرَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَارَ إِلَى الشَّامِ .
 فَكَانَ أَشْرَافُهُمْ مَنْ سَارَ مِنْهُمْ إِلَى خَيْبَرَ : سَلَامُ بْنُ أَبِي الْحَقِّيقِ ، وَكَنانَةُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي
 الْحَقِّيقِ ، وَخَيْبِيُّ بْنُ أَحْطَبٍ . فَلَمَّا نَزَلُوا دَانَ لَهُمْ أَهْلُهَا .

حَدَّثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهُ حَدَّثَ : أَنَّهُمْ اسْتَقَلُّوا بِالنِّسَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْأَمْوَالِ ، مَعَهُم
 الدُّفُوفُ وَالْمَزَامِيرُ ، وَالْقِيَانُ^(٤) يَغْرِزْنَ خَلْفَهُمْ ، وَإِنَّ فِيهِمْ لَأُمَّ عَمْرٍو صَاحِبَةَ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ
 الْعَبْسِيَّ الَّتِي ابْتَاعُوا مِنْهُ^(٥) ، بَرْهَاءً وَقَعَرًا مَا رُئِيَ مِثْلُهُ مِنْ حَيٍّ مِنَ النَّاسِ فِي زَمَانِهِمْ . وَخَلُّوا

(١) استلبثه : استبطأه .

(٢) الحلقة : السلاح كله .

(٣) النجاف : العتبة التي بأعلى الباب .

(٤) القيان : جمع قَيْتَةٍ ، الأُمة ، وغلب على المغنية .

(٥) اسمها سلمى ، وكانت ناكحًا في مزينة ، فأغار عليهم عروة بن الورد فسبها ، وكان عروة يتردد على بني
 النضير فيستقرضهم إذا احتاج ويبيع منهم إذا غنم . فأروا عنده سلمى فأعجبته ، فسألوه أن يبيعهها منهم فأبى ،
 فسقوه الخمر واحتالوا عليه حتى ابتاعوها منه وأشهدوا عليه . وفي ذلك يقول :

سَقُونِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكْتَفُونِي عِدَاةُ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ
 فَيَا لِلنَّاسِ كَيْفَ غَلَبَتْ نَفْسِي عَلَى شَيْءٍ وَيَكْرَهُهُ ضَمِيرِي

الأموال لرسول الله ﷺ ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء ، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجاجة سيماك بن خرشة ذكرا فقرا ، فأعطاهما رسول الله ﷺ .

ولم يُسلم من بني النضير إلا رجلان : يامين بن عُميير ، أبو كعب بن عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاهما .

ونزل في بني النضير سورة الحشر بأمرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله من نعمته ، وما سلط عليهم به رسوله ﷺ وما عمل به فيهم ، فقال - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذ اختملوها . ﴿ فَأَعْتَبُوا يَتَأُولَى الْأَبْصَارِ ﴾ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء ﴿ وكان لهم من الله نعمة ﴾ ﴿ لَعَذَابُكُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾ ، أي بالشيف . ﴿ وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴾ مع ذلك . ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَحْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا ﴾ والليئة : ما خالف العجوة من النخل ﴿ فَيَاذِنِ اللَّهُ ﴾ أي فبأمر الله قطعت ، لم يكن فسادا ، ولكن كان نعمة من الله ﴿ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ ﴾ وما أفاء الله على رسوله منهم ﴿ يعني من بني النضير ﴾ ﴿ فَمَا أَوْحَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي : له خاصة ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ : ما يوجب عليه المسلمون بالخيال والركاب ، وفتح بالحرب غنوة ، فله وللرسول ﴿ وَلِلَّذِي الْقُرَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَنْ لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأْتُوا ﴾ : هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين على ما وضعه الله عليه . ثم قال - تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ومن كان على مثل أمرهم ﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ يعني بني النضير ، إلى قوله ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعني بني قينقاع ، ثم القصة إلى قوله : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦) فكان عقيبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاؤا الظالمين (١٧) .

[غزوة ذات الرقاع في سنة أربع]

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى . ثم غزا نجدًا يريد بني مُحارب وبني ثعلبة من غطفان واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري حتى نزل نَحْلًا^(١) ، وهي غزوة ذات الرقاع^(٢) . فلقِيَ بها جمعًا عظيمًا من غطفان ، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حُزْب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضًا ، حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف ، ثم انصرف بالناس .

عن جابر بن عبد الله : أنَّ رجلًا من بني مُحارب ، يقال له : غُورث ، قال لقومه من غطفان ومُحارب : ألا أقتل لكم مُحَمَّدًا؟ قالوا : بلى ، وكيف تَقْتُلُهُ؟ قال : أفتلك به . قال : فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس ، وسيف رسول الله ﷺ في حجره ، فقال : يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا؟ قال : نعم - وكان مُحَلَّى بِفِصَّة ، فيما قال ابن هشام - قال : فأخذه فاشتله ، ثم جعل يَهْزُهُ ، وَيَهْمُ فَيَكْتِبُهُ اللَّهُ^(٣) ؛ ثم قال : يا محمد ، أما تخافني؟ قال : لا ، وما أخاف منك؟ قال : أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال : لا ، يَمْنَعُنِي اللَّهُ منك . ثم عمَد إلى سيف رسول الله ﷺ ، فزده عليه .

وعن جابر بن عبد الله أيضًا قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نَحْل ، على جمل لي ضعيف ، فلما قفل رسول الله ﷺ جعلت الرِّفَاقُ تمضي ، وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال : مالك يا جابر؟ قلت : يا رسول الله ، أبطأ بي جملي هذا . قال : أنيحه^(٤) . فأنحته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال : أعطني هذه العصا من يدك ، أو أقطع لي عصا من شجرة . ففعلت ، فأخذها رسول الله ﷺ فنحسه^(٥) بها نخسات ثم قال : اركب : فركبت فخرج ، والذي بعته بالحق ، يواهي ناقته مواهقة^(٦) .

وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال لي : « أتبيعني جملك هذا يا جابر؟ » قلت :

(١) نحل : موضع بنجد من أرض غطفان .

(٢) إنما قيل لها ذات الرقاع لأنهم رقعوا فيها راياتهم . وقيل : ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع . وقيل : لأن الحجارة أوهنت أقدامهم فشدوا رقاعًا ، فقيل لها : ذات الرقاع .

(٣) يكتبه الله : يذله ويقمعه . (٤) أنيحه : للجمل ، أنيركه .

(٥) فنحسه : نخس الدابة طعن مؤخرها أو جنبها بالمنخاس لتنشط .

(٦) يواهيها : يعارضها في المشي لسرعته .

يا رسول الله ، بل أهبطه لك . قال : « لا ، ولكن بغنيته » . قلت : فسئله يا رسول الله . قال : « قد أخذته بيدهم ^(١) ! » قلت : لا ، إذن تعبتني يا رسول الله . قال : « فبذرهمين ؟ » قلت : لا . فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأوقية ^(٢) . فقلت : أفقد رضى رسول الله ﷺ ؟ قال : « نعم » . قلت : فهو لك . قال : « قد أخذته » . ثم قال : « يا جابر ، هل تزوجت بعد ؟ » قلت : نعم يا رسول الله . قال : « أثيبا ^(٣) أم بكرا ؟ » قلت : لا ، بل ثيبا . قال : « أفلا جارية ثلثها وثلاثها ؟ » قلت : يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أخذ وترك بنات له سبيعا ، فنكحت امرأة جامعة ، تجمعت رؤوسهن وتقوم عليهن . قال : « أصبت إن شاء الله ، أما إننا لو قد جئنا صرارا ^(٤) أمرنا بجزور فنحرت . وأقمنا عليها يومنا ذاك ، وسمعت بنا فنقضت نمارقها ^(٥) » . قلت : والله يا رسول الله ما لنا من نمارق ! قال : « إنها ستكون ، فإذا أنت قد مت فاعمل عملا كئيسا ^(٦) » .

فلما جئنا صرارا أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا ، فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله ﷺ . قالت : فدونك ، فسمعت وطاعة .

فلما أصبحت أخذت برأس الجمل ، فأقبلت به حتى أتته على باب رسول الله ﷺ ، ثم جلست في المسجد قريبا منه . وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل فقال : ما هذا . قالوا : يا رسول الله ، هذا جمل جاء به جابر . قال : فأين جابر ؟ فدعيت له فقال : يا ابن أخي ، خذ برأس جمالك فهو لك . ودعا بلالا فقال له : اذهب بجابر فأعطه أوقية . فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئا يسيرا ، فوالله ما زال ينمي عندي ، ويؤزى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا - يعني يوم الحرة ^(٧) .

وعنه أيضا قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب

(١) بدرهم : الدرهم قطعة من فضة مضروبة للمعاملة يعادل حوالي ٢,٤ جرام .

(٢) الأوقية : اثنا عشر درهما من الفضة تعادل حوالي ٢٨,٤ جم .

(٣) أثيبا : الثيب غير العذراء .

(٤) صرار ، بالكسر : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

(٥) النمارق : جمع نمرة ، وهي الوسادة الصغيرة . (٦) كئيسا : حسنا عاقلا .

(٧) يوم الحرة : الذي كانت فيه وقعة الحرة - موضع بظاهر المدينة تحت وإقيم - أيام يزيد بن معاوية .

رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً ، أتى زوجهما وكان غائبا ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد ﷺ دماً! فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً فقال : من رجل يكلمنا^(١) ليلتنا هذه؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل آخر من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله . قال : فكونا بقم الشعب . فلما خرج الرجلان إلى قم الشعب قال الأنصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيك . أوله أم آخره؟ قال : بل أكفي أوله . فاضطجع المهاجري فنام وقام الأنصاري يصلي .

وأتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيته^(٢) القوم ، فرمى بسهم فوضعه فيه ، فنزعه فوضعه فثبت^(٣) قائماً . ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه ، فنزعه ووضعه وثبت قائماً ، ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه ، فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهب صاحبه^(٤) فقال : اجلس فقد أثبت^(٥) . فوثب ، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به^(٦) فهرب . ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال : سبحان الله ، أفلا أهبتي أول ما رماك؟ قال : كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها فلما تابع علي الرمي ركعت فأذنتك . وآيم الله لولا أن أضيّع نغوا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها^(٧) .

قال ابن إسحاق : ولما قديم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى ، وجمادى الآخرة ، ورجباً .

[غزوة بدر الآخرة في شعبان سنة أربع]

ثم خرج في شعبان إلى بدر ، لميعاد أبي سفيان ، حتى نزل . فأقام عليه ثمانين ليلة ينتظر أبا سفيان . وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة^(٨) ، من ناحية الظهران ،

(١) يكلمنا : يحفظنا ، يحرسنا .

(٢) ربيته القوم : الطليعة الذي يرقب العدو من مكان عال لئلا يدهم قومه .

(٣) فثبت : استقر .

(٤) أهبه إهاباً : أيقظه .

(٥) أثبتته : جرحه جرحاً لا يمكنه التحرك معه . (٦) نذرا به : علما به فتحزوا .

(٧) أنفدها : أفضيها .

(٨) واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري .

ثم بدا له في الرجوع فقال : يا معشر قريش إنه لا يضلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عام جدب ، وإنني راجع فأرجعوا فرجع الناس ، فسمّاهم أهل مكة « جيش السويق »^(١) . يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق .

وأقام رسول الله ﷺ على بدرٍ ينتظر أبا سفيان لميعاده ، فأتاه مخشي بن عمرو الضمري ، وهو الذي كان وادعه على بني ضمرة في غزوة ودان فقال : يا محمد ، أجيئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال : نعم ، يا أخا بني ضمرة ، وإن شئت مع ذلك ردّنا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالذناك^(٢) حتى يعحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يا محمد ، مالنا بذلك منك من حاجة . فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أبا سفيان ، فمرّ به معبد بن أبي معبد الخزاعي ، فقال وقد رأى مكان رسول الله ﷺ وناقته تهوي به^(٣) .

قَدْ نَفَرْتُ مِنْ رُفَقَاتِي مُحَمَّدٍ وَعَجُوزَةٌ مِنْ يَثْرِبَ كَالْعَنْجَدِ^(٤)
تَهْوِي عَلَى دِينَ أَبِيهَا الْأَثَلَدِ^(٥) قَدْ جَعَلْتُ مَاءَ قَدِيدٍ مَوْعِدِي^(٦)

وَمَاءَ ضَجْنَانَ^(٧) لَهَا ضَحَى الْعَدِ

وقال عبد الله بن رواحة في ذلك^(٨)

وَعَدْنَا أَبَا سُفْيَانَ بَدْرًا فَلَمْ نَجِدْ فَأُقْسِمَ لَوْ وَافَيْتَنَا فَلَقَيْنَا
لَأُبَيْتُ^(٩) دَمِيمًا وَافْتَقَدْتُ الْمَوَالِيَا
وَعَمْرًا أَبَا جَهْلٍ تَرَكْنَاهُ ثَاوِيَا^(١١) وَعُثْبَةَ وَابْنَهُ
عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ أَفْ لِدِينِكُمْ وَأَمْرُكُمْ السَّيِّئُ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا
فَلِئَنِّي وَإِنْ عَنَّفْتُمُونِي لَقَائِلٌ فِدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا

(١) السويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير ، سمي بذلك لانساقه في الحلق .

(٢) المجالدة : المضاربة بالسيوف .

(٣) تهوي به : تسرع .

(٤) العنجد : الزبيب الأسود .

(٥) الدين : الدأب والعادة . الأثلد : الأقدم .

(٦) قديد : موضع قرب مكة .

(٧) ضجنان : جبل بناحية مكة .

(٨) قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري ، لكعب بن مالك .

(٩) لأبت : لرجعت .

(١٠) أوصال : جمع وُصل ، المفصل أو مجمع العظام .

(١١) ثاويًا : مقيما .

أَطْعَنَاهُ لَمْ تَعْدِلْهُ فِينَا بِغَيْرِهِ شَهَابًا لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا
 [غزوة دومة الجندل]
 [في شهر ربيع الأول سنة خمس]

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقام بها شهرًا حتى مضى ذو الحجة ، وولي تلك الحجة المشركون ، وهي سنة أربع من مقدم رسول الله ﷺ المدينة . ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل^(١) ، ثم رجع قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كئيدًا ، فأقام بالمدينة بقية سنته .



(١) يضم الدال ، وتفتح من أعمال المدينة ، بينها وبينها خمس عشرة ليلة . وقد استعمل رسول الله ﷺ على المدينة في هذه الغزوة سباع بن عرفة .

الفصل الثاني عشر

من الحنذر إلى غزوة ذي قرد

[غزوة الحنذر في شوال سنة خمس]

ثم كانت غزوة الحنذر في شوال سنة خمس . إنه كان من حديث الحنذر أن نفراً من اليهود ، منهم سلام بن أبي الحقيق النضري ، وحبي بن أخطب النضري ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو غمار الوائلي ، في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل - وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله ﷺ . خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعّوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : إننا سنكون معكم عليه حتى نستأصله . فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .

فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَتِ وَالطَّلُوعِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾ (٥١) ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ (٥٢) ﴿ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ أَمَّا يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ﴾ أي النبوة . ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ﴾ فَعِنَهُمْ مِّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ .

فلما قالوا ذلك لقريش ، سرّهم ونشيطوا لما دعّوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واتّعدوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان ، فدعّوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأنّ قريشاً قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها غيبة بن حصن في بني فزارة ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المزي في بني مرة ، ومشر بن

رُخِيلَةَ فِيمَنْ تَابَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ أَشْجَعَ . فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَمَا أَجْمَعُوا لَهُ مِنَ الْأَمْرِ ، ضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَعَمِلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، تَرْغِيْبًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْأَجْرِ ، وَعَمَلَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ ، فَذَأَبَ فِيهِ وَذَأَبُوا ، وَأَبْطَأَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي عَمَلِهِمْ ذَلِكَ رِجَالٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، وَجَعَلُوا يُؤْزُونَ^(١) بِالضَّعِيفِ مِنَ الْعَمَلِ ، وَيَتَسَلَّلُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا إِذْنٍ . وَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا نَابَتْهُ النَّائِبَةُ مِنَ الْحَاجَةِ الَّتِي لَا بَدَّ لَهُ مِنْهَا ، يَذْكُرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي اللُّحُوقِ بِحَاجَتِهِ . فَيَأْذُنُ لَهُ ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ فِيهِ مِنْ عَمَلِهِ ، رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ وَاجْتِسَابًا لَهُ ، فَأَنْزَلَ - اللَّهُ تَعَالَى - فِي أَوَّلِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٦) . فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيمَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْحِشْبَةِ وَالرَّغْبَةِ فِي الْخَيْرِ ، وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى ، يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَسَلَّلُونَ مِنَ الْعَمَلِ ، وَيَذْهَبُونَ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٧) - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : اللَّوَاذُ : الْاسْتِثْنَاءُ بِالشَّيْءِ عِنْدَ الْهَرَبِ - ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ مِنْ صِدْقٍ أَوْ كَذِبٍ ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ اسْتَدَّتْ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْخَنْدَقِ كُذْيَةٌ ، فَشَكَّوْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ ، فَتَقَلَّ فِيهِ ؛ ثُمَّ دَعَا بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُو بِهِ ، ثُمَّ نَضَحَ ذَلِكَ الْمَاءَ عَلَى تِلْكَ الْكُذْيَةِ ؛ فَيَقُولُ مَنْ حَضَرَهَا ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيًّا ، لَأَنْهَالَتْ^(٢) حَتَّى عَادَتْ كَالْكُثَيْبِ ، لَا تَزُدُّ قَاسًا وَلَا مِسْحَاةً .

وَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : ضَرَبْتُ فِي نَاجِيَةٍ مِنَ الْخَنْدَقِ ، فَغَلَطْتُ عَلَى صَخْرَةٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرِيبٌ مِنِّي ؛ فَلَمَّا رَأَنِي أَضْرِبُ وَرَأَيْ شِدَّةَ الْمَكَانِ عَلَيَّ ، نَزَلَ فَأَخَذَ الْجِعْفُولَ

(١) التورية : أَنْ يَسْتَرْ شَيْئًا وَيُظْهِرَ غَيْرَهُ .

(٢) انهالت : تفتتت .

من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المغول بوقته؛ ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحتته بوقته أخرى؛ ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحتته بوقته أخرى. قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما هذا الذي رأيت كمع تحت المغول وأنت تضرب؟ قال: أوقد رأيت ذلك يا سلمان؟ قلت: نعم؛ قال: أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن؛ وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب؛ وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق.

وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول، حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر و زمان عثمان وما بعده: افتتحوها ما بدا لكم، فوالذي نفس أبي هريرة بيده، ما افتتحتهم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمدا ﷺ مفاتيحها قبل ذلك.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأنبياء من رومة، بين الجوف وزعابة. في عشرة آلاف من أحابيشهم^(١) ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بدنب نغمي إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع^(٢) في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراي والنساء فجعلوا في الآطام^(٣) وخرج عدو الله حبي بن أخطب النصري حتى أتى كعب بن أسيد القرظي، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم. وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده على ذلك وعاهدته، فلما سمع كعب بحبي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له. فناداه حبي: ويحك يا كعب! افتح لي. قال: ويحك يا حبي، إنك امرؤ مشعوم، وإنني قد عاهدت محمدا فليست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقًا. قال: ويحك! افتح لي أكلمك. قال: ما أنا بفاعل. قال: والله إن أغلقت الحصن دوني إلا على جشيشيك^(٤) أن أكمل منها معك! فأحفظ الرجل ففتح له، فقال: ويحك يا كعب! جئت بك بعز الدهر وبخبر طام^(٥)، جئت بك بقريش على

(١) أحابيشهم: الأحابيش جماعة متحالفين من قريش وكنانة وخزاعة.

(٢) سلع: جبل بالدينه.

(٣) الآطام: الحصون، جمع أطم بضمه وضميتين.

(٤) الجشيشة: طعام من البر يطحن غليظًا.

(٥) طام: ممتلئ مرتفع الأمواج.

قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبعطافان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب تقمى إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاهدوني على أن لا يترخوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . فقال له كعب : جئتني والله بذلك الدهر ، وبجهام^(١) قد هراق^(٢) ماءه ، فهو يُرْعِدُ ويُثْرِقُ ليس فيه شيء ، ويحك يا حبيبي ! قد غني وما أنا عليه ، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً . فلم يزل حبيبي بكعب يقتله في الذروة والغارب^(٣) حتى سمح له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً ، لئن رجعت قريش وعطفان ولم يصبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصبيني ما أصابك . فتقضى كعب بن أسيد عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين ، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن الثعمان ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عباد بن دليم ، وهو يومئذ سيد الخزرج ، ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير ، فقال : أنطلقوا حتى تنظروا ، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فالحقوا^(٤) لي لحنأ أعرفه ، ولا تفتؤا في أغصان الناس^(٥) ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس . فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم فيما نالوا من رسول الله ﷺ . وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عهداً فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه جدّة . فقال له سعد بن عباد : دغ عنك مشامتهم ، فما بيننا وبينهم أربي^(٦) من المشامة . ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا : غصّل والقارة^(٧) ! أي كغدر غصّل والقارة بأصحاب الرجيع : حبيب وأصحابه - فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين ! » .

وعظّم عند ذلك البلاء واشتدّ الخوف ، وأتاهم غدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظنّ المؤمنون كلّ ظنّ ، ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال معتب بن

(١) بجهام : الجهم السحاب لا ماء فيه . (٢) هراق ماءه : صب ماءه .

(٣) أي يخالته ويراعه . وأصل المثل في البعير ، يفعل به ذلك ليسكن ويأنس . الذروة : أعلى السنام . والغارب : الكاهل ، وهو ما بين السنام على العنق .

(٤) اللحن : التعريض والإشارة في الكلام . (٥) فت في عضده : أوهنه وأضعفه .

(٦) أربي : أزيد وأكثر . (٧) قبيلتان من الهون بن خزيمة بن مدركة .

فَقَسِيرُ: كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُّنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِشْرَى وَقَيْصَرٍ، وَأَحْدُنَا الْيَوْمَ لَا يَأْمُرُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ. وَحَتَّى قَالَ أَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ بَيَّوْنَا غُزْرَةَ مِنَ الْعَدُوِّ - وَذَلِكَ عَنْ مَلَاٍ مِنْ رِجَالِ قَوْمِهِ - فَأَذَّنْ لَنَا أَنْ نَخْرُجَ فَتَرْجِعَ إِلَى دَارِنَا، فَإِنَّهَا خَارِجٌ مِنَ الْمَدِينَةِ. فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ الْمَشْرُكُونَ بِضْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ، لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ إِلَّا الرَّمْيَا^(١) بِالنَّبْلِ، وَالْحِصَارُ.

فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَى النَّاسِ الْبَلَاءُ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَإِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَوْفٍ الْمُزَيِّيِّ، وَهُمَا قَائِدَا غَطَفَانَ، فَأَعْطَاهُمَا ثُلُثَ ثَمَارِ الْمَدِينَةِ عَلَى أَنْ يَرْجِعَا بِمَنْ مَعَهُمَا عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ. فَجَزَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا الصُّلْحَ، حَتَّى كَتَبُوا الْكِتَابَ، وَلَمْ تَقَعِ الشَّهَادَةُ وَلَا عَزِيمَةُ الصُّلْحِ، إِلَّا الْمُرَاوَضَةُ^(٢) فِي ذَلِكَ. فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَفْعَلَ بَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمَا وَاسْتَشَارَهُمَا فِيهِ، فَقَالَا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْرًا تُحِبُّهُ فَتَصْنَعُهُ، أَمْ شَيْئًا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ لَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا؟ قَالَ: بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ، وَاللَّهِ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنْتِي رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَكَالْبُوكُمُ^(٣) مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْثِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إِلَى أَمْرِ مَا. فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى الشَّرِّكَ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، لَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمْرَةً إِلَّا قَرَوَى^(٤) أَوْ بَيْعًا، أَفَحِينَ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَهَدَانَا لَهُ وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ تُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا، وَاللَّهِ مَا لَنَا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَاللَّهِ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَأَنْتَ وَذَاكَ. فَتَنَاولَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الصَّحِيفَةَ، فَمَحَا مَا فِيهَا مِنَ الْكِتَابِ ثُمَّ قَالَ: لِيَجْهَدُوا^(٥) عَلَيْنَا.

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ. وَعَدُّوهُمْ مُحَاصِرُوهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ، إِلَّا أَنَّ فَوَارِسَ بْنَ قَرِيشٍ مِنْهُمْ عَمَرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ، وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَهَبِيرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ الْمَخْزُومِيَّانِ، وَضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ الشَّاعِرِ، تَلَبَّسُوا^(٦) لِلْقِتَالِ ثُمَّ خَرَجُوا عَلَى خَيْلِهِمْ،

(١) الرميا: المراماة بالسهم.

(٢) المراوضة: التجاذب في البيع والشراء، أو ما إلى ذلك، أو كالمداواة على أمر ليدخله فيه.

(٣) المكالبة: المضايقة والتشديد.

(٤) القروى: طعام الضيف.

(٥) ليجهدوا علينا: ليجدوا في العداوة.

(٦) تلَبَّسوا: أي تهيَّعوا.

حتى مَرُّوا بمنازلِ بني كِنانة ، فقالوا : تهيئوا يا بني كِنانةَ للحَرْبِ ، فستعملون مِنَ الفُرسِ اليوم . ثم أَقبلوا تُغَيْقُ^(١) بهم خَيْلَهُمْ حتى وقفوا على الخَنْدَقِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قالوا : واللهِ إِنَّ هذهَ لمكيدةٌ ما كانت العَرَبُ تَكِيدُهَا^(٢) !

ويقال : إن سَلْمَانَ الفارسيَّ أشار به على رسولِ الله ﷺ ، وأن المهاجرين يومَ الخَنْدَقِ قالوا : سَلْمَانُ مِنَّا ، وقالت الأنصار : سَلْمَانُ مِنَّا ؛ فقال رسولُ الله ﷺ : سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ البيت .

ثم تَيَمَّمُوا مكانًا صَيِّقًا مِنَ الخَنْدَقِ فضربوا خَيْلَهُمْ فاقْتَحَمَتْ منه ، فجالت بهم في السَّيْحَةِ^(٣) بين الخَنْدَقِ وسَلْعٍ ، وخرج عليُّ بنُ أبي طَالِبٍ - عليه السلام - في نَفَرٍ معه من المسلمين ، حتى أَخَذُوا عليهم الثُّغْرَةَ التي أَقْحَمُوا منها خَيْلَهُمْ ، وأقبلت الفُرسُ تُغَيْقُ نحوهم .

وكان عَمْرُو بنُ عَبِيدٍ وُدٌّ قد قاتَلَ يومَ بدرٍ حتَّى أثبتته^(٤) الجراحة فلم يَشْهَدْ يَوْمَ أُحُدٍ . فلما كان يومُ الخَنْدَقِ خرجَ مُعْلِمًا^(٥) لِيُرَى مكانُهُ ، فَلَمَّا وقف هو وخَيْلُهُ قال : مَنْ يُبَارِزُ؟ فبَرَزَ له عليُّ بنُ أبي طَالِبٍ فقال له : يا عَمْرُو ، إِنَّكَ قد كنتَ عاهدتَ اللهَ ألا يدْعُوكَ رَجُلٌ من قريشٍ إلى إحدَى خَلَّتَيْنِ إلا أَخَذَتْها منه . قال له : أَجَلُ! قال له عليٌّ : فإنِّي أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجةَ لي بذلك . قال : فإنِّي أدعوك إلى التَّزَالِ ، فقال له : لِمَ يا ابنَ أخي؟ فوالله ما أُحِبُّ أن أَقْتُلَكَ! قال له عليٌّ : لكُنِّي واللهِ أُحِبُّ أن أَقْتُلَكَ . فحَمِي عَمْرُو عند ذلك ، فاقْتَحَمَ^(٦) عن فرسه ، فَعَقَرَهُ^(٧) وضربَ وجهه ، ثم أَقبلَ على عليٍّ ، فتنازَلا وتجاولا^(٨) ، فقتله عليٌّ - رَضِيَ اللهُ عنه - .

وخرجت خَيْلُهُمْ مُنْهَزِمَةً حتى اقتحمت من الخَنْدَقِ هاربة . وألقى عِكْرِمَةُ بنُ أبي جَهْلٍ رُمَحَهُ يومئذٍ وهو منهزمٌ عن عَمْرُو ، فقال حَسَّانُ بنُ ثابتٍ في ذلك :

(١) تغيق : تسرع .

(٢) قال ابن هشام : يقال إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله ﷺ .

(٣) السبيحة : الأرض ذات الملح والنز لا تكاد تنبت .

(٤) أثبتته الجراحة : حبسته .

(٥) المعلم : الذي يجعل لنفسه علامة في الحرب يعرف بها .

(٦) اقتحم عن فرسه : رمى بنفسه .

(٧) فعقره : أديره .

(٨) تجاولا : تطاردا ، وتصارولا .

فَرُّوْا لَقِيَ لَنَا زَمَحَهُ لَعَلَّكَ عِكْرِمَ لَمْ تَفْعَلِ
وَوَلَّيْتَ كَعْدُوَ الظَّلِي - مَ مَا إِنْ تَجُورَ عَنِ الْمَعْدِلِ (١)
وَلَمْ تَلَوْ ظَهْرَكَ مُسْتَأْنَسًا (٢) كَأَنَّ قَفَاكَ قَفَا فُرْعَلِ (٣)

وكان شعار^(٤) أصحاب رسول الله ﷺ يومَ الخندق وبني قُرَيْظَةَ: «حم لا يُنْصَرُونَ». وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وَصَفَ الله من الخوفِ والشدة، لِيُظَاهِرَ عَدُوَّهُمْ عَلَيْهِمْ، وإِثْبَانَهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ. ثم إن نُعَيْمَ بنَ مَسْعُودٍ أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قد أَسْلَمْتُ، وإنَّ قَوْمِي لم يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ. فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذَلْ عَنَّا»^(٥) إن استطعت، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ. فخرج نُعَيْمُ بن مَسْعُودٍ حتى أتى بني قُرَيْظَةَ، وكان لهم نَدِيمًا^(٦) في الجاهليَّة، فقال: يا بني قُرَيْظَةَ، قد عَرَفْتُمْ وُدِّي إِتَاكُمْ، وخاصة ما بيني وبينكم. قالوا: صَدَقْتَ، لَسْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ. فقال لهم: إن قريشًا وَعَظَفَانِ لَيَسُوا كَأَنْتُمْ، الْبَلَدُ بَلَدُكُمْ، فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ. لا تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَحْوِلُوا^(٧) مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَإِنَّ قَرِيشًا وَعَظَفَانِ قَدْ جَاءُوا الْحَرْبَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ ظَاهَرَتْهُمْ عَلَيْهِ، وَبَلَدُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ بِغَيْرِهِ، فَلْيَسُوا كَأَنْتُمْ، فَإِنْ رَأَوْا نَهْزَةً^(٨) أَصَابُوا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ لَيَحِقُّوا بِبِلَادِهِمْ وَخَلُّوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ بِلَدِكُمْ، وَلَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ إِنْ خَلَا بِكُمْ، فَلَا تُقَاتِلُوا مَعَ الْقَوْمِ حَتَّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رُهْنًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ، يَكُونُونَ بِأَيْدِيكُمْ، ثِقَّةً لَكُمْ عَلَى أَنْ تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُنَاجِزُوهُ^(٩). فقالوا له: لقد أَشْرَتَ بِالرَّأْيِ!

ثم خرج حتى أتى قريشًا فقال لأبي سُفْيَانَ بن حرب وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ قَرِيشٍ: قد عَرَفْتُمْ وُدِّي لَكُمْ وَفِرَاقِي مُحَمَّدًا، وَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقًّا أَنْ أُبْلِغَكُمْوهُ نُصْحًا لَكُمْ فَاتَّكُمُوا عَنِّي. فقالوا: نَفْعَلُ. قال: تَعَلَّمُوا أَنَّ مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا

(١) الظليم: ذكر النعام، وهو المثل في الجبن. تجور: تحيد. المعدل: الطريق.

(٢) مستأنسًا: ناشدًا الأمان والملاذ. (٣) الفرعل: الصغير من الضباع.

(٤) الشعار: العلامة التي كانوا يتعارفون بها في الحرب.

(٥) خذل عنا: أي ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضًا.

(٦) نديما: المصاحب على الشراب المسامر. (٧) تحولوا منه: تنصرفوا عنه إلى غيره.

(٨) نهزة: فرصة. (٩) تناجزوه: تنازلوه وتقاتلوه.

فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمننا على ما فعلنا ، فهل يؤضيك أن تأخذ لك من القبيلتين ، من قريش وعطفان رجلاً من أشrafهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نشتأصلهم؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتبسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً . ثم خرج حتى أتى عطفان فقال : يا معشر عطفان ، إنكم أضلي وعشيري ، وأحب الناس إلي ، ولا أراكم تتهموني . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . قال : فاكثموا عني . قالوا : نفعل . ثم قال مثل ما قال لقريش ، وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب وؤوس عطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل ، في نفر من قريش وعطفان ، فقالوا لهم : إنا لسننا بدار مقام ، قد هلك الخف والحافر^(١) ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ، ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً ، فأصابه ما لم يخف عليكم^(٢) ، ولسننا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً ، فإننا نخشى إن ضروستكم^(٣) الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشروا^(٤) إلى بلادكم ، وتتركونا والرجل في بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك!

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وعطفان ، والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق! ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشعروا إلى بلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا إلى قريش وعطفان : إنا والله لا نقاتل معكم محمداً

(١) الخف : الإبل ، والحافر : الخيل .

(٢) فأصابه ما لم يخف عليكم : عدوانهم في السبت فمشخوا قرده خاسين .

(٣) ضروستكم : نالت منكم .

(٤) انشعروا : انقبضوا وأسرعوا إلى بلادهم .

حتى تُغطونا رُهْنَا ، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ ، وَخَذَلَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ، وَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ فِي لَيَالٍ شَاتِيَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ ، فَجَعَلَتْ تَكَفُّ قُدُورَهُمْ ، وَتَطْرَحُ آيَتَهُمْ .

فلَمَّا انتهى إلى رسولِ الله ﷺ ما اختلفَ من أمرهم ، وما فَرَّقَ اللَّهُ من جماعتهم ، دعا حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ ، فبعثه إليهم لينظرَ ما فعل القومُ لَيْلًا . عن محمد بنِ كَعْبِ الْقُرَظِيِّ قال : قال رجلٌ من أَهْلِ الكوفةِ لحَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ : يا أبا عبدِ الله ، أَرَأَيْتَ رسولَ الله ﷺ وصَحْبَهُمْ؟ قال : نعم يا ابنَ أخي . قال : فكيف كنتم تصنعون؟ قال : والله لقد كُنَّا نَجْهَدُ^(١) . فقال : والله لو أَدْرَكْنَاهُ ما تَرَكْنَاهُ يمشي على الأرض ، ولَحَمَلْنَاهُ على أعناقنا . فقال حَذِيفَةُ : يا ابنَ أخي ، والله لقد رَأَيْتُنَا مع رسولِ الله ﷺ بِالْحَنْدَقِ ، وصَلَّى رسولُ الله ﷺ هَوِيًّا من الليل^(٢) ، ثُمَّ التَفَتَ إلَيْنَا فقال : مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا ما فعل القومُ ثم يَرْجِعُ - يَشْرِطُ له رسولُ الله ﷺ الرَّجْعَةَ - أَسَأَلَ اللهَ تعالى أن يكونَ رفيقي في الجنة؟ فما قام رجلٌ من القومِ ، من شِدَّةِ الْخَوْفِ ، وَشِدَّةِ الْجُوعِ ، وَشِدَّةِ الْبَرْدِ . فلما لم يَقُمْ أَحَدٌ دعاني رسولُ الله ﷺ ، فلم يكن لي بُدٌّ من القيامِ حين دعاني ، فقال : يا حَذِيفَةُ ، أَذْهَبْتَ فَادْخُلْ في القومِ فَانْظُرْ ماذا يصنعون ، ولا تُحَدِّثَنَّ شَيْئًا حتى تَأْتِيَنَا! فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ في القومِ ، والريخُ وجنودُ الله تفعلُ بهم ما تفعل ، لا تُقِرُّ لَهُمْ قَدْرًا ولا نَارًا ولا بِنَاءً . فقام أبو سُفْيَانٍ فقال : يا معشرَ قريشِ ، لينظرَ امرؤٌ مَنْ جَلِيسُهُ؟ قال حَذِيفَةُ : فَأَخَذْتُ بيدَ الرجلِ الذي كان إلى جُنْبِي ، فقلتُ : من أنت؟ قال : فُلَانٌ بنُ فُلَانٍ^(٣) . ثم قال أبو سُفْيَانِ : يا معشرَ قريشِ ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ ما أَضْبَحْتُمْ بدارِ مُقامٍ ، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ وَالْخُفَّ^(٤) وَأَخْلَقْتُنَا بنو قُرَيْظَةَ ، وَبَلَّغْنَا عَنْهُمْ الَّذِي نَكْرَهُ وَلَقِينَا مِنْ شِدَّةِ الرِّيحِ ما تَرَوْنَ ، ما تَطْمَئِنُّ لَنَا قَدْرٌ ، ولا تقومُ لنا نارٌ ، ولا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ ، فَارْتَجَلُوا فَإِنِّي مُرْتَجِلٌ .

ثم قام إلى جَمَلِهِ وهو مَعْقُولٌ^(٥) فجلس عليه ثم ضربه فوثبَ به على ثلاث ، فوالله

(١) نجهد : نجد حتى نبلغ الجهد والمشقة ، والنهاية : الغاية .

(٢) هويًا من الليل : قطعه منه .

(٣) في شرح المواهب : « فضربت يدي على يد الذي عن يميني فأخذت بيده فقلت : من أنت؟ قال : معاوية ابن أبي سفيان . ثم ضربت يدي على يد الذي عن شمالي ، فقلت : من أنت؟ قال : عمرو بن العاص » .

(٤) هلك الكراع والخف : الكراع يقال لمستدق الساق من البقر والغنم . والخف : الإبل .

(٥) معقول : غَقَلَ البعير : ضم رسغ يده إلى عضده وربطهما معا بالعقال ليبقى باركا .

ما أُطْلِقَ عِقَالُهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ ، وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ : « أَنْ لَا تُحَدِّثَ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي » ، ثُمَّ شِئْتُ لَقَتْلُهُ بِسَهْمٍ .

قال حذيفة : فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ^(١) لِبَعْضِ نِسَائِهِ ، مَرَّاجِلٍ^(٢) ، فَلَمَّا رَأَيْتِي أَدْخَلَنِي إِلَى رَجُلَيْهِ ، وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ وَإِنِّي لَفِيهِ . فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ . وَسَمِعْتُ غَطْفَانَ بِمَا فَعَلْتُ قَرِيْشَ فَأَنْشَمُوا^(٣) رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ . وَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انصرفت عن الحَنَدَقِ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَوَضَعُوا السَّلَاحَ .

[غزوة بني قريظة في سنة خمس]

فلما كانت الظُّهُرُ ، أَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، مُعْتَجِرًا^(٤) بِعِمَامَةٍ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ^(٥) ، عَلَى بَغْلَةٍ رِحَالَةٍ^(٦) ، عَلَيْهَا قَطِيفَةٌ^(٧) مِنْ دِيْبَاجٍ^(٨) ، فَقَالَ : أَوْ قَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ جَبْرِيلُ : فَمَا وَضَعْتَ الْمَلَائِكَةُ السَّلَاحَ بَعْدَ ، وَمَا رَجَعْتَ الْآنَ إِلَّا مِنْ طَلَبِ الْقَوْمِ . إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَأْمُرُكَ يَا مُحَمَّدُ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَإِنِّي عَامِدٌ إِلَيْهِمْ فَمُنْزِلٌ بِهِمْ . فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُؤَدَّنًا فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ : مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا فَلَا يُصَلِّيَنَّ الْعَصْرَ إِلَّا بِبَنِي قُرَيْظَةَ . وَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِرَأْيِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَابْتَدَرَهَا النَّاسُ ، فَسَارَ عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْحُصُونِ سَمِعَ مِنْهَا مَقَالَةً قَبِيحَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَرَجَعَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالطَّرِيقِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا غَلِيكَ أَنْ لَا تَدْنُو مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَخَابِثِ . قَالَ : لِمَ ؟ أَطُنْتُكَ سَمِعْتَ مِنْهُمْ لِي أَدَى . قَالَ : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : لَوْ رَأَوْنِي لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا . فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ حُصُونِهِمْ قَالَ : يَا إِخْوَانَ الْقِرْدَةِ ، هَلْ أَخْرَاكُمُ اللَّهُ وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ ؟ قَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا كُنْتُ جَهُولًا .

(١) المِرْطُ : الكساء . (٢) المَرَّاجِلُ : ضرب من وشي اليمن .

(٣) انشَمُوا : جَدُّوا وأسرعوا .

(٤) معْتَجِرًا بِعِمَامَةٍ : قد لفها على رأسه ورد طرفها على وجهه .

(٥) الإِسْتَبْرَقُ : ديباج غليظ . (٦) الرِّحَالَةُ : السرج .

(٧) قَطِيفَةٌ : كساء له أهداب . (٨) الدِّيْبَاجُ : ضرب من الثياب سداه ولحمته حرير .

ومرَّ رسولُ الله ﷺ بنَفَرٍ من أصحابِهِ بالصُّورَيْنِ (١) قبل أن يصلَ إلى بني قُرَيْظَةَ، فقال: هل مرَّ بكم أحد؟ قالوا: يا رسولَ الله، قد مرَّ بنا دُخَيْبُ بن خَلِيفَةَ الكَلْبِيُّ، على بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ عَلَيْهَا رَحَالَةٌ، عليها قَطِيفَةٌ دِيبَاج. فقال رسولُ الله ﷺ: ذلك جَبْرِيلُ، بُعِثَ إلى بني قُرَيْظَةَ يُزَلِّزُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ، ويقذف الرُّعْبَ في قُلُوبِهِمْ.

ولما أتى رسولُ الله ﷺ بني قُرَيْظَةَ نزل على بئرٍ من آبارِها من ناحية أموالِهِم يقال لها: بئرُ أُنَّا .

وتلاحق به الناسُ . فأتى رجالٌ منهم من بعد العِشاءِ الآخرة ولم يُصَلُّوا العَصْرَ ، لقَوْلِ رسولِ الله ﷺ : « لا يُصَلِّينَ أَحَدُ العَصْرِ إِلَّا بِنِي قُرَيْظَةَ » فشغلهم ما لم يكن لهم منه بُدٌّ في حَزْبِهِمْ ، وأَبَوْا أَنْ يُصَلُّوا ، لقَوْلِ رسولِ الله ﷺ : « حتى تأتوا بني قُرَيْظَةَ » . فصلَّوا العَصْرَ بها بعد العِشاءِ الآخرة ، فما عابهم الله بذلك في كتابِهِ ، ولا عَتَفَهُم به رسولُ الله ﷺ

وحاصرهم رسولُ الله ﷺ ، خَمْسًا وعشرينَ ليلةً حتى جَهِدَهُمْ (٢) الحِصَارُ ، وقذفَ الله في قلوبِهِم الرُّعْبَ . وقد كان حُثَيْبُ ابن أَخْطَبَ دخل مع بني قُرَيْظَةَ في حِصْنِهِمْ ، حين رَجَعَتْ عنهم قريشٌ وعُطْفَانُ ، وفاءً لكعبِ بنِ أسَدٍ بما كان عاهدَهُ عليه . فلما أيقنوا بأنَّ رسولَ الله ﷺ غَيْرُ مُنْصَرِفٍ عنهم حتى يُنَاجِزَهُمْ (٣) قال كَعْبُ بنُ أسَدٍ لهم : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ، قد نزل بكم من الأمر ما تَرَوْنَ ، وإنِّي عَارِضٌ عليكم خِلالًا (٤) ثلاثًا ، فخذوا أُنْهَافًا شَتَمَ . قالوا : وما هي ؟ قال : تُتَابِعُ هذا الرجلَ وتُصَدِّقُهُ ، فوالله لقد تَبَيَّنَ لكم أَنَّهُ لَنَبِيٍّ مُرْسَلٍ ، وَأَنَّهُ لِلَّذِي تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ ، فَتَأْمَنُونَ على دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَنِسَائِكُمْ . قالوا : لا نُفَارِقُ حُكْمَ الثُّورَةِ أَبَدًا ، ولا نَسْتَبْدِلُ بِهِ غَيْرَهُ . قال : فإذا أَيْبَسْتُمْ عَلَيَّ هذه فَهَلُمَّ فَلْتَقْتُلْ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا ، ثم نخرج إلى محمدٍ وأصحابِهِ رِجَالًا مُصَلِّينَ (٥) السُّيُوفَ ، لم نَتْرُكْ وَرَاءَنَا ثَقْلًا ، حتى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وبينَ مُحَمَّدٍ ، فن نَهْلِكَ نَهْلِكَ ، ولم نَتْرُكْ وَرَاءَنَا نَسْلًا نَحْشَى عليه ، وإن نَظْهَرُ فَلَعَمْرِي لَنَجِدَنَّ النِّسَاءَ والأَبْنَاءَ . قالوا : نَقْتُلْ

(١) الصَّورَيْنِ: موضع قرب المدينة .

(٢) جَهِدَهُمْ : بلغ بِهِم المشقة .

(٣) يُنَاجِزُهُمْ : ينازلهم ويقَاتِلُهُمْ .

(٤) خِلالًا : أمورا ، أو خصالا .

(٥) مُصَلِّينَ : صلت السيف ، ضرب به .

هؤلاء المساكين! فلما خَيْرُ العَيْشِ بعدهم؟ قال: فَإِنْ أُيِّتُمْ عَلَيَّ هذه فَإِنَّ اللَّيْلَةَ لَيْلَةُ السَّبْتِ، وَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَمِنُوا فِيهَا، فَأَنْزِلُوا لَعَلَّنَا نُصِيبُ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ غَرَّةً. قالوا: تُفْسِدُ سَبْتَنَا عَلَيْنَا، وَتُحْدِثُ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِلَّا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ، فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخَفَ عَلَيْكَ مِنَ الْمَسْخِ^(١)! قال: مَا بَاتَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْذُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنَ الدَّهْرِ حَازِمًا!

[أمر أبي لبابة]

ثم إِنَّهُمْ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنْ ابْعَثْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، لِنَسْتَشِيرَهُ فِي أَمْرِنَا. فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ، وَجَهَّشَ^(٢) إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانَ يَكُونُ فِي وَجْهِهِ، فَرَقَّ لَهُمْ وَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا لُبَابَةَ، أَتَرَى أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ مُحَمَّدٍ^(٣)؟ قال: نعم - وأشار بيده إِلَى خَلْقِهِ - إِنَّهُ الذَّبْحُ^(٤). قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قَدْ مَآيَ عَنْ مَكَانِهِمَا حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي قَدْ خُتُّتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ.

ثم انطلق أبو لبابة عَلَى وَجْهِهِ، وَلَمْ يَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى ارْتَبَطَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى عَمُودٍ مِنْ عَمَدِهِ، وَقَالَ: لَا أُبْرِخُ مَكَانِي هَذَا حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ مِمَّا صَنَعْتُ. وَأَعَاهِدَ اللَّهُ: أَلَا أَطَأُ بَنِي قُرَيْظَةَ أَبَدًا، وَلَا أَرَى فِي بَلَدِ خُتُّتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيهِ أَبَدًا. فلما بلغ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَبْرَهُ، وَكَانَ قَدْ اسْتَبْطَأَهُ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَوْ جَاءَنِي لَاسْتَغْفَرْتُ لَهُ، فَأَمَّا إِذْ فَعَلَ مَا فَعَلَ فَمَا أَنَا بِالَّذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ السَّحَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ. فَقُلْتُ: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ. قَالَ: تَيْبَ عَلَى أَبِي لُبَابَةَ. قُلْتُ: أَفَلَا أُبَشِّرُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلَى إِنْ شِئْتِ. فَقَامَتْ عَلَى بَابِ حَجَرَتِهَا - وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ

(١) المسخ: مسخ بني إسرائيل الذين اعتدوا في السبت.

(٢) جهشوا إليه: فزعوا إليه وهموا بالكاء.

(٣) وذلك أنهم لما حوصروا حتى أيقنوا بالهلكة، أنزلوا شأس بن قيس، فكلم رسول الله ﷺ أن ينزلوا على ما نزل بنو النضير، من ترك الأموال والحلقة، والخروج بالنساء والذاري وما حملت الإبل إلا الحلقة. فأبى رسول الله ﷺ فقال: تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل. فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه. فعاد شأس إليهم بذلك. «عن شرح المواهب للزرقاني».

(٤) في شرح المواهب: كأن أبا لبابة فهم ذلك من عدم إجابة رسول الله ﷺ لهم بحقن دماءهم، وعرف أن رسول الله سيذبحهم إن نزلوا على حكمه. وبهذا أشار إلى بني قريظة.

عَلَيْهِمْ السَّلَامُ - فقالت : يَا أَبَا لُبَابَةَ ، أَبْشِرْ فَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكَ ! قالت : فَنَارُ النَّاسِ إِلَيْهِ لِيُطْلِقُوهُ ، فقال : لَا وَاللَّهِ حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُنِي بِيَدِهِ . فلما مَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَارِجًا إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ أَطْلَقَهُ .

قال ابن هشام : أقام أَبُو لُبَابَةَ مُزْتَبِطًا بِالْجَذْعِ سِتَّ لَيَالٍ ، تَأْتِيهِ أَمْرَاتُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ صَلَاةٍ فَتُخَلُّهُ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَزْتَبِطُ بِالْجَذْعِ .

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ . فتوالت الأوس فقالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُمْ مَوَالِينَا دُونَ الْحَزَرَجِ ، وَقَدْ فَعَلْتَ فِي مَوَالِي إِخْوَانِنَا بِالْأَمْسِ مَا قَدْ عَلِمْتَ - وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ حَاصِرَ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، وَكَانُوا لِحُلَفَاءِ الْخَزَرَجِ ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ ، فَسَأَلَهُ إِثْبَاهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ فَوَهَبَهُمْ لَهُ - فَلَمَّا كَلَّمَتْهُ الْأَوْسُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَا تَرَوْضُونَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيكُمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ ؟ » قالوا : بَلَى . قال رسول الله ﷺ : « فَذَلِكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » .

[تحكيم سعد في بني قريظة]

وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها رُفَيْدَةُ ، فِي مَسْجِدِهِ ، كَانَتْ تُدَاوِي الْجُرْحَى وَتَحْتَسِبُ بِنَفْسِهَا عَلَى خِدْمَةِ مَنْ كَانَتْ بِهِ ضَيْعَةً^(١) مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ حِينَ أَصَابَهُ السَّهْمُ بِالْخَنْدَقِ : اجْعَلُوهُ فِي خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ حَتَّى أَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ . فلما حكمه رسول الله ﷺ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ أَتَاهُ قَوْمُهُ فَحَمَلُوهُ عَلَى حِمَارٍ قَدْ وَطَّئُوا لَهُ بِوَسَادَةٍ مِنْ أَدَمَ^(٢) ، وَكَانَ رَجُلًا جَسِيمًا جَمِيلًا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا مَعَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ يَقُولُونَ : يَا أَبَا عَمْرٍو ، أَحْسِنْ فِي مَوَالِيكَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا وَلَّاكَ ذَلِكَ لِتُحْسِنَ فِيهِمْ ! فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ : لَقَدْ أَنَى لِسَعْدٍ أَلَّا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً . فَزَجَّعَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَتَعَى لَهُمْ رَجَالُ بَنِي قُرَيْظَةَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ سَعْدٌ ، عَنْ كَلِمَتِهِ الَّتِي سَمِعَ مِنْهُ^(٣) .

فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ : « قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ » - فَأَمَّا الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ فَيَقُولُونَ : إِنَّمَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَنْصَارَ . وَأَمَّا الْأَنْصَارُ فَيَقُولُونَ : قَدْ عَمَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَامُوا إِلَيْهِ . فقالوا : يَا أَبَا عَمْرٍو ، إِنَّ رَسُولَ

(١) ضيعة : فقر .

(٢) أدم : جلد .

(٣) أي ما فهمه من قوله : « أني لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم » ، أن سعدًا رأى قتلهم ، فنعاهم قبل موتهم .

الله ﷺ قد وُلَاكَ أَمْرٌ مَوَالِيكَ لَتَحْكُمَ فِيهِمْ . فقال سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : عَلَيَّكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ ، أَلَّا الْحُكْمَ فِيهِمْ لَمَّا حَكَمْتُ؟ قالوا : « نعم » قال : وَعَلَى مَنْ هَاهُنَا؟- في الناحية التي فيها رسولُ الله ﷺ ، وهو مُعَرَّضٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِجْلَالًا لَهُ- فقال رسولُ الله ﷺ : « نعم » . قال سَعْدُ : فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ ، أَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ ، وَتُقَسَّمُ الْأَمْوَالُ ، وَتُسَبَّحَ الذَّرَارِيُّ وَالنِّسَاءُ .

قال رسولُ الله ﷺ لسَعْدٍ : « لَقَدْ حَكَمْتُ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْفَعَةٍ ^(١) » . ثم اسْتَنْزَلُوا ، فَحَبَسَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فِي دَارِ بِنْتِ الْحَارِثِ ^(٢) . ثم خرج رسولُ الله ﷺ إلى سُوقِ الْمَدِينَةِ- التي هي سُوقُهَا الْيَوْمَ- فَخَنَّدَقَ بِهَا خَنَادِقَ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ فَضْرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ يُخْرِجُ بِهِمْ أَرْسَالًا ^(٣) ، وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللَّهِ حِثِّيُّ بْنُ أَخْطَبَ ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ رَأْسُ الْقَوْمِ ، وَهُمْ سَبْعُمِائَةٍ أَوْ سَبْعُمِائَةٍ ، وَالْمُكَيَّرُ لَهُمْ يَقُولُ : كَانُوا بَيْنَ الثَّمَانِمِائَةِ وَالْثَّعْلَمِائَةِ ، وَقَدْ قَالُوا لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ وَهُمْ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْسَالًا : يَا كَعْبُ ، مَا تُرَاهُ يَصْنَعُ بِنَا . قال : أَفِي كُلِّ مَوْطِنٍ لَا تَغْفُلُونَ؟ أَلَا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ ^(٤) لَا يَنْزِعُ ^(٥) ، وَإِنَّهُ مِنْ ذُهِبٍ بِهِ مِنْكُمْ لَا يَزْجَعُ؟ هُوَ وَاللَّهِ الْقَتْلُ ! فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الدَّأْبُ حَتَّى فَرَعَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

وَأَتَى بِحِثِّيَّ بْنَ أَخْطَبَ عَدُوَّ اللَّهِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ لَهُ فُقَاحِيَّةٌ ^(٦) قَدْ شَقَّهَا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ قَدَرُ أَنْمَلَةٍ ، لِئَلَّا يُسَلِّبَهَا ، مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنْقِهِ بِحَبْلٍ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ مَا لُمْتُ نَفْسِي فِي عِدَاوَتِكَ ، وَلَكِنَّهُ مِنْ يَحْذِلُ اللَّهَ يُحْذَلُ ! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، كِتَابٌ وَقَدَرٌ ، وَمَلْحَمَةٌ ^(٧) كَتَبَهَا اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ . ثُمَّ جَلَسَ فَضْرَبَتْ عُنْقُهُ .

عن عائشة أم المؤمنين قالت : لَمْ يُقْتَلْ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ . قالت : وَاللَّهِ إِنَّهَا لَعِنْدِي تَحَدَّثْتُ مَعِيَ وَتَضَحَّكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْتُلُ رَجَالَهَا فِي السُّوقِ إِذْ هَتَفَ هَاتِفٌ بِاسْمِهَا : أَيْنَ فُلَانَةٌ؟ قالت : أَنَا وَاللَّهِ . قلتُ لَهَا : وَبَيْتُكَ ! مَا لَكَ؟ قالت :

- | | |
|--|--|
| (١) أَرْفَعَةٌ : جَمْعُ رَفِيعٍ : وَهِيَ السَّمَاءُ . | (٢) اسْمُهَا كَيْسَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ . |
| (٣) أَرْسَالًا : جَمَاعَاتُ . | (٤) الدَّاعِيَ : الْمَنَاقِبِ . |
| (٥) لَا يَنْزِعُ : لَا يَكْفُفُ وَلَا يَنْتَهِي . | (٦) فُقَاحِيَّةٌ : عَلَى لَوْنِ الْوَرْدِ هُمْ أَنْ يَتَفَتَحَ . |
| (٧) الْمَلْحَمَةُ : الْوَقْعَةُ الْعَظِيمَةُ الْقَتْلِ . | |

أُقْتِلَ . قلت : ولم؟ قالت : لَحَدَّثَ أَخَذَتْهُ^(١) . قالت : فأنطَلِقَ بِهَا فَضَرَبَتْ عُقْفَهَا . فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى ، عَجَبًا مِنْهَا ، طِيبَ نَفْسِهَا ، وَكَثْرَةَ ضَحِكِهَا وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهَا تُقْتَلُ .

وكان رسول الله ﷺ قد أمرَ بِقَتْلِ كُلِّ مَنْ أَنْبَأَ^(٢) مِنْهُمْ . عن عَطِيَّةِ الْقُرَظِيِّ قال : كان رسول الله ﷺ قد أمرَ أَنْ يُقْتَلَ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ كُلِّ مَنْ أَنْبَأَ مِنْهُمْ ، وَكُنْتُ غَلَامًا فوجدوني لم أنبأ ، فحللوا سبيلي .

وعن أيوب بن عبد الرحمن ، أن سلمى بنت قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ قد صلَّتْ معه القِبْلَتَيْنِ ، وبايعتهُ بَيْعَةَ النِّسَاءِ سَأَلَتْهُ رِفَاعَةَ بنَ سَمُوءَ الْقُرَظِيَّ ، وكان رجلاً قد بَلَغَ ، فلاذَ بِهَا^(٣) ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يا نبيَّ الله ، بأبي أنت وأُمِّي ، هَبْ لِي رِفَاعَةَ ، فَإِنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّهُ سَيُصَلِّي وَيَأْكُلُ لَحْمَ الْجَمَلِ . فوهبه لها فاستحيته .

ثم إن رسول الله ﷺ قَسَمَ أَمْوَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ . ثم بعث رسول الله ﷺ سَعْدَ بنَ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ أَخَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، بِسَبَايَا بَنِي قُرَيْظَةَ إِلَى تَجْدٍ ، فابتاعَ لَهُمْ بِهَا حَيًّا وَسِلَاحًا . وكان رسول الله ﷺ قد اضْطَفَى لِنَفْسِهِ مِنْ نِسَائِهِمْ رَيْحَانَةَ بِنْتَ عَمْرِو بنِ حُنَافَةَ ، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى تُوُفِّيَ عَنْهَا وَهِيَ فِي مِلْكِهِ . وقد كان رسول الله ﷺ عَرَضَ عَلَيْهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا وَيَضْرِبَ عَلَيْهَا الْحِجَابَ ، فقالت : يا رسول الله ، بل تَتَزَوَّجْنِي فِي مِلْكِكَ فَهُوَ أَحْفَ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ . فتركها . وقد كانت حين سَبَاها قَدْ تَعَصَّتْ بِالْإِسْلَامِ وَأَبَتْ إِلَّا الْيَهُودِيَّةَ ، فعزلها رسول الله ﷺ وَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ لَذَلِكَ مِنْ أَمْرِهَا ، فبينما هو مع أصحابه إِذْ سَمِعَ وَقَعَ نَغْلَيْنِ خَلْفَهُ ، فقال : إِنَّ هَذَا لَتَغْلِبَةُ بنِ سَعْيَةَ يُبَشِّرُنِي بِإِسْلَامِ رَيْحَانَةَ . فجاءه فقال : يا رسول الله ، قد أسلمت رَيْحَانَةُ ! ففسره ذلك مِنْ أَمْرِهَا .

وأنزل الله تعالى في أَمْرِ الْحَنْدَقِ وَأَمْرِ بَنِي قُرَيْظَةَ مِنَ الْقُرْآنِ الْقِسْصَةَ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ ،

(١) قال ابن هشام : هي التي طرحت الرحي على خلاد بن سويد فقتلته .

(٢) أنبأ : راقق واستبان شعر عاتته ونبت ، علامة للبلوغ .

(٣) لاذ بها : التجأ إليها .

يَذْكُرُ فِيهَا مَا نَزَلَ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَنِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ ، وَكِفَايَتَهُ إِيَّاهُمْ ، حِينَ فَرَّجَ ذَلِكَ عَنْهُمْ ، بَعْدَ مَقَالَةٍ مِنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ التَّفَاقُ : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ . وَالْجُنُودُ قَرِيشٌ وَعُظْفَانُ وَبَنُو قُرَيْظَةَ . وَكَانَتِ الْجُنُودُ الَّتِي أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَعَ الرِّيحِ : الْمَلَائِكَةُ . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۝١٠ ﴾ . فَالَّذِينَ جَاءَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ : بَنُو قُرَيْظَةَ ، وَالَّذِينَ جَاءَهُمْ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ : قَرِيشٌ وَعُظْفَانُ . يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنِفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ . لَقَوْلُ مُعْتَبِرٍ بَنٍ قُشَيْرٍ ^(١) إِذْ يَقُولُ مَا قَالَ : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَتَأَهَّلِ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ . لَقَوْلُ أَوْسٍ بَنٍ قَيْظِيٍّ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ مِنْ قَوْمِهِ : ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ﴾ . أَيِ الْمَدِينَةِ ﴿ ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ ﴾ . أَيِ الرَّجُوعِ إِلَى الشُّرُوكِ ﴿ لَا تَوَّهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴾ . وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّوهُ إِلَّا دَبْرًا وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْثُولًا ﴾ . فَهُمْ بَنُو حَارِثَةَ ، وَهُمْ الَّذِينَ هَمُّوا أَنْ يَفْشَلُوا يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ بَنِي سَلَمَةَ حِينَ هَمَّتَا بِالْفِشْلِ يَوْمَ أُحُدٍ ثُمَّ عَاهَدُوا اللَّهَ أَنْ لَا يَعُودُوا لِمِثْلِهَا أَبَدًا ، فَذَكَرَ لَهُمُ الَّذِي أُعْطُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ . أَيِ مَنْ أَهْلِ التَّفَاقُ ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . أَيِ إِلَّا دَفْعًا وَتَعْذِيرًا ^(٢) ، ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ . أَيِ لِلضَّعْفِ الَّذِي فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْظِرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ ، أَيِ إِعْظَامًا لَهُ وَفَرَقًا مِنْهُ ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ . أَيِ فِي الْقَوْلِ بِمَا لَا تُحِبُّونَ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ آخِرَةَ ، وَلَا تَحْمِلُهُمْ حِسْبَةً ^(٣) ، فَهُمْ يَهَابُونَ الْمَوْتَ هَيْبَةً مِنْ لَا يَرْجُو مَا بَعْدَهُ . ﴿ يَحْسِبُونَ الْأَخْرَابَ

(١) انظر غزوة الخندق .

(٢) التعذير : أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءُ إِنَّمَا يَرِيدُ أَنْ يَقِيمَ بِهِ الْعُذْرَ عِنْدَ مَنْ يَرَاهُ . (٣) الحسبة : الْأَجْرُ .

لَمْ يَذْهَبُوا ﴿ قَرِيشٌ وَغَطَفَانٌ ﴾ وَلَئِنْ يَأْتِ الْآخِرَابُ يَوَدُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُوتَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ أي لئلا يزغبوا بأنفسهم عن نفسه ولا عن مكان هو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به ، فقال : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْآخِرَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (٣١) ، أي صبروا على البلاء ، وتسليمًا للقضاء وتصديقًا للحق ، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله ﷺ ثم قال : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾ أي فرغ من عمله ورجع إلى ربه كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ ﴾ أي ما وعد الله به من نصره والشهادة على ما مضى عليه أصحابه ، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا بَدَلُوا تَبَدُّلًا ﴾ أي ما شكوا وما ترددوا في دينهم ، وما استبدلوا به غيره ﴿ لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ورد الله الذين كفروا بغيظهم ﴿ ، أَي قُرَيْشًا وَغَطَفَانًا ﴾ لم ينالوا خيرًا وكفى الله المؤمنين القتال وكانت الله قويًا عزيزًا لا وأنزل الذين ظهروهم من أهل الكتاب ﴿ أَي بني قُرَيْظَةَ ﴾ من صياصيهم ﴿ والصياصي : الحصون والأطام التي كانوا فيها ﴾ وقذف في قلوبهم الرعب فريقًا تقتلوا وفريقًا ﴿ أَي قَتَلَ الرِّجَالَ وَسَبَى الدَّرَارِي وَالنِّسَاءَ ﴾ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضًا لم تطووها ﴿ يعني خيبر ﴾ وكانت الله على كل شيء قديرًا .

فلما انقضى شأن بني قُرَيْظَةَ انفجر بسعد بن مُعَاذٍ جُوحَهُ فمات منه شهيدًا . عن الحسن البصري قال : كان سعد رجلًا بادئًا ، فلما حملة الناس وجدوا له خفة ، فقال رجال من المنافقين : والله إن كان لبادئًا ، وما حملنا من جنازة أخف منه ! فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « إِنَّ لَهُ حَمَلَةً غَيْرَكُمْ ، والذي نفسي بيده لقد اشتبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتز له العرش » .

وقتل من المشركين ثلاثة نفر : مُنَبِّه بن عثمان بن عُبيد ، أصابه سهم فمات منه بمكة . ومن بني مخزوم بن يَقْظَةَ : نُوْفَل بن عبد الله بن المغيرة ، سألوا رسول الله ﷺ أن

يبيعهم جسدَه ، وكان اقتحم الخندق ، فتورط فيه فقتل ، فعَلَب المسلمون على جسده ، فقال رسول الله ﷺ : « لا حاجة لنا في جسده ولا يتمنه » ، فحلى بينهم وبينه . ومن بني عامر بن لؤي : عمرو بن عبد ود ، قتله علي بن أبي طالب .

واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين : خلاذ بن سويد ، طرحت عليه رحي فشده حته شدحا شديدا . فرعموا أن رسول الله ﷺ قال : « إن له لأجر شهيدين » . ومات أبو سنان بن محصن بن حنثان ، ورسول الله ﷺ محاصر بني قريظة ، فدفن في مقبرة بني قريظة . ولما انصرف أهل الخندق قال رسول الله ﷺ فيما يلغني : « لئن تغزؤكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونها » فلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان هو الذي يغزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

[مقتل سلام بن أبي الحقيق]

ولما انقضى شأن الخندق ، وأمر بني قريظة ، وكان سلام بن أبي الحقيق ، وهو أبورافع ، فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف ، في عداوته لرسول الله ﷺ وتحريره عليه ، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق ، وهو بخيبر ، فأذن لهم .

عن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار ، والأوس والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله ﷺ غناء^(١) إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام . قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ؛ وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبدا ؛ قال : فتذاكروا : من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كائن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقيق ، وهو بخيبر ؛ فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله ، فأذن لهم .

(١) غناء : منفعة .

[إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد]

عن عمرو بن العاص قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جَمَعْتُ رجالاً من قريش، كانوا يَزُون رأيي، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي، فقلت لهم: تعلمون والله أنني أرى أمر محمد يَغْلُو الأمور غُلُوًّا مُنْكَرًا، وإنِّي قد رأيتُ أمراً، فما تَزُون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيتُ أن نَلْحَقَ بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قَوْمنا كُنَّا عند النجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد. وإن ظهر قَوْمنا فَتَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفُوا، فلن يَأْتينا منهم إلَّا خَيْر، قالوا: إنَّ هذا الرأي. قلت: فاجمَعُوا لنا ما نَهْدِيه له، وكان أحب ما يُهْدَى إليه مِنْ أَرْضنا الأَدَم^(١)، فجمعنا له أَدَمًا كثيرًا، ثم خَرَجْنَا حتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ.

فوالله إنَّا لَعِنْدَهُ إِذْ جَاءَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمَرِيِّ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد بعثه إليه في شأنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ. فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أُمَيَّة الضَّمَرِيُّ، لو قد دَخَلْتُ على النجاشي وسألته إِيَّاه فَأَعْطَانِيهِ، فَضَرَبْتُ عُقَّةَ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أنني قد أَجْزَأْتُ عنها^(٢) حين قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ. قال: فدَخَلْتُ عليه فسَجَدْتُ له كما كُنْتُ أَصْنَعُ، فقال: مَرَحَبًا بصديقي، أَهْدَيْتَ إِلَيَّ مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا؟ قلت: نعم، أيها الملك، قد أَهْدَيْتُ إِلَيْكَ أَدَمًا كثيرًا؛ ثم قَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَأَعْجِبَهُ وَاسْتَهَاهُ ثم قلت له: أيها الملك، إنِّي قد رأيتُ رجلاً خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ، وهو رسولُ رجلٍ عَدُوٌّ لَنَا، فَأَعْطَانِيهِ لَأَقْتُلَهُ، فإنه قد أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا؛ فغَضِبَ، ثم مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ كَسَرَهُ، فلو انشَقَّتْ لِي الأَرْضُ لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ؛ ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَ؛ قال: أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيكَ رَسُولَ رجلٍ يَأْتِيهِ التَّامُوسُ الأَكْبَرُ الذي كان يَأْتِي مُوسَى لَتَقْتُلَهُ! قلت: أيها الملك، أَكْذَاكَ هُوَ؟ قال: وَيَحْكُ يَا عَمْرُو أَطِيعْنِي وَاتَّبِعْهُ، فإنه والله لَعَلِّي لَعَلِّي الحَقَّ، وَلَيُظْهِرَنَّ عَلَيَّ مَنْ خَالَفَهُ، كما ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَمُجَنودِهِ؛ قلت: أَتَقْبَلُ بَعْثِي لَهُ عَلَى الإِسْلَامِ؟ قال: نعم، فَبَسَطَ يَدَهُ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى الإِسْلَامِ، ثم خَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي وَقَدْ حَالَ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَكَتَمْتُ أَصْحَابِي إِسْلَامِي.

ثم خَرَجْتُ عَامِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأُسْلِمَ، فَلَقِيْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ

(١) الأدم: الجلد.

(٢) أَجْزَأْتُ عنها: كَفَيْتُهَا.

الفتح، وهو مُقْبِلٌ من مكة؛ فقلت: أين يا أبا سُلَيْمَانَ؟ قال: واللَّهِ لقد اشتَقَّ المَنْسِمُ^(١)، وإن الرجلَ لَنَبِيٍّ، أذهبُ واللَّهِ فَأُسْلِمَ، فحتى متى؟ قلت: واللَّهِ ما جِئْتُ إِلَّا لِأُسْلِمَ. فَقَدِمْنَا المدينةَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأُسْلِمَ وَبَايَعَ، ثُمَّ دَنَوْتُ، فقلت: يا رسولَ اللَّهِ، إِنِّي أَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ يُعْفَرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي، وَلَا أَذْكَرُ مَا تَأَخَّرَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عُمَرُو، بَايِعْ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُوبُ^(٢) مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنْ الْهَجْرَةَ تَجُوبُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؛ فَبَايَعْتُهُ، ثُمَّ انصرفت.

قال ابن هشام: ويقال: فإن الإسلام يَحُثُّ^(٣) ما كان قبله، وإن الهجرة تَحُثُّ ما كان قبلها.

قال ابن إسحاق: أن عثمانَ بن طلحة بن أبي طلحة، كان معهما، حين أسلما.

[غزوة بني لُخَيَانَ]

ثم أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينة ذَا الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ وَشَهْرَيَّ رَجَبٍ، وخرج في جُمَادَى الْأُولَى على رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ فَتْحِ قُرَيْظَةَ، إِلَى بَنِي لُخَيَانَ، يَطْلُبُ بِأَصْحَابِ الرَّجِيعِ: حُثَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ وَأَصْحَابِهِ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يَرِيدُ الشَّامَ، لِيُصِيبَ مِنَ الْقَوْمِ غَزَّةً^(٤). فخرج من المدينة^(٥) فَسَلَكَ عَلَى غُرَابٍ: جَبَلِ بَنِي لُخَيَانَ عَلَى طَرِيقِهِ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ عَلَى مَحِيصٍ^(٦). ثُمَّ عَلَى الْبَثْرَاءِ، ثُمَّ صَفَقَ^(٧) ذَاتَ الْيَسَارِ فخرج على بَيْنٍ^(٨) ثُمَّ عَلَى صُخَيْرَاتِ الْيَمَامِ، ثُمَّ اسْتَقَامَ بِهِ الطَّرِيقُ عَلَى الْمَحَجَّةِ مِنْ طَرِيقِ مَكَّةَ، فَأَعَدَّ السَّيْرَ سَرِيعًا حَتَّى نَزَلَ عَلَى غُرَّانٍ، وَهِيَ مَنَازِلُ بَنِي لُخَيَانَ - وَغُرَّانُ: وَادٍ بَيْنَ أَمَجٍّ وَغُسْفَانَ، إِلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ سَايَةَ - فَوَجَدَهُمْ قَدْ حَذَرُوا وَتَمَنَّعُوا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، فَلَمَّا نَزَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَخْطَأَهُ مِنْ غَوَّتِهِمْ مَا أَرَادَ، قَالَ: لَوْ أَنَّا هَبَطْنَا غُسْفَانَ لَرَأَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنَّا قَدْ جِئْنَا مَكَّةَ. فخرج في مَائَتِي رَاكِبٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ غُسْفَانَ، ثُمَّ بَعَثَ فَارِسَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى

(١) المنسم: خفَّ البعير.

(٢) يَحُثُّ: يُسْقِطُ.

(٣) يَحُثُّ: يُسْقِطُ.

(٤) غَزَّة: أم مكتوم.

(٥) هكذا في تحقيق مصطفى السقا وآخرين، وفي بعض الأصول «مخيض».

(٦) صفق: عدل وانصرف.

(٧) بين، بالكسر: واد قرب المدينة.

(٢) يَجُوبُ: يَقْطَعُ.

(٤) الغرة: الغفلة.

بَلَعَا كُرَاعَ الْعَمِيمِ ، ثُمَّ كَرَّ وَرَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَافِلًا . فَكَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ حِينَ وَجَّهَ رَاجِعًا : « آيُونَ تَائِبُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ وَغْثَاءِ الشَّقَرِ ^(١) وَكَأَبَةِ ^(٢) الْمُنْقَلَبِ ^(٣) ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ » .

[غزوة ذي قرد]

ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَلَمْ يُقِمْ بِهَا إِلَّا لَيَالِي قَلِيلٍ حَتَّى أَغَارَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حَذَافَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ ، فِي خَيْلٍ مِنْ غَطَفَانَ عَلَى لِقَاحٍ ^(٤) لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْغَابَةِ ^(٥) وَفِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ^(٦) وَامْرَأَةٌ لَهُ ، فَقَتَلُوا الرَّجُلَ وَاحْتَمَلُوا الْمَرْأَةَ فِي اللَّقَاحِ . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَذَرَ بِهِمْ ^(٧) سَلَمَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْأَكْوَعِ السَّلَمِيُّ ، غَدَا يَرِيدُ الْغَابَةَ مُتَوَشِّحًا ^(٨) قَوْسَهُ وَنَبْلَهُ ، وَمَعَهُ غُلَامٌ لَطْلَحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، مَعَهُ فَرَسٌ لَهُ يَقُودُهُ . حَتَّى إِذَا عَلَا ثُبَيْتَةُ الْوُدَاعِ نَظَرَ إِلَى بَعْضِ خِيُولِهِمْ ، فَأَشْرَفَ فِي نَاحِيَةِ سَلْعٍ ، ثُمَّ صَرَخَ : وَاصْبَاحَاهُ ! ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ فِي آثَارِ الْقَوْمِ ، وَكَانَ مِثْلَ السَّيِّعِ ، حَتَّى لَحِقَ بِالْقَوْمِ ، فَجَعَلَ يُؤْذِهِمُ بِالنَّبْلِ ، وَيَقُولُ إِذَا رَمَى : « خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ ، الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ ^(٩) » ، فَإِذَا وَجَّهَتِ الْخَيْلُ نَحْوَهُ انْطَلَقَ هَارِبًا ثُمَّ عَارَضَهُمْ ، فَإِذَا أَمَكْنَهُ الرَّمْيُ رَمَى ثُمَّ قَالَ : « خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ ، الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ » . فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ : « أُؤْيِكُنَا هُوَ أَوَّلَ النَّهَارِ » . وَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صِيَاحَ ابْنِ الْأَكْوَعِ . فَصَرَخَ بِالْمَدِينَةِ : الْفَرْعُ الْفَرْعُ ! فَتَرَامَتِ الْخِيُولُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْفُرْسَانِ : الْحَقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو ، ثُمَّ عَبَّادُ بْنُ بَشِيرٍ بْنُ وَقْشٍ ، وَسَعْدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَأَسِيدُ بْنُ ظَهَيْرٍ ، وَغُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ ، وَمُخَرِّزُ بْنُ نَضْلَةَ ، وَأَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعِيٍّ ، وَأَبُو عَيَّاشٍ عُبَيْدُ بْنُ زَيْدٍ . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ

(١) أي مشقته وشدته .

(٢) كآبة : تغير النفس والانكسار من شدة الهم والحزن . (٣) المنقلب : الرجوع والانصراف .

(٤) اللقاح ، بكسر اللام : الإبل الحوامل ذوات الألبان .

(٥) الغابة : موقع قرب المدينة من ناحية الشام .

(٦) هو ابن أبي ذر . (٧) نذر بهم : علم بهم .

(٨) متوشحاً : متقلداً .

(٩) الرضع : جمع راضع ، والراضع : اللثيم . والمعنى : اليوم يهلك اللثام .

زَيْد، ثم قال : اخْرُجْ فِي طَلَبِ الْقَوْمِ حَتَّى أَلْحَقَكَ بِالنَّاسِ . وَلَمَّا تَلَاخَقَتِ الْخَيْلُ قَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعٍ ، حَبِيبَ بْنِ عُيَيْنَةَ بْنِ حَضَنٍ ، وَعَشَّاهُ بُرْدَهُ^(١) ثُمَّ لَحِقَ بِالنَّاسِ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ : أَنَّ أَوَّلَ فَارِسٍ لَحِقَ بِالْقَوْمِ مُخَرَّجُ ابْنِ نَضْلَةَ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَتَلَهُ ، فَلَمْ يُقْتَلْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَيْرُهُ .

وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ ، فَإِذَا حَبِيبٌ مُسَجَّى يُبْرِدُ أَبِي قَتَادَةَ ، فَاسْتَرْجَعَ النَّاسُ وَقَالُوا : قُتِلَ أَبُو قَتَادَةَ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَيْسَ بِأَبِي قَتَادَةَ ، وَلَكِنَّهُ قَتِيلٌ لِأَبِي قَتَادَةَ وَضَعَ عَلَيْهِ بُرْدَهُ لَتَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُهُ .

وَأَدْرَكَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِخْصَنٍ أَوْبَارًا وَابْنَهُ عَمْرُو بْنُ أَوْبَارٍ ، وَهُمَا عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ ، فَانْتَظَمَهُمَا^(٢) بِالرُّمَحِ فَقَتَلَهُمَا جَمِيعًا ، وَاسْتَنْقَدُوا بَعْضُ اللَّقَاحِ ، وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ بِالْجَبَلِ مِنْ ذِي قَرْدٍ ، وَتَلَاخَقَ بِهِ النَّاسُ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهِ وَأَقَامَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَلَيْلَةً . وَقَالَ لَهُ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ سَرَّحْتَنِي فِي مَائَةِ رَجُلٍ لَأَسْتَقْدْتُ بِقِيَّةِ السَّرْحِ ، وَأَخَذْتُ بِأَعْنَاقِ الْقَوْمِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْهُمْ الْآنَ لِيُغَبِّقُونَ فِي غَطَفَانٍ »^(٣) فَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ ، فِي كُلِّ مَائَةِ رَجُلٍ جَزُورًا ، وَأَقَامُوا عَلَيْهَا . ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَافِلًا حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ .

وَأَقْبَلَتْ امْرَأَةُ الْغِفَارِيِّ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ إِبِلٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَدِمَتْ عَلَيْهِ ، فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبَرَ ، فَلَمَّا فَرَعَتْ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ نَذَرْتُ لِلَّهِ أَنْ أَنْحَرَهَا إِنْ نَجَّانِي اللَّهُ عَلَيْهَا ! فَتَبَشَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ : « بِئْسَ مَا جَزَيْتَهَا أَنْ حَمَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهَا وَنَجَّاكَ بِهَا ثُمَّ تَنْحَرِيْنَهَا ! إِنَّهُ لَا نَذَرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِيْمَا لَا تَمْلِكِينَ ، إِنَّمَا هِيَ نَاقَةٌ مِنْ إِبِلِي ، فَارْجِعِي إِلَى أَهْلِكَ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ » .



(١) وغشاه ببرده : غطاه ، والبرد الكساء المخطط يلتحف به .

(٢) فانتظمهما : جمعهما .

(٣) يغبقون : يسقون الغبوق ، وهو اللبن يشرب في العشى .

الفصل الثالث عشر

من بني إصطليق إلى الردة

[غزوة بني المصطلق^(١)]

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجباً، ثم غزا بني المصطلق من خزاعة، في شعبان سنة ست^(٢). بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار، أبو جؤيرية بنت الحارث، زوج رسول الله ﷺ، فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم، حتى لقيهم على ماء يقال له: المريسيع، من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق وقُتل من قُتل منهم، ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه.

وقد أصيب رجل من المسلمين من بني كلب بن عوف، يقال له هشام بن ضبابه، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأً. فبينما رسول الله ﷺ على ذلك الماء، وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجيرو له من بني غفار يقال له: جهجاه بن مسعود، يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار! وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين! فعصّب عبد الله بن أبي بن سلول - وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم، غلام حدث - فقال: أو قد فعلوها، قد نافرونا^(٣) وكاثرونا في بلادنا، والله ما أغدنا وجلايب قریش^(٤) إلا كما قال الأول: «سمن كلبك يأكلك!». أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل! ثم أقبل على من خضره من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أخللتموهم بلادكم! وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم!

(١) وتسمى أيضاً غزوة المريسيع.

(٢) واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري.

(٣) نافرونا: غلبونا وفاخرونا.

(٤)

لقب كان المشركون يلقبون به من أسلم من المهاجرين.

فسمع ذلك زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ فَمَشَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عُدُوِّهِ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : مُرْ بِهِ عَبْدًا بَنَ بِشْرِ فَلْيَقْتُلْهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ! لَا وَلَكِنْ أَدُّنُ بِالرَّحِيلِ . وذلك في ساعةٍ لم يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُوجِلُ فِيهَا ، فَارْتَحَلَ النَّاسُ . وقد مشى عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ بنَ سَلُولٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حين بلغه أن زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ قد بَلَغَهُ ما سَمِعَ مِنْهُ ، فَخَلَفَ بِاللَّهِ : ما قُلْتُ ما قَالَ وَلَا تَكَلَّمْتُ بِهِ ! وكان في قَوْمِهِ شَرِيفًا عَظِيمًا ، فَقَالَ مِنْ حَضَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِهِ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، عَسَى أَنْ يَكُونَ الْعُلَامُ قد أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ وَلَمْ يَحْفَظْ ما قَالَ الرَّجُلُ ! حَدِّثْ عَلَيَّ ابْنَ أُبَيٍّ بنَ سَلُولٍ ، وَدَفْعًا عَنْهُ .

فلما اسْتَقَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وسار ، لَقِيَهِ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، فَحَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّةِ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : يا نَبِيَّ اللَّهِ ، واللَّهِ لقد رُخِّتَ في ساعةٍ مُنْكَرَةٍ ما كُنْتَ تَرُوحُ في مِثْلِهَا ! فقال له رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوْ مَا بَلَغَكَ ما قَالَ صَاحِبُكُمْ ؟ » قَالَ : وَأَيُّ صَاحِبٍ يا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : عَبْدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ . قَالَ : وما قَالَ ؟ قَالَ : « زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَدْلَ » قَالَ : فَأَنْتَ يا رَسُولَ اللَّهِ واللَّهِ نُخْرِجُ مِنْهَا إِنْ شِئْتَ . هو واللَّهِ الدَّلِيلُ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ ! ثُمَّ قَالَ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، ارْزُقْ بِهِ ، فواللَّهِ لقد جاءنا اللَّهُ بِكَ وَإِنَّ قَوْمَهُ لَيَنْظِمُونَ لَهُ الْحَزَرَ لِيَتَوَجَّوهُ ، فَإِنَّهُ لَيَرَى أَنَّكَ قد اسْتَلَبْتَهُ مُلْكًا .

ثم مشى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بالناسِ يُؤْمِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى أَمْسَى ، وَلَقِلَّتْهُمْ حَتَّى أَصْبَحَ ، وَصَدَرَ يُؤْمِهِمْ ذَلِكَ . حتى آذَنَهُم الشَّمْسُ . ثم نَزَلَ بالناسِ فلم يَلْبَثُوا أَنْ وَجَدُوا مَسَّ الْأَرْضِ فَوَقَعُوا نِيَامًا . وإنما فعل ذلك رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَشْغَلَ النَّاسَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ .

ثم راح رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بالناسِ وسلكَ الْحِجَازَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى مَاءٍ بِالْحِجَازِ فَوُيِّقَ التَّقِيْعُ يُقَالُ لَهُ بَقْعَاءُ . فلما راح رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَبَّتْ عَلَى النَّاسِ رِيحٌ شَدِيدَةٌ آذَنَتْهُمْ وَتَخَوَّفُوهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَخَافُوهَا . فَإِنَّمَا هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عَظَمَاءِ الْكُفَّارِ » . فلما قَدِمُوا الْمَدِينَةَ وَجَدُوا رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ الثَّابُوتِ ، أَحَدَ بَنِي قَيْنُقَاعَ - وكان عَظِيمًا مِنْ عَظَمَاءِ يَهُودَ ، وَكَهْفًا لِلْمُنافِقِينَ - مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبيي ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذي أوفى الله بأذنيه ، وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيي الذي كان من أمر أبيه فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبيي فيما بلغك عنه ، فإن كنت لابد فاعلاً فمؤني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبيي يمشي في الناس ، فأقتله فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ : « بل تترفق به وتحسن صحبتته ما بقي معنا » .

وجعل بعد ذلك إن أحدثت الحديث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعتفونه ، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : « كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله لأرعدت له أنف^(١) لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته » . قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أفري .

وقدِم مقيس بن ضبابة من مكة مسلماً فيما يظهر ، فقال : يا رسول الله ، جئتكم مسلماً ، وجئتكم أطلب دية أخي ، قُتل خطأ ! فأمر له رسول الله ﷺ بديّة أخيه هشام بن ضبابة ، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتداً .

وكان شعار المسلمين يوم بني المصطلق : يا منصور ، أمث أمث . وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس^(٢) ، وقتل علي بن أبي طالب منهم رجلين : مالكاً وابنه . وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلاً من فوسانهم يقال له أحمر ، أو أخيمر . وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سبباً كثيراً ، فشا قسّمه في المسلمين ، وكان فيمن أصيب يومئذ من السببا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، زوج رسول الله ﷺ . قالت عائشة : لما قسّم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشّمس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة

(١) لأرعدت أنف : لتوعدت وهددت ، أنف : جمع أنف .

(٢) قال ابن هشام : « وكان شعار المسلمين يوم بني المصطلق : يا منصور ، أمت ، أمت » .

مُحَلَّوَةً مَّلَاحَةً^(١)، ولا يراها أحدٌ إلا أخذت بنفسيه، فأَتَتْ رسولَ الله ﷺ تستعينه في كتابتها، فوالله ما هو إلا أن رأيتهَا على باب حجرتي فكَّرَ هُتْهَا، وعرفت أنه سيري منها رسولُ الله ﷺ ما رأيْتُ، فدَخَلْتُ عليه، فقالت: يا رسولَ الله، أنا جَوَيرِيَّةُ بنتُ الحارث ابن أبي ضِرَارٍ، سيِّد قومِه، وقد أَصابني من البلاء ما لم يَحْفَ عليك، فوَقَعْتُ في السَّهْمِ لثَابِتِ بنِ قَيْسِ بنِ الشَّامِاسِ - أو لابنِ عَمٍّ له - فكَاثَبْتُهُ على نفسي، فجئتُكَ أَسْتَعِينُكَ على كتابتي. قال: فهل لك في خَيْرٍ من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسولَ الله؟ قال: «أَقْضِي عَنْكَ كِتَابَتَكَ وَأَتَزَوَّجُكَ» قالت: نعم يا رسولَ الله. قال: «قَدْ فَعَلْتُ».

وخرج الخبرُ إلى الناس أن رسولَ الله ﷺ قد تزوج جَوَيرِيَّةَ ابنة الحارث بن أبي ضِرَارٍ، فقال الناس: أَصْهَارُ رسولِ الله ﷺ. وأُرْسِلُوا ما بأيديهم قال: فلقد أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهَا مائةَ أَهْلِ بَيْتٍ من بني الْمُصْطَلِقِ، فما أَعْلَمُ امْرَأَةً كانت أعْظَمَ عَلَى قَوْمِهَا بَرَكَهً منها.

وعن يزيد بن رومان: أن رسولَ الله ﷺ بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ، فلما سَمِعُوا به رَكِبُوا إليه، فلما سَمِعَ بهم هَابَهُمْ، فَرَجَعَ إلى رسولِ الله ﷺ فأخبره أَنَّ الْقَوْمَ قد هَمُّوا بِقَتْلِهِ، ومنعوه ما قَبَلَهُمْ من صَدَقَتِهِمْ، فأكثر المسلمون في ذِكْرِ عَزْوِهِمْ، حتى هَمَّ رسولُ الله ﷺ بأن يَعْزُوهُمْ، فبينما هم على ذلك قَدِمَ وَقْدُهُمْ على رسولِ الله ﷺ فقالوا: يا رسولَ الله، سَمِعْنَا بِرَسُولِكَ حين بَعَثْتَهُ إِلَيْنَا، فَخَرَجْنَا إليه لِنُكْرِمَهُ، ونُوَدِّيَ إليه ما قَبَلْنَا من الصَّدَقَةِ، فأنشَمَرَ راجِعاً^(٢)، فَبَلَّغْنَا أَنَّهُ زَعَمَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّا خَرَجْنَا إليه لِنَقْتُلَهُ، واللَّهِ ما جِئْنَا لذلك. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ وَفِيهِمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ * وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ...﴾ إلى آخر الآية. وقد أَقْبَلَ رسولُ الله ﷺ من سَفَرِهِ ذلك حتى إذا كان قَرِيبًا من المدينة، وكانت معه عَائِشَةُ في سَفَرِهِ ذلك، قال فيها أَهْلُ الْإِفْكِ ما قالوا.

(١) أي شديدة الملاحه.

(٢) انشمر: جد وأسرع.

[خبر الإفك ، في غزوة بني المصطلق سنة ست]

عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أفرع^(١) بين نسائه ، فأئتيهن خرج سهُمهما خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بني المصطلق أفرع بين نسائه كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن معه ، فخرج بي رسول الله ﷺ . وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق^(٢) لم يُهَيَّجْهُنَّ اللَّحْمُ فَيَتَّقِلْنَ^(٣) ، وكنت إذا رُحِلَ لي بعيري جَلَسْتُ في هودجِي ، ثم يأتي القوم الذين يُرْحَلُونَ لي ويحملونني ، فيأخذون بأسفل الهودج فيزفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بجباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به . فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وَجَّهَ قَافِلًا^(٤) ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي ، وفي غنقي عقْدٌ لي ، فيه جزعٌ ظفار^(٥) ، فلما فرغت أنسل من غنقي ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرِّحْلِ ذهبُ أَلْتَمِسُهُ في غنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبُ إليه فالتَمَسْتُهُ حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي ، الذين كانوا يُرْحَلُونَ لي البعير^(٦) ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج وهم يظنون أنني فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشددوه على البعير ، ولم يشكوا أنني فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داء ولا مجيب ، قد انطلق الناس ، فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني ، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلي .

فوالله إني لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المَعْطِل السَّلَمِيّ ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يثبت مع الناس ، فرأى سوادي فأقبل حتى وقف عليّ ، وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، طعيتُ رسول الله ﷺ ! وأنا متلفعة في ثيابي . قال : ما خلقتك يوحىك الله؟ فما كلّمته . ثم قرَّب البعير فقال : اركبي . واستأخر عني . فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب

(١) أفرع بينهن : ضرب القرعة ليختار .

(٢) العلق : جمع علقة ، بالضم ، وهو ما يتبلغ به من الطعام .

(٣) الهيج : الورم . هبجه تهبيجا : ورمه . (٤) قافلا : راجعا .

(٥) الجزع : الخرز . وطفار : مدينة باليمن قرب صنعاء .

(٦) رحل البعير : وضع عليه الرحل .

الناس ، فوالله ما أذركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي ، فقال أهل الإفك ما قالوا . فازتجج^(١) العسكر ، والله ما أعلم بشيء من ذلك .

ثم قدمنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة^(٢) ، ولا يتلغني من ذلك شيء ، وقد انتهت الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبوي لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً ، إلا أنني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بغض لطفه بي . كنت إذا اشتكيت رجمني ولطف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل عليّ وعندي أمي^(٣) تمرضني قال : كيف تيكم ؟ لا يزيد على ذلك . حتى وجدت^(٤) في نفسي ، فقلت : يا رسول الله - حين رأيت ما رأيت من جفائي لي - لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرضتني ؟ قال : لا عليك .

قالت : فانتقلت إلى أمي ولا أعلم لي شيء مما كان ، حتى نقيت من وجعي بعد بضعة وعشرين ليلة . وكنتاً قوماً غريباً^(٥) لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الأعاجم . ناعفها ونكرها ، إنما كنا نذهب في فُسح^(٦) المدينة ، وإنما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن . فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعني أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ، فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في موطئها^(٧) ، فقالت : تعس مسطح ! قالت : قلت : بئس لعمرك الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ! قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك . قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله لقد كان .

قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع^(٨) كبدي ، وقلت لأمي : يغفر الله لك ، تحدثت الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت : أي بنية ، خفضي عليك الشأن^(٩) ،

(١) ارتجج : تحرك واضطراب .

(٢) اسمها زينب بنت عبد دهمان ، فيما قال ابن هشام .

(٣) غريباً : يقال لأهل البادية إذا سكنوا المدن : غريب .

(٤) الوجد : الحزن .

(٥) فسح : جمع فسحة ، السعة .

(٦) المرط : الكساء .

(٧) يصدع : يشق .

(٨) أي هوني عليك الأمر .

فوالله لقلما كانت امرأة حشنة عند رجلٍ يُحبها، لها صرائر، إلا كثرت الناس عليها^(١).

قال: وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم - ولا أعلم بذلك - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت منهم إلا خيرا، ويقولون ذلك لرجلٍ والله ما علمت منه إلا خيرا، وما يدخل بيتا من بيوتي إلا وهو معي». قالت: وكان كثير ذلك^(٢) عند عبد الله بن أبي ابن سلول في رجالٍ من الخزرج، مع الذي قال مشطخ وحفنة بنت جحش. وذلك أن أختها زينة بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن من نسائه امرأة ثنابيني^(٣) في المنزلة عنده غيرها، فأما زينة فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيرا. وأما حفنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت، تضادني لأختها، فشقيت بذلك. فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أسيد بن حضير: يا رسول الله، إن يكونوا من الأوس تكفكهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرونا بأمرك، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم! فقام سعد بن عبادة، وكان قبل ذلك يرى رجلا صالحا، فقال: كذبت لعمر الله، لا تضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا. فقال أسيد: كذبت لعمر الله، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين! قالت: وتساور الناس^(٤) حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر، ونزل رسول الله ﷺ^(٥) فدخل علي، فدعا علي بن أبي طالب، وأسامه بن زيد، فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى علي خيرا وقاله، ثم قال: يا رسول الله، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرا، وهذا الكذب والباطل! وأما علي فإنه قال: يا رسول الله، إن النساء لكثير، وإنك لقادئ على أن تمشخلف، وسلي الجارية فإنها ستضدك.

فدعا رسول الله ﷺ بريرة^(٦) ليسألها، فقام إليها علي بن أبي طالب فصر بها صربا

(١) أي كثروا القول فيها والعت عليهما. ويروي: «كبرن» من الكبر وهو الإثم.

(٢) كبر ذلك، أي معظم ذلك الإثم.

(٣) المناصة: المساواة.

(٤) تساوروا: تواءموا.

(٥) أي من على المنبر.

(٦) بريرة: مولاة عائشة.

شديداً ويقول : اضدقي رسول الله ﷺ . فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيبُ على عائشة شيئاً ، إلا أنني كنتُ أعجُنُ عَجِينِي ، فأمرها أن تحفظه ، فتنامُ عنه فتأتي الشاة فتأكله ! قالت : ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي أبواي ، وعندي امرأة من الأنصار ، وأنا أبكي وهي تبكي معي ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « يا عائشة ، إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس فأتقي الله ، وإن كنتِ قد فارقتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله ، فإن الله يقبلُ التوبةَ عن عباده ! » فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك فقلصَ دُمعي^(١) حتى ما أحسُ منه شيئاً ، وانتظرتُ أبويَّ أن يُجيبا عني رسول الله ﷺ ، فلم يتكَلَّمَا؟ وإيم الله لأنا كنتُ أخقرَ في نفسي ، وأصغرَ شأنًا من أن يُنزلَ الله في قرآنٍ يُقرأ به في المساجد ويُصلَّى به ، ولكنني قد كنتُ أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئاً يُكذِّبُ به الله عني ، لما يعلم من براءتي ، أو يُخبرَ خبراً ، فأما قرآنٌ ينزل في فوالله لنفسي كانت أخقرَ عندي من ذلك !

فلما لم أرَ أبويَّ يتكَلَّمان قلتُ لهما : ألا تُجيبان رسول الله ﷺ؟ فقالا : والله ما ندرى بماذا تُجيبه . والله ما أعلم أهل بيتٍ دخل عليهم ما دخلَ على آل أبي بكرٍ في تلك الأيام ! فلما أن استعجما عليّ^(٢) استغبرتُ فبكيتُ ، ثم قلتُ : والله لا أتوبُ إلى الله مما ذكرتُ أبداً ! والله إنني لأعلمُ لئن أقررتُ بما يقول الناس والله أعلم أنني منه بريئة لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرتُ ما يقولون لا تُصدّقوني . قالت : ثم التمسيتُ اسمَ يعقوبَ فما أذكرُه ، فقلتُ : ولكن سأقولُ كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ . فوالله ما برحَ رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجني بثوبه ووضعتُ له وسادةً من آدم^(٣) تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيْتُ من ذلك ما رأيْتُ فوالله ما فرغتُ ولا باليتُ ، قد عرفتُ أنني بريئة ، وأن الله - عز وجل - غيرُ ظالمي . وأما أبواي فوالذي نفسُ عائشة بيده ما سُرِّي عن رسول الله ﷺ حتى ظننتُ لتخربجن أنفسهما ، فرقا^(٤) من أن يأتي من الله تحقيقُ ما قال الناس . قالت : ثم سُرِّي عن رسول الله ﷺ فجلس وإنه ليتحدّرُ منه مثلُ الجمان^(٥) في يومٍ شاب ، فجعل يمسحُ

(١) قلص : ارتفع وأمسك .

(٢) استعجم : سكت ، لم ينطق .

(٣) آدم : جلد .

(٤) فرقا : جزعا ، وخوفا شديدا .

(٥) الجمان : حب كالدر يصنع من الفضة .

العَرَقَ عن جبينه ويقول : « أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بِرَأْعَتِكَ » . قلت : بِحَمْدِ اللَّهِ ! ثم خرج إلى الناس فَخَطَبَهُمْ ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك ثم أَمَرَ بِمِسْطَحِ بْنِ أَثَاثَةَ ، وَحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَحَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ ، وَكَانُوا مِمَّنْ أَفْضَحَ بِالْفَاحِشَةِ ، فَضَرَبُوا حَدَّهُمْ .

قال ابن إسحاق : عن بعض رجال بني النَّجَّار ، أن أبا أيوب خالد بن زَيْدٍ قالت له امرأته أم أيوب : أَتَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ . قال : بَلَى ، وَذَلِكَ الْكَذِبُ ، أَكُنْتُ يَا أُمَ أَيُوبَ فَاعِلَةً . قالت : لا والله ما كنتُ لأَفْعَلَهُ . قال : فَعَائِشَةُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْكِ ! قالت : فلما نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذِكْرِ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْفَاحِشَةِ مَا قَالَ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكَ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِآيَاتِكِ غُصْبَةً مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ - وذلك حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ قَالُوا مَا قَالُوا - ثم قال تعالى : ﴿ تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ... ﴾ ، أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحِبَتُهُ . ثم قال : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ يَا فَأُوْهَاهُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

فلما نزل هذا في عائشة وفيمن قال لها ما قال ، قال أبو بكر ، وكان يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ وَحَاجَتِهِ : وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا ، وَلَا أَنْفَعُهُ بِنْفَعٍ أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ وَأَدْخَلَ عَلَيْنَا . قالت : فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ : ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢٢) . فقال أبو بكر : بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي . فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ نَفَقَتَهُ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا .

قال ابن إسحاق : وقال قائلٌ من المسلمين في ضَرْبِ حَسَّانَ وَأَصْحَابِهِ فِي فَوَازِهِمْ عَلَى عَائِشَةَ :

لَقَدْ ذاقَ حَسَّانُ الَّذِي كَانَ أَهْلُهُ وَحَمْنَةُ إِذْ قَالُوا هَجِيرًا ، وَمِسْطَحُ (١)
تَعَاظَرُوا بَرَجِمِ الْغَيْبِ زَوْجَ نَبِيِّهِمْ وَسَخَطَةَ ذِي الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فَأَتْرَحُوا (٢)

(١) الهجير : الهجر ، والقول الفاحش القبيح .

(٢) الرجم : القول بالظن . أترحوا : أحنوا . الترح : الحزن .

وَأَذُوا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا فَجَلَّلُوا مَخَازِي تَبَقَى عُمُومُهَا وَفُضُّوا
وَضُبَّتْ عَلَيْهِمْ مُحْصَدَاتٌ كَأَنَّهَا شَايِبٌ قَطِرٌ مِنْ دُرَى الْمُزْنِ تَسْفَحُ^(١)
[أمر النخدينية في آخر سنة ست]

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهرَ رمضانَ وشَوَّالًا، وخرج^(٢) في ذي القعدة مُعْتَمِرًا لا يريدُ حربًا. واستنفرَ العربَ ومنَ حوله من أهلِ البوادي من الأعرابِ ليخرجوا معه، وهو يَحْشَى من قريش الذين صنعوا: أن يعرضوا له بحربٍ أو يضدوه عن البيت. فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعرابِ، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصارِ ومنَ لحقَ به من العربِ، وساقَ معه الهدي^(٣)، وأحرمَ بالعمرة، ليأمنَ الناسُ من حربه، وليعلمَ الناسُ أنه إنما خرج زائرًا لهذا البيتِ ومُعَظِّمًا له.

وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعسفان^(٤) لَقِيَهُ بِشْرُ بْنُ شَفِيانَ الكَعْبِيُّ، فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بِمسيرِكَ، فخرجوا معهم العوذُ المطافيل^(٥)، قد لبسوا جلودَ الثُمرِ، وقد نزلوا بِذِي طُوًى^(٦) يعاهدون الله لا تَدْخُلْهَا عليهم أبدًا، وهذا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي خَيْلِهِمْ قَدْ قَدَّمُوا إِلَى كِرَاعِ الْغَمِيمِ^(٧).

فقال رسول الله ﷺ: «يا وَيْحَ قريش! لقد أَكَلْتُمُ الحربَ، ماذا عليهم لو خَلَّوا بيني وبين سائرِ العربِ، فإنَّ هُمُ أَصَابُونِي كان الذي أرادوا، وإن أَظْهَرَنِي اللَّهُ عليهم دخلوا في الإسلامِ وافرين^(٨)، وإن لم يَفْعَلُوا قاتلوا وبهم قُوَّةٌ، فما تَظُنُّ قريش؟ فوالله لا أزالُ أَجَاهِدُ على الذي بَعَثَنِي به حتى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أو تَتَفَرَّدَ هذه السَّالِفَةُ^(٩)! ثم قال: «من رجلٍ يَخْرُجُ بنا على طريقٍ غيرِ طريقِهِم التي هُمُ بها؟» وأن رجلاً من بني أسلم قال: أنا يا رسول الله.

(١) المحصّدات: السياط المحكمة القتل الشديدة. الشايب: جمع شؤبوب، وهو الدفعة من المطر. الذري: الأعالي. المزن: السحاب. تسفح: تسيل.

(٢) قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي.

(٣) كان سبعين بدنة، وكان الناس سبعمائة رجل، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر.

(٤) عسفان: منهل من مكة على مرحلتين.

(٥) العوذ: جمع عائد، وهي الحديفة النتاج من الإبل. المطافيل: التي معها أولادها. يريد أنهم خرجوا بدوات الألبان من الإبل ليتزودوا ألبانها ولا يرجعوا حتى يناجزوا محمدًا.

(٦) ذو طوى: موضع قرب مكة. (٧) كراع الغميم: واد أمام عسفان بثمانية أميال.

(٨) وافرين: لم ينقص منهم شيء، في عرض أو مال. (٩) السالفة: صفحة العنق.

فَسَلَّكَ بِهِمْ طَرِيقًا وَغَرَّا أَجْرَلًا^(١) بَيْنَ شِعَابٍ ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْهُ وَقَدْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَفْضَوْا إِلَى أَرْضٍ سَهْلَةٍ عِنْدَ مُتَقَطِّعِ الْوَادِي؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنَّاسِ : قُولُوا : « نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ » . فَقَالُوا ذَلِكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّهَا لِلْحِطَّةِ^(٢) الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقُولُوهَا . فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ فَقَالَ : « اسْلُكُوا ذَاتَ الْيَمِينِ بَيْنَ ظَهْرِي الْحَمَضِ » ، فِي طَرِيقٍ تُخْرِجُهُمْ عَلَى ثِيَابِ الْمُرَارِ ، مَهْبِطِ الْحَدِيثِ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ .

فَسَلَكَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الطَّرِيقَ ، فَلَمَّا رَأَتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ قَتْرَةَ الْجَيْشِ^(٣) قَدْ خَالَفُوا عَنْ طَرِيقِهِمْ ، رَجَعُوا رَاكِضِينَ إِلَى قُرَيْشٍ . وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا سَلَكَ فِي ثِيَابِ الْمُرَارِ بَرَكَتِ نَافِثَتُهُ ، فَقَالَتِ النَّاسُ : خَلَّاتُ^(٤) . قَالَ : « مَا خَلَّاتُ ، وَمَا هُوَ لَهَا بِخُلُقٍ ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنْ مَكَّةَ . لَا تَدْعُونِي قُرَيْشُ الْيَوْمَ إِلَى حُطَّةٍ يَسْأَلُونَنِي فِيهَا صِلَةَ الرَّجَمِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا » . ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ : « انْزِلُوا » . قِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا بِالْوَادِي مَاءٌ نَنْزِلُ عَلَيْهِ . فَأَخْرَجَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَأَغَطَاهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَنَزَلَ بِهِ فِي قَلْبِ^(٥) مِنْ تِلْكَ الْقُلُبِ فَعَزَّزَهُ فِي جَوْفِهِ ، فَجَاشَ بِالرَّوَاءِ^(٦) حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ عَنْهُ بَعْطَنَ^(٧) .

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ بُدِّلَ بَنُ وَرَقَاءَ الْخُزَاعِيِّ فِي رَجَالٍ مِنْ خُزَاعَةٍ ، فَكَلَّمُوهُ وَسَأَلُوهُ : مَا الَّذِي جَاءَ بِهِ؟ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ يَرِيدُ حَرْبًا ، وَإِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِلْبَيْتِ ، وَمُعَظَّمًا لِحُزْمَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ نَحْنُ مَا قَالَ لِيُبَشِّرَ بَنَ سَفِيَانَ ، فَزَجَعُوا إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ تَعَجِّلُونَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، إِنْ مُحَمَّدًا لَمْ يَأْتِ لِقَتَالٍ وَإِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا هَذَا الْبَيْتِ . فَاتَّهَمُوهُمْ وَجَبَّهَوْهُمْ^(٨) وَقَالُوا : إِنْ كَانَ جَاءَ لَا يَرِيدُ قِتَالًا ، فَوَاللَّهِ لَا يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا عَنُوةٌ أَبَدًا ، وَلَا تَخْدَعُ بِذَلِكَ عَنَّا الْعَرَبُ . وَكَانَتْ خُزَاعَةُ عَيْبَةً تُضْحِ^(٩) رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، مُسْلِمُهَا وَمُشْرِكُهَا لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا كَانَ بِمَكَّةَ .

(١) الأجرل : الكثير الحجارة .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ، ومعناه اللهم حط عنا ذنوبنا .

(٣) القتر : الغبار .

(٤) خلَّات : بركت ولم تنهض .

(٥) القلب : البئر .

(٦) جاش : ارتفع . الرواء : الكثير .

(٧) العطن : مبرك الإبل حول الماء .

(٨) جبهه : خاطبه بما يكره .

(٩) أي خاصته وأصحاب سره .

ثم بعثوا إليه مِكَرَزَ بْنَ حَفْصِ بْنِ الْأَخِيفِ ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ مُقْبِلًا قال : هذا رجلٌ غادر . فلما انتهى إلى رسولِ الله ﷺ وكَلَّمَهُ قال له رسولُ الله ﷺ نَحْوًا مما قال لبُدَيْلٍ وأصحابه فَرَجَعَ إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسولُ الله ﷺ .

ثم بعثوا إليه الحُلَيْسُ بْنُ عَلْقَمَةَ - أو ابن زَبَّان - وكان يومئذٍ سَيِّدَ الْأَحَابِيشِ (١) فلما رآه رسولُ الله ﷺ قال : « إِنَّ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ » (٢) ، فابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاهُ » ، فَلَمَّا رَأَى الْهَدْيَ يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ غُرْضِ الْوَادِي (٣) فِي قَلَائِدِهِ (٤) ، وَقَدْ أَكَلَ أُوْبَارُهُ (٥) مِنْ طَوْلِ الْحَبْسِ عَنْ مَجْلِهِ (٦) ، رَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، إِعْظَامًا لِمَا رَأَى . فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ ، فَقَالُوا لَهُ : اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ أَغْرَابِيٌّ لَا عِلْمَ لَكَ . فغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ ، وَاللَّهِ مَا عَلَى هَذَا حَالُفُنَاكُمْ ، وَلَا عَلَى هَذَا عَاقِدُنَاكُمْ ، أُبْصِدْ عَنِ بَيْتِ اللَّهِ مَنْ جَاءَ مُعْظَمًا لَهُ ! وَالَّذِي نَفْسُ الْحُلَيْسِ بِيَدِهِ ، لَتُخْلَرَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ مَا جَاءَ لَهُ أَوْ لَأَنْفِرَنَّ بِالْأَحَابِيشِ نَفْرَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ! فَقَالُوا لَهُ : مَهْ ، كُفْ عَنَّا يَا حُلَيْسُ حَتَّى نَأْخُذَ لَأَنْفُسِنَا مَا نَرْضَى بِهِ .

ثم بعثوا إلى رسولِ الله ﷺ غُرُوزَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ ، فخرج حتى أتى رسولَ الله ﷺ فجلس بين يديه ، ثم قال : يَا مُحَمَّد ، أَجْمَعْتَ أَوْشَابَ (٧) النَّاسِ ثُمَّ جِئْتَ بِهِمْ إِلَى بَيْضَتِكَ (٨) لَتَقْضِيَهُمَا بِهِمْ (٩) . إِنِّهَا قَرِيشٌ قَدْ خَرَجَتْ مَعَهَا الْغُودُ الْمُطَافِيلُ (١٠) ، قَدْ لَبَسُوا جُلُودَ الثَّمُورِ ، يُعَاهِدُونَ اللَّهَ لَا تَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ غَنُوزَةٌ أَبَدًا ، وَايْمُ اللَّهِ لَكَأَنِّي بِهِؤَلَاءِ قَدْ انْكَشَفُوا عَنْكَ غَدًا !

ثم جعل يتناولُ لِحْيَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهو يُكَلِّمُهُ ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ واقِفٌ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَدِيدِ ، فَجَعَلَ يَقْرَعُ يَدَهُ إِذَا تَنَاوَلَ لِحْيَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ويقول : اكْفُفْ يَدَكَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ لَا تَصِلَ إِلَيْكَ ! فيقول غُرُوزَةُ : وَيَحْكُ ! مَا أَظْلَمَكَ

(١) الْأَحَابِيشُ : جماعة تحالفوا ، من قريش وكنانة وخزاعة .

(٢) يَتَأَلَّهُونَ : يتعبدون ويعظمون الله . (٣) غُرْضُ الْوَادِي : جانبه .

(٤) الْقَلَادَةُ : ما يعلق في عنق الهدي إعلامًا له . (٥) أَكَلَ أُوْبَارَهُ : تساقطت .

(٦) الْمَحَلُ : الموضع الذي ينحر فيه من الحرم . (٧) الْأَوْشَابُ : الأخلاط .

(٨) بَيْضَةُ الرَّجُلِ : قبيلته وعشيرته . (٩) تَقْضِيَهُمَا : تكسرها .

(١٠) انظر ما سبق في أمر الحديدية .

وَأَعْلَظَكَ! فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ عُزُورَةُ: مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّد؟ قَالَ: « هَذَا ابْنُ أَخِيكَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ». قَالَ: أَيُّ عُذْرٍ، وَهَلْ غَسَلْتُ سَوْعَتَكَ إِلَّا بِالْأُمْسِ^(١)! فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنَحْوِ مِمَّا كَلَّمَهُ بِهِ أَصْحَابُهُ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ يَرِيدُ حَرْبًا.

فَقَامَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ رَأَى مَا يَصْنَعُ بِهِ أَصْحَابُهُ، لَا يَتَوَضَّأُ إِلَّا ابْتَدَرُوا^(٢) وَضُوءَهُ، وَلَا يَنْصُقُ بُصَاقًا إِلَّا ابْتَدَرُوهُ، وَلَا يَسْقُطُ مِنْ شَعْرِهِ شَيْءٌ إِلَّا أَخَذُوهُ. فَرَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ، إِنِّي قَدْ جِئْتُ كِشْرَى فِي مُلْكِهِ، وَفَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ، وَالتَّجَاشِي فِي مُلْكِهِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مُلْكًا فِي قَوْمٍ قَطُّ مِثْلَ مُحَمَّدٍ فِي أَصْحَابِهِ! وَلَقَدْ رَأَيْتُ قَوْمًا لَا يُسْلِمُونَهُ لَشَيْءٍ أَبَدًا، فَزُوا رَأْيَكُمْ.

وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْخَزَاعِيَّ، فَبِعْثَهُ إِلَى قَرِيشٍ بِمَكَّةَ، وَحَمَلَهُ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ يَقَالُ لَهُ: « الثَّغْلَبُ »، لِيُبَلِّغَ أَشْرَافَهُمْ عَنْهُ مَا جَاءَ لَهُ، فَعَقَرُوا بِهِ جَمَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَرَادُوا قَتْلَهُ، فَمَنَعَتْهُ الْأَحَابِيشُ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، حَتَّى أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

ثُمَّ دَعَا عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ لِيَبْعَثَهُ إِلَى مَكَّةَ فَيُبَلِّغَ عَنْهُ أَشْرَافَ قَرِيشٍ مَا جَاءَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَخَافُ قَرِيشًا عَلَى نَفْسِي، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بَنُ كَعْبٍ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي، وَقَدْ عَرَفْتُ قَرِيشَ عِدَاوَتِي إِيَّاهَا، وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنِّي أَذُوكَ عَلَى رَجُلٍ أَعَزَّ بَهَا مِنِّي: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ، فَبِعْثَهُ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَأَشْرَافِ قَرِيشٍ، يَخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ وَمُعَظَّمًا لِحُزْمَتِهِ. فَخَرَجَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ فَلَقِيَهُ أَبَا بَنٍ سَعِيدَ بْنِ الْعَاصِ، حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ، أَوْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا، فَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَجَارَهُ حَتَّى بَلَغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاَنْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قَرِيشٍ، فَيُبَلِّغُهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ حِينَ فَرَّغَ مِنْ رِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ. فَقَالَ: مَا كُنْتُ لَأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَاخْتَبَسَتْهُ قَرِيشٌ عِنْدَهَا، فَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ قَدْ قُتِلَ.

(١) قال ابن هشام: أراد عروة بهذا أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بني مالك بن ثقيف، فتهايج الحيان من ثقيف: بنو مالك رهط المقتولين، والأحلاف رهط المغيرة، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية، وأصلح ذلك الأمر.

(٢) ابتدروا وضوءه: تسارعوا إليه.

[بيعة الرضوان]

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عُثْمَانَ قد قُتِلَ : لا تَبْرَحْ حتى تُنَاجِرَ القَوْمَ . فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة . فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت . وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يُبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على ألا نَفَرَّ . فبايع رسول الله ﷺ الناس^(١) ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجُدُّ بن قَيْس ، أخو بني سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنني أنظرُ إليه لاصقاً يابط ناقة ، قد ضَبَّأ إليها^(٢) يَشْتَتِرُ بها من الناس . ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذُكِرَ من أمر عُثْمَانَ باطل .

[أمر الهدنة (صلح الحديبية)]

ثم بعثت قريشُ سُهَيْلَ بن عَمْرٍو ، أخا بني عامر بن لُؤَيٍّ ، إلى رسول الله ﷺ وقالوا له : أثبت محمدًا فصاليحه ، ولا يكن في ضلجه إلا أن يزجج عثًا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العربُ عثًا أنه دخلها علينا عثوة أبدًا . فأتاه سُهَيْلُ بن عَمْرٍو ، فلما رآه رسول الله ﷺ مُقْبِلًا ، قال : « قد أراد القَوْمُ الصُّلْحَ حين بعثوا هذا الرجل » . فلما انتهى سُهَيْلُ إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصُّلْحُ . فلما التأم الأمر^(٣) ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عُمَرُ بن الخطاب فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ، قال : بلى . قال : أولئسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أولئسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فَعَلَامَ نُعْطِي الدِّيْنَةَ^(٤) في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عُمَرُ ، الزَّمْ غَزْوَه^(٥) فإني أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أَلَسْتُ برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أولئسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أولئسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فَعَلَامَ نُعْطِي الدِّيْنَةَ في ديننا ؟ قال : أنا عبد الله

(١) ذكر ابن هشام أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي .

(٢) ضَبَّأ إِلَيْهَا : لصق بها واستتر . (٣) التأم الأمر : اجتمعوا واتفقوا عليه .

(٤) الدنية : الذل والأمر الخسيس .

(٥) أي الزم أمره . والغرز للرحل ، بمنزلة الركاب للسرّج .

ورَسُولُهُ ، لَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي . فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : مَا زِلْتُ أَتَصَدَّقُ وَأُصَلِّي وَأُغْتَبِقُ ، مِنْ الَّذِي صَنَعْتُ يَوْمَئِذٍ ، مَخَافَةَ كَلَامِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ ، حَتَّى رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا .

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَقَالَ : اكْتُبْ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » . فَقَالَ سُهَيْلٌ : لَا أَعْرِفُ هَذَا ، وَلَكِنْ اكْتُبْ « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اكْتُبْ : « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » . فَكَتَبَهَا . ثُمَّ قَالَ : اكْتُبْ : « هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو » . فَقَالَ سُهَيْلٌ : لَوْ شَهِدْتُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أَقَاتِلْكَ ، وَلَكِنْ اكْتُبْ اسْمَكَ واسمَ أَيْلِكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اكْتُبْ : « هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو . اضْطَلَحَا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَنِ النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ ، يَأْمُرُ فِيهِمُ النَّاسُ وَيُكْفَى بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ ، عَلَى أَنَّهُ مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قَرِيشٍ بَغَيْرِ إِذْنٍ وَلِئِهِ رَدُّهُ عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ جَاءَ قَرِيشًا مِمَّنْ مَعَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَزِدُّوهُ عَلَيْهِ . وَأَنْ يَتَيْنَنَا عَيْبَةٌ مَكْفُوفَةٌ^(١) . وَأَنْهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ^(٢) » وَأَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قَرِيشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ » . فَتَوَاتَبَتْ خُرَاعَةُ فَقَالُوا : نَحْنُ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ . وَتَوَاتَبَتْ بَنُو بَكْرٍ فَقَالُوا : نَحْنُ فِي عَقْدِ قَرِيشٍ وَعَهْدِهِمْ ، وَأَنْكَ تَوَجَّعُ عَنَّا عَامَكَ هَذَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْنَا مَكَّةَ ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَامٌ قَابِلٌ خَرَجْنَا عَنْكَ فَدَخَلْتَهَا بِأَصْحَابِكَ فَأَقَمْتَ بِهَا ثَلَاثًا ، مَعَكَ سِلَاحُ الرَّاكِبِ ، السَّيُوفُ فِي الْقُرْبِ^(٣) ، لَا تَدْخُلُهَا بِغَيْرِهَا .

فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْتُبُ الْكِتَابَ هُوَ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، إِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلٍ بْنُ عَمْرٍو ، يَرْشِفُ فِي الْحَدِيدِ ، قَدْ انْفَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَرَجُوا ، وَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي الْفَتْحِ ، لِرُؤْيَا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا رَأَوْا مِنَ الصُّلْحِ وَالرُّجُوعِ ، وَمَا تَحَمَّلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَفْسِهِ ، دَخَلَ عَلَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ حَتَّى كَادُوا يَهْلِكُونَ . فَلَمَّا رَأَى سُهَيْلُ بْنُ أَبِي جَنْدَلٍ قَامَ إِلَيْهِ فَضْرَبَ وَجْهَهُ

(١) أصل العيبة وعاء من جلد يكون فيه المتاع . مكفوفة : أشرجت على ما فيها وأقفلت . ضرب ذلك مثلا للقلوب التي طويت على ما تعاقدوا عليه .

(٢) الإسلال : السرقة الخفيفة . والإغلل : الخيانة .

(٣) القُرْب : جمع قِرَاب ، غمد السيف .

وأخذ بتلبيبه^(١)، ثم قال: يا محمد، قد لجت القضية^(٢) بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا. قال: «صدقت». فجعل يثثه^(٣) بتلبيبه ويجره ليؤدّه إلى قريش، وجعل أبو جندل يصبرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأرّد إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا جندل، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا، وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم».

فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول: اضرب يا أبا جندل فإنهم المشركون، وإنا دّم أحدهم دّم كلب! ويذني عمر قائم السيف منه، يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه! فضرب الرجل بأبيه، ونفذت القضية.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة، ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك، وعلي بن أبي طالب وكتب، وكان هو كاتب الصحيفة.

وكان رسول الله ﷺ مضطربا^(٤) في الحِلّ، وكان يصلي في الحرم، فلما فرغ من الصلح قدّم إلى هديه فتحره، ثم جلس فخلق رأسه، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وخلق توابوا يتنحرون ويخلقون. ثم انصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلا، حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۚ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝﴾.

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا...﴾ أي لرؤيا رسول الله ﷺ التي رأى، أنه سيدخل مكة أمنا لا يخاف. يقول: مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ معه لا تخافون، فعلم من ذلك ما لم تعلموا. ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾: صلح الحديبية. يقول الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله

(١) التلبيب: مجمع الثياب عند الصدر والنحر، أخذ بتلبيبه: جمع عليه ثوبه عند صدره وقبض عليه يجره.

(٢) لجت القضية: تم الحكم.

(٣) ثثه: جذبه جذبا شديدا.

(٤) مضطربا: مقيما، أي أن أبنيته كانت مضروبة في الحل، لقرب الحديبية من الحرم.

كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس . فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب ، وأمن الناس بعضهم بعضاً ، والتفوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه . ولقد دخل في بينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر^(١) .

[ما جرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح]

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه أبو بصير غنبة بن أسيد ، وكان ممن حبس بمكة ، فلما قدم رسول الله ﷺ كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن زهرة ، والأحنس بن شريق الثقفي إلى رسول الله ﷺ ، وبعثا رجلاً من بني عامر بن لؤي ، ومعه مولى لهم ، فقدم على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهر والأحنس ؛ فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا العذر ، وإن الله جاعل لك وللمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، فانطلق إلى قومك ؛ قال : يا رسول الله ، أتزدني إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلق ، فإن الله تعالى سيجعل لك وللمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً .

فانطلق معهما ، حتى إذا كان بذي الحليفة^(٢) ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحبه ، فقال أبو بصير : أصابكم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟ فقال : نعم ؛ قال : أنظر إليه ؟ قال : أنظر ، إن شئت . قال : فاستلّه أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله ﷺ طالعاً ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فرعاً ؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، قال : ويحك ! مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبي . فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف ، حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، وفئت ذمك ، وأدى الله عنك ، أشلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أن أفتن فيه ، أو يغبت بي . فقال رسول الله ﷺ : ويل أمه محش^(٣) حوب لو كان معه رجال !

(١) قال ابن هشام : والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مائة ، في قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف .

(٢) ذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال ، أو سبعة . ومنها ميقات أهل المدينة .

(٣) محش حرب : موقد حرب ومهيجها .

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص، من ناحية ذي المروة، على ساحل البحر، بطريق قُرَيْش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام، وبلغ المسلمون الذين كانوا اختبئوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير: «وَيْلُ أُمَّ مَجْشَّ حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ رَجَالٌ!»، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً، وكانوا قد ضيقوا على قُرَيْش، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، ولا تَمُرُّ بهم عيرٌ إلا أَقْطَعُوهَا، حتى كَتَبَتْ قُرَيْشُ إلى رسول الله ﷺ تَسْأَلُ بِأَرْحَامِهَا إِلَّا آوَاهُمْ، فلا حاجة لهم بهم. فأوَاهم رسول الله ﷺ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ.

قال ابن هشام : أبو بصير ثَقَفِي.

[أمر المهاجرات بعد الهدنة]

وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أُمُّ كُلْثُومُ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فِي تِلْكَ الْمَدَةِ، فَخَرَجَ أَخَوَاهَا عُمَارَةُ وَالْوَلِيدُ ابْنَا عُقْبَةَ، حَتَّى قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلَانِهِ أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيْهِمَا بِالْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ فِي الْحُدُودِ، فَلَمْ يَفْعَلْ، أَبَى اللَّهُ ذَلِكَ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَالَحَ قُرَيْشًا يَوْمَ الْحُدُودِ عَلَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ مَنْ جَاءَ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيِّهِ، فَلَمَّا هَاجَرَ النِّسَاءُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِلَى الْإِسْلَامِ، أَبَى اللَّهُ أَنْ يُرَدَّدْنَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ إِذَا هُنَّ امْتَحِنَ بِمِخْنَةِ الْإِسْلَامِ، فَعَرَفُوا أَنَّهِنَّ إِنَّمَا جِئْنَ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَأَمَرَ بِرَدِّ صَدَقَاتِهِنَّ إِلَيْهِمْ إِنْ اخْتَبَشْنَ عَنْهُمْ، إِنْ هُمْ رَدُّوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ صَدَاقَ مَنْ حُبِسُوا عَنْهُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ، ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النِّسَاءَ وَرَدَّ الرِّجَالَ، وَسَأَلَ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ أَنْ يَسْأَلَ مَنْ صَدَقَاتِ نِسَاءٍ مَنْ حُبِسُوا مِنْهُنَّ، وَأَنْ يَرُدُّوا عَلَيْهِمْ مِثْلَ الَّذِي يُرَدُّونَ عَلَيْهِمْ، إِنْ هُمْ فَعَلُوا، وَلَوْلَا الَّذِي حَكَّمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ هَذَا الْحُكْمِ لَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النِّسَاءَ كَمَا رَدَّ الرِّجَالَ، وَلَوْلَا الْهُدْنَةُ وَالْعَهْدُ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ يَوْمَ الْحُدُودِ لِأَمْسَكَ النِّسَاءَ، وَلَمْ يَرُدُّ لَهُنَّ صَدَاقًا، وَكَذَلِكَ كَانَ يَصْنَعُ بِمَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ قَبْلَ الْعَهْدِ.



الفصل الرابع عشر

من خيبر إلى مؤنة

[ذكر المسير إلى خيبر في المحرم سنة سبع]

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، وولي^(١) تلك الحجة المشركون ، ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر^(٢) .

عن أبي معتب بن عمرو : أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قفوا . ثم قال : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَ ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ وَمَا أَقْلَلْنَ^(٣) ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا . أَقْدِمُوا بِسْمِ اللَّهِ » . قال : وكان يقولها عليه السلام لكل قَرْيَةٍ دَخَلَهَا .

وعن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوما لم يُغزِ عَلَيْهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ . فنزلنا خيبر ليلاً ، فبات رسول الله ﷺ ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا ، فَزَكَبَ وَرَكِبْنَا مَعَهُ ، فَزَكَبْتُ خَلْفَ أَبِي طَلْحَةَ ، وَإِنَّ قَدَمِي لَتَمَسَّ قَدَمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَاسْتَقْبَلْنَا عُمَالُ خَيْبَرَ غَادِينَ ، قَدْ خَرَجُوا بِمَسَاحِيهِمْ وَمِكَاتِلِهِمْ^(٤) ، فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْجَيْشَ قَالُوا : مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ^(٥) مَعَهُ ! فَأَذْبَرُوا هُرَابًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُ أَكْبَرُ ، خَرَبَتْ خَيْبَرُ ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُتَنَدِّرِينَ » .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سَلَكَ عَلَى عَصْرِ^(٦) ، فَبَنِيَ لَهُ فِيهَا مَسْجِدًا ، ثُمَّ عَلَى الصُّهْبَاءِ^(٧) . ثم أقبل رسول الله ﷺ بجيشه حتى

(١) ولي الحجة : قام بها وملك أمرها .

(٢) واستعمل على المدينة ثعلبة بن عبد الله الليثي . (٣) أقللن : حَمَلْنَ .

(٤) المساحي : جمع مسحة ، وهي مجرفة من حديد ، والمكتل : قفة كبيرة .

(٥) الخميس : الجيش ، لانتظامه خمس فرق : الميمنة ، والميسرة ، والمقدمة ، والمؤخرة ، والقلب .

(٦) عصر : جبل بين المدينة ووادي الفرع . (٧) الصُّهْبَاءُ : موضع بينه وبين خيبر روضة ، أي مقدار المرة من الرواح .

نزل بوادٍ يقال له الرَّجِيع ، نزل بينهم وبين غَطَفَانَ ، لِيُحَوِّلَ بَيْنَهُمْ وبين أن يُمِيدُوا أَهْلَ خَيْبَرَ ، وكانوا لهم مُظَاهِرِينَ على رسول الله ﷺ . فبلغني أن غَطَفَانَ لما سَمِعَتْ بِمَنْزِلِ الرُّسُولِ ﷺ من خَيْبَرَ جَمَعُوا له ، ثم خرجوا لِيُظَاهِرُوا^(١) يَهُودَ عليه ، حتى إذا ساروا مَنَقَلَةً^(٢) سَمِعُوا خَلْفَهُمْ في أموالهم وأهلِيهم حِسًّا ، ظَنُّوا أن القَوْمَ قد خالفوا إِلَيْهِمْ ، فَرَجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، فَأَقَامُوا في أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَخَلَّوْا بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وبين خَيْبَرَ .

وَتَدَنَّى^(٣) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَمْوَالَ يَأْخُذُهَا مَالًا مَالًا ، وَيُفْتَتِحُهَا حِصْنًا حِصْنًا . فَكَانَ أَوَّلَ حُصُونِهِمْ افْتِتَاحَ حِصْنِ نَاعِمٍ ، وَعِنْدَهُ قَتِيلٌ مَحْمُودٌ بن مَسْلَمَةَ ، أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ مِنْهُ رَحَى فَمَتَلَتْهُ . ثُمَّ الْقَمُوصُ حِصْنُ بَنِي أَبِي الْحَقِيقِ ، وَأَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ سَبَايَا ، مِنْهُمْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ بن أَخْطَبٍ - وَكَانَتْ عِنْدَ كِنَانَةَ بن الرَّبِيعِ بن أَبِي الْحَقِيقِ - وَبَنَتْ عَمَّ لَهَا ، فَاصْطَفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ .

وَكَانَ دِحْيَةُ بن خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ قد سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ ، فَلَمَّا اصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ أَعْطَاهَا ابْنَتَيْنِ عَمَّهَا . وَفَشَّتِ السَّبَايَا مِنْ خَيْبَرَ في الْمُسْلِمِينَ .

وَلَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ حُصُونِهِمْ مَا افْتَتَحَ ، وَحَازَ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا حَازَ ، انْتَهَوْا إِلَى حِصْنَيْهِمْ : الْوَطِيحِ وَالشَّلَاكُمِ ، وَكَانَ آخِرَ حُصُونِ أَهْلِ خَيْبَرَ افْتِتَاحًا ، فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِضَعِّ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ . وَخَرَجَ مَرْحَبُ الْيَهُودِيِّ مِنْ حِصْنِهِمْ قد جَمَعَ سِلَاحَهُ ، يَوْتَجِرُ وَهُوَ يَقُولُ :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرَ أَنِّي مَرْحَبٌ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبٌ^(٤)
أَطْعَنُ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرِبُ إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تَحْرُبُ^(٥)
إِنَّ جِمَائِي لِلْجَمَى لَا يُقْرَبُ

وهو يقول : مَنْ يُبَارِزُ؟ فَأَجَابَهُ كَعْبُ بن مَالِكٍ :

(١) لِيُظَاهِرُوا : لِيُعَاوَنُوا وَيَنْصُرُوا .

(٢) مَنَقَلَةٌ : مَرَحَلَةٌ ، وَهِيَ الْمَسَافَةُ يَقْطَعُهَا السَّائِرُ فِي نَحْوِ يَوْمٍ .

(٣) تَدَنَّى : أَخَذَ الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى .

(٤) الشَّاكِي السِّلَاحِ : التَّامُ السِّلَاحَ الْحَدِيدَةَ . (٥) تَحْرُبُ : أَيُّ مَغْضَبَةٍ .

قَدْ عَلِمْتَ خَيْبَرُ أَنِّي كَغُبُ مُفَرِّجُ الْغُمَى جَرِيءُ ضَلْبٍ^(١)
إِذْ شَجَبَتِ الْحَرْبُ تَلْثَهَا الْحَرْبُ مَعِيَ حُسَامٌ كَالْعَقِيقِ عَضْبُ^(٢)^(٣)
نَطْوُكُم حَتَّى يَذِلَّ الصَّغْبُ نُعْطِي الْجَزَاءَ أَوْ يَفِيءَ النَّهْبُ
بِكَفِّ مَاضٍ^(٤) لَيْسَ فِيهِ عَشْبُ^(٥)

فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ لِهَذَا؟» قال محمد بن مَسْلَمَةَ: أنا له يا رسول الله، أنا والله المَوْتُورُ الثَّائِرُ. قُتِلَ أَخِي بِالْأَمْسِ. قال: «فَقُمْ إِلَيْهِ. اللَّهُمَّ أَعِنِّهِ عَلَيْهِ». فلَمَّا دَنَا أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ دَخَلَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ عُمَرِيَّةٌ^(٦) مِنْ شَجَرِ الْعُشْرِ^(٧) فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَلْوِذُ بِهَا مِنْ صَاحِبِهِ، كَلِمًا لَازِمًا بِهَا مِنْهُ اقْتَطَعَ صَاحِبُهُ بِسَيْفِهِ مَادُونَهُ مِنْهَا، حَتَّى بَرَزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ، وَصَارَتْ بَيْنَهُمَا كَالرَّجُلِ الْقَائِمِ مَا فِيهَا فَتَنٌ^(٨). ثُمَّ حَمَلَ مَرْحَبٌ عَلَى مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْلَمَةَ، فَضْرِبَهُ فَاتَّقَاهُ بِالْذَّرَقَةِ^(٩)، فَوَقَعَ سَيْفُهُ فِيهَا، فَعَصَّتْ بِهِ فَأَمْسَكَتْهُ. وَضْرِبَهُ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ حَتَّى قَتَلَهُ.

ثم خرج بعد مَرْحَبٍ أَخُوهُ يَاسِرٌ وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ يُبَارِزُ؟ فزعم هشام بن عُزْوَةَ أَنَّ الزُّبَيْرَ ابْنَ الْعَوَامِ قَدْ خَرَجَ إِلَى يَاسِرٍ فَقَالَتْ أُمُّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: يَقْتُلُ ابْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ! قال: «بَلْ ابْنُكَ يَقْتُلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ!» فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ فَالتَقِيَ، فَقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ.

عن سَلَمَةَ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْأَكْوَعِ قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه بَرَايَتِهِ، إِلَى بَعْضِ حُصُونِ خَيْبَرَ، فَقَاتَلَ فَرَجَعَ وَلَمْ يَكُ فَتَحْ وَقَدْ جُهِدَ. ثُمَّ بَعَثَ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ، فَقَاتَلَ ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَكُ فَتَحْ وَقَدْ جُهِدَ. فقال رسول الله ﷺ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسَ بِفَرَارٍ». فدعا رسول الله ﷺ عَلِيًّا رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَرْمَدٌ، فَتَقَلَّ فِي عَيْنِهِ ثُمَّ قَالَ: «خُذْ هَذِهِ الرَّايَةَ فَاْمُضْ بِهَا حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ!».

- | | |
|--|------------------------------------|
| (١) الغمى: الشدة والكرب. | (٢) العقيق: شعاع البرق. |
| (٣) عَضْبُ: قاطع. | (٤) بكف ماض: نافذ، كالسيف. |
| (٥) غُبُ: اللوم أي ليس فيه ما يلام عليه. | (٦) عمرية: قديمة. |
| (٧) العشر: شجر أملس ضعيف العود. | (٨) فتن: الغصن المستقيم من الشجرة. |
| (٩) بالذرة: ثرس من جلد يتوقى به. | |

يقول سلمة: فخرج والله بها يأنح^(١)، يَهْزُولُ هَزْوَلَةً، وَإِنَّا لَخَلْفَهُ نَتَّبِعُ أَثَرَهُ، حتى رَكَزَ رايته في رَضْمٍ^(٢) من حجارة تحت الحصن، فاطَّلَعَ إليه يهوديٌّ من رَأْسِ الحصن فقال: مَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا عليُّ بن أبي طالب. يقول اليهودي: عَلَوْتُمْ وما أَنْزَلَ عَلَى موسى! فما رَجَعَ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ.

وحاصر رسول الله ﷺ أَهْلَ خَيْبَرَ فِي حِصْنَيْهِمْ: الْوُطَيْحِ وَالشَّلَالَمِ، حتى إِذَا أَتَقْنَا بِالْهَلَكَةِ سَأَلُوهُ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ^(٣) وَأَنْ يَحْقِنَ لَهُمْ دِمَاءَهُمْ. ففعل - وكان رسول الله ﷺ قد حاز الْأَمْوَالَ كُلَّهَا: الشَّقَّ، وَنَطَاةَ وَالْكُتَيْبَةِ، وَجَمِيعَ حَصُونِهِمْ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ذَيْبِكَ الْحِصْنَيْنِ - فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ أَهْلُ فَدَكٍ قَدْ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا؟ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ وَأَنْ يَحْقِنَ دِمَاءَهُمْ، وَيُخْلُوا لَهُ الْأَمْوَالَ، ففعل.

وكان فيمن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك مُحَيِّصَةً^(٤) بن مشعود، أخو بني حارثة، فلما نزل أَهْلُ خَيْبَرَ عَلَى ذَلِكَ، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَعَامِلَهُمْ فِي الْأَمْوَالَ عَلَى النَّصْفِ. وقالوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِهَا مِنْكُمْ، وَأَعْمَرُ لَهَا. فصالحهم رسول الله ﷺ عَلَى النَّصْفِ، عَلَى أَنَّا إِذَا شِئْنَا أَنْ نُخْرِجَكُمْ أَخْرَجْنَاكُمْ. فصالحه أَهْلُ فَدَكٍ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، فَكَانَتْ خَيْبَرُ قِيَّتًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ فَدَكُ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجْلِبُوا^(٥) عَلَيْهَا بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ.

فلما اطمأنَّ رسول الله ﷺ أَهْدَتْ لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ، امْرَأَةُ سَلَامِ بْنِ مِشْكَمٍ، شَاةَ مَصْلِيَّةٍ^(٦). وقد سألت: أَيُّ غُضُوٍّ مِنَ الشَّاةِ أَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقِيلَ لَهَا: الذَّرَاعُ. فَأَكْثَرَتْ فِيهَا مِنَ الشَّمِّ ثُمَّ سَمَّتْ سَائِرَ الشَّاةِ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَنَاوَلَ الذَّرَاعَ فَلَاكَ مِنْهَا مُضْغَةً فَلَمْ يُسِغْهَا، وَمَعَهُ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَقْرُورٍ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَأَمَّا بَشْرُ فَأَسَاعَهَا، وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَقِظَهَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعَظْمَ لِيُخَيِّرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ»، ثُمَّ دَعَا بِهَا فَاعْتَرَفَتْ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَتْ: بَلَغْتَ مِنْ قَوْمِي مَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ مَلِكًا

(١) يأنح: أي به نفس شديد من الإعياء في العدو. (٢) الرضم: الحجارة المتجمعة.

(٣) يسيرهم: يخرجهم ويجلبهم عن بلدهم.

(٤) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٤٢.

(٥) لم يجلبوا عليها: لم يجتمعوا عليها بخيل أو ركاب.

(٦) المصلية: المشوية.

اشترخت منه ، وإن كان نبياً فستخبر . فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشر من أكلته التي أكل .

عن مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلّى ، قال : كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه ، ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تَعُوذُه : يا أم بشر ، إن هذا الأوان الذي وجدت فيه انقطاع أبهرى^(١) من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخير . قال : فإن كان المسلمون ليُروَن أن رسول الله ﷺ مات شهيداً ، مع ما أكرمهم الله به من النبوة . عن أبي هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله ﷺ عن خير إلى وادي القرى نزلنا بها أصيلاً مع مغرب الشمس ، ومع رسول الله ﷺ غلام له ، أهداه له رفاعه بن زيد . فوالله إنه ليضع رخل رسول الله ﷺ إذ أتاه سهم غروب^(٢) فأصابه فقتله ؛ فقلنا : هنيئاً له الجنة ؛ فقال رسول الله ﷺ : كلاً ، والذي نفس محمد بيده ، إن شملته^(٣) الآن لتحترق عليه في النار ، كان غلها^(٤) من فنيء المسلمين يوم خير . فسمِعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتاه فقال : يا رسول الله ، أصبت شراكين لتغلين لي ، فقال : يُقَدَّ^(٥) لك مثلهما من النار .

فلما فرغ رسول الله ﷺ من خير انصرف إلى وادي القرى ، فحاصر أهله ليالي ثم انصرف راجعاً إلى المدينة . ولما أغرس رسول الله ﷺ بصفيّة ، بخير أو ببعض الطريق ، وكانت التي حملتها لرسول الله ﷺ ومشطتها وأصلحت من أمرها ، أم سليم بنت ملحان ، أم أنس بن مالك ، فبات بها رسول الله ﷺ في قبة له ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد متوشحاً سيفه ، يحرس رسول الله ﷺ ويطيّف بالقبة ، حتى أصبح رسول الله ﷺ ، فلما رأى مكانه قال : « مالك يا أبا أيوب ؟ » قال : يا رسول الله ، خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباهاً وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فخفتها عليك . فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني ! » . ولما انصرف رسول الله ﷺ من خير ، فكان ببعض الطريق ، قال من آخر الليل : من

(١) الأبهر : عرق إذا انقطع مات صاحبه . وهما أهران يخرجان من القلب ، ثم يتشعب منهما سائر الشرايين .

(٢) سهم غروب : هو الذي لا يعلم من رماه ولا من أين أتاه .

(٣) الشملة : كساء غليظ يلتف به . (٤) غلها : اختانها من المغنم .

(٥) يُقَدَّ : يُقَطَّع .

رجلٌ يحفظُ علينا الفَجَرَ لَعَلَّنَا ننام؟ قال بلال : أنا يا رسولَ الله أحمِلُهُ عَلَيْكَ . فنزل رسولُ الله ﷺ ونزل الناسُ فناموا ، وقام بلالٌ يُصَلِّيُ ما شاء الله - عزَّ وجلَّ - أن يُصَلِّيَ ، ثم اسْتَنَدَ إلى بَعِيرِهِ واستقبلَ الفَجَرَ يَوْمُئِهِ ، فَعَلَيْتُهُ عَيْنُهُ فنام ، فَلَمْ يَوْظُطْهُمْ إِلَّا مَسَّ الشَّمْسُ . وكان رسولُ الله ﷺ أَوَّلَ أَصْحَابِهِ هَبَّ فقال : « مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا يَا بِلَالُ » ؟ قال : يا رسولَ الله ، أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ . قال : « صَدَقْتَ » . ثم اقتادَ رسولُ الله ﷺ بَعِيرَهُ غَيْرَ كَثِيرٍ ، ثم أَنَاخَ فتَوَضَّأَ وتَوَضَّأَ النَّاسُ ، ثم أَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، فَصَلَّى رسولُ الله ﷺ بالناسِ ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَقْبَلَ على الناسِ فقال : « إِذَا نَسِيتُمْ الصَّلَاةَ فَصَلُّوها إِذَا ذَكَرْتُمُوهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ » .

وكان رسولُ الله ﷺ ، فيما بَلَغَنِي قد أَعْطَى ابنَ لُقَيْمِ الْعَبْسِيِّ حينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ ، ما بها من دَجَاجَةٍ أو دَاجِنٍ^(١) ، وكان فَتَحَ خَيْبَرَ في صَفَرٍ ، فقال ابنُ لُقَيْمِ الْعَبْسِيِّ في خَيْبَرَ :

زُمَيْتَ نَطَاةً مِنَ النَّبِيِّ بِقَيْلَتِي شَهْبَاءَ ذَاتِ مَنَاقِبٍ^(٢) وَفَقَارٍ^(٣)
وَاسْتَيْقَنْتَ بِالذَّلِّ لَمَّا شِيعَتْ وَرِجَالُ أَسْلَمَ وَسَطَهَا وَغَفَارٍ^(٤)
صَبَحْتَ بَنِي عَمْرٍو بنِ زُرْعَةَ غُدْوَةً وَالشَّقَّ أَظْلَمَ أَهْلُهُ بِنَهَارٍ^(٥)
جَرَّتْ بِأَبْطَحِهَا الذُّيُولُ فَلَمْ تَدْغْ إِلَّا الدَّجَاجَ تَصِيخُ فِي الْأَشْحَارِ^(٦)
وَلِكُلِّ حِضْنٍ شَاغِلٍ مِنْ خَيْلِهِمْ مِنْ عَبْدٍ أَشْهَلَ أَوْ بَنِي الثُّجَارِ^(٧)
وَمَهَا جَرِينَ قَدْ أَعْلَمُوا سِيَمَاهُمْ^(٨) فَوْقَ الْمَغَافِرِ لَمْ يَنُوءُوا لِإِفْرَارٍ^(٩)
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَيَغْلِبَنَّ مُحَمَّدٌ وَلَيُثْوِينَ بِهَا إِلَى أَصْفَارٍ^(١٠)

(١) الداجن : ما يألف بيوت الناس ، كالشاة والحمامة .

(٢) مناكب : جمع منكب ، مجتمع رأس العضد والكتف .

(٣) نطاة : حصن بخيبر . الفيلق : الكتيبة . الشهباء : البيضاء ، الكثيرة السلاح .

(٤) فقار : جمع فقرة من السلسلة العظمية . ذات مناكب وفقار كناية على شدة الأبدان وقوتها .

(٥) شيعت : فرقت . أسلم وغفار : قبيلتان . (٦) الشق : حصن بخيبر .

(٧) الأبطح : المكان السهل .

(٨) قبيلتان من الأنصار . وفي البيت إقواء في الشعر : خالف بين حركة الزوِّي المطلق بكسر وضم .

(٩) أعلموا سيماهم : جعلوا لها علامة في الحرب . سيماهم : السيمة العلامة .

(١٠) المغفر : ما يكون على الرأس وقاية لها في الحرب .

(١١) ليثوين : لقيمين . أصفار : جمع صفر ، وهو اسم الشهر الذي فتحت فيه خيبر .

فَرَّتْ يَهُودُ يَوْمَ ذَلِكَ فِي الْوَعْيِ تَحْتَ الْعَجَاجِ^(١) غَمَائِمِ الْأَبْصَارِ^(٢)

[أمر الأسود الراعي في حديث خيبر]

قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعي، فيما بَلَغَنِي: أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصرٌ لِبَعْضِ حُصُونِ خَيْبَرَ، ومعه غَنَمٌ له، كان فيها أجييراً لرجلٍ من يهود، فقال: يا رسول الله، اغرُضْ عَلَيَّ الإسلام، فَعَرَضَهُ عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَ - وكان رسولُ الله ﷺ لا يَحْقِرُ أَحَدًا أَنْ يَدْعُوهُ إِلَى الإسلام، وَيَعْرِضَهُ عَلَيْهِ - فلما أسلم قال: يا رسول الله، إِنِّي كُنْتُ أَجِيرًا لِمُصَاحِبِ هَذِهِ الْغَنَمِ، وَهِيَ أَمَانَةٌ عِنْدِي، فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِهَا؟ قال: اضْرِبْ فِي وُجُوهِهَا، فَإِنَّهَا سَتَزُجُّ إِلَى رَبِّهَا - أو كما قال - فقال الأسود، فَأَخَذَ حَفَنَةً مِنَ الْحَصَى، فَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِهَا، وقال: ازْجِعِي إِلَى صَاحِبِكِ، فَوَاللَّهِ لَا أَصْحَبُكَ أَبَدًا، فَخَرَجَتْ مَجْتَمِعَةً، كَأَنَّ سَائِقًا يَسُوقُهَا، حَتَّى دَخَلَتِ الْحِصْنَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى ذَلِكَ الْحِصْنِ لِيُقَاتِلَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَصَابَهُ حَجَرٌ فَقَتَلَهُ، وَمَا صَلَّى لِلَّهِ صَلَاةً قَطُّ؛ فَأَتَانِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَضَعَ خَلْفَهُ، وَشَجَّيْ بِشِمْلَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ أَغْرَضَ عَنْهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ أَغْرَضْتَ عَنْهُ؟ قال: إِنَّ مَعَهُ الْآنَ زَوْجَتِيهِ مِنَ الْحَوَرِ الْعَيْنِ.

[قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة]

[وحديث المهاجرين إلى الحبشة]

قال ابن هشام : عن الشعبي : أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ خَيْبَرَ، فَقَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالتَزَمَهُ وَقَالَ : مَا أَذْرِي بِأَيُّهُمَا أَنَا أَسْرُ ، بِفَتْحِ خَيْبَرَ ، أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرَ؟.

قال ابن إسحاق : وكان من أقام بأَرْضِ الْحَبَشَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى النَّجَاشِيِّ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْعَرِيِّ ، فَحَمَلَهُمْ فِي سَفِينَتَيْنِ فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَيْهِ وَهُوَ بِخَيْبَرَ ، بَعْدَ الْحُدَيْبِيَّةِ : مِنْ بَنِي هَاشِمٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ : جَعْفَرُ بْنُ أَبِي

(١) فرت : كشفت ، كما تفر الدابة عن أسنانها. العجاج : الغبار .

(٢) غمائم الأبصار ، أراد بها الجفون .

طالب بن عبد المطلب ، معه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية ، وابنه عبد الله بن جعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة . ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أمية بنت خلف بن أشعد ، وابناه سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، ومُعَيْقِبُ بن أبي فاطمة ، حازنُ عمر بن الخطاب على مال المسلمين ، وأبو موسى الأشعري . ومن بني أسد بن عبد العزى : الأسود بن نوفل بن حويلد . ومن بني عبد الدار بن قصي : جهم بن قيس . ومن بني زهرة بن كلاب : عامر بن أبي وقاص ، وعُتْبَةُ بن مسعود . ومن بني تيم بن مرة : الحارث بن خالد بن صخر . ومن بني جُمَح بن عمرو : عثمان بن ربيعة بن أهبان .

ومن بني سهم بن عمرو : محمية بن الجزء .

ومن بني عدي بن كعب : معمر بن عبد الله بن نضلة .

ومن بني عامر بن لؤي : أبو حاطب بن عمرو ، ومالك بن ربيعة .

ومن بني الحارث بن فهر بن مالك : الحارث بن عبد قيس بن لقيط .

وقد كان حُملَ معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين . فهؤلاء الذين حمل النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري في السفينتين .

فجميع من قدم في السفينتين إلى رسول الله ﷺ سبعة عشر رجلاً ، وجميع من تخلف عن بدر ولم يقدم على رسول الله ﷺ مكة ومن قدم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشي في السفينتين - أربعة وثلاثون رجلاً .

[عُمْرَةُ الْقَضَاءِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سَبْع]

فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر ، أقام بها شهري ربيع وجماديين ، ورجباً وشعبان ، ورمضان وشوالاً ، يبعث فيهما بين ذلك من عزوه سراياه . ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صدّه فيه المشركون مُعْتَمِرًا عُمْرَةَ الْقَضَاءِ . مكان عُمْرَتِهِ الَّتِي صَدَّوْهُ عَنْهَا^(١) ، ويُقال لها عُمْرَةُ الْقِصَاصِ ، لأنهم صدّوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة

(١) واستعمل على المدينة غويف بن الأضبط الديلي .

في الشهر الحرام من سنة بيت، فأقصر رسول الله ﷺ منهم، فدخل مكة في ذي القعدة، في الشهر الحرام الذي صدّوه فيه، من سنة سبع.

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: فأُنزل الله في ذلك: ﴿وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ﴾ .
 وخرج معه المسلمون ممن كان صدّ معه في غمرته تلك، وهي سنة سبع. فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدّثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في غسرة وجهٍ وشدة .

قال ابن عباس: صفوا له عند دار الندوة، لينظروا إليه وإلى أصحابه، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع بردائه^(١) وأخرج عضدُه اليماني ثم قال: «رَجِمَ اللَّهُ امْرَأَ أَرَاهُمَ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً!» ثم استلم الركن، وخرج يهزول ويهزول أصحابه معه، حتى إذا واره البيت منهم واستلم الركن اليماني، مشى حتى يستلم الركن الأسود. ثم هزول كذلك ثلاثة أطوافٍ ومشى سائرَها .

وعنه أن رسول الله ﷺ تزوّج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام^(٢) . وكان الذي زوّجه إيّاها العباس بن عبد المطلب .

فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً، فأناه حويط بن عبد العزى في نفرٍ من قريش، في اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكلّته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة، فقالوا له: إنه قد انقضّى أجلك^(٣) فأخرج عتاً. فقال النبي ﷺ: «وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعتنا لكم طعاماً فحضرتموه» قالوا: لا حاجة لنا في طعامك، فأخرج عتاً. فخرج رسول الله ﷺ وخلف أبا رافع موله على ميمونة، حتى أتاه بها بسرف^(٤) فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة .

قال ابن هشام: فأُنزل الله - عز وجل - عليه فيما حدّثني أبو عبيدة: ﴿لَقَدْ صَدَفَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ

(١) اضطبع: أدخل رداءه من تحت إبطه الأيمن، وجعل طرفه على منكبه الأيسر فبدا بذلك أحد ضيعيه، والضيع بسكون الباء: وسط العضد بلحمه .

(٢) حرام: مُحَرَّم .

(٣) أي الأجل الذي اتفق عليه في صلح الحديبية، وهو ثلاثة أيام .

(٤) سرف: موضع قرب التنعيم .

وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿١﴾ يعني خبير .

[عَزْوَةُ مُؤْتَةٍ^(١) فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَمَان]

فَأَقَامَ بِهَا^(٢) بَقِيَّةَ ذِي الْحِجَّةِ - وَوَلِيَ تِلْكَ الْحِجَّةَ الْمُشْرِكُونَ - وَالْمُحَرَّمِ وَصَفَرًا وَشَهْرَيَّ رَجَبٍ . وَبَعَثَ فِي جُمَادَى الْأُولَى بَعَثَهُ إِلَى الشَّامِ ، الَّذِينَ أُصِيبُوا بِمُؤْتَةٍ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ، وَقَالَ : إِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى النَّاسِ . فَتَجَهَّزَ النَّاسُ ثُمَّ تَهَيَّأُوا لِلخُرُوجِ ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ ، فَلَمَّا خَضَرَ خُرُوجَهُمْ وَدَّعَى النَّاسُ أُمَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا وَدَّعَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ رَوَاحَةَ مَعَ مَنْ وَدَّعَ مِنْ أُمَرَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَكَى ، فَقَالُوا لَهُ : مَا يُشْكِيكَ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ ؟ فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ مَا بِيَ حُبُّ الدُّنْيَا . وَلَا صَبَابَةٌ بِكُمْ ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ ، فَلَسْتُ أَذْهَبُ فِي الصَّبْرِ بَعْدَ الْوُرُودِ ! فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : صَحِبَكُمْ اللَّهُ وَدَفَعَ عَنْكُمْ ، وَرَدَّكُمْ إِلَيْنَا صَالِحِينَ ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ :

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّخْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَنْفِذُ الزُّبْدَ^(٣)
أَوْ طَعْنَةً بِيَدِي حِرَّانَ^(٤) مُجَهَّزَةً بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكِبْدَ^(٥)
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ عَازٍ وَقَدْ رَشَدَا^(٦)
ثُمَّ خَرَجَ الْقَوْمُ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا وَدَّعَهُمْ وَأَنْصَرَفَ عَنْهُمْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ رَوَاحَةَ :

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى أَمْرِيءِ وَدَّعْتُهُ فِي النَّخْلِ خَيْرَ مُشِيعٍ وَخَلِيلٍ^(٧)
ثُمَّ مَضَوْا حَتَّى نَزَلُوا مَعَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، فَبَلَغَ النَّاسُ أَنَّ هِرْقُلَ قَدْ نَزَلَ مَابَ ، مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ ، فِي أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ ، وَأَنْصَمَ إِلَيْهِمْ مِنْ لَحْمٍ وَجَذَامٍ وَالْقَيْنَ وَبَهْرَاءَ وَبَلِيَّ مَائَةٍ

(١) مؤتة : قرية من أرض البلقاء بالشام .

(٢) أي بالمدينة .

(٣) الفرج : السعة . والزبد : رغوة الدم .

(٤) حران : لا يرح .

(٥) مجهزة : سريعة القتل . تنفذها : تخترقها .

(٦) الجدث : القبر . ويروى « يا أرشد الله » .

(٧) خلف السلام ، أي كان السلام خلفا .

أَلْفٍ مِنْهُمْ ، عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ بَلِيٍّ ثُمَّ أَخَذَ إِرَاشَةَ ، يُقَالُ لَهُ مَالِكُ بْنُ زَافِلَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ أَقَامُوا عَلَى مَعَانٍ لَيْلَتَيْنِ يُفَكِّرُونَ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقَالُوا : نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتُخْبِرُهُ بِعَدَدِ عَدُوِّنَا ، فَإِنَّمَا أَنْ يُجِدَّنَا بِالرَّجَالِ ، وَإِنَّمَا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ ، فَتَمُضِي لَهُ .

فَشَجَّعَ النَّاسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَوَاحَةَ وَقَالَ : يَا قَوْمَ ، وَاللَّهِ إِنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ ، الشَّهَادَةَ ، وَمَا تُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلَا قُوَّةَ وَلَا كَثْرَةَ ، مَا تُقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ ، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ : إِمَّا ظُهُورٌ ، وَإِمَّا شَهَادَةٌ . فَقَالَ النَّاسُ : قَدْ وَاللَّهِ صَدَقَ ابْنُ زَوَاحَةَ .

فَمَضَى النَّاسُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِشُخُومٍ^(١) الْبُلْقَاءِ لَقِيَتْهُمْ جُمُوعٌ هِرْقَلُ مِنَ الرُّومِ وَالْعَرَبِ ، بِقَرِيَةٍ مِنْ قُرَى الْبُلْقَاءِ يُقَالُ لَهَا : مَشَارِفُ ، ثُمَّ دَنَا الْعَدُوُّ ، وَانْحَاَزَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قَرِيَةٍ يُقَالُ لَهَا مُؤْتَةٌ ، فَالتَقَى النَّاسُ عِنْدَهَا ، فَتَعَبَّأَ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَجَعَلُوا عَلَى مَيْمَنَتِهِمْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُذْرَةَ ، يُقَالُ لَهُ قُطَيْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ عَبَّادَةُ بْنُ مَالِكٍ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : يُقَالُ لَهُ عُبَادَةُ بْنُ مَالِكٍ .

ثُمَّ التَقَى النَّاسُ وَاقْتَتَلُوا ، فَقَاتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بَرَايَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى شَاطَ^(٢) فِي رِمَاحِ الْقَوْمِ . ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ فَقَاتَلَ بِهَا ، حَتَّى إِذَا أَلْحَمَهُ الْقِتَالُ^(٣) اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءَ ، فَعَقَرَهَا^(٤) ، ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ . وَهُوَ يَقُولُ :

يَا حَبِّدَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا طَيِّبَةٌ وَبَارِدًا شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا^(٥)
عَلَيَّ إِذْ لَاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا^(٦)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَحَدَّثَنِي مَنْ أَتَى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخَذَ اللَّوَاءَ بِيَمِينِهِ فَقَطَعَتْ ، فَأَخَذَهُ بِشِمَالِهِ فَقَطَعَتْ ، فَاحْتَضَنَهُ بَعْضُ دِيْنِهِ حَتَّى قُتِلَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

(١) الشُّخُومُ : الْحُدُودُ الْفَاصِلَةُ بَيْنَ أَرْضٍ وَأَرْضٍ ، وَاحِدُهَا تَخْمٌ .

(٢) شَاطَ : سَالَ دَمُهُ فَهَلَكَ . (٣) أَلْحَمَهُ الْقِتَالُ : نَشِبَ فِيهِ فَلَمْ يَجِدْ مَخْلَصًا .

(٤) اقْتَحَمَ عَنْهَا : رَمَى بِنَفْسِهِ عَنْهَا . عَقَرَهَا : ضَرَبَ قَوَائِمَهَا بِالسَّيْفِ وَهِيَ قَائِمَةٌ . وَكَانَ أَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَقَرَ فِي الْإِسْلَامِ .

(٥) بَعِيدَةُ أَنْسَابُهَا : أَيُّ سَحَقًا لَهَا وَهَلَاكًا لَهَا . (٦) ضِرَابُهَا : مُضَارَبَتُهَا وَضَرْبُهَا .

وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ يَطِيرُ بِهِمَا حَيْثُ شَاءَ .
ويقال : إن رجلاً من الرُّومِ ضَرَبَهُ يَوْمَئِذٍ ضَرْبَةً فَقَطَعَهُ يَنْصُفَيْنِ .

قال ابن إسحاق : فلما قُتِلَ جَعْفَرُ أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الرَّايَةَ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بِهَا ، وَهُوَ
عَلَى فَرَسِهِ ، فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ^(١) نَفْسَهُ ، وَيَتَرَدَّدُ بَعْضُ التَّرَدُّدِ ، ثُمَّ قَالَ :

أَفْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّ لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرِهَنَّ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرُّنَّةَ^(٢) مَالِي أَزَاكِ تَكْرِهِنَّ الْجَنَّةُ
قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتُ مُطْمَئِنَّةً هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَتَّةٍ^(٣)
وقال أيضًا :

يَا نَفْسُ إِلَّا تُفْقِلِي تَمُوتِي هَذَا جِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَيْتِ
وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيَتْ إِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُدَيْتِ

يريد صاحبيه : زيدا وجعفرًا . ثُمَّ نَزَلَ . فلما نزل أتاه ابنُ عَمٍّ لَهُ بِعَزْقٍ مِنْ لَحْمٍ^(٤)
فقال : شُدَّ بِهَذَا صُلْبُكَ ، فَإِنَّكَ قَدْ لَقَيْتَ فِي أَيَّامِكَ هَذِهِ مَا لَقَيْتَ ! فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ
انْتَهَسَ مِنْهُ نَهْشَةً^(٥) ثُمَّ سَمِعَ الْحُطْمَةَ^(٦) فِي نَاحِيَةِ النَّاسِ ، فَقَالَ : وَأَنْتِ فِي الدُّنْيَا !! ثُمَّ
أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَتَقَدَّمَ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

ثم أخذ الرّايةَ ثابِتُ بْنُ أَقْرَمَ ، أَخُو بَنِي الْعَجْلَانِ ، فقال : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ،
اضْطَلِّحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ . قالوا : أَنْتَ . قال : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ . فَاضْطَلَّحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ
ابْنِ الْوَلِيدِ . فلما أخذ الرّايةَ دافعَ الْقَوْمَ وَحَاشَى بِهِمْ^(٧) ، ثُمَّ انْحَازَ وَانْحِيزَ عَنْهُ حَتَّى انْصَرَفَ
بِالنَّاسِ .

ولما أُصِيبَ الْقَوْمُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا بَلَغَنِي : « أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَقَاتَلَ
بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا . ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا » . ثُمَّ صَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُ الْأَنْصَارِ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بَعْضُ

(١) يستنزل نفسه : ينزلها ، يطلب نزولها .

(٢) أجلبوا : صاحوا واجتمعوا . الرنة : صوت فيه ترجيع شبيه بالبكاء .

(٣) النطفة : الماء القليل الصافي . الشنة : السقاء البالي .

(٤) العرق ، بالفتح : العظم عليه بعض اللحم . (٥) انتهس : أخذ منه بفمه يسيرًا .

(٦) الحطمة : زحام الناس وحطم بعضهم بعضًا . (٧) حاشى بهم : انحاز .

ما يَكْرَهُونَ . ثم قال : « ثم أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا » . ثم قال : « لَقَدْ رُفِعُوا إِلَيَّ فِي الْجَنَّةِ ، فِيمَا يَرَى النَّاسُ ، عَلَى سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَرَأَيْتُ فِي سَرِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ أَزْوَارًا^(١) عَنْ سَرِيرِي صَاحِبِيهِ ، فَقُلْتُ : عَمَّ هَذَا ؟ فَقِيلَ لِي : مَضَى . وَتَرَدَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْضَ التَّرَدُّدِ ثُمَّ مَضَى » .

عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب، عن جدِّتها أنشَاء بنت عميس، قالت: لما أُصِيبَ جَعْفَرُ وَأَصْحَابُهُ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اثْنِيْنِي بِنَبِيِّ جَعْفَرٍ؛ قَالَتْ: فَأَتَيْتُهُ بِهِمْ، فَتَشَمَّمْتُهُمْ وَذَرَفْتُ عَيْنَاهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَيِّ أَنْتِ وَأُمِّي، مَا يُكْرِهُكَ؟ أَبْلَغَكَ عَنْ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، أُصِيبُوا هَذَا الْيَوْمَ. قَالَتْ: فَقُتِلْتُ أُصِيحُ، وَاجْتَمَعَتْ إِلَيَّ النِّسَاءُ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ: لَا تُغْفِلُوا آلَ جَعْفَرٍ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا، فَإِنَّهُمْ قَدْ شُغِلُوا بِأَمْرِ صَاحِبِهِمْ.

فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلاً . ولما دنوا من حول المدينة تلقَّاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، وَلَقِيَهُمُ الصَّبِيَّانِ يَشْتَدُونَ^(٢) ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلٌ مَعَ الْقَوْمِ عَلَى دَابَّةٍ ، فَقَالَ : خُذُوا الصَّبِيَّانِ فَاحْمِلُوهُمَا وَأَعْطُونِي ابْنَ جَعْفَرٍ . فَأَتَيْتُ بَعْدَ اللَّهِ فَأَخَذَهُ فَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَجَعَلَ النَّاسُ يَخْتَوْنَ عَلَى الْجَيْشِ الثَّرَابَ وَيَقُولُونَ : يَا فُؤَادُ! فَرَزْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ! فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَيْسُوا بِالْفُؤَارِ ، وَلَكِنَّهُمْ الْكُرَّارُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَكَانَ مِمَّا بُكِّيَ بِهِ أَصْحَابُ مُؤْتَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلُ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ :

تَأَوَّبَنِي لَيْلٌ بِيْثَرِبَ أَغْسَرُ وَهَمَّ إِذَا مَا نَوَّمَ النَّاسُ مُشْهَرُ^(٣)
لِذِكْرِي حَبِيبٍ هَيَّجَتْ لِي عَبْرَةً سَفُوحًا ، وَأَسْبَابُ الْبُكَاءِ التَّذْكَرُ^(٤)
بَلَى ، إِنَّ فَقْدَانَ الْحَبِيبِ بَلِيَّةٌ وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَضْبِرُ^(٥)
رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُسْلِمِينَ تَوَارَدُوا شُعُوبَ^(٦) ، وَخَلَفَا بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ
فَلَا يُبْعَدَنَّ اللَّهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا بِمُؤْتَةٍ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ

(١) ازورارًا: ميلا وعوجا .

(٢) يشدون: يسرعون في العدو .

(٣) تأوَّبني: عادني . أعسر: عسير . نوم الناس: ناموا .

(٤) سفوح: سائلة غزيرة .

(٥) ويروي: «بلاء وفقدان» .

(٦) شعوب: المنية .

وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ حِينَ تَتَابَعُوا غَدَاةَ مَضَوْا بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ
 أَغْرُ^(٣) كَضَوْءِ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
 فَطَاعَنَ^(٥) حَتَّى مَالَ غَيْرَ مُوسَى^(٦)
 فَصَارَ مَعَ الْمُشْتَشْهِدِينَ ، ثَوَابُهُ
 وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ
 فَمَارَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
 هُمْ جَبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ
 بَهَالِيلُ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ
 وَخَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ وَمِنْهُمْ
 بِهِمْ تُفْرِجُ اللَّأْوَاءُ فِي كُلِّ مَا أَزِقَ
 هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ
 جَمِيعًا وَأَسْبَابُ الْمَيِّتِ تَخْطُرُ^(١)
 إِلَى الْمَوْتِ مَيِّمُونَ النَّقِيبَةُ أَزْهَرُ^(٢)
 أَبِي إِذَا سَيَمَ الظَّلَامَةَ مَجْسَرُ^(٤)
 بِمُعْتَرِكٍ فِيهِ قَنَا^(٧) مُتَكَسِّرُ^(٨)
 جِنَانٍ وَمُلْتَفَّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ
 وَفَاءٌ وَأَمْرًا حَازِمًا حِينَ يَأْمُرُ
 دَعَائِمُ عَزٌّ لَا يَزُلْنَ وَمَفْخَرُ
 رِضَامٍ إِلَى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَبْهَرُ^(٩)
 عَلَيَّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ^(١٠)
 عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ^(١١) مِنْ حَيْثُ يُعْصَرُ^(١٢)
 عَمَّاسٍ إِذَا مَا ضَاقَ بِالنَّاسِ مَضْدَرُ^(١٣)
 عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابِ الْمُطَهَّرُ



- (١) تخطر : أصل معناه تختال وتهتز .
 (٢) ميمون النقيبة : مسعود الجد . الجد : المكانة والمنزلة عند الناس . أزهر : أبيض .
 (٣) أغر : مشهور .
 (٤) سيم الظلام : حمل على قبول الظلم . المجسر : المقدم الجسور .
 (٥) فطاعن : طعن كل منهما الآخر .
 (٦) غير موسى : غير متكيء .
 (٧) قنا : جمع قناة ، الرمح الأجوف .
 (٨) المعترك : موضع الحرب .
 (٩) الرضام : الحجارة . الطود : الجبل . يروق : يعلو .
 (١٠) البهلول : السيد الوضيء الوجه .
 (١١) العود : ضرب من الطيب يتبخر به .
 (١٢) يعصر : يمطر .
 (١٣) اللأواء : الشدة . العماس : المظلم ، يريد الظلام من كثرة النقع المثار في الحرب .

الفصل الخامس عشر

فتح مكة

[فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان]

ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بغيته إلى مؤتة ، جُمادى الآخرة ورجباً . ثم إن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة ، وكان الذي هاج ما بين بني بكر وخزاعة أن رجلاً من بني الحضرمي ، واسمه مالك بن عباد - وجلف الحضرمي يومئذ إلى الأسود بن رزن - خرج تاجراً ، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الديلي ، وهو منخري بني كنانة وأشرفهم : سلمى ، وكثوم ، ودؤيب ، فقتلوهم بعزفة عند أنصاب الحرم^(١) .

[قتال بكر وخزاعة]

فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشرط لهم : أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده . فلما كانت الهدنة اعتمتها بنو الدليل من بني بكر ، من خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منه ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببني الأسود بن رزن ، فخرج نوفل بن معاوية الديلي ، في بني الدليل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بني بكر تابعه ، حتى يبت^(٢) خزاعة وهو على الوتير : ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلاً ، وتحاوزوا^(٣) واقتتلوا ، ورفدت^(٤) بني بكر قريش بالسهل ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً ، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه ، قالت بنو

(١) أنصاب الحرم : حجارة تجعل علامة بين الحل والحرم . (٢) بيت خزاعة : أوقع بهم ليلاً بغتة .

(٣) تحاوزوا ، يعني انحاز كل منهم إلى قبيلة . (٤) رفدت : أعانت وأعطت .

بَكَرَ : يَا نَوْفَلُ ، إِنَّا قَدْ دَخَلْنَا الْحَرَمَ ، إِلَهَكَ إِلَهَكَ ! فَقَالَ كَلِمَةً عَظِيمَةً : لَا إِلَهَ لَهُ الْيَوْمَ ^(١) !
يَا بَنِي بَكْرٍ أَصِيبُوا ثَأْرَكُمْ ، فَلَعَنِي أَنْكُمْ لَتَشْرِقُونَ ^(٢) فِي الْحَرَمِ ، أَفَلَا تُصِيبُونَ ثَأْرَكُمْ
فِيهِ ؟ !

وقد أصابوا منهم لَيْلَةً يَبْتَوِهِم بِالْوَتِيرِ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ « مُنْبَهٌ » ، وَكَانَ مُنْبَهٌ رَجُلًا
مَفْتُودًا ^(٣) ، خَرَجَ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهُ تَمِيمٌ بْنُ أَسَدٍ ، وَقَالَ لَهُ مُنْبَهٌ : يَا تَمِيمُ : انْجُ
بِنَفْسِكَ ، فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ إِنِّي لَمَيِّتٌ ، قَتَلُونِي أَوْ تَرَكونِي ، لَقَدْ انْبَثَّ فُؤَادِي ^(٤) . وَانْطَلَقَ
تَمِيمٌ فَأَقْلَّتْ ، وَأَذْرَكَوا مُنْبَهًا فَقَتَلُوهُ . فَلَمَّا دَخَلَتْ خُرَاعَةُ مَكَّةَ لَجِئُوا إِلَى دَارِ بُدَيْلِ بْنِ
وَرْقَاءَ ، وَدَارِ مَوْلَى لَهُمْ يُقَالُ لَهُ رَافِعٌ . فَلَمَّا تَظَاهَرَتْ بَنُو بَكْرٍ وَفُرَيْشٌ عَلَى خُرَاعَةٍ ، وَأَصَابُوا
مِنْهُمْ مَا أَصَابُوا ، وَتَقَضُّوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ ، بِمَا
اشْتَحَلُّوا مِنْ خُرَاعَةٍ وَكَانُوا فِي عَقْدِهِ وَعَهْدِهِ ، خَرَجَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخُرَاعِيُّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي
كَعْبٍ ، حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا هَاجَ فَتَحَّ مَكَّةَ ، فَوَقَفَ
عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ ، فَقَالَ :

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدًا جَلَفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَثْلَدَا ^(٥)
قَدْ كُنْتُمْ وُلَدًا وَكُنَّا وَالِدَا ثُمَّتَ ^(٦) أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهَ نَصْرًا أَعْتَدَا ^(٧) وَاذْغُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدًا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا إِنَّ سَيْمَ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرِيدَا ^(٨)
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَزْعِدَا
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رُصْدَا ^(٩)
وَرَزَعُمَا أَنْ لَسْتُ أَذْعُوا أَحَدًا وَهُمْ أَذْلٌ وَأَقْلَلٌ عَدَدَا

(١) أي لا إله لنوفل ، نطق بها كفرا . (٢) ويروى : « لتشرقون » بالفاء .

(٣) المفتود : الضعيف الفؤاد . (٤) انبت انتابتا : انقطع .

(٥) ناشد : طالب ومذكر . الأثلد : القديم . (٦) ثُمَّت : ثُم .

(٧) أعتد ، من العتيد ، وهو الحاضر .

(٨) سيم الخسف : كلف الذل . تريد : تغير إلى السواد .

(٩) كداء : موضع بأعلى مكة . رصدا : جمع راصد ، وهو المرتقب .

هُمْ بَيِّثُونَا بِالْوَتِيرِ هَجْدًا^(١) وَقَتْلُونَا زُكْعًا وَسَجْدًا
فقال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ!» ثم عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
عَنَّا^(٢) من السماء فقال: «إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةُ لَتَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ».

ثم خرج بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خُزَاعَةَ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ،
فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أَصِيبَ مِنْهُمْ ، وَبِمُظَاهَرَةِ قَرِيشَ بَنِي بَكْرِ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى
مَكَّةَ . وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنَّاسِ : «كَأَنَّكُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي
الْمُدَّةِ» . وَمَضَى بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ وَأَصْحَابُهُ ، حَتَّى لَقُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنِ خُوَيْبٍ بِعُسْفَانَ^(٣) قَدْ
بَعَثَهُ قَرِيشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ ، وَقَدْ رَهَبُوا الَّذِي صَنَعُوا .
فَلَمَّا لَقِيَ أَبُو سُفْيَانَ بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ قَالَ : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا بُدَيْلُ؟ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ . قَالَ : تَسِيرُوثٌ فِي خُزَاعَةَ فِي هَذَا السَّاحِلِ وَفِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي . قَالَ : أَوْ مَا جِئْتَ
مُحَمَّدًا؟ قَالَ : لَا . فَلَمَّا رَاحَ بُدَيْلٌ إِلَى مَكَّةَ ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَعَنَ جَاءَ بُدَيْلُ الْمَدِينَةَ لَقَدْ
عَلَفَ بِهَا النَّوَى! فَأَتَى مَثْرَكَ رَاحِلَتِهِ فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا فَفَقَّهَ فَوَجَدَ فِيهِ النَّوَى ، فَقَالَ : أَخْلِفُ
بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بُدَيْلٌ مُحَمَّدًا!

ثم خرج أبو سُفْيَانَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ
بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فَرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَوَّهَتْهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : يَا بُنَيَّةُ ،
مَا أَذْرِي ، أَرَغِبْتَ بِي عَنْ هَذَا الْفَرَاشِ ، أَمْ رَغِبْتَ بِهِ عَنِّي؟ قَالَ : بَلْ هُوَ فَرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجِسٌ ، وَلَمْ أَجِبْ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فَرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ :
وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَكَ يَا بُنَيَّةُ بَعْدِي شَرٌّ! ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ فَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ
شَيْئًا ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَكَلَّمَهُ أَنْ يُكَلِّمَ لَهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ! ثُمَّ أَتَى
عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَكَلَّمَهُ فَقَالَ : أَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا
الذَّرَّ^(٤) لَجَاهَدْتُكُمْ بِهِ! ثُمَّ خَرَجَ فَدَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَعِنْدَهُ
فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهَا ، وَعِنْدَهَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، غُلَامٌ يَدِبُ بَيْنَ يَدَيْهَا ،
فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ، إِنَّكَ أَمْسَ الْقَوْمِ بِي رَحِمًا ، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ فِي حَاجَةٍ ، فَلَا أَرْجِعَنَّ كَمَا

(١) هجدا : مصلين بالليل .

(٢) عسفا : موضع على مرحلتين من مكة .

(٣) العنان : السحاب .

(٤) الذر : صغار النمل .

جِئْتُ خَائِبًا ، فَاسْتَفَعْتُ لِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ . فَقَالَ : وَيَحْكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ! وَاللَّهِ لَقَدْ عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَمْرٍ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُكَلِّمَهُ فِيهِ . فَالْتَفَتَ إِلَى فَاطِمَةَ فَقَالَ : يَا ابْنَةَ مُحَمَّدَ ، هَلْ لَكَ أَنْ تَأْمُرِي بِنَيْكَ هَذَا فَيُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَيَكُونَ سَيِّدَ الْعَرَبِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ؟ قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا بَلَغَ بَنِي ذَاكَ : أَنْ يُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَا يُجِيرُ أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، إِنِّي أَرَى الْأُمُورَ قَدْ اسْتَدَّتْ عَلَيَّ فَأَنْصَحْنِي . قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ لَكَ شَيْئًا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ، وَلَكِنَّكَ سَيِّدُ بَنِي كِنَانَةَ ، فَقُمْ فَأَجِزْ بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ الْحَقَّ بِأَرْضِكَ . قَالَ : أَوْ تَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِّي شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أَطْلُثُهُ ، وَلَكِنِّي لَا أَجِدُ لَكَ غَيْرَ ذَلِكَ . فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ أَجُورُ بَيْنَ النَّاسِ . ثُمَّ رَكِبَ بَعِيرَهُ فَانْطَلَقَ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى قَرِيشٍ قَالُوا : مَا وَرَاءُكَ ؟ قَالَ : جِئْتُ مُحَمَّدًا فَكَلَّمْتُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا ، ثُمَّ جِئْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ خَيْرًا ، ثُمَّ جِئْتُ ابْنَ الْخَطَّابِ فَوَجَدْتُهُ أَذْنَى الْعَدُوِّ ، ثُمَّ جِئْتُ عَلِيًّا فَوَجَدْتُهُ أَلْيَنَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ أَشَارَ عَلَيٌّ بِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَدرِي هَلْ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا أَمْ لَا ؟

قَالُوا : وَبِمَ أَمَرَكَ ؟ قَالَ : أَمَرَنِي أَنْ أَجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَقَعَلْتُ . قَالُوا : فَهَلْ أَجَازَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : لَا . قَالُوا : وَتِلْكَ ! وَاللَّهِ إِنْ زَادَ الرَّجُلُ عَلَى أَنْ لَعِبَ بِكَ ، فَمَا يُغْنِي عَنْكَ مَا قُلْتَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ غَيْرَ ذَلِكَ .

[تجهيز الرسول لفتح مكة]

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَهَازِ^(١) ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يُجَهِّزُوهُ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ابْنَتِهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَهِيَ تُحَرِّكُ جَهَازَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : أَيُّ بَنِيَّةٍ ، أَمَرَ كَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُجَهِّزُوهُ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ؟ فَتَجَهَّزْ . قَالَ : فَأَيْنَ تَرَبُّثُهُ يُرِيدُ ؟ قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ مَا أَدرِي . ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالتَّهَيُّؤِ ، وَقَالَ : « اللَّهُمَّ خُذِ الْعِيُونَ^(٢) وَالْأَخْبَارَ عَنْ قَرِيشٍ حَتَّى نَبْعَثَهَا^(٣) فِي بِلَادِهَا » . فَتَجَهَّزَ النَّاسُ .

لَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ كِتَابًا إِلَى قَرِيشٍ يُخَبِّرُهُم بِالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَمْرِ فِي السَّيْرِ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَعْطَاهُ امْرَأَةً ،

(١) الجَهَاز : ما يحتاجه الجيش ، والمسافر .

(٢) خَذَ الْعِيُونَ : الجواسيس ، أو اصرفهم عن رؤيتنا .

(٣) نَبَعَتْهَا : أي نفجوها .

وجعل لها جُعلاً^(١) على أن تُبَلِّغَهُ قريشاً ، فجَعَلَتْهُ في رَأْسِهَا ثم فَتَلَّتْ عليه قُرُونَهَا^(٢) ثم خَرَجَتْ به . وأتى رسول الله ﷺ الخَبَرُ من السماء بما صنع حاطب ، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما ، فقال : « أذركا امرأة قد كَتَبَ معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش ، يُحَذِّرُهُم ما أَجْمَعْنَا له في أمرهم » . فخرجا حتى أدركاها بالخليقة ، خَلِيقَةُ^(٣) بني أبي أحمد ، فاستنزلاها^(٤) ، فالتَمَسَا في رَحْلِهَا^(٥) فلم يجدا شيئاً ، فقال لها علي بن أبي طالب : إني أخلف بالله ما كُذِبَ رسول الله ﷺ ولا كذبتنا ، ولتُخْرِجَنَّ لنا هذا الكتاب أو لتُكْشِفَنَّك! فلما رأت الجِدَّ منه ، قالت : أغرض . فأغرض ، فحلت قُرونَ رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها . فدفعته إليه فأثنى به رسول الله ﷺ . فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال : « يا حاطب ، ما حَمَلَكَ على هذا؟ » فقال : يا رسول الله ، أما والله إني لمؤمنٌ بالله ورسوله ، ما غَيَّرْتُ ولا بَدَّلْتُ ، ولكنِّي كُنْتُ امرأً ليس لي في القوم من أَصْلٍ ولا عَشيرة ، وكان لي بين أظهرهم وَلَدٌ وأهل ، فصانعتهم عليهم . فقال عُمرُ بن الخطاب : يا رسول الله ، دَعْنِي فَلأُضْرِبَ عُنُقَهُ ، فإنَّ الرجل قد نافق! فقال رسول الله ﷺ : « وما يُدْرِيكَ يا عُمر ، لَعَلَّ الله قد أَطْلَعَ على أَصْحَابِ بَدْرِ يَوْمَ بَدْرٍ فقال : اَعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » . فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى في حاطب : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ... ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ... ﴾ إلى آخرِ القصة .

ثم مضى رسول الله ﷺ لِسَفَرِهِ ، واستخلفَ على المدينة أبا رُهم ، كُلثوم بن حُصَيْن الغِفاري ، وخرج لعَشْرِ مَضِيٍّ من رَمَضَانَ ، فصام رسول الله ﷺ وصام الناسُ معه ، حتى إذا كانوا بالكَدِيد ، بين عُشْفَانِ وَأَمَجٍ ، أَفْطَرَ .

[نزول المسلمين مر الظهران]

ثم مضى حتى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانِ في عَشْرَةِ آلَافٍ من المسلمين ، فسَبَّغَتْ سُلَيْم ، وبعضهم يقول : أَلْفَتْ^(٦) سُلَيْم ، وأَلْفَتْ مُزَيْنَةَ ، وفي كُلِّ القبائل عَدَدٌ وإسلام . وأَوْعَبَ

(١) جُعلاً : ما جعل على العمل من أجر أو رشوة . (٢) القرون : الضفائر .

(٣) خَلِيقَةُ : اسم موضع ، والخليقة : أرض ، أو البئر التي لا ماء فيها ، أو البئر حديثة الحفر .

(٤) فاستنزلاها : طلبا نزولها ، أنزلاها . (٥) رحلها : ما معها من وعاء للمناع وغيره .

(٦) سبعت : بلغت سبعمائة ، وألفت : بلغت ألفا .

مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار ، فلم يَتَخَلَّفْ عنه منهم أحد .
فلما نزل رسول الله ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ وَقَدْ عُمِّيتِ الْأَخْبَارُ عَنْ قُرَيْشٍ فَلَمْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرٌ عَنْ
رسول الله ﷺ ، وَلَا يَذَرُونَ مَا هُوَ فَاعِلٌ . وَخَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي أَبُو سُفْيَانُ بْنُ حَرْبٍ ،
وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ ، يَتَحَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ ، وَيَنْظُرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبْرًا أَوْ
يَسْمَعُونَ بِهِ . وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ، وَقَدْ كَانَ
أَبُو سُفْيَانُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَدْ لَقِيََا رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ أَيْضًا بِنَيْقِ الْعُقَابِ ، فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ . فَالْتَمَسَا الدُّخُولَ عَلَيْهِ ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ
سَلَمَةَ فِيهِمَا فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ وَصِهْرُكَ . قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي
بِهِمَا . أَمَا ابْنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِزُّضِي ، وَأَمَا ابْنُ عَمَّتِي وَصِهْرِي فَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا
قَالَ . فَلَمَّا خَرَجَ الْخَبْرُ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ ، وَمَعَ أَبِي سُفْيَانَ بُنَيَّ لَهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَيَأْذَنَنَّ لِي أَوْ
لَا أَخْذَنَنَّ بُنَيَّ هَذَا ، ثُمَّ لَتَذْهَبَنَّ فِي الْأَرْضِ حَتَّى نَمُوتَ عَطْشًا وَجُوعًا ! فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ رَقَّ لَهُمَا ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمَا فَدَخَلَا عَلَيْهِ فَأَسْلَمَا .

وَأَنشَدَ أَبُو سُفْيَانُ بْنُ الْحَارِثِ قَوْلَهُ فِي إِسْلَامِهِ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ مَضَى مِنْهُ ،
فَقَالَ :

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمِلُ رَايَةَ	لَتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ ^(١)
لَكَالْمُدْلِجِ الْخَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ	فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أَهْدَى وَأَهْتَدِي ^(٢)
هَذَا بَنِي هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي وَنَالِي	مَعَ اللَّهِ مَنْ طَرَدْتُ ^(٣) كُلَّ مُطَرَّدٍ
أُضِدُّ وَأُنْأَى جَاهِدًا عَنْ مُحَمَّدٍ	وَأُذْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدٍ ^(٤)
هُمْ مَا هُمْ مَنْ لَمْ يُقْلَ بِهِوَاهُمْ	وَإِنْ كَانَ ذَا رَأْيٍ يَلَمُّ وَيَفْتَدِي ^(٥)
أُرِيدُ لِأَرْضِيهِمْ وَلَسْتُ بِلَائِطٍ	مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أَهْدَ فِي كُلِّ مَقْعَدٍ ^(٦)
فَقُلْ لِثَقِيفٍ لَا أُرِيدُ قِتَالَهَا	وَقُلْ لِثَقِيفٍ تِلْكَ : غَيْرِي أَوْعِدِي ^(٧)

(١) أحمل راية : أي أقود الناس للحرب . خيل اللات : يعني جيوش الكفر والوثنية .

(٢) المدلج : الذي يسير ليلاً . (٣) طردت : مبالغاً في الطرد .

(٤) أنأى : أبعد . (٥) يفتد : يكذب .

(٦) لائط : مانصق . (٧) أوعدي : من الإيعاد . الإيعاد : التهديد .

فَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِرًا وَمَا كَانَ عَنْ جَرَى لِسَانِي وَلَا يَدَيَّ^(١)
 قَبَائِلُ جَاءَتْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ نَزَائِعُ^(٢) جَاءَتْ مِنْ سَهَامٍ وَسَزْدُ^(٣)
 فَرَعَمُوا أَنَّهُ حِينَ أَنْشَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْلَهُ : « وَنَالَنِي مَعَ اللَّهِ مَنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرَّدٍ »
 ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ : أَنْتَ طَرَدْتَنِي كُلَّ مُطَرَّدٍ!
 فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّ الظُّهْرَانِ ، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : فَقُلْتُ : وَاصْبَاحَ
 قُرَيْشٍ^(٤) ! وَاللَّهِ لَعَنَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ عَنُودَةً قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ إِنَّهُ لَهْلَاكُ
 قُرَيْشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ! قَالَ الْعَبَّاسُ : فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَيْضَاءِ ، فَخَرَجْتُ
 عَلَيْهَا حَتَّى جِئْتُ الْأَرَاكَ^(٥) ، فَقُلْتُ : لَعَلِّي أَجِدُ بَعْضَ الْخَطَّابَةِ ، أَوْ صَاحِبَ لَبَنٍ ، أَوْ ذَا
 حَاجَةٍ ، يَأْتِي مَكَّةَ ، فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لِيُخْرِجُوا إِلَيْهِ فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ
 يَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنُودَةً .

[إسلام أبي سفيان]

قال : فوالله إني لأسيرُ عليَّها ، وألتَمِسُ ما خَرَجْتُ لَهُ ، إِذْ سَمِعْتُ كَلَامَ أَبِي سُفْيَانَ
 وَبُدِيلِ بْنِ وَرْقَاءَ وَهُمَا يَتَرَاكِعَانِ ، وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلِ نِيرَانًا قَطُّ وَلَا
 عَشْكَرًا . يَقُولُ بُدِيلُ : هَذِهِ وَاللَّهِ خُزَاعَةُ حَمَشَتْهَا الْحَرْبُ^(٦) . وَيَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ : خُزَاعَةُ
 أَذْلُ وَأَقْلُ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانَهَا وَعَشْكَرُهَا ! قَالَ : فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا حَنْظَلَةَ !
 فَعَرَفَ صَوْتِي فَقَالَ : أَبُو الْفَضْلِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : مَا لَكَ ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؟ قُلْتُ :
 وَيَحْكُ يَا أَبَا سُفْيَانَ ! هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ . وَاصْبَاحَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ ! قَالَ : فَمَا
 الْحِيلَةُ ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؟ قُلْتُ : وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفَرَ بِكَ لَيَضْرِبَنَّ عُثْقَكَ ، فَارْكَبْ فِي عَجْزِ هَذِهِ
 الْبَغْلَةِ حَتَّى آتِي بِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْتَأْمِنَهُ لَكَ . فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ . فَجِئْتُ
 بِهِ ، كُلَّمَا مَرَزْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا : مَنْ هَذَا ! فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا
 عَلَيْهَا ، قَالُوا : عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ . حَتَّى مَرَزْتُ بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَقَامَ إِلَيَّ ، فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجْزِ الدَّابَّةِ قَالَ : أَبُو سُفْيَانَ عَدُوٌّ

(١) عن جرا : أي من جراء ذلك .

(٢) نزاع : غرباء .

(٣) سهام وسردد : موضعان في بلاد عك .

(٤) واصباح قریش : تقال إذا تذبذبت بغارة تفجؤهم صباحا .

(٥) الأراك : الشجر ، وهو شجر المسواك .

(٦) حمشتها الحرب : أحرقتها واصلت بنارها .

الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد. ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة^(١)، فسبقت به بما تشيق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فافتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ، ودخل عليه عمر فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلا ضربت عنقه. قلت: يا رسول الله، إني قد أجزته! ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه^(٢)، فقلت: والله لا ينجيه الليلة دوني رجل! فلما أكثر عمر في شأنه، قلت: مهلاً يا عمر، فوالله أن لو كان من بني عدي ابن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف. فقال: مهلاً يا عباس، فلا سلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطأ لو أسلم. قال رسول الله ﷺ: «أذهب به يا عباس إلى رجليك، فإذا أصبحت فأنتي به».

فذهبت به إلى رجلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك^(٣) أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟» قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد! قال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟» قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً! فقال له العباس: ويحك؟ أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قبل أن تضرب عنقك. قال: فشهد شهادة الحق فأسلم. قال العباس: قلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً. قال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابهُ فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن». فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: «يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل^(٤) حتى تمر به جنود الله فيراها». قال: فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه. ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عباس، من هذه؟ فأقول: سليم. فيقول: مالي رلسليم. ثم تمر القبيلة

(١) ركضت البغلة: ضربت جنبها برجلي لأحسها على السير.

(٢) أخذت برأسه: أمسكت بها. (٣) ألم يأن لك: أي ألم يحن لك.

(٤) خطم الجبل: أنف يخرج منه يضيق به الطريق.

فيقول : يا عَبَّاسُ ، مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فأقول : مُزَيْنَةُ . فيقول : مالي ولمُزَيْنَةَ . حَتَّى نَفَدَتِ القبائلُ ، ما تمرُّ به قبيلةٌ إلَّا يَسْأَلُنِي عنها ، فإذا أَخْبَرْتُهُ بهم ، قال : مالي ولِبنِي فلان ، حَتَّى مرَّ به رسولُ الله ﷺ في كَتِيبَتِهِ « الخَضْرَاءُ »^(١) ، فيها المهاجرون والأنصار رَضِيَ اللهُ عنهم ، لا يُرى منهم إلَّا الحَدَقُ من الحديد ، فقال : سُبْحَانَ اللهِ يا عَبَّاسُ ، مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قلتُ : هذا رسولُ الله ﷺ في المهاجرين والأنصار .

قال : ما لأحدٍ بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقةٌ ! والله يا أبا الفضل ، لقد أَصْبَحَ مُلْكُ ابنِ أَخِيكَ الغداةَ عَظِيمًا ! قلتُ : يا أبا سُفْيَانَ ، إنها الثُّبُورَةُ . قال : فَتَنَعَمُ إِذَنْ . قلتُ : النَّجَاءُ^(٢) إلى قَوْمِكَ ! حَتَّى إذا جاءَهُم صَرَخٌ بأعلى صَوْتِهِ : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، هذا مُحَمَّدٌ قد جاءَكم فيما لا قِبَلَ لكم به ، فَمَنْ دَخَلَ دارَ أَبِي سُفْيَانَ فهو آمِنٌ ! فقامت إليه هِنْدُ بنتُ عُثْبَةَ ، فأَحَذَتْ بِشارِبِهِ ، فقالت : اقْتُلُوا الحَمِيَّتَ الدَّسِمَ الأَحْمَسَ^(٣) ، فُجِحَ مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ^(٤) ! قال : وَلَكُمْ ، لا تُعَزِّتُكُمْ هذه من أَنْفُسِكُمْ ، فإنه قد جاءَكم ما لا قِبَلَ لكم به ، فَمَنْ دَخَلَ دارَ أَبِي سُفْيَانَ فهو آمِنٌ ! قالوا : قَاتَلَكُ اللهُ ، وما تُغْنِي عَنَّا دارُكَ ؟ قال : وَمَنْ أَغْلَقَ عليه بابَهُ فهو آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ المسجدَ فهو آمِنٌ ! فَتَفَرَّقَ الناسُ إلى دُورِهِم وإلى المسجدِ .

[دخول المسلمين مكة]

عن عبد الله بن أبي بكر : أن رسولَ الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طُوى وقف على راحِلَتِهِ مُعْتَجِرًا^(٥) بِشَقَّةِ بُرْدٍ خَبِرَةٍ^(٦) حمراء ، وإنَّ رسولَ الله ﷺ لَيَضَعُ رَأْسَهُ تَوَاضَعًا لِلَّهِ حين رأى ما أَكْرَمَهُ اللهُ به من الفَتْحِ ، حتى إِنَّ عُثْنُونَهُ^(٧) لَيَكَاذُ يَمَسُّ واسِطَةَ الرَّحْلِ . وعن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ ، قالت : لما وقف رسولُ الله ﷺ بِذِي طُوى قال أبو فَحَافَةَ لابنِهِ من أَصْغَرِ وَلَدِهِ : أَيُّ بُنَيَّةٍ أَظْهَرِي بي على أَبِي قُبَيْسٍ^(٨) - وقد كُفِّ بَصَرُهُ - فَأَشْرَفْتُ به عليه فقال : أَيُّ بُنَيَّةٍ ، ماذا تَرين ؟ قالت : أرى سَوَادًا مُجْتَمِعًا . قال : تلك الخَيْلُ . قالت : وأرى رَجُلًا يَسْعَى بين يَدَيِ ذلك مُقْبِلًا ومُذْبِرًا . قال : أَيُّ بُنَيَّةٍ ، ذلك

(١) ابن هشام : إنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها . (٢) النجاء : الإسراع .

(٣) الحميت : زَقَّ السمن . الدسم : الكثير الودك . الودك : الدسم . الأحمس : الشديد اللحم . شبهه بالزق لضخمه وسمنه .

(٤) الطليعة : الذي يحرس القوم . (٥) الاعتجار : التعمنم بغير ذؤابة .

(٦) الشقة : النصف . والحبرة : ضرب من برود اليمن . (٧) عشونته : ما نبت على الذقن وتحتة شفلا .

(٨) اظهري بي : اصعدي . أبو قبيس : جبل بمكة .

الوازع- يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها- ثم قالت : قد والله انتشر السواد . فقال : قد والله إذن دُفِعَتِ الخيل ، فأسرعي بي إلى بيتي . فأنحطت^(١) به ، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، وفي غنق الجارية طوق من ورق^(٢) ، فتلقاها رجل فيقتطعه من غنقها . قالت : فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ؟ » قال أبو بكر : يا رسول الله ، هو أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ إِلَيْهِ أَنْتَ ، فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ثم قال له : « أَسْلِمَ » . فأنشأ فدخل به أبو بكر وكأَنَّ رَأْسَهُ ثَغَامَةٌ^(٣) ، فقال رسول الله ﷺ : « غَيَّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ » . ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخيه ، وقال : أَنشُدُ اللَّهَ وَالْإِسْلَامَ طَوْقَ أُخْتِي ! فلم يُجِبْهُ أَحَدٌ ، فقال : أَيُّ أُخْتِي ، احتسبي طَوْقَكَ ، فوالله إِنَّ الأمانةَ في الناسِ اليومَ لَقَلِيلٌ .

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يومَ فَتَحَ مَكَّةَ وَحُجِرَ والطائف : شعار المهاجرين : يا بني عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بني عبد الله ، وشعار الأوس : يا بني عبد الله . وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمراءه من المسلمين ، حين أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ ، أَلَّا يُقَاتِلُوا ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ عَهِدَ فِي نَفَرِ سَمَاهِمَ ، أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ وَإِنْ وَجَدُوا تَحْتَ أَسْتَارِ الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ، أخو بني عامر بن لؤي . وإنما أَمَرَ رسول الله ﷺ بِقَتْلِهِ لَأَنَّهُ قَدْ كَانَ أَسْلَمَ ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي ، فازداد مُشْرِكًا رَاجِعًا إِلَى قُرَيْشٍ ، فَفَرَّ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وكان أخاه للرِّضَاعَةِ ، فَعَيَّبَهُ حَتَّى أَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ أَطْمَأَنَّ النَّاسُ وَأَهْلُ مَكَّةَ ، فَاسْتَأْمَنَ لَهُ . فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَمَتَ طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَ : « نَعَمْ » . فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسول الله ﷺ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ : « لَقَدْ صَمَتَ لِيَقُومَ إِلَيْهِ بَعْضُكُمْ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ » . فقال رجل من الأنصار : فَهَلَّا أَوْمَأَتْ إِلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : « إِنَّ النَّبِيَّ لَا يَقْتُلُ بِالْإِشَارَةِ »^(٤) .

و« عبد الله بن خطل » : رجل من بني تميم بن غالب . إِنَّمَا أَمَرَ بِقَتْلِهِ أَنَّهُ كَانَ مُشْرِكًا .

(١) فأنحطت به : نزلت به وانحدرت .

(٢) الطوق : القلادة . الورق : الفضة .

(٣) الثغامة : واحدة الثغام ، نبت أشد ما يكون بياضًا إذا أمحل ، يشبهون به الشيب .

(٤) قال ابن هشام : ثم أسلم بعد فؤاده عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

فبعثه رسول الله ﷺ مُصَدِّقًا^(١) وَبَعَثَ مَعَهُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَ مَعَهُ مَوْلى لَهُ يَخْدُمُهُ وَكَانَ مُشْلِمًا، فَنَزَلَ مَنْزِلًا وَأَمَرَ الْمَوْلى أَنْ يَذْبَحَ لَهُ تَيْشًا فَيَصْنَعُ لَهُ طَعَامًا، فَنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَلَمْ يَصْنَعْ لَهُ شَيْئًا. فَعَدَا عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ ارْتَدَّ مُشْرِكًا. وَكَانَتْ لَهُ قَينَتَانِ: قَوْتكى وصاحِبَتُهَا، وَكَانَتَا تُعَنِّيَانِ بِهِجَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِهِمَا مَعَهُ. وَ«الْحُوَيْرِثُ بْنُ نُقَيْدٍ»، وَكَانَ مِمَّنْ يُؤْذِيهِ بِمَكَّةَ. وَ«مِقَيْسُ بْنُ صُبَابَةَ»^(٢)، وَإِنَّمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِهِ لِقَتْلِ الْأَنْصَارِيِّ الَّذِي كَانَ قَدْ قَتَلَ أَخَاهُ خَطَأً، وَرُجُوعِهِ إِلَى قَرِيشٍ مُشْرِكًا.

و«سَارَةَ» مَوْلَاةٌ لِبَعْضِ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَ«عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ». وَكَانَتْ سَارَةُ مِمَّنْ يُؤْذِيهِ بِمَكَّةَ. فَأَمَّا عِكْرَمَةُ فَهَرَبَ إِلَى الْيَمَنِ، وَأَسْلَمَتْ أَمْرًا أُمُّ حَكِيمِ بِنْتِ الْحَارِثِ ابْنِ هِشَامٍ، فَاسْتَأْمَنَتْ لَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَّنَهُ، فَخَرَجَتْ فِي طَلَبِهِ إِلَى الْيَمَنِ، حَتَّى أَتَتْ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلَمَ.

وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطْلٍ فَقَتَلَهُ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثِ الْمَخْزُومِيِّ، وَأَبُو بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيُّ، اشْتَرَكَا فِي ذَلِكَ. وَأَمَّا مِقَيْسُ بْنُ صُبَابَةَ فَقَتَلَهُ نُمَيْلَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالَتْ أُخْتُ مِقَيْسٍ فِي قَتْلِهِ:

فَلَيْلَهُ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ مِقَيْسٍ إِذَا الثُّفَسَاءُ أَصْبَحَتْ لَمْ تُخْرِسْ^(٣)
وَأَمَّا قَيْنَتَا ابْنِ خَطْلٍ فَقَتَلَتْ إِحْدَاهُمَا، وَهَرَبَتْ الْأُخْرَى حَتَّى اسْتَأْمَنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ، فَأَمَّنَهَا. وَأَمَّا سَارَةُ فَاسْتَأْمَنَ لَهَا فَأَمَّنَهَا، ثُمَّ بَقِيَتْ حَتَّى أَوْطَأَهَا رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ فَرَسًا، فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، بِالْأَبْطَحِ فَقَتَلَهَا، وَأَمَّا الْحُوَيْرِثُ بْنُ نُقَيْدٍ فَقَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. عَنْ أُمِّ هَانِيَةَ ابْنَةِ أَبِي طَالِبٍ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَرَّ إِلَيَّ رَجُلَانِ مِنْ أَحْمَائِي مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ - وَكَانَتْ عِنْدَ هُبَيْرَةَ بْنِ أَبِي وَهْبٍ الْمَخْزُومِيِّ - قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَخِي، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُهُمَا! فَأَغْلَقْتُ عَلَيْهِمَا بَابَ بَيْتِي، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ مِنْ جَفْنَةٍ إِنَّ فِيهَا لَأَنْثَرَ الْعَجِينِ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَشْتُرُهُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا اغْتَسَلَ أَخَذَ ثَوْبَهُ فَتَوَشَّحَ بِهِ، ثُمَّ صَلَّى ثَمَانِي

(١) المصدق: جامع الصدقات، وهي الزكوات. (٢) انظر جمهرة أنساب العرب ١٨٢.

(٣) لم تخرس: لم يصنع لها طعام الولادة، واسمه الخرس والخرسة، بضم الخاء. أرادت شدة الزمان.

رَكَعَاتٍ مِنَ الصُّحَى ، ثُمَّ انصَرَفَ إِلَيَّ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا يَا أُمَّ هَانِيَّةَ ، مَا جَاءَ بِكَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ الرَّجُلَيْنِ وَخَبَرَ عَلِيِّ . فَقَالَ : قَدْ أَجْرُنَا مِنْ أَجْرَتِ ، وَأَمَّا مَنْ أَمْنَتْ ، فَلَا يَقْتُلُهُمَا! قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : هُمَا الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ .

[الرسول في المسجد الحرام]

عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ مَكَّةَ ، وَاطْمَأَنَّ النَّاسُ ، خَرَجَ حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ ، فَطَافَ بِهِ سَبْعًا عَلَى رِجْلَيْهِ ، يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِصْحَبٍ^(١) فِي يَدِهِ ، فَلَمَّا قَضَى طَوَافَهُ ، دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ ، فَفُتِحَتْ لَهُ ، فَدَخَلَهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا حِمَامَةً مِنْ عِيدَانٍ^(٢) ، فَكَسَرَهَا بِيَدِهِ ثُمَّ طَرَحَهَا ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ وَقَدْ اسْتَكْفَفَ لَهُ النَّاسُ^(٣) فِي الْمَسْجِدِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدُهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ . أَلَا كُلُّ مَأْثُورَةٍ^(٤) أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، إِلَّا سِدَانَةَ الْبَيْتِ^(٥) وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ . أَلَا وَقَتِيلُ الْخَطَا شَبِيهُ الْعَمْدِ بِالسُّوْطِ وَالْعَصَا . فِيهِهِ الدِّيَةُ مُعْظَلَةٌ ، مَائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ ، أَرْبَعُونَ مِنْهَا فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا . يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ^(٦) الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعْظُمَهَا بِالْآبَاءِ . النَّاسُ مِنْ آدَمَ . وَأَدَمُ مِنْ نُورَاب . » ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ يَتَأْتِيَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ ﴾ . . . الْآيَةَ كُلَّهَا . ثُمَّ قَالَ : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، مَا تَرَوْنَ إِنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ » قَالُوا : خَيْرًا ، أَخُكَ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخِيكَ كَرِيمٌ . قَالَ : « اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ » .

ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ . فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمِفْتَاحُ الْكَعْبَةِ فِي يَدِهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اجْمَعْ لَنَا الْحِجَابَةَ مَعَ السَّقَايَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَيْنَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ؟ » فَدُعِيَ لَهُ . فَقَالَ : « هَاكَ مِفْتَاحُكَ يَا عُثْمَانُ ، الْيَوْمَ يَوْمَ بَرٍّ وَوَفَاءٍ » .

(١) المصحف : عود معوج الطرف ، يمسكه الراكب للبرير في يده .

(٢) حمامة من عيدان : عيدان جمع عود ، والعود كل خشبة دقت .

(٣) استكفوا : استجمعوا . (٤) مأثرة : مكزومة متوارثة . (٥) سدانة البيت : خدمته . (٦) نخوة : افتخار وتعظيم .

قال ابن هشام : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْبَيْتَ يَوْمَ الْفَتْحِ ، فَرَأَى فِيهِ صُورَ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ ، فَرَأَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُصَوَّرًا ، فِي يَدِهِ الْأَزْلَامُ يَسْتَقْسِمُ بِهَا . فَقَالَ : « قَاتِلُهُمُ اللَّهُ ! جَعَلُوا شَيْخَنَا يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ ^(١) ! مَا شَأْنُ إِبْرَاهِيمَ وَالْأَزْلَامِ ! » مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَاقِيقًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ^(٢) » . ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الصُّورِ كُلِّهَا فُطِمِسَتْ .

وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْكَعْبَةَ عَامَ الْفَتْحِ وَمَعَهُ بِلَالٌ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَدِّنَ ، وَأَبُو سُفْيَانَ ابْنُ حَزْبٍ وَعَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ جُلُوسٌ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ . فَقَالَ عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ : لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ أُسَيْدًا أَلَّا يَكُونُ سَمِيعَ هَذَا ، فَيَسْمَعَ مِنْهُ مَا يَغِيبُ عَنْهُ ! فَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّهُ مُحِقٌّ لَاتَّبَعْتُهُ ! فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَا أَقُولُ شَيْئًا ، لَوْ تَكَلَّمْتُ لَأَخْبَرْتُ عَنِّي هَذِهِ الْخَصَصَى !

فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « قَدْ عَلِمْتُ الَّذِي قُلْتُمْ » . ثُمَّ ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمْ ، فَقَالَ الْحَارِثُ وَعَتَّابُ : نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، مَا أَطْلَعَ عَلَى هَذَا أَحَدٌ كَانَ مَعَنَا فَتَقُولُ أَخْبَرَكَ . عَنْ أَبِي شُرَيْجٍ الْخُزَاعِيِّ ، قَالَ : إِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حِينَ افْتَتَحَ مَكَّةَ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ عَدَّتْ خُزَاعَةٌ عَلَى رَجُلٍ مِنْ هَذِلٍ فَقَتَلُوهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِينَا خَطِيبًا ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهِيَ حَرَامٌ مِنْ حَرَامِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا تَجْلُ لَأَمْرِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَمًا ، وَلَا يَغْضِبَ ^(٣) فِيهَا شَجَرًا ، لَمْ تَحْلِلْ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي وَلَا تَحِلْ لِأَحَدٍ يَكُونُ بَعْدِي ، وَلَمْ تَحْلِلْ لِي إِلَّا هَذِهِ السَّاعَةَ ، غَضَبًا عَلَى أَهْلِهَا . أَلَا ، ثُمَّ قَدْ رَجَعْتَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ .

قال ابن هشام : وَبَلَغَنِي أَنَّ أَوَّلَ قَتِيلٍ وَدَّاهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ جُنَيْدُ بْنُ الْأَكْوَعِ ، فَتَلَّاهُ بَنُو كَعْبٍ ، فَوَدَّاهُ بِمَائَةِ نَاقَةٍ .

قال ابن هشام : وَحَدَّثَنِي مِنْ أَثَقَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الرِّوَايَةِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، فَطَافَ عَلَيْهَا وَحَوْلَ الْبَيْتِ أَضْنَامٌ مَشْدُودَةٌ بِالرِّصَاصِ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُشِيرُ بِقَضِيصٍ فِي يَدِهِ إِلَى الْأَضْنَامِ وَيَقُولُ : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ بِالرِّصَاصِ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُشِيرُ بِقَضِيصٍ فِي يَدِهِ إِلَى الْأَضْنَامِ وَيَقُولُ : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ

(١) الْأَزْلَامُ : السِّهَامُ الَّتِي كَانُوا يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا ، يَسْتَشِيرُونَهَا فِي أُمُورِهِمْ . (٢) لَا يَعْبُدُ : لَا يَقْطَعُ .

وَزَهَقَ الْبَطْلُ إِنَّ الْبَطْلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿١﴾ . فما أشار إلى صَنَمٍ منها في وَجْهِهِ إِلَّا وَقَعَ لِقْفَاهُ ، ولا أشار إلى قَفَاهُ إِلَّا وَقَعَ لَوَجْهِهِ ، حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهَا صَنَمٌ إِلَّا وَقَعَ .
 وَحَدَّثَنِي أَنَّ فَضَالََةَ بْنَ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيَّ أَرَادَ قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَامَ الْفَتْحِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَفَضَالَةُ ؟ » قَالَ : نَعَمْ فَضَالَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ ؟ » قَالَ : لَا شَيْءَ ، كُنْتُ أَذْكُرُ اللَّهَ ! فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ : « اسْتَغْفِرِ اللَّهَ ! » ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ . فَكَانَ فَضَالَةُ يَقُولُ : وَاللَّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتَّى مَا مِنْ خَلْقٍ لِلَّهِ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ . قَالَ فَضَالَةُ : فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي فَمَرَرْتُ بِامْرَأَةٍ كُنْتُ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ : هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ . فَقُلْتُ : لَا . وَانْتَبَعْتُ فَضَالَةُ يَقُولُ :

قَالَتْ هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ فَقُلْتُ لَا يَأْبَى عَلَيْكَ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ
 لَوْ مَا رَأَيْتِ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ بِالْفَتْحِ يَوْمَ تُكَسَّرُ الْأَضْنَامُ
 لَرَأَيْتِ دِينَ اللَّهِ أَضْحَى بَيْنَنَا وَالشُّرُوكَ يَغْشَى وَجْهَهُ الْإِظْلَامُ
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ شَهِدِ فَتْحِ مَكَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَشْرَةُ آلَافٍ ، مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ سَبْعُمِائَةٍ ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : أَلْفٌ ، وَمِنْ بَنِي غِفَارٍ أَرْبَعُمِائَةٍ ، وَمِنْ أَسْلَمَ أَرْبَعُمِائَةٍ ، وَمِنْ بَنِي مُزَيْنَةَ أَلْفٌ وَثَلَاثَةُ نَفَرٍ ، وَسَائِرُهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ وَحُلَفَائِهِمْ ، وَطَوَائِفِ الْعَرَبِ مِنْ تَمِيمٍ وَقَيْسٍ وَأَسَدٍ .

وَكَانَ مِمَّا قِيلَ مِنَ الشَّعْرِ فِي يَوْمِ الْفَتْحِ قَوْلُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ :
 عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ إِلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلَاءُ (٢)
 دِيَارًا مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفَرٌ تَعَقَّبَهَا (٣) الرُّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ (٤)
 وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنْيَسُ خِلَالَ مُزُوجِهَا نَعَمَ وَشَاءُ (٥)

(١) زهق : اضمحل وبطل .

(٢) عفت : تغيرت ودرست . ذات الأصابع والجواء : موضعان بالشام ، وبالجواء ، كان منزل الحارث بن أبي شمر الغساني ، ممدوح النابغة . وعذراء : قرية على بريد من دمشق .

(٣) تعقبها : تمحوها وتدرسها .

(٤) بنو الحسحاس : حي من بني أسد ، الروامس : الرياح تلمس الآثار . السماء : المطر .

(٥) النعم : المال الراعي ، وأكثر ما يطلق على الإبل . والشاء : جمع شاة .

فَدَغَ هَذَا وَلَكِنْ مِنْ لَطِيفِ
لِسَعْيَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَمَّشَتْ
كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسِ
إِذَا مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا
نُؤْلِيهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلَمْنَا
وَنَشْرَبَهَا فَتَشْرَكْنَا مُلُوكًا
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا
يَنَازِعَنَّ الْأَعِنَّةَ مُضْغِيَّاتٍ^(١)
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّراتٍ
فَلِئَامًا تُغْرِضُوا عَنَّا اغْتَمَزْنَا
وَالْأَفَاضِيرُ لِجِلَادٍ يَزُومُ
وَجَبْرِيلَ رَسُولَ اللَّهِ فِينَا
وَقَالَ اللَّهُ : قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ
وَقَالَ اللَّهُ : قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ^(١١)
فَتُخْرِكُمْ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا
يُورِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شَقَاءُ
يَكُونُ مِزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءُ^(١)
فَهُنَّ لَطِيبُ الرَّاحِ^(٢) الْفِدَاءُ
إِذَا مَا كَانَ مَغْثٌ أَوْ لِحَاءُ^(٣)
وَأُشْدَا مَا يُنْهِيهِنَا اللَّقَاءُ^(٤)
تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ^(٥)
عَلَى أَكْثَافِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءُ^(٦)
يُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النَّسَاءُ^(٧)
وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغَطَاءُ
يُعِينُ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ^(٨)
يَقُولُ الْحَقُّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
فَقُلْتُمْ : لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللَّقَاءُ^(٩)
سَبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدَّمَاءُ^(١٠)

(١) الخبيئة: الخمر المصونة المضمون بها. بيت رأس: موضع بالأردن مشهور بالخمير الجيدة.

(٢) الراح: الخمر.

(٣) ألمنا: فعلنا ما نستحق عليه اللوم. المغث: الضرب باليد. اللحاء: السباب.

(٤) ينهينها: يزعجنا ويردنا.

(٥) النقع: الغبار. كدء، كسحاب: ثنية بأعلى مكة. (٦) مصغيات: مميلات.

(٧) الأعنة: جمع عنان، وهو اللجام. الأسل: الرماح. الظماء: الذوايل.

(٨) متمطرات: مسرعات. الخمير: جمع خمار. (٩) ليس له كفاء: الكفاء والنظير والمثيل.

(١٠) عرضتها اللقاء: أي عادت بها أن تتعرض للقاء، فهي قادرة عليه.

(١١) معدد: حي من العرب. (١٢) نحكم: نمنع ونكف.

أَلَا أُبْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي مُغْلَغَلَةً^(١) فَقَدْ بَرِحَ الْحَقَاءُ
بِأَنْ سُوِفْنَا تَرَكَتَكَ عَبْدًا وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتْهَا الْإِمَاءُ
هَجَزْتُ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ فَشَرُّكُمْمَا لِحَيْرُكُمْمَا الْفِدَاءُ
هَجَزْتُ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا أَمِينَ اللَّهِ شَيْمَثُهُ الْوَفَاءُ^(٢)
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ؟
فَإِنْ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرَضِي لِعَرَضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
لِسَانِي صَارِمٌ لَا غَيْبَ فِيهِ وَبَخْرِي لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ

[مسير خالد بن الوليد لهزم الغزى]

ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى الغزى، وكانت بنخلة، وكانت بيتا يعظمه هذا الحي من قريش وكنانة ومضر كلها، وكانت سدنتها وحجائبها بني شيبان من بني سليم خلفاء بني هاشم، فلما سمع صاحبها السلمي بمسير خالد إليها، علق عليها سيفه، وأسند في الجبل^(٣) الذي هي فيه وهو يقول:

أَيَا عَزُّ شُدِّي بِشِدَّةٍ لَا شَوَى لَهَا عَلَى خَالِدٍ أَلْقَى الْقِنَاعَ وَشَمْرِي
يَا عَزُّ إِنْ لَمْ تَقْشُلِي الْمَرْءَ خَالِدًا فَبُؤْيِي بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنْصُرِي
فلما انتهى إليها خالد هدمها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ.

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة.

وكان فتح مكة لعشر ليالٍ بقرين من شهر رمضان سنة ثمان.

(١) مغلغلة: المغلغلة الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد.

(٢) الحنيف: المسلم، سمي حنيفاً لأنه مال عن الباطل إلى الحق. الشيمة: الطبيعة.

(٣) أسند في الجبل: ارتفع فيه.

الفصل السادس عشر

غزوات حنين والطائف

[غزوة حنين في سنة ثمان ، بعد الفتح]

ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة ، جمعتها مالك بن عوف النصري ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها! واجتمعت نصر وجشم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال وهم قليل ، ولم يشهدوا من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضروها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدوا منهم أحد له اسم . وفي بني جشم دزيذ بن الصمة ، شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمم برأيه ومعرفة بالحرب ، وكان شيخاً مجرباً . وفي ثقيف سيّدان لهم . وفي الأخلاف قارب بن الأسود ابن مسعود بن معتب . وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أخمر بن الحارث . وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصري .

فلما أجمع السيرة إلى رسول الله ﷺ خط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس^(١) اجتمع إليه الناس وفيهم دزيذ بن الصمة في شجار له^(٢) يقاد به . فلما نزل قال : بأيّ واد أنتم؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعم مجال الخيل ، لا حزن صرس^(٣) ولا سهل دهم^(٤) ، مالي أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء^(٥)؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك؟ قيل : هذا مالك . ودعي له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قَوْمك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام! مالي أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء؟ قال : سقت مع الناس أموالهم ونساءهم . قال : ولم ذاك؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم ، فأنقض به^(٦) . ثم قال : راعي ضأن

(١) أوطاس : واد في ديار هوازن . (٢) الشجار : شبه الهودج مكشوف الأعلى .

(٣) الحزن : المرتفع من الأرض . الضرس : الذي فيه حجارة محددة .

(٤) الدهس : اللين الكثير التراب . (٥) يعار الشاء : صوتها .

(٦) أنقض به ، من الإنقاض ، وهو أن يلصق لسانه بالحنك ثم يصوت في حافتيه ، يفعلون ذلك عند إنكار القول أو العمل .

والله! وهل يُؤدُّ المُنْهَرِمَ شيء؟ إنها إن كانت لك لم يَنْفَعَكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرُمَحِهِ، وإن كانت عليك فُضِضَتْ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ. ثم قال: ما فَعَلْتَ كَعَبٍ وَكِلاب؟ قالوا: لم يَشْهَدْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ. قال: غَابَ الْحَدُّ^(١) وَالْجَدُّ، ولو كان يَوْمَ غَلَاءٍ وَرِفْعَةٍ لَمْ تَغِبْ عَنْهُ كَعَبٌ وَلَا كِلَابٌ! وَلَوْ دِدْتُ أَنْكُمْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُ كَعَبٌ وَكِلابٌ. فَمَنْ شَهِدَهَا مِنْكُمْ؟ قالوا: عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ، وَعَوْفُ بْنُ عَامِرٍ. قال: ذَانِكَ الْجَدْعَانِ^(٢) مِنْ عَامِرٍ، لَا يَنْفَعَانِ وَلَا يَضُرُّانِ! يَا مَالِكَ، إِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ الْبَيْضَةِ^(٣) يَبِضَّةَ هَوَازِنَ إِلَى نُحُورِ الْخَيْلِ شَيْئًا. أَرْفَعُهُمْ إِلَى مُتَمَنِّعٍ^(٤) بِلَادِهِمْ وَغَلِيًّا^(٥) قَوْمِهِمْ، ثُمَّ أَلَى الصُّبَاءِ^(٦) عَلَى مُتَوْنِ الْخَيْلِ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ لِحَقٌّ بِكَ مِنْ وِرَاءِكَ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ أَلْفَاكَ ذَلِكَ قَدْ أَخْرَزَتْ أَهْلَكَ وَمَالَكَ. قال: واللَّهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ، إِنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ وَكَبِرَ عَقْلُكَ! وَاللَّهِ لَتُطِيعُنِي يَا مَعْشَرَ هَوَازِنَ أَوْ لَا تُكَبِّرَنَّ عَلَى هَذَا السَّيْفِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي - وَكَرِهَ أَنْ يَكُونَ لِلدُّرَيْدِ بْنِ الصُّمَّةِ فِيهَا ذِكْرٌ أَوْ رَأْيٌ - فَقَالُوا: أَطْعَمْنَاكَ. فَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصُّمَّةِ: هَذَا يَوْمٌ لَمْ أَشْهَدْهُ وَلَمْ يَفْتُنِي:

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ^(٧) أَخْبُ فِيهَا وَأَصْغُ^(٨)
أَقْوُذُ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ^(٩) كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعٌ^(١٠)

ثم قال مَالِكُ لِلنَّاسِ: إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاكْثِرُوا جُفُونَ^(١١) سَيُوفِكُمْ، ثُمَّ شُدُّوا شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ! وَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي حَدَرْدٍ الْأَسْلَمِيَّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ فِي النَّاسِ، فَيُفْقِمَ فِيهِمْ حَتَّى يَعْلَمَ عِلْمَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِيَهُمْ بِخَبَرِهِمْ. فَانْطَلَقَ ابْنُ حَدَرْدٍ، فَدَخَلَ فِيهِمْ، فَأَقَامَ فِيهِمْ، حَتَّى سَمِعَ وَعَلِمَ مَا قَدْ أَجْمَعُوا لَهُ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسَمِعَ مِنْ مَالِكٍ وَأَمْرِ هَوَازِنَ مَا هُمْ عَلَيْهِ. ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ.

(١) الحد: الشجاعة والحدة. (٢) الجدع: الضعيف في الحرب، كأنه الجدع من الإبل.

(٣) البيضة: الجماعة. (٤) متمنع: ما يمتنع ويحتمى به.

(٥) غليًا: الرفعة والشرف، وهي مفردة جمعها غلا.

(٦) الصباء: جمع صابئ، كانوا يسمون المسلمين بذلك لأنهم خرجوا عن دين الوثنية إلى الإسلام.

(٧) الجدع: الشاب. (٨) الخيب والوضع: ضربان من السير.

(٩) الوطفاء: الطويلة الشعر. الزمع: الشعر الذي فوق مرتبط القيد.

(١٠) الشاة: الوعل. الصدع: الوسط بين العظام والحقير.

(١١) جفون: جمع جفن، غمد السيف.

فلما أجمع رسول الله ﷺ السَّيْرَ إلى هَوَازِنَ لِيَلْقَاهُمْ دُكِرَ لَهُ أَنَّ عِنْدَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ أَذْرَاعًا لَهُ وَسِلَاحًا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ ، فَقَالَ : يَا أَبَا أُمَيَّةَ ، أَعَزُّونا سِلَاحَكَ هَذَا نَلْقَى فِيهِ عَدُوَّنَا غَدًا ، فَقَالَ صَفْوَانُ : أَغَضِبَا يَا مُحَمَّدٌ؟ قَالَ : بَلْ عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ حَتَّى نُؤَدِّيَهَا إِلَيْكَ . قَالَ : لَيْسَ بِهَذَا بَأْسٌ ! فَأَعْطَاهُ مِائَةَ دِينَعٍ بِمَا يَكْفِيهَا مِنَ السِّلَاحِ ، فَرَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ أَنْ يَكْفِيَهُمْ حَمَلَهَا ، ففعل .

ثم خرج رسول الله ﷺ معه أَلْفَانِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، مَعَ عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ ، فَفَتَحَ اللَّهُ بِهِمْ مَكَّةَ ، فَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا . وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَتَّابَ ابْنِ أَبِي الْعَيْصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ عَلَى مَكَّةَ ، أَمِيرًا عَلَى مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ مِنَ النَّاسِ . ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى وَجْهِهِ يَرِيدُ لِقَاءَ هَوَازِنَ .

عن الحارث بن مالك قال :

خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُثَيْنَ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ ، فَبِزْنَا مَعَهُ إِلَى حُثَيْنَ ، وَكَانَتْ كُفَّارُ قَرِيشٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَرَبِ لَهُمْ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضِرَاءُ ، يَقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، يَأْتُونَهَا كُلُّ سَنَةٍ ، فَيَعْلَقُونَ أَشْلَحَتَهُمْ عَلَيْهَا ، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا ، وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا ، فَرَأَيْنَا ، وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِدْرَةَ^(١) خَضِرَاءَ عَظِيمَةً ، فَتَنَادَيْنَا مِنْ حَبَنَاتِ الطَّرِيقِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُ أَكْبَرُ! قُلْتُمْ - وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ - كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى : ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿٢﴾ . إِنَّهَا الشَّنْئُ ، لَتَرْكَبُنَّ شُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ .

عن جابر بن عبد الله قال : لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَاْدِي حُثَيْنَ انْحَدَرْنَا فِي وَاْدٍ مِنْ أَوْدِيَةِ يَهَامَةَ أَجْوَفَ حَطُوطٍ^(٢) ، إِنَّمَا نَنْحَدِرُ فِيهِ انْحِدَارًا ، وَفِي عِمَايَةِ الصُّبْحِ^(٣) ، وَكَانَ الْقَوْمُ قَدْ سَبَقُونَا إِلَى الْوَادِي ، فَكَمَتُوا لَنَا فِي شِعَابِهِ وَأَحْنَائِهِ^(٤) وَمَضَافِقِهِ ، وَقَدْ أَجْمَعُوا وَتَهَيَّأُوا وَأَعَدُّوا ، فَوَاللَّهِ مَا رَاعَنَا وَنَحْنُ مَنْحَطُونَ إِلَّا الْكَتَائِبُ قَدْ شَدُّوا عَلَيْنَا شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَانْشَمَرَ النَّاسُ^(٥) رَاجِعِينَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . وَانْحَازَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ الْيَمِينِ ثُمَّ

(١) سدره : شجرة النبق .

(٢) أجوف : متسع . حطوط : منحدر .

(٣) عماية الصبح : ظلامه قبل أن يتبين .

(٤) الأحناء : الجوانب .

(٥) انشمروا : انفضوا وانهمزوا .

قال : أين أيُّها النَّاسُ؟ هَلُمُّوا إِلَيَّ ، أنا رسولُ الله ، أنا محمدُ بن عبدِ الله! فلايَّ شيءٍ^(١) حَمَلَتِ الإِبِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ؟ فانطلق النَّاسُ ، إلا أَنَّهُ قد بَقِيَ مع رسولِ الله ﷺ نَفَرٌ من المُهاجِرِينَ والأَنْصارِ وأَهْلِي بَيْتِهِ .

قال ابن إسحاق : فلما انهزم النَّاسُ ، ورأى مَنْ كان مع رسولِ الله ﷺ مِنْ جُفَاةِ أَهْلِ مَكَّةَ الهَزِيمَةَ ، تَكَلَّمَ رِجَالٌ مِنْهُمْ بما في أَنْفُسِهِمْ مِنَ الصُّغْنِ ، فقال أبو سُفْيَانُ بْنُ حَزْبٍ : لا تنتهي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ الْبَحْرِ! وَإِنَّ الْأَزْلَامَ^(٢) لَمَعَهُ فِي كِنَانَتِهِ .

وَصَرَّحَ جَبَلَةُ بْنُ الْحَنْبَلِ : أَلَا بَطَلَ السَّحَرُ الْيَوْمَ! وقال شَيْبَةُ بْنُ عُثْمَانَ قُلْتُ : الْيَوْمَ أَذْرُكَ ثَأْرِي مِنْ مُحَمَّدٍ^(٣) ، الْيَوْمَ أَقْتُلُ مُحَمَّدًا! فَأَذْرَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَأَقْتُلَهُ ، فَأَقْبَلَ شَيْءٌ حَتَّى تَغَشَّى فُوَادِي فَلَمْ أَطِقْ ذَاكَ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَمْنُونٌ مِنِّي .

وحدثني بعضُ أَهْلِ مَكَّةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال حينَ فَصَلَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى حُنَيْنٍ ، ورأى كَثْرَةَ مَنْ مَعَهُ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ : « لَنْ تُغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ »^(٤)!

عن العباس بن عبدِ الْمُطَّلِبِ قال : لَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آخِذٌ بِحَكْمَةٍ^(٥) بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ ، قَدْ سَجَزَتْهَا^(٦) بِهَا ، وَكُنْتُ امْرَأً جَسِيمًا شَدِيدَ الصَّوْتِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ حينَ رَأَى مَا رَأَى مِنَ النَّاسِ : أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ؟ فَلَمْ أَرَ النَّاسَ يَلُؤُونَ عَلَى شَيْءٍ ، فَقَالَ : يَا عَبَّاسُ ، اضْرُخْ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصارِ ، يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ الشَّمْرَةِ^(٧) . قال : فَأَجابوا : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ! فَيَذْهَبُ الرَّجُلُ لِيَتَنَبَّيَ بَعِيرُهُ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، فَيَأْخُذُ دِرْعَهُ فَيَقْدِفُهَا فِي عُنْقِهِ ، وَيَأْخُذُ سَيْفَهُ وَثَوْبَهُ وَيَقْتَحِمُ^(٨) عَنْ بَعِيرِهِ وَيُخَلِّي سَبِيلَهُ ، فَيُؤْمُ الصَّوْتُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَائَةٌ ، اسْتَقْبَلُوا النَّاسَ فَاقْتَتَلُوا . وَكَانَتِ الدَّعْوَى أَوَّلَ مَا كَانَتْ : يَا لِلْأَنْصارِ! ثُمَّ خَلَصَتْ أَخِيرًا : يَا لِلْخَزَرَجِ! وَكَانُوا ضُبُرًا عِنْدَ الْحَزْبِ ،

(١) أي لشيء عظيم . (٢) الْأَزْلَام : السهام التي كانوا يستقسمون بها ويخضعون لحكمها .

(٣) كان أبوه قد قتل يوم أحد .

(٤) هذا القول قاله رجل من بكر انظر الكامل لابن الأثير [١٧٨/٢] .

(٥) الحكمة : اللجام .

(٦) شجرها بها : وضعها في شجرها وهو مجتمع اللحيين .

(٧) الشَّمْرَةُ : أشجار الطلح ، وأصحاب السمرة كنية للأنصار .

(٨) يقتحم عن بعيده : يرمي بنفسه عنه .

فَأَشْرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رَكَائِيهِ ، فَتَنَظَّرَ إِلَى مُجْتَلِدِ الْقَوْمِ (١) وَهُوَ يَجْتَلِدُونَ ، فَقَالَ : الْآنَ حَمِيِي الْوُطَيْسِ (٢) !

عن جابر بن عبد الله قال : بَيَّنَّا ذَلِكَ الرَّجُلَ مِنْ هَوَازِنَ ، صَاحِبِ الرَّايَةِ ، عَلَى جَمَلِهِ يَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ ، إِذْ هَوَىٰ لَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُرِيدَانِهِ ، فَيَأْتِيهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ خَلْفِهِ ، فَضْرَبَ عُرْقُوبِي الْجَمَلِ (٣) فَوَقَعَ عَلَى عَجْزِهِ (٤) ، وَوَثَبَ الْأَنْصَارِيُّ عَلَى الرَّجُلِ فَضْرَبَهُ ضَرْبَةً أَطْلَقَ قَدَمَهُ (٥) بِنِصْفِ سَاقِهِ ، فَأَنْجَعَفَ (٦) عَنْ رَحْلِهِ ، وَاجْتَلَدَ النَّاسُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَجَعَتْ رَاجِعَةُ النَّاسِ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ حَتَّى وَجَدُوا الْأَسَارَى مُكْتَفِينَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان ممن صَبَرَ يومئذٍ مع رسول الله ﷺ ، وكان حسنَ الإسلام حين أَسْلَمَ ، وهو آخِذٌ بِثَقَرِ بَغْلَتِهِ (٧) ، فقال : « مَنْ هَذَا ؟ » قال : أَنَا ابْنُ أُمِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ !

عن عبد الله بن أبي بكر : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ التَفَتَ فَرَأَى أُمَّ سُلَيْمٍ بِنْتَ مِلْحَانَ ، وَكَانَتْ مَعَ زَوْجِهَا أَبِي طَلْحَةَ ، وَهِيَ حَازِمَةٌ وَسَطَهَا يَبْزِدُ لَهَا ، وَإِنِهَا لَحَامِلٌ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، وَمَعَهَا جَمَلُ أَبِي طَلْحَةَ ، وَقَدْ خَشِيَتْ أَنْ يَغْرَها الْجَمَلُ (٨) ، فَأَذْنَتْ رَأْسَهُ مِنْهَا ، فَأَذْخَلَتْ يَدَهَا فِي خِزَامَتِهِ (٩) مَعَ الْخِطَامِ (١٠) ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أُمَّ سُلَيْمٍ » . قَالَتْ : نَعَمْ ، يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَقْتُلْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْهَزُمُونَ عَنْكَ كَمَا تَقْتُلُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكَ ، فَإِنَّهُمْ لَذَلِكَ أَهْلٌ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوْ يَكْفِييَ اللَّهُ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ؟ » قَالَ : وَمَعَهَا خِنْجَرٌ ، فَقَالَ لَهَا أَبُو طَلْحَةَ : مَا هَذَا الْخِنْجَرُ مَعَكَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ؟

(١) مجتلد القوم : موضع جلادهم بالسيوف ، حيث تكون المعركة .

(٢) الوطيس : المعركة . وهي كلمة لم تسمع إلا من الرسول .

(٣) عرقوبي الجمل : ما يكون في رجله بمنزلة الركبة في يده . (٤) عجزه : مؤخره .

(٥) أطن قدمه : أطارها وسمع لضربه طنين أو دوي .

(٦) انجعف : سقط سريعاً .

(٧) الثفر : السير في مؤخر السرج . (٨) يعزها : يغلبها .

(٩) الخزامة : حلقة من شعر تجعل في أنف البعير .

(١٠) الخطام : الزمام ، ما وضع على أنف الجمل ليقاد به .

قالت : خِنْجَرٌ أَخَذْتُهُ ، إِنَّ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَعَجْتُهُ بِهِ^(١) . يقول أبو طَلْحَةَ : أَلَا تَسْمَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَقُولُهُ الرَّمِيصَاءُ^(٢) !

عن أبي قتادة قال : رأيتُ يَوْمَ حُنَيْنٍ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ : مسلماً ومُشْرِكاً ، وإذا رجلٌ من المشركين يُريدُ أن يُعينَ صاحِبَه المُشْرِكُ على المسلم ، فَأَتَيْتُهُ ، فَضَرَبْتُ يَدَهُ فَقَطَعْتُهَا ، واعتنقني^(٣) بيده الأخرى ، فوالله ما أُرْسَلَنِي حَتَّى وَجَدْتُ رِيحَ الدَّمِّ ، وكاد يَقْتُلْنِي ؛ فلولا أَنَّ الدَّمَ نَزَفَهُ لَقَتَلَنِي ، فسقط ، فَضَرَبْتُهُ فَقَتَلْتُهُ ، وَأَجْهَضَنِي عَنْهُ الْقِتَالُ^(٤) ، ومَرَّ بِهِ رجلٌ من أَهْلِ مَكَّةَ فَسَلَبَهُ . فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القَوْمِ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ » . فقلت : يا رسولَ اللَّهِ ، والله لقد قَتَلْتُ قَتِيلًا ذَا سَلْبٍ ، فَأَجْهَضَنِي عَنْهُ الْقِتَالُ فما أَذْري مَنْ اسْتَلَبَهُ ؟ فقال رجلٌ من أَهْلِ مَكَّةَ : صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وسَلَبَ ذَلِكَ الْقَتِيلَ عُنْدِي ، فَأَرْضِيهِ عَنِّي مِنْ سَلْبِهِ ، فقال أبو بكر الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : لا وَاللَّهِ ، لا يُؤْضِيهِ مِنْهُ ، تَعَمِدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَشَدِّ اللَّهِ ، يُقَاتِلُ عَنْ دِينِ اللَّهِ ، تُقَاسِمُهُ سَلْبَهُ ؟! ازْدُدْ عَلَيْهِ سَلْبَ قَتِيلِهِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صَدَقَ ازْدُدْ عَلَيْهِ سَلْبَهُ » . قال أبو قتادة : فَأَخَذْتُهُ مِنْهُ ، فَبِعْتُهُ ، فاشترَيْتُ بِشَمَنِهِ مَخْرَفًا^(٥) ، فإنه لأَوَّلُ مَا لِي اعْتَقَدْتُهُ^(٦) .

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هَوازُنُ اسْتَحَرَّ^(٧) الْقَتْلُ مِنْ ثَقِيفٍ فِي بَنِي مَالِكٍ ، فَقَتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا تَحْتَ رَايَتِهِمْ ، فِيهِمْ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حَبِيبٍ ، وَكَانَتْ رَايَتُهُمْ مَعَ ذِي الْخِمَارِ^(٨) ، فلما قَتِلَ أَخَذَهَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ .

ولما انهزم المشركون أَتَوْا الطَّائِفَ وَمَعَهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ ، وَعَشَكَرَ بَعْضُهُمْ بِأَوْطَاسٍ . وَتَوَجَّهَ بَعْضُهُمْ نَحْوَ نَخْلَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ تَوَجُّهُ نَحْوَ نَخْلَةٍ إِلَّا بَنُو غَيْرَةٍ مِنْ ثَقِيفٍ ، وَتَبِعَتْ حَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ سَلَكَ فِي نَخْلَةٍ مِنَ النَّاسِ ، وَلَمْ تَتَّبِعْ مَنْ سَلَكَ

(١) بَعَجَ بَطْنَهُ بِالسَّكِينِ : شَقَّهُ وَخَضَخَضَهُ فِيهِ .

(٢) الرَّمِيصَاءُ : مَصْغَرُ الرَّمِصَاءِ ، مِنَ الرَّمَصِ ، وَهُوَ الْقَذَى يَكُونُ فِي الْعَيْنِ .

(٣) اعْتَنَقَنِي : اعْتَنَقَا : جَعَلَ كُلُّ مِنْهُمَا يَدَيْهِ عَلَى عُنُقِ الْآخَرِ .

(٤) أَجْهَضَ عَنْهُ : شَغَلَنِي وَضَيَّقَ عَلَيَّ وَغَلَبَنِي .

(٥) الْمَخْرَفُ : نَخْلَةٌ وَاحِدَةٌ ، أَوْ نَخْلَاتٌ يَسِيرُ إِلَى عَشْرِ . وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ فَهُوَ بَسْتَانٌ أَوْ حَدِيقَةٌ .

(٦) اعْتَقَدْتُهُ : أَيَّ مَلَكَتُهُ .

(٧) اسْتَحَرَّ : اسْتَحَرَّ : اسْتَدَّ .

(٨) ذُو الْخِمَارِ : هُوَ عَوْفُ بْنُ رَبِيعٍ .

الثنيا^(١).

وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجه قتل أوطاس أبا عامر الأشعري، فأدرك من الناس بعض من أنهزم، فناوشوه القتال، فزعم أبو عامر بسهمهم فقتل، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري، وهو ابن عمه، فقاتلهم، ففتح الله على يديه وهزمهم.

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة، فوقف في فوارس من قومه على ثنية^(٢) من الطريق وقال لأصحابه: قفوا حتى تفضي ضعفاؤكم، وتلحق أخرائكم. فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس.

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل العلم بالشعر، وحديثه: أن أبا عامر الأشعري لقي يوم أوطاس عشرة إخوة من المشركين، فحمل عليه أخذهم، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول: اللهم أشهد عليه، فقتله أبو عامر؛ ثم حمل عليه آخر، فحمل عليه أبو عامر، وهو يدعو إلى الإسلام ويقول: اللهم أشهد عليه، فقتله أبو عامر. ثم جعلوا يحملون عليه رجلاً رجلاً، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك، حتى قتل تسعة، وبقي العاشر، فحمل على أبي عامر، وحمل عليه أبو عامر، وهو يدعو إلى الإسلام ويقول: اللهم أشهد عليه؛ فقال الرجل: اللهم لا تشهد علي، فكف عنه أبو عامر، فأفلت؛ ثم أسلم بعد فحش إسلامه. فكان رسول الله ﷺ إذا رآه قال: هذا سريد أبي عامر.

مر رسول الله ﷺ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد، والناس متقصفون^(٣) عليها، فقال: ما هذا؟ فقالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد. فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه: «أدرك خالدًا، فقل له: إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيقًا^(٤)». وإن رسول الله ﷺ قال يومئذ: «إن قدزتم على بجاد - رجل من بني سعد بن بكر - فلا يفلتكم»، وكان قد أخذت حديثًا^(٥). فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فعنفوا^(٦) عليها

(١) الثنيا: جمع ثنية، الطريق في الجبل.

(٢) الثنية: موضع مرتفع بين جبليين.

(٣) متقصفون: مزدحمون.

(٤) العسيق: الأجير والعبد المستعان به.

(٥) أحدث حدثًا: وقع منه أمر حادث منكر غير معتاد.

(٦) عنفوا عليها: أخذوها بشدة وقسوة، لاموها وعيروها.

في السَّيِّاق ، فقالت للمسلمين : تَعَلَّمُوا وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِثُّ صَاحِبِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ ! فلم يُصَدِّقُوهَا حَتَّى أَتَوْا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فلما انْتَهَى بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قالت : يا رَسُولُ اللَّهِ ، إِنِّي أُحِثُّكَ مِنَ الرِّضَاعَةِ . قال : « وما علامة ذلك ؟ » قالت : عَضَّةٌ عَضَضْتُ بِهَا فِي ظَهْرِي وَأَنَا مُتَوَرِّكْتُكَ ^(١) . فعرف رسولُ اللَّهِ ﷺ العلامة ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ ، فَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ ، وَخَيَّرَهَا ، وقال : إِنْ أَحْبَبْتَ فَعِنْدِي مُحَبَّةٌ مُكْرَمَةٌ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أَمْتَعَكَ ^(٢) وَتَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكَ فَعَلْتُ . فقالت : تُمَتِّعْنِي وَتَرُدُّنِي إِلَى قَوْمِي . فَمَتَّعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَدَّهَا إِلَى قَوْمِهَا . فَرَعَمَتْ بَنُو سَعْدٍ أَنَّهُ أَعْطَاهَا غُلَامًا لَهُ يَقَالُ لَهُ مَكْحُولٌ ، وَجَارِيَةٌ ، فَزَوَّجَتْ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ مِنْ نَسْلِهَا بَقِيَّةٌ .

قال ابن هشام : وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ . قال ابن إسحاق : ثُمَّ جُمِعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبَايَا حُنَيْنٍ وَأَمْوَالُهَا ، وَكَانَ عَلَى الْمَغَانِمِ مَشْعُودُ بْنُ عَمْرٍو الْغِفَارِيُّ ، وَأَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّبَايَا وَالْأَمْوَالِ إِلَى الْجِعْفَرَانَةِ فَخُيِّسَتْ بِهَا .

[غزوة الطائف في سنة ثمان]

وَلَمَّا قَدِمَ قُلُ ثَقِيفٍ ^(٣) الطَّائِفَ أَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ مَدِينَتِهَا ، وَصَنَعُوا الصَّنَائِعَ ^(٤) لِلْقِتَالِ ، وَلَمْ يَنْشَهُدْ حُنَيْنًا وَلَا جِصَارَ الطَّائِفِ غَزْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَلَا غَيْلَانَ بْنَ سَلَمَةَ ، كَانَا بِجُرُشٍ يَتَعَلَّمَانِ صِنْعَةَ الدَّبَابَاتِ ^(٥) وَالْمَجَانِيْقِ ^(٦) وَالضُّبُورِ ^(٧) . ثُمَّ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ حِينَ فَرَعَ مِنْ حُنَيْنٍ ، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ حِينَ أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّيْرَ إِلَى الطَّائِفِ :

(١) توركته : حملته على وركها . (٢) أمتعتك : أعطيتك ما يكون به التمتع ، أي الانتفاع .

(٣) القل : الجماعة المنهزمون .

(٤) الصنائع : جمع صنعة ، السيف أو السهم المجلو المعجرب .

(٥) الدبابة : آلة من آلات الحرب ، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها .

(٦) المجانيق : جمع منجنيق ، وهي من آلات الحصار ، يرمي بها الحجارة الثقيلة ونحوها .

(٧) الضبور : جمع مثل رعوس الأسفاط ، يتقي بها في الحرب عند الانصراف .

فَصَيْنَا مِنْ تَهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ وَخَيْبَرٍ، ثُمَّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا^(١)
نُحَيْرُهَا، وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ^(٢)، دَوْسًا أَوْ ثَقِيفًا
فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ^(٣) إِنْ لَمْ تَرَوْهَا بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِمَّا أَلُوفَا
وَنَسْتَنْزِغُ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍ وَتُضْبِحُ دَارُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا^(٤)

فسلك رسول الله ﷺ على نخلة اليمانية، ثم على قون ثم على المليح، ثم على
بُحْرة الرغاء من ليثة^(٥)، فالتفتي بها مسجداً فصلّى فيه، فحدثني عمرو بن شعيب: أنه أقاد
يَوْمَئِذٍ بِبُحْرة الرغاء، حين نزلها، يدم، وهو أول دم أُفِيدَ به في الإسلام، رجلٌ من بني لَيْثٍ
قَتَلَ رَجُلًا مِنْ هَذِيلٍ، فقتله به؛ وأمر رسول الله ﷺ، وهو بليّة، بجصن مالِك بن عَوْفٍ
فهْدِم. ثم سلك في طريق يُقال له الصّيقة، ثم خرج منها على نخب، حتّى نزل تحت
سِدْرَةٍ يُقال لها: «الصّادِرة»، قريباً من مالٍ رجلٍ من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله ﷺ:
إِذَا أَنْ تَخْرُجَ وَإِنَّا أَنْ نُخْرِبَ عَلَيْكَ حَائِطَكَ^(٦). فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله ﷺ
بإخراجه. ثُمَّ مَضَى رسولُ الله ﷺ حتّى نزل قريباً من الطائف، فضرب به عسكره^(٧)،
فَقَتِلَ بِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالْبُئْلِ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فكانت البُئِلُ
تَنَالُهُمْ، ولم يَقْدِرِ المسلمونَ على أن يَدْخُلُوا حَائِطَهُمْ، أَغْلَقُوهُ بِالطَّائِفِ الْيَوْمَ،
فحاصَرَهُمْ بِضْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، ومعه امرأتان من نسائه، إحداهما أم سلمة بنت أبي أمية،
فَضْرَبَ لَهَا قُبَّتَيْنِ ثُمَّ صَلَّى بَيْنَ الْقُبَّتَيْنِ. ثم أقام، فلما أَسْلَمَتْ ثَقِيفُ بَنِي عَلَى مُصَلَّى
رسول الله ﷺ غَمَرُوا بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ وَهَبٍ مَسْجِدًا، وكانت في ذلك المسجد سارية^(٨)،
فِيمَا يَزْغَمُونَ، لَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ عَلَيْهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا سَمِعَ لَهَا نَقِيضُ^(٩)، فحاصَرَهُمْ
رسولُ الله ﷺ وقاتلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، وَتَرَامَوْا بِالْبُئْلِ^(١٠).

(١) الريب: الشك. أجممنا السيوف: أرحناها. (٢) قواطعهن: السيوف القاطع: الماضي.

(٣) لحاضن: الحاضن: المرأة التي تحضن ولدها.

(٤) العروش: سقوف البيوت. وج: موضع بالطائف. خلوف: تغيب عنها أهلها.

(٥) قرن، ومليح، وبحرة الرغاء، ولية: مواضع بالطائف. (٦) حائطك: بستانك، جدارك.

(٧) أي نصب الخيام للجنود. (٨) سارية: عمود، أسطوانة. (٩) النقيض: الصوت.

(١٠) قال ابن هشام: «ورماهم رسول الله ﷺ بالمنجنيق. حدثني من أتق به أن رسول الله ﷺ أول من رمى
في الإسلام بالمنجنيق رمى أهل الطائف».

حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الشَّدْحَةِ ^(١) عِنْدَ جِدَارِ الطَّائِفِ ، دَخَلَ نَقَرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ دَبَابَةِ ^(٢) ، ثُمَّ زَحَفُوا بِهَا إِلَى جِدَارِ الطَّائِفِ لِيَخْرِقُوهُ ، فَأَرْسَلَتْ عَلَيْهِمْ ثَقِيفُ سِكَكِ الْحَدِيدِ ^(٣) مُخَمَّاءَ بِالنَّارِ ، فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِهَا ، فَرَمَتْهُمْ ثَقِيفُ بِاللَّبْلِ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ رِجَالًا ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَطْعِ أَعْنَابِ ثَقِيفٍ ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِيهَا يَقْطَعُونَ .

وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَهُوَ مُحَاصِرُ ثَقِيفًا : « يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي أُهْدِيَتْ لِي قَعْبَةٌ ^(٤) مَمْلُوءَةٌ زُبْدًا ، فَتَقَرَّهَا دِيكَ فَهَرَّاقَ مَا فِيهَا . » فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَا أَظُنُّ أَنْ تُدْرِكَ مِنْهُمْ يَوْمَكَ هَذَا مَا تُرِيدُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَأَنَا لَا أَرَى ذَلِكَ » .

ثُمَّ إِنَّ حُوَيْلَةَ بِنْتَ حَكِيمِ السَّلَمِيَّةِ ، وَهِيَ امْرَأَةُ عُثْمَانَ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَعْطِنِي إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ الطَّائِفَ حُلِيِّ بَادِيَةِ بِنْتِ غَيْلَانَ ، أَوْ حُلِيِّ الْفَارِغَةِ بِنْتِ عَقِيلٍ - وَكَانَتَا مِنْ أَخْلَى نِسَاءِ ثَقِيفٍ ^(٥) - فَذَكَرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا : « وَإِنْ كَانَ لَمْ يُؤْذَنْ لِي فِي ثَقِيفٍ يَا حُوَيْلَةُ ؟ » فَخَرَجَتْ حُوَيْلَةُ ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا حَدِيثُ حَدَّثَنِيهِ حُوَيْلَةُ زَعَمَتْ أَنَّكَ قُلْتَهُ ؟ قَالَ : « قَدْ قُلْتُهُ » . قَالَ : أَوْ مَا أُذِنَ لَكَ فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « لَا » . قَالَ : أَفَلَا أُؤْذِنُ بِالرَّحِيلِ ؟ قَالَ : « بَلَى » . قَالَ : فَأَذَّنَ عُمَرُ بِالرَّحِيلِ .

فَلَمَّا اسْتَقَلَّ النَّاسُ ^(٦) نَادَى سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، أَلَا إِنَّ الْحَيَّ مُقِيمٌ . وَيَقُولُ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ : أَجَلٌ وَاللَّهِ مَجْدَةٌ كَرَامًا . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : قَاتِلْكَ اللَّهُ يَا عُيَيْنَةُ ، أَتَمْدَحُ الْمُشْرِكِينَ بِالْأَمْتِنَاعِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ جِئْتَ تَنْصُرُ رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا جِئْتُ لِأَقَاتِلَ ثَقِيفًا مَعَكُمْ ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَفْتَحَ مُحَمَّدُ الطَّائِفَ ، فَأُصِيبَ مِنْ ثَقِيفٍ جَارِيَةٌ أَتَطِئُهَا ، لَعَلَّهَا تَلِدُ لِي رَجُلًا ، فَإِنْ ثَقِيفًا قَوْمٌ مَنَاكِيرَ ^(٧) .

(١) يوم الشدحة : الشدحة : الكسر في كل شيء رطب .

(٢) دبابة : آلة تتخذ للحرب وهدم الحصون ، يدخل فيها الرجال .

(٣) سكة الحديد : حديدة المحراث التي يحراث بها . (٤) القعبة : القدح .

(٥) أي من أكثرهن حليًا . (٦) استقل الناس : مضوا وارتحلوا .

(٧) مناكير : ذوو دهاء وفطنة .

ونزل على رسول الله ﷺ في إقامته بمن كان محاصراً بالطائف عبيد، فأسلموا، فأعتقهم رسول الله ﷺ. ولما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم في أولئك العبيد. فقال رسول الله ﷺ: «لا، أولئك عتقاء الله». وكان ممن تكلم فيهم الحارث بن كلدة. جميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً: سبعة من قريش، وأربعة من الأنصار، ورجل من بني ليث.

فلما انصرف رسول الله ﷺ عن الطائف بعد القتال والحصار، قال بجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حنيناً والطائف:

كَانَتْ غَلَالَةً^(١) يَوْمَ بَطْنِ حَنْيْنٍ^(٢) وَغَدَاةَ أَوْطَاسٍ^(٣) وَيَوْمَ الْأَبْرِقِ^(٤)
جَمَعَتْ بِإِغْوَاءٍ^(٥) هَوَازِنَ جَمْعَهَا فَتَبَدُّوا كَالطَّائِرِ الْمُتَمَرِّقِ^(٦)
لَمْ يَمْنَعُوا مِنَّا مَقَامًا وَاحِدًا إِلَّا جَذَارَهُمْ وَبَطْنَ^(٧) الْخَنْدَقِ
وَلَقَدْ تَعَرَّضْنَا لِكَيْمَا يَخْرُجُوا فَتَحَصَّنُوا مِنَّا بِبَابِ مُغْلَقِ
تَرْتَدُّ حُسْرَانًا إِلَى رَجْرَاجَةٍ شَهْبَاءَ تَلْمَعُ بِالْمَنَآيَا فَيَلْقِ^(٨)
مَلْمُومَةٍ خَضِرَاءَ لَوْ قَدَفُوا بِهَا حَصْنًا لَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقِ^(٩)
مَشَى الضَّرَاءُ^(١٠) عَلَى الْهَرَّاسِ^(١١) كَأَنَّا قُدْرُ^(١٢) تَفَرَّقُ فِي الْقِيَادِ وَتَلْتَقِي
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ إِذَا اسْتَحْصَنْتْ كَالنَّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَقِّقِ^(١٣)
جَدَلٌ تَمَسُّ فُضُولُهُنَّ^(١٤) نِعَالَنَا مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ وَآلِ مُحَرِّقِ^(١٥)

(١) الغلالة: جزي بعد جزي، أي قتال بعد قتال. وحذف التنوين للضرورة.

(٢) حنين: تصغير حنين.

(٣) أوطاس: واد في ديار هوازن.

(٤) يوم الأبرق: الأبرق مكان غليظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة.

(٥) الإغواء: الإضلال. والغي: خلاف الرشد.

(٦) المتمرق: المتساقط المنتثر.

(٧) بطن الخندق: جوفه.

(٨) حسرى: جمع حسير: الرجاجة: الكنية الضخمة. الشهباء: البيضاء لما فيها من لمعان الحديد.

(٩) ملمومة: مجمعة. خضراء: لما بها من السلاح. حصن: جبل بأعلى نجد.

(١٠) مشى الضراء: أي في استخفاء وتختل.

(١١) الهراس: نبات له شوك.

(١٢) قدر: جمع قدور، وهي الخيل تجعل أرجلها في مواضع أيديها إذا مشت. ويروى: «قُدْر» بالفاء، وهي

الوعول المسنة.

(١٣) السابغة: الدرع التامة. والنهي: الغدير من الماء.

(١٤) فضولهن: أطرافهن.

(١٥) الجدول: جمع جدلاء، وهي الدرع الجيدة النسج. آل محرق: آل عمرو بن هند ملك الحيرة.

[أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها، وإنعام رسول الله ﷺ فيها]

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا^(١) حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس، ومعه من هوازن سبئي كثير، وقد قال له رجل من أصحابه يوم طعن عن ثقيف: يا رسول الله، اذع عليهم! فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اهد ثقيفا وأت بهم».

ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة، وكان مع رسول الله ﷺ من سبئي هوازن سبئة آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والشاة ما لا يُدرى ما عدته. فقالوا: يا رسول الله، إنا أضل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا من الله عليك. وقام رجل من هوازن ثم أحد بني سعد بن بكر، يقال له زهير، يكنى أبا ضرر، فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر^(٢) عماتك وخالاتك وحواضنك^(٣) اللاتي كنن يكفلنك، ولو أنا ملحن^(٤) للحارث بن أبي شمر، أو للثعمان بن المُنذر، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائده^(٥) علينا، وأنت خير المكفولين! فقال رسول الله ﷺ: «أبناؤكم ونسأؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟» فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل نرود إلينا نساءنا وأبنائنا، فهو أحب إلينا. فقال لهم: «أما ما كان لي ولبنتي عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس، فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكُم عند ذلك، وأسأل لكم». فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به، فقال رسول الله ﷺ: «وأما ما كان لي ولبنتي عبد المطلب فهو لكم». فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو إلى رسول الله ﷺ. وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا. وقال

(١) دحنا: مخلاف من مخاليف الطائف. والمخلاف: الكورة، وهي كالمحافظة أو المديرية في التقسيم الإداري الحديث.

(٢) الحظائر: جمع حظيرة، وهي الزرب يصنع للإبل والغنم ليكفها. وكان السبي يوضع في حظائر.

(٣) حواضنك: اللاتي أرضعنك، وكانت حاضنة الرسول من بني سعد بن بكر، من هوازن.

(٤) ملحن: أرضعنا. والملح: الرضاع. (٥) العائدة: الفضل العائد.

عُيَيْتُهُ بن حِصْن : أَمَا أَنَا وَبَنُو فَرَّازَةَ فَلَ . وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ : أَمَا أَنَا وَبَنُو سُليْمٍ فَلَ . فَقَالَتْ بَنُو سُليْمٍ : بَلَى ، مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . يَقُولُ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ لِبَنِي سُليْمٍ : وَهَنْتُمُونِي ^(١) . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَا مَنْ تَمَسَّكَ مِنْكُمْ بِحَقِّهِ مِنْ هَذَا السَّجِّي فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَائِضَ . مِنْ أَوَّلِ سَجِّي أَصِيبُهُ ، فَوُذُّوا إِلَى النَّاسِ أُنْبَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ » . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْفِدِ هَوَازِنَ ، وَسَأَلَهُمْ عَنْ مَالِكِ بْنِ عَزُوفٍ : « مَا فَعَلَ ؟ » . فَقَالُوا : هُوَ بِالطَّائِفِ مَعَ ثَقِيفٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَحْبِزُوا مَالِكًا أَنَّهُ إِنْ أَتَانِي مُسْلِمًا رَدَدْتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، وَأَعْطَيْتُهُ مَائَةً مِنَ الْإِبِلِ » . فَأَتَى مَالِكٌ بِذَلِكَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّائِفِ . وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ خَافَ ثَقِيفًا عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ مَا قَالَ فَيَحْبِسُوهُ ، فَأَمَرَ بِرَاجِلَتِهِ فَهَيَّيْتُ لَهُ ، وَأَمَرَ بِفَرَسٍ لَهُ فَأَتَى بِهِ إِلَى الطَّائِفِ ، فَخَرَجَ لَيْلًا فَجَلَسَ عَلَى فَرَسِهِ ، فَزَكَّضَهُ حَتَّى أَتَى رَاجِلَتَهُ حَيْثُ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُحْبَسَ ، فَزَكَّضَهَا ، فَلَحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَذْرَكَهُ بِالْجُعْرَانَةِ أَوْ بِمَكَّةَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، وَأَعْطَاهُ مَائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَسْلَمَ فَحَسَنَ إِسْلَامُهُ ، فَقَالَ مَالِكُ بْنُ عَزُوفٍ حِينَ أَسْلَمَ :

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ
أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ ^(٢) إِذَا اجْتَدِي ^(٣) وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرَكَ عَمَّا فِي غَدٍ
وَإِذَا الْكَتِيبَةُ عَرَدَتْ أَنْيَابُهَا بِالسَّمْهَرِيِّ وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنَّدٍ ^(٤)
فَكَأَنَّهُ لَيْتَ عَلَى أَشْبَالِهِ وَسَطَ الْهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِي مَرْصَدٍ ^(٥)
فَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، وَتِلْكَ الْقَبَائِلُ : ثُمَالَةُ ، وَسَلِمْةُ ،
وَفَهْمُ ، فَكَانَ يَقَاتِلُ بِهِمْ ثَقِيفًا ، لَا يَخْرُجُ لَهُمْ سَوْخٌ ^(٦) إِلَّا أَغَارَ عَلَيْهِ ، حَتَّى ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ ،
فَقَالَ أَبُو مِخْجَنٍ الثَّقَفِيُّ :

هَابَتِ الْأَعْدَاءُ جَانِبَنَا ثُمَّ تَغَرَّوْنَا بَنُو سَلِمْةَ

(١) وهنتموني : أضعفتموني .

(٢) للجزيل : للعظيم .

(٣) اجتدي : شغل .

(٤) عردت : أحجمت وفرت . والأنياب : سادات القوم . السمهري : الرمح . المهند : السيف المنسوب إلى الهند .

(٥) الهباءة : الغبار يثور عند اشتداد الحرب . الخادر : الذي في عرينه . المرصد : المكان يرقب منه ، ينعته باليقظة .

(٦) سرح : السرح الماشية التي تُغدى وتُراح .

وَأَتَانَا مَالِكُ بِهِمْ نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَالْحُرْمَةِ
وَأَتُونَا فِي مَنَازِلِنَا وَلَقَدْ كُنَّا أُولَى نَقِمَةٍ
ولما فَرَّخَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ من رد سبایا حُنَينَ إلى أهلها، ركب، واتبعه الناس
يقولون: يا رسولَ الله، أَقْسِمُ عَلَيْكَ فَيَتَنَا مِنَ الْإِبِلِ وَالْعَنَمِ! حَتَّى أَلْجُئُوهُ إِلَى شَجَرَةٍ،
فَاخْتَطَفْتُ عَنْهُ رِدَاءَهُ، فَقَالَ: «رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي أَيُّهَا النَّاسُ، فَوَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانَ لَكُمْ بَعْدِي
شَجَرٌ تِهَامَةٌ نَعْمًا لَقَسَمْتُ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ مَا أَلْفَيْتُمُونِي بِخِيَلًا وَلَا جَبَانًا وَلَا كَذَابًا». ثُمَّ قَامَ إِلَى
جَنْبِ بَعِيرٍ فَأَخَذَ وَبَرَةً مِنْ سَنَامِهِ فَجَعَلَهَا بَيْنَ أَصْبَعَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ،
وَاللَّهِ مَالِي مِنْ فَيْيُكُمْ وَلَا هَذِهِ الْوَبَرَةُ إِلَّا الْخُمُسُ، وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ، فَأَدُّوا الْخِيَاطَ
وَالْمِخْيِطَ^(١)، فَإِنَّ الْغُلُولَ^(٢) يَكُونُ عَلَى أَهْلِهِ عَارًا وَنَارًا وَسَنَارًا^(٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فَجَاءَ
رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِكَبَّةٍ^(٤) مِنْ خُبُوطِ شَعَرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخَذْتُ هَذِهِ الْكَبَّةَ أَعْمَلُ
بِهَا بَزْدَعَةً بَعِيرٍ لِي دَبِيرٍ^(٥). فَقَالَ: أَمَّا نَصِيبِي مِنْهَا فَلَكَ! قَالَ: أَمَّا إِذْ بَلَغْتُ هَذَا فَلَا حَاجَةَ
لِي بِهَا. ثُمَّ طَرَحَهَا مِنْ يَدِهِ.

قال ابن هشام: وذكر زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ دَخَلَ يَوْمَ حُنَيْنٍ
عَلَى امْرَأَتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَسَيْفُهُ مُتَلَطِّخٌ دَمًا، فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّكَ قَدْ
قَاتَلْتَ، فَمَاذَا أَصَبْتَ مِنْ غَنَائِمِ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ: دُونَكَ هَذِهِ الْإِبْرَةُ تَخِيطِينَ بِهَا ثِيَابَكَ،
فَدَفَعَهَا إِلَيْهَا، فَسَمِعَ مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ أَخَذَ شَيْئًا فَلْيُرُدِّهِ، حَتَّى الْخِيَاطُ
وَالْمِخْيِطُ. فَرَجَعَ عَقِيلٌ، فَقَالَ: مَا أَرَى إِبْرَتَكَ إِلَّا قَدْ ذَهَبَتْ، فَأَخَذَهَا، فَأَلْقَاهَا فِي الْغَنَائِمِ.

وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ، وَكَانُوا أَشْرَافًا مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، يَتَأَلَّفُهُمْ
وَيَتَأَلَّفُ بِهِمْ قَوْمَهُمْ، فَأَعْطَى أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَزْظٍ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى ابْنَةَ مُعَاوِيَةَ مِائَةَ بَعِيرٍ،
وَأَعْطَى حَكِيمَ بْنَ جَزَامٍ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى الْحَارِثَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى
الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى شَهْدِلَ بْنَ عَمْرِو مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى خُوَيْطِبَ بْنَ
عَبْدِ الْغَزَى مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى الْغَلَاءَ بْنَ جَارِيَةَ الثَّقَفِيِّ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ بْنَ جِصْنٍ

(١) الخياط: الخيط. والمخييط: الإبرة.

(٢) الغلول: الخيانة في المغنم ونحوه.

(٣) السنار: أقبح العار.

(٤) الكبة: ما جمع من الغزل ونحوه.

(٥) الدبر: الذي به الدبر، وهي القروح.

مائة بغير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بغير ، وأعطى مالك بن عوف النصري مائة بغير ، وأعطى صفوان بن أمية مائة بغير ، فهؤلاء أصحاب المئين .

وأعطى دون المائة رجالاً من قريش ، منهم مخزومة بن نوفل الزهري ، وعمير بن وهب الجمحي ، وهشام بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي . لا أحفظ ما أعطاهم . وقد عرفت أنها دون المائة . وأعطى سعيد بن يزوع بن عنكشة خمسين من الإبل ، وأعطى السهمي خمسين من الإبل .

وأعطى عباس بن مرداس أبا عزة فسخطها ، فعاتب فيها رسول الله ﷺ ، فقال عباس ابن مرداس يعاتب رسول الله ﷺ :

كَانَتْ نِهَابًا^(١) تَلَا فِيْهَا^(٢) بِكَرِيٍّ عَلَى الْمُهْرِ فِي الْأَجْرِ^(٣)
وَإِبْقَاطِي الْقَوْمَ أَنْ يَرْقُدُوا إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعْ^(٤)
فَأَصْبَحَ نَهَبِي وَنَهَبُ الْعَبِيدِ بَيْنَ غَيْنَةٍ وَالْأَقْرَعِ^(٥)
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْخَرْبِ ذَا تَذَرٍ فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُنْعَ^(٦)
إِلَّا أَفَائِلَ أُغْطِيْهَا عَدِيدَ قَوَائِمِهَا الْأَرْزَعِ^(٧)
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ شَيْخِي^(٨) فِي الْمَجْمَعِ^(٩)
وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَصْعَ الْيَوْمَ لَا يُزْفَعِ
فقال رسول الله ﷺ : « اذْهَبُوا بِهِ ، فَاقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ » فَأَعْطَوْهُ حَتَّى رَضِيَ . فكان ذلك قَطْعَ لِسَانِهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(١٠) .

(١) النهاب : جمع نهب ، وهو ما ينهب ويغنم .

(٢) تلافيها : تدراكها ، أو أدركت ثأرها . (٣) الأجرع : المكان السهل .

(٤) لم أهجع : لم أنم . (٥) العبيد ، بالتصغير اسم فرس العباس .

(٦) ذا تذر : ذا دفع عن قومي . لم أعط شيئاً ، أي شيئاً طال .

(٧) الأفائل : جمع أفيل ، وهو الصغير من الإبل .

(٨) شيخي ، يريد به أباه مرداساً . ويروى : « شيخي » بتشديد الياء ، يريد أباه وجده . ويروى : « يفوقان مرداس » .

(٩) المجمع : الملتقى ، موضع الاجتماع أو التلاقي .

(١٠) قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن عباس بن مرداس أتى رسول الله ﷺ فقال له : أنت القاتل فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟ فقال أبو بكر الصديق : بين عيينة والأقرع . فقال رسول الله ﷺ : هما واحد . فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » .

عن أبي سعيد الخدري قال : لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قریش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحبي من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة^(١) ، حتى قال قائلهم : لقد لقي والله رسول الله ﷺ قومه ! فدخل عليه سعد بن عباد فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحبي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ، لما صنعت في هذا القبي الذي أصبت ؛ فسمنت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحبي من الأنصار منها شيء ! قال : « فأتين أنت من ذلك يا سعد ؟ » قال : يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي . قال : « فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة » . فخرج سعد ، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم . فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحبي من الأنصار . فاتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « يا معشر الأنصار ، ما قاله بلغني عنكم ، وجدة^(٢) وجدتموها علي في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضللا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ! » قالوا : بلى ، والله ورسوله أمر وأفضل^(٣) ! ثم قال : « ألا تحبونني يا معشر الأنصار ؟ » قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المرف والفصل . قال ﷺ : « أما والله لو شئتم لقلتم ، فلصدقتهم ولصدقتهم : أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فتصرنناك ، وطريدا فأوتيناك ، وعائلا فأسيناك^(٤) . أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة^(٥) من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلكم إلى إسلامكم ! ألا ترضون يا معشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالنساء والبغير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولولا سلك الناس شغبنا^(٦) وسلك الأنصار شغبنا لسلك شغب الأنصار ! اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار ؟ » قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم^(٧) ، وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا .

(١) القالة : الكلام الرديء .

(٢) الجدة : الغضب .

(٣) أمن : أكثر منة ، وهي النعمة .

(٤) آسيناك : أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا .

(٥) اللعاعة ، بالضم : البقية اليسيرة .

(٦) الشعب : الطريق بين جبلين .

(٧) أخضلوا : بللوا .

الفصل السابع عشر

عمرة الجعرانة إلى غزوة تبوك

[غزوة رسول الله ﷺ من الجعرانة]

واستخلافه عتّاب بن أسيد على مكة ، وحجّ عتّاب بالمسلمين سنة ثمان]

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة مُعْتَمِرًا ، وأمر ببقايا الفَيءِ فُحِسَ بِمَجَنَّةٍ بناحية مَرِّ الظُّهْرَانِ ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عُمرَتِهِ انصرف راجعًا إلى المدينة ، واستخلف عتّاب بن أسيد على مكة . وخلف معه مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يُفَقِّهُ النَّاسَ فِي الدِّينِ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ ، وَاتَّبَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَبَقَايَا الْفَيءِ^(١) .

وكانت عُمرَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فِي بَقِيَةِ ذِي الْقَعْدَةِ ، أَوْ فِي ذِي الْحِجَّةِ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَجَّ النَّاسُ تِلْكَ السَّنَةَ عَلَى مَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَحُجُّ عَلَيْهِ ، وَحَجَّ بِالْمُسْلِمِينَ تِلْكَ السَّنَةَ عَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ ، وَهِيَ سَنَةُ ثَمَانَ ، وَأَقَامَ أَهْلَ الطَّائِفِ عَلَى شُرُوكِهِمْ وَامْتِنَاعِهِمْ فِي طَائِفِهِمْ ، مَا بَيْنَ ذِي الْقَعْدَةِ إِذْ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ .

[أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف]

ولما قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مُنْصَرَفِهِ عَنِ الطَّائِفِ كَتَبَ بُجَيْرُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ أَبِي سُلَمَى إِلَى أَخِيهِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ يَخْبِرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَتَلَ رَجُلًا بِمَكَّةَ مِمَّنْ كَانَ يَهْجُوهُ وَيُؤْذِيهِ ، وَأَنَّ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ شُعْرَاءِ قُرَيْشٍ : ابْنُ الرَّبْعَرِيِّ وَهُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ ، قَدْ هَرَبُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ ، فَطَرُودًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ أَحَدًا جَاءَهُ تَائِبًا ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَاتَّجِ إِلَى نَجَائِكَ مِنَ الْأَرْضِ . وَكَانَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ قَدْ قَالَ :
أَلَا أُنَبِّغَا عَنِّْي بُجَيْرًا رِسَالَةً فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ وَيَحْكُ هَلْ لَنَا

(١) قال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبي ﷺ عتّاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام فخطب الناس ، فقال : أيها الناس أجاج الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقني رسول الله ﷺ درهمًا كل يوم ، فليست بي حاجة إلى أحد .

فَبَيِّنْ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ ذَلِكَ
 عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلَفِ يَوْمًا أَبَا لَهُ عَلَيْهِ وَمَا تُلَفِي عَلَيْهِ أَبَا لَكَ (١)
 فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتَ بِأَسِيفٍ وَلَا قَائِلٍ إِمَّا عَنَزْتَ : لَعَا لَكَ (٢)
 سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأَسَا رَوِيَّةً فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ (٣)
 قال : وَبَعَثَ بِهَا إِلَى بُجَيْرٍ ، فَلَمَّا أَتَتْ بُجَيْرًا كَرِهَ أَنْ يَكْتُمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْشَدَهُ
 إِثَّاهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا سَمِعَ « سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ » : « صَدَقَ وَإِنَّهُ لَكَذُوبٌ ، أَنَا
 الْمَأْمُونُ » . وَلَمَّا سَمِعَ « عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلَفِ أُمًّا وَلَا أَبَا عَلَيْهِ » قَالَ : « أَجَلٌ لَمْ يُلَفِ عَلَيْهِ أَبَاهُ
 وَلَا أُمُّهُ » .

قال ابن إسحاق : لما بلغ كَعْبُ الْكِتَابِ ضَاقت به الأرض ، وَأَشْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ .
 وَأَوْجَفَ (٤) مَنْ كَانَ فِي حَاضِرِهِ مِنْ عَدُوِّهِ ، فَقَالُوا : هُوَ مَقْتُولٌ . فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ مِنْ شَيْءٍ
 بُدًّا ، قَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَذَكَرَ فِيهَا خَوْفَهُ وَإِرْجَافَ الْوُشَاةِ بِهِ
 مِنْ عَدُوِّهِ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَنَزَلَ عَلَى رَجُلٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ مِنْ جُهَيْنَةَ ،
 كَمَا ذَكَرَ لِي ، فَعَدَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ ، فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
 ثُمَّ أَشَارَ لَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ، فَقُمَّ إِلَيْهِ فَاسْتَأْمَنَهُ . فَذَكَرَ لِي أَنَّهُ
 قَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ إِلَيْهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 لَا يَعْرِفُهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ قَدْ جَاءَ لِيَسْتَأْمِنَ مِنْكَ تَائِبًا مُسْلِمًا ، فَهَلْ
 أَنْتَ قَائِلٌ مِنْهُ إِنْ أَنَا جِئْتُكَ بِهِ ؟ فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَعَمْ » . قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ
 كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّهُ وَثَبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ
 الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَغْنِي وَعَدُوُّ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « دَغْنُ

(١) وفي رواية أخرى ذكرها ابن هشام :

عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلَفِ أُمًّا وَلَا أَبَا عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَحَدًا لَكَ

(٢) بِأَسِيفٍ : بِنَادِمٍ . وَقَوْلُهُ « لَعَالِكَ » كَلِمَةٌ تَقَالُ لِلْعَاثِرِ ، يَدْعِي لَهُ بِهَا ، وَمَعْنَاهَا قُمْ فَانْتَعِشْ .

(٣) أَنْهَلَكَ : سَقَاكَ النَّهْلَ ، وَهُوَ الشَّرْبُ الْأَوَّلُ ، وَعَلَّكَ ، سَقَاكَ الْعَلَلَ ، وَالْعَلَلُ : الشَّرْبُ الثَّانِي .

(٤) أَرْجَفَ : خَاضَ فِي الْأَخْبَارِ السَّيِّئَةِ وَذَكَرَ الْفَنَ .

عَنْكَ فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِبًا ، نَازِعًا عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ . فغضب كَعْبٌ عَلَى هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، لِمَا صَنَعَ بِهِ صَاحِبُهُمْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَقَالَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي قَالَ حِينَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَثْبُولٌ مُتَمِّمٌ^(١) إِنْهَا لَمْ يُفَدَ^(٢) مَكْبُولٌ^(٣)
نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ
مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً أَلَا قُرْآنٌ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلٌ
لَا تَأْخُذَنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أَذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقْوَابِلِ
لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ يَرَى وَيَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفِيلُ
لَظَلَّ يَزْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ
مَا زِلْتُ أَقْتَطِعُ الْبَيْدَاءَ مُدْرِعًا جُنْحُ الظَّلَامِ وَتَوْبُ اللَّيْلِ مَسْبُولُ^(٤)
حَتَّى وَصَفْتُ يَمِينِي مَا أَنَا زَعُهُ فِي كَفِّ ذِي نَقَمَاتٍ^(٥) قِيلُهُ الْقِيلُ^(٦)
فَلَهُوَ أَخَوْفُ عِنْدِي إِذْ أَكَلَّمُهُ وَقِيلَ إِنَّكَ مَنَسُوبٌ وَمَسْئُولُ^(٧)
مِنْ ضَيْعِمٍ بِضَرَاءِ الْأَرْضِ مَخْذَرُهُ فِي بَطْنِ عَشْرِ غَيْلٍ ذُوْنُهُ غَيْلُ^(٨)
يَغْدُو فَيُلْحِمُ ضِرْعَامَيْنِ عَيْشُهُمَا لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خِرَادِيلُ^(٩)
إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا^(١٠) لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَشْرَكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَقْلُولُ^(١١)
مِنْهُ تَظَلُّ سَبَاغُ الْجَوِّ نَافِرَةٌ وَلَا تَمَشِّي يَوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ^(١٢)

- (١) البين : الفراق ، وبانت : ذهبت وفاتت . وسعاد ، اسم صاحبه . ومثبول : هالك . والتبل ، بفتح فسكون ، هو الهلاك وطلب الثأر . ومتيم : معبد مذلل . ويروى : « متيم عندها لم يجز » .
(٢) يُفَدَ : لم يُخْلَصْ مما فيه ، لم يستنقذ من أسره بمال أو غيره . (٣) مكبول : أسير مقيد .
(٤) مدرعا : لابسا . والمراد شمول الظلام له .
(٥) ذي نقمات : نَقَمَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ : أَنْكَرَهُ وَعَابَهُ ، أَيِ يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ . (٦) أي قوله هو القول الحق .
(٧) منسوب ، أي إلى أمور صدرت منه وصارت موضع مساءلة .
(٨) الضيعم : الأسد . ضراء الأرض : ماواراك من شجر ونحوه . مخدر الأسد : أجمته وغابته . عثر : موضع مشهور بالأسد . الغيل : الأجمة ، الأجمة : الشجر الكثير الملتف .
(٩) يلحم : يطعم اللحم . معفور : ممرغ في العفر ، وهو التراب . خراويل : قطع .
(١٠) يساور : يواظب . قِرْنًا : مثله في الشجاعة والشدة والقتال والعلم وغير ذلك .
(١١) مقلول : مكسور منهزم . (١٢) الجو : اسم موضع . والأراجيل : الجماعات من الرجال .

وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثَقَّةٍ مُضَرَّجُ الْبُرِّ وَالْدَّرَسَانِ مَأْكُولٌ^(١)
 إِنَّ الرُّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ^(٢)
 فِي غَضَبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ يَبْطِنُ مَكَّةَ لَمَّا أَشْلَمُوا : زُؤِلُوا^(٣)
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَاذِيلُ^(٤)
 ثُمَّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالَ لَبُوسُهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ^(٥)
 بَيْضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا خَلْقٌ كَأَنَّهَا خَلَقَ الْقَفْعَاءَ مَجْدُولُ^(٦)
 لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَأَلَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا ، وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا^(٧)
 يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ صَرَبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودَ الشَّنَابِيلُ^(٨)
 لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَالَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ^(٩)

(١) مضرج : مخضب بالدماء . والبز : السلاح . والدردسان ، بكسر الدال وسكون الراء : جمع درس ، وهو الثوب الخلق البالي .

(٢) يستضاء به : أي يهتدى به إلى الحق . مهند : سيوف الهند ، مضرب المثل في الجودة .

(٣) « في عصابة » يروي أيضًا : « في فتية » . وزولوا : انتقلوا من مكان إلى مكان .

(٤) أنكاس : جمع نكس بالكسر ، وهو الرجل الضعيف . سمي بذلك تشبيهًا بالنكس من السهام وهو الذي انكسر فوقه . والكشف : جمع أكشف ، وهو الذي لا ترس معه في الحرب . والميل : جمع أميل ، وهو الذي لا سيف معه ، أو هو الذي لا يحسن ركوب الخيل ولا يستقر على السرج . والمعازيل : جمع معزال ، وهو الذي لا سلاح معه .

(٥) الشم : جمع أشم ، وهو الذي في قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه ، وذلك من علامات السيادة والكرم . والعرائين : جمع عرين ، وهو الأنف . والأبطال : جمع بطل ، وهو الرجل الشجاع ، وسمي بذلك لأنه تبطل عنده الدماء وتهدر ولا ينال منه ثأر . ونسج داود أراد به الدروع . والهيحاء : الحرب ، وأصله ممدود فقصره . والسراويل : جمع سربال . سربال : درع .

(٦) بيض : جمع أبيض ، وسوابغ : جمع سابغ ، وهو الطويل التام ، وهذان وصفان للسراويل في البيت السابق . شكت : أراد نسجت ، وأصل الشك إدخال الشيء في الشيء . ويروي : « سكت » بالسين المهملة ، ومعناه ضيقت . والحلق : جمع حلقة ، بفتح فسكون . والقفعاء : شجر ينسبط على وجه الأرض يشبه حلق الدروع . ومجدول : محكم الصنعة .

(٧) مفاريح : جمع مفراح ، ومجازيع : جمع مجزاع ، وكلاهما صيغة مبالغة من الفرح ومن الجزع . يريد أنهم إذا تغلبوا على عدوهم لم يفرحوا لذلك ، لأن هذا أمر تعودوه ، وإذا غلبهم أحد لم يجزعوا ، لأنهم يعلمون أن الأمور بيد الله ، وأنهم منتصرون عليه فيما بعد .

(٨) الزهر : جمع أزهر ، وهو الأبيض ، وعرد : نكب عن قرنه وهرب منه . والتنايل : جمع تنبال ، وهو القصير .

(٩) وصفهم بأنهم لا يفرون فيقع الطعن في ظهورهم ، بل من شأنهم الإقدام على أعدائهم فيقع الطعن في نحورهم وصدورهم . تهليل : فرار . هلال عن قرنه تهليلًا ، إذا فر .

قال عاصم بن غمر بن قتادة : فلما قال كعب : « إِذَا عَرَدَ الشُّوْدُ التَّنَائِيلُ » . وإنما يريدنا مَعَشَرَ الأنصار لما كان صاحبنا صَنَعَ به ما صنع ، وَخَصَّ المهاجرين من قُرَيْشٍ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ بِمَدْحَتِهِ - غَضِبَتْ عليه الأنصار ، فقال بعد أن أَسْلَمَ يَمْدَحُ الأنصارَ وَيَذْكُرُ بِلَاءَهُمْ مع رسولِ الله ﷺ ، وَمَوْضِعُهُمْ مِنَ الْيَمَنِ :

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مَقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ^(١)
وَرِثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ إِنَّ الْخِيَارَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
الْمُكْرِهِينَ السَّمْهَرِيَّ^(٢) بِأَذْرَعِ كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ^(٣)
وَالنَّاطِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُخَمَّرَةٍ كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْأَنْصَارِ
وَالْبَائِعِينَ نَفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ لَلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانِقِي وَكِرَارِ
وَالذَّائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَذْيَانِهِمْ بِالْمَشْرِفِيِّ وَيَالِقَنَا الْخَطَارِ^(٤)
يَتَطَهَّرُونَ يَرُونَهُ نُسْكَأَ لَهُمْ بِدِمَاءٍ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الْكُفَّارِ
دَرَبُوا كَمَا دَرَبْتُ بِبَطْنِ خَفِيَّةِ غُلِبَ الرِّقَابُ مِنَ الْأَسْوَدِ ضَوَارِي^(٥)
وَإِذَا حَلَلْتُ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمْ أَضْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاقِلِ الْأَغْفَارِ^(٦)
صَرَبُوا عَلَيَّا^(٧) يَوْمَ بَذَرِ صُرْبَةٍ دَانَتْ لَوْقَعَتِهَا جَمِيعُ نِزَارِ^(٨)
لَوْ يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ عِلْمِي كُلَّهُ فِيهِمْ لَصَدَّقَنِي الَّذِينَ أُمَارِي^(٩)

(١) أصل المقنب الجماعة من الخيل ، وجمعه المقانب ، أراد الفرسان .

(٢) السمهري : الرمح .

(٣) كسوالف : كجوانب . « كسوالف الهندي » . يريد الرماح . والرماح قد تنسب إلى الهند كما تنسب إلى الخط . انظر ديوان كعب ص ٢٦ .

(٤) الذائدين : المانعين والدافعين . وقد وقع في نسخة : « والقائدين » . والمشرقي : السيف . والخطار : المهتز .

(٥) دربوا : تعودوا . وخفية : موضع تنسب إليه الأسود . وغلب الرقاب : غلاظها . وضوار : متعودة الصيد ، جمع ضار .

(٦) معاقل : جمع معقل ، وهو الموضع الذي يمتنع فيه من احتله . والأغفار : جمع غفر ، وهو ولد الوعل . ويضرب بها المثل في الامتناع .

(٧) عليًا : أراد به علي بن مسعود بن مازن الغساني . وإليه تنسب بنو كنانة لأنه كفل ولد أخيه عبد مناة بن كنانة بعد وفاته ، فنسبوا إليه .

(٨) نزار : قبيلة .

(٩) أماري : أجادل .

فَزُومَ إِذَا خَوَتْ النُّجُومُ فَإِنَّهُمْ لِلطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارِي^(١)
فِي الْغُرِّ مِنْ عَسَانَ مِنْ جُرْثُومَةٍ^(٢) أَغْيَتْ مَحَافِرَهَا عَلَى الْمِنْقَارِ^(٣)
قال ابن هشام : ويُقال : إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده :

« بَأَنْتَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَثْبُولٌ » : « لَوْلَا ذَكَرْتَ الْأَنْصَارَ بِخَيْرٍ ، فَإِنَّهُمْ لَذَلِكَ أَهْلٌ ! »
فقال كَعْبٌ هذه الأبيات ، وهي في قصيدة له . وَذَكَرَ لِي عَنْ عَلِيٍّ بْنِ رَيْدٍ بْنِ جُدْعَانَ أَنَّهُ
قال : أَنْشَدَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ : « بَأَنْتَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَثْبُولٌ » .

[عَزْوَةُ تَبُوكَ فِي رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ]

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحِجَّةِ إلى رَجَبٍ ، ثم أمر الناس بالتَّهَيُّؤِ
لِعَزْوِ الرُّومِ . وقد ذَكَرَ لَنَا الزُّهْرِيُّ ، وَيَزِيدُ بْنُ زُوْمَانَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَعَاصِمُ بْنُ
عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمَائِنَا ، كُلُّ حَدَّثَ فِي عَزْوَةِ تَبُوكَ مَا بَلَغَهُ عَنْهَا ، وَبَعْضُ الْقَوْمِ
يُحَدِّثُ مَا لَا يُحَدِّثُ بَعْضٌ . أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالتَّهَيُّؤِ لِعَزْوِ الرُّومِ ، وَذَلِكَ فِي
زَمَانٍ مِنْ عُشْرَةِ مِنَ النَّاسِ ، وَشِدَّةٍ مِنَ الْحَرِّ ، وَجَذْبٍ مِنَ الْبِلَادِ ، وَحِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ ،
وَالنَّاسُ يُجِئُونَ الْمَقَامَ فِي ثِمَارِهِمْ وَظِلَالِهِمْ ، وَيَكْرَهُونَ الشَّخُوصَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الزَّمَانِ
الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلَمًا يَخْرُجُ فِي عَزْوَةِ إِلَّا كَتَى عَنْهَا ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ
غَيْرَ الْوَجْهِ الَّذِي يَصْمَدُ لَهُ^(٤) إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَزْوَةِ تَبُوكَ ، فَإِنَّهُ يَبَيِّنُهَا لِلنَّاسِ ، لِبُعْدِ الشُّقَّةِ^(٥)
وَشِدَّةِ الزَّمَانِ ، وَكَثْرَةِ الْعَدُوِّ الَّذِي يَصْمَدُ لَهُ ، لِيَتَأَهَّبَ النَّاسُ لَذَلِكَ أَهْبَتَهُ . فَأَمَرَ النَّاسَ
بِالْجِهَازِ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يَرِيدُ الرُّومَ .

فقال رسول الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي جِهَازِهِ ذَلِكَ لِلْحَدِّ بْنِ قَيْسٍ ، أَحَدُ بَنِي سَلَمَةَ :
« يَا جَدُّ هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟ »^(٦) فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْ تَأْذُنُ لِي
وَلَا تَفْتِنَنِي؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ قَوْمِي أَنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ بِأَشَدَّ عُجْبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي ، وَإِنِّي أَخْشَى إِنْ

(١) خوت النجوم : سقطت ولم تمطر في نوتها . والطارقين : الذين يأتون ليلاً . والقاري : جمع مقرٍ : وهو
الكثير الإطعام للضيف .

(٢) جرثومة : الأصل . (٣) المحافر : مواضع الحفر . والمنقار : حديدة كالفأس ينقر بها .

(٤) يصمد له : يقصده . (٥) الشقة : بعد المسير .

(٦) بنو الأصفر : هم الروم .

رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ . فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ : « قَدْ أَذْنُتُ لَكَ » . فِي الْبَحْدِ بْنِ قَيْسٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنُ لِي وَلَا تَفْتَحُ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ أَي : إِنْ كَانَ إِنَّمَا خَشِيَ الْفِتْنَةَ مِنْ نِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِهِ ، فَمَا سَقَطَ فِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ أَكْبَرُ ، بِتَخَلُّفِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالرَّغْبَةِ بِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ . يَقُولُ تَعَالَى : وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمِنْ وَرَائِهِ . وَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ زَاهِدَةً فِي الْجِهَادِ ، وَشَكَا فِي الْحَقِّ ، وَلَزَجَافًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِيهِمْ : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكِوْا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

قال ابن إسحاق : ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ جدَّ في سَفَرِهِ وأمرَ النَّاسَ بِالْجَهَادِ وَالْإِكْمَاشِ ، وَحَضَّ أَهْلَ الْغَنَى عَلَى التَّقَفِّ وَالْحُمْلَانِ^(١) فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَحَمَلَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الْغَنَى ، وَاسْتَسَبَّوْا ، وَأَنْفَقَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فِي ذَلِكَ نَفَقَةً عَظِيمَةً ، لَمْ يُنْفِقْ أَحَدٌ مِثْلَهَا^(٢) .

ثم إنَّ رجلاً من المسلمين أتوا رسولَ الله ﷺ وهم الْبَكَاءُونَ ، وَهُمْ سَبْعَةٌ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَغَيْرِهِمْ : مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ : سَالِمُ بْنُ عُثَيْرٍ ، وَعُلبَةُ بْنُ زَيْدٍ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ ، وَأَبُو لَيْلَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ أَخُو بَنِي مَارِ بْنِ النَّجَّارِ ، وَعَمْرُو بْنُ حُمَامٍ بْنُ الْجَعْمُوحِ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُغَفَّلِ الْمُزَنِّيَّ ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ : بَلْ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو الْمُزَنِّيَّ ، وَهَرَمِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخُو بَنِي وَاقِفٍ ، وَعِزْبَابُ بْنُ سَارِيَةِ الْفَزَارِيِّ - فَاسْتَحْمَلُوا^(٣) رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ ، فَقَالَ : « لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ » فَتَوَلَّوْا وَأَغْنَيْنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ . فَلَمَّعَنِي أَنْ ابْنَ يَامِينَ بْنِ عُثَيْرٍ بْنُ كَعْبٍ النَّضْرِيِّ لَقِيَ أَبَا لَيْلَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُغَفَّلِ ، وَهُمَا يَتَكِيَانِ ، فَقَالَ : مَا يُتَكِيَكُمَا ؟ قَالَا : جِئْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيَحْمِلَنَا فَلَمْ نَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُنَا عَلَيْهِ ،

(١) الْحَمْلَانُ : مَصْدَرُ حَمَلَ يَحْمِلُ ، وَقَدْ يَرَادُ بِهِ مَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الدَّوَابِّ .

(٢) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : حَدَّثَنِي مَنْ أَتَى بِهِ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أَنْفَقَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ ارْضُ عَنْ عُثْمَانَ ، فَإِنِّي عَنْهُ رَاضٍ » .

(٣) اسْتَحْمَلُوا : طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى الدَّوَابِّ .

وليس عندنا ما نَتَقَوَّى به على الخروج معه . فَأَعْطَاهُمَا نَاضِحًا لَهُ^(١) ، فَارْتَحَلَاهُ^(٢) ، وَزَوَّدَهُمَا شَيْئًا مِنْ تَمْرٍ ، فَخَرَجَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَجَاءَهُ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَغْذِرْهُمْ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَدْ ذَكَرَ لِي أَنَّهُمْ نَفَرُوا مِنْ بَنِي غِفَارٍ . ثُمَّ اسْتَنْتَبَ^(٣) بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَفَرَهُ ، وَأَجْمَعَ السَّيْرَ . وَقَدْ كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَقْبَطَاتَ بِهِمُ النَّيَّةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَخَلَّفُوا عَنْهُ ، عَنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا اِزْتِيَابٍ ، مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ أَبِي كَعْبٍ ، وَمُرَارَةُ بْنُ رَبِيعٍ ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَأَبُو حَيْثَمَةَ ، وَكَانُوا نَفَرَ صِدْقٍ لَا يُتَّهِمُونَ فِي إِسْلَامِهِمْ ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَرْبَ عَشْكِرُهُ عَلَى ثِيْبَةِ الْوَدَاعِ^(٤) .

وَضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُتَيْبٍ مَعَهُ عَلَى جِدَّةٍ عَشْكِرُهُ أَشْفَلَ مِنْهُ ، نَحْوُ ذُبَابٍ^(٥) ، وَكَانَ فِيمَا يُزْعَمُونَ لَيْسَ بِأَقْلَى الْعَشْكِرَيْنِ ، فَلَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَخَلَّفَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُتَيْبٍ ، فِيمَنْ تَخَلَّفَ مِنَ الْمَنَافِقِينَ وَأَهْلِ الرَّيْبِ ، وَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ ، وَأَمَرَهُ بِالْإِقَامَةِ فِيهِمْ ، فَأَزْجَفَ بِهِ الْمَنَافِقُونَ^(٦) ، وَقَالُوا : مَا خَلَفَهُ إِلَّا اسْتِثْقَالًا وَتَحَقُّفًا مِنْهُ . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ الْمَنَافِقُونَ ، أَخَذَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - سِلَاحَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجُوفِ^(٧) ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، زَعَمَ الْمَنَافِقُونَ أَنَّكَ إِنَّمَا خَلَفْتَنِي أَنَّكَ اسْتِثْقَلْتَنِي وَتَحَقَّقْتَ مِنِّي ! فَقَالَ : « كَذَبُوا ، وَلَكِنِّي خَلَفْتُكَ لِمَا تَرَكْتُ وَرَائِي ، فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهْلِكَ . أَفَلَا تَرَوْضِي يَا عَلِيُّ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » . فَرَجَعَ عَلِيٌّ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَفَرِهِ .

ثُمَّ إِنَّ أَبَا حَيْثَمَةَ رَجَعَ ، بَعْدَ أَنْ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيَّامًا ، إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ ،

(١) الناضح : الجمل الذي يستقي عليه الماء .

(٢) ارتحلاه : وضعه عليه الرحل .

(٣) استنتب : تابع واستمر .

(٤) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة . واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري .

(٥) ذباب : جبل بالمدينة .

(٦) الإرجاف : توليد الأخبار الكاذبة .

(٧) الجوف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ، به كانت أموال لعمر بن الخطاب ولأهل المدينة . والميل مقياس للطول يعادل ١٦٠٩ مترًا .

فوجد امرأتين له في عريشين^(١) لهما في حائطه^(٢)، قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماء، وهيات له فيه طعاما، فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأته وما صنعتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الضح^(٣) والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام مهيا، وامرأة حسناء، في ماله مقيم؟! ما هذا بالنصف^(٤). ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيا لي زادا، ففعلتا، ثم قدّم ناضحه فازتحله^(٥)، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة غمير بن وهب الجمحي في الطريق، يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك، قال أبو خيثمة لغمير بن وهب: إن لي ذنبا فلا عليك أن تحلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ. ففعل، حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك قال الناس: هذا راكب على الطريقي مقبل. فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة!» فقالوا: يا رسول الله، هو والله أبو خيثمة. فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أولى لك يا أبا خيثمة»^(٦). ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر، فقال له رسول الله ﷺ خيرا، ودعا له بخير.

وقد كان رسول الله ﷺ حين مرّ بالحجر^(٧) نزلها واستقى الناس من بئرها، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ: «لا تشربوا من مائها شيئا ولا تتوضؤوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاغلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئا. ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاجب له». ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ، إلا أن رجلا من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بغيره، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه حيق على مذهبه^(٨)، وأما الذي ذهب في طلب بغيره فاحتملته الريح، حتى طرحته

(١) العريش: شبيه بالخيمة، يظلل فيكون أبرد الأخبية والبيوت.

(٢) الحائط: الحديقة، أو بستان من النخل قد دار حوله بناء.

(٣) الضح: الشمس.

(٤) النصف: الإنصاف.

(٥) الناضح: البعير يستقي عليه. ارتحل: وضع عليه الرحل.

(٦) أولى لك: كلمة فيها معنى التهديد، وهي اسم سمي به الفعل. ومعناها فيما قال المفسرون: دنوت من الهلكة.

(٧) الحجر: قرية من نواحي المدينة بها عيون وآبار لبني سليم خاصة.

(٨) يقال لموضع الغائط: الخلاء، والمذهب.

بجبل طي، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه؟». ثم دعا رسول الله ﷺ للذي أصيب على مذهبه فشفي، وأما الآخر الذي وقع بجبل طي فإن طيًّا أهدته لرسول الله ﷺ حين قدِم المدينة. فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ، فأرسل الله سبحانه سحابة فأَمْطَرَتْ حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء. ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلَّت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه يُقال له عُمارة بن حزم، وكان عَقِيًّا بِدْرِيًّا^(١)، وهو عم بني عمرو بن حزم، وكان في رَحْلِهِ زَيْدُ بْنُ اللَّصِيْتِ الْفَيْثَقَاعِي، وكان منافقًا. فقال زَيْدُ بْنُ اللَّصِيْتِ وهو في رَحْلِ عُمَارَةَ، وعُمَارَةُ عند رسول الله ﷺ: أليس محمدٌ يزعم أنه نبيٌّ ويُخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ وعُمَارَةُ عنده: «إن رجلاً قال: هذا مُحَمَّدٌ يُخبركم أنه نبيٌّ، ويَزعم أنه يُخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته، وإني والله ما أعلم إلا ما عَلَّمَنِي اللهُ، وقد دَلَّنِي اللهُ عَلَيْهَا، وهي في هذا الوادي في شِعْبٍ كَذَا وَكَذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا، فَأَنْطَلَقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا». فذهبوا فجاءوا بها، فَرَجَعَ عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ إِلَى رَحْلِهِ، فقال: والله لَعَجِبْتُ مِنْ شَيْءٍ حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنفًا، عن مَقَالَةٍ قَاتِلٍ أَخْبَرَهُ اللهُ عَنْهُ بِكَذَا وَكَذَا- للذي قال زَيْدُ بْنُ لُصَيْتٍ- فقال رجلٌ ممن كان في رَحْلِ عُمَارَةَ ولم يَحْضُرْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: زَيْدٌ وَاللهِ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِي. فَأَقْبَلَ عُمَارَةُ عَلَى زَيْدٍ يَجَأُ فِي عُقْبِهِ^(٢) ويقول: إني عِبَادُ اللهِ، إن في رَحْلِي لَدَاهِيَّةً وما أشعر! اخْرُجْ أَيُّ عَدُوِّ اللهِ مِنْ رَحْلِي فَلَا تَصْحَبْنِي! فزعم بعض الناس أن زَيْدًا تاب بعد ذلك، وقال بعض الناس: لم يَزَلْ مُتَّهِمًا بِشَرٍّ حَتَّى هَلَكَ. ثم مضى رسول الله ﷺ سائرًا، فجعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تَخَلَّفَ فُلَانٌ! فيقول: «دَعُوهُ، فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ تَعَالَى بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللهُ مِنْهُ». حتى قيل: يا رسول الله، قد تَخَلَّفَ أَبُو دَرٍّ، وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ، فقال: «دَعُوهُ، فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللهُ مِنْهُ».

(١) عقيبا بدريا: شهد بيعة العقبة وبدرا.

(٢) يجأ في عنقه: يطلع فيها.

وَتَلَوْمٌ^(١) أَبُو ذَرٍّ عَلَى بَعِيرِهِ ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ ، أَخَذَ مَتَاعَهُ فَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شِئْنَا ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ ، فَنَظَرَ نَاطِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هَذَا لَرَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ وَخَدَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كُنْ أَبَا ذَرٍّ » . فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هُوَ وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « رَجِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ ، يَمْشِي وَخَدَهُ ، وَيَمُوتُ وَخَدَهُ ، وَيُتْبَعُ وَخَدَهُ » . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : لَمَّا نَفَى عُثْمَانُ أَبَا ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ وَأَصَابَهُ بِهَا قَدْرُهُ ، لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُهُ وَغُلَامُهُ ، فَأَوْصَاهُمَا : أَنْ اغْسِلَانِي وَكَفَّنَانِي ، ثُمَّ ضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، فَأَوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّ بِكُمْ فَقُولُوا : هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَعَيْنُونَا عَلَى دَفْنِهِ . فَلَمَّا مَاتَ فَعَلَا ذَلِكَ بِهِ ، ثُمَّ وَضَعَاهُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عُثْمَارٍ^(٢) فَلَمْ يَزِعْهُمْ إِلَّا بِالْجَنَازَةِ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، قَدْ كَادَتْ الْإِبِلُ تَطُوُّهَا ، وَقَامَ إِلَيْهِمُ الْغُلَامُ ، فَقَالَ : هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَعَيْنُونَا عَلَى دَفْنِهِ . قَالَ : فَاسْتَهَلَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَكِي وَيَقُولُ : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَمْشِي وَخَدَكَ ، وَتَمُوتُ وَخَدَكَ ، وَتُتْبَعُ وَخَدَكَ ! » ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَوَارَوْهُ . ثُمَّ حَدَّثَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَدِيثَهُ ، وَمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرِهِ إِلَى تَبُوكَ .

وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى تَبُوكَ أَتَاهُ يُحْنَةُ بْنُ زُوَيْبَةَ صَاحِبُ أُيْلَةٍ . فَصَالَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَعْطَاهُ الْجَزْيَةَ ، وَأَتَاهُ أَهْلُ جَزْبَاءَ ، وَأَذْرَحَ فَأَعْطَوْهُ الْجَزْيَةَ ، فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ كِتَابًا ، فَهُوَ عِنْدَهُمْ . فَكَتَبَ لِيُحْنَةَ بْنِ زُوَيْبَةَ . « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذِهِ أَمْنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِيُحْنَةَ بْنِ زُوَيْبَةَ وَأَهْلِ أُيْلَةٍ ، شَفِئِهِمْ وَسَيَّارَتِهِمْ^(٣) فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ . وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ . فَمَنْ أَخَذَتْ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ . وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يُخَنَعُوا مَاءَ يَرُدُّونَهُ وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ ، مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ » .

[بَغْثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أَكْنِيدِرِ دُومَةَ]

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، فَبَعَثَهُ إِلَى أَكْنِيدِرِ دُومَةَ ، وَهُوَ أَكْنِيدُرُ بْنُ عَبْدِ

(١) تلوم : تمكث وانتظر .

(٢) العمار : المعتمرون ، أي المحرمون بالعمرة .

(٣) السيارة : القافلة ، والقوم يسرون .

الملك ، رجلٌ من كِنْدَةَ ، كان مَلِكًا عليها ، وكان نَضْرَانِيًّا ، فقال رسولُ الله ﷺ لخالد : « إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ » . فخرج خالدٌ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ حِصْنِهِ بِمَنْظَرِ الْعَيْنِ ، وفي ليلةٍ مُقَمَّرَةٍ صَائِفَةٍ ، وهو على سَطْحٍ له ، ومعه امرأته ، وباتتِ الْبَقَرُ تُحْكُ بِقُرُونِهَا بَابَ الْقَصْرِ ، فقالت له امرأته : هل رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا قَطُّ؟ قال : لا والله . قالت : فمن يَتْرُكُ هذه؟ قال : لا أحد؟ فنزل فأمر بِفَرَسِهِ فَأُشْرِجَ له ، وَرَكِبَ معه نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، فيهم أَخٌ له يقال له حَسَّان ، فركب ، وخرجوا معه بِمِطَارِدِهِمْ^(١) ، فلما خَرَجُوا تَلَقَّهُمْ خَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَتْهُ ، وَقَتَلُوا أَخَاهُ ، وقد كان عليه قَبَاءٌ مِنْ دِيْبَاجٍ مُخَوَّصٍ بِالذَّهَبِ^(٢) ، فاستَلَبَهُ خَالِدًا! فبعث به إلى رسولِ الله ﷺ قبل قُدُومِهِ به عليه .

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قال : رَأَيْتُ قَبَاءَ أَكْيَدَرَ حِينَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فجعل المسلمون يَلْمِسُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟ فوالذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا » . قال ابن إسحاق : ثم إن خَالِدًا قَدِمَ بِأَكْيَدَرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : فَحَقَّنَ لَهُ دَمَهُ^(٣) ، وصَالَحَهُ عَلَى الْجَزِيَّةِ ، ثم حَلَّى سَبِيلَهُ؛ فَرَجَعَ إِلَى قَرْيَتِهِ .

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَبُوكَ بِضْعَ عَشْرَةِ لَيْلَةً لَمْ يُجَاوِزْهَا ، ثم انصرف قَافِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ . وكان في الطريق مَاءٌ يَخْرُجُ مِنْ وَشَلٍ^(٤) : مَا يُزَوِّي الرَّاكِبَ وَالرَّاكِبَتَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ ، بَوَادٍ يُقَالُ لَهُ وَادِي الْمُشَقَّقِ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « مَنْ سَبَقَنَا إِلَى ذَلِكَ الْوَادِي فَلَا يَسْتَقْبِلُنَا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَهُ » . قال : فسبقه إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنَ الْمَنَافِقِينَ ، فاستَقْبَلُوا مَا فِيهِ ، فلما أَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَفْ فِيهِ شَيْئًا ، فقال : « مَنْ سَبَقَنَا إِلَى هَذَا الْمَاءِ؟ » فقبل له : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَانٌ وَفُلَانٌ . فقال : « أَوَلَمْ أَنَّهُمْ أَنْ يَسْتَقْبَلُوا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى آتِيَهُ؟ » ثم لعنهم رسولُ الله ﷺ ، ودعا عليهم ، ثم نزل فوضع يَدَهُ تَحْتَ الْوَشَلِ ، فجعل يَصُبُّ فِي يَدِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَصُبَّ ، ثم نَضَحَهُ بِهِ ، ومسحه بيده ، ودعا رسولُ الله ﷺ بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُو بِهِ ، فَأَنَحَرَ مِنَ الْمَاءِ - كما يقولُ مِنْ سَمْعِهِ - مَا إِنَّ لَهُ جِثًّا كَجِثِّ الصَّوَاعِقِ ،

(١) المطارد : جمع مطرد ، بكسر الميم : رمح قصير يطارد به الوحش .

(٢) مخوص بالذهب : مسوج به كخوص النخل ، وهو ورقة .

(٣) حقن دمه : أنقذه من القتل .

(٤) الوشل ، بفتح الواو والشين : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلا قليلا . والوشل أيضا : القليل من الماء .

فشرب النَّاسُ ، اسْتَقَوْا حاجَتَهُمْ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَنْ يَقِيْتُمْ أَوْ مَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ لَتَسْمَعَنَّ بِهَذَا الْوَادِي ، وَهُوَ أَخْصَبُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَا خَلْفَهُ » .

وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يُحَدِّثُ ، قَالَ : قُمْتُ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، قَالَ : فَرَأَيْتُ شُعْلَةً مِنْ نَارٍ فِي نَاحِيَةِ الْعَشْكَرِ ، قَالَ : فَاتَّبَعْتُهَا أَنْظُرَ إِلَيْهَا ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ ذُو الْبِجَادَيْنِ الْمَزْنِيّ قَدْ مَاتَ ، وَإِذَا هُمْ قَدْ حَفَرُوا لَهُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حُفْرَتِهِ ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يُدَلِّيَانِهِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَذُنِيَا إِلَيَّ أَحَاكُمَا ، فَدَلِّيَاهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا هَيَّأَ لِشِقِّهِ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَمْسَيْتُ رَاضِيًا عَنْهُ ، فَارْضَ عَنْهُ ، قَالَ : يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ صَاحِبَ الْحُفْرَةِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَلَمَّا سُمِّيَ ذَا الْبِجَادَيْنِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يُنَازِعُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَيَمْنَعُهُ قَوْمُهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَيُضَيِّقُونَ عَلَيْهِ ، حَتَّى تَرَكَوهُ فِي بَجَادٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ، وَالْبِجَادُ : الْكِسَاءُ الْعَلِيظُ الْجَافِي ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا كَانَ قَرِيبًا مِنْهُ ، شَقَّ بَجَادَهُ بَائِثَيْنِ ، فَاتَزَرَ بَوَاجِدَ ، وَاسْتَمَلَّ بِالْآخِرِ ، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقِيلَ لَهُ : ذُو الْبِجَادَيْنِ لَذَلِكَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَذَكَرَ ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ ، عَنْ ابْنِ أَكِيْمَةِ اللَّيْثِيِّ ، عَنْ ابْنِ أَخِي أَبِي رُفَيْمٍ الْغِفَارِيِّ : أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا رُفَيْمٍ كُلْثُومَ بْنَ الْخُصَّيْنِ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، يَقُولُ : غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ ، فَمِيتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ مَعَهُ وَنَحْنُ بِالْأَخْضَرِ^(١) قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَلْقَى اللَّهُ عَلَيْنَا التُّعَاسَ ، فَطَفِقْتُ أَسْتَقِظُ وَقَدْ دَنَتْ رَاجِلَتِي مِنْ رَاحِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَيُفْزِعُنِي دُنُوءُهَا مِنْهُ ، مَخَافَةَ أَنْ أُصِيبَ رِجْلَهُ فِي الْعَرَزِ^(٢) ، فَطَفِقْتُ أَحْوَزُ رَاجِلَتِي عَنْهُ ، حَتَّى غَلَبَتْ عَيْنِي فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، وَنَحْنُ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ ، فَزَاحَمْتُ رَاجِلَتِي رَاحِلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِجْلُهُ فِي الْعَرَزِ ، فَمَا اسْتَقِظْتُ إِلَّا بِقَوْلِهِ : « حَسَّ^(٣) » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَغْفِرْ لِي . فَقَالَ : « سِرْ » . فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُنِي عَمَّنْ تَخَلَّفَ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، فَأُخْبِرُهُ بِهِ ، فَقَالَ وَهُوَ يَسْأَلُنِي : « مَا فَعَلَ النَّفَرُ الْحُمْرُ الطُّوَالُ الطُّطَاطُ^(٤) » . فَحَدَّثْتُهُ بِتَخَلُّفِهِمْ ، قَالَ : « فَمَا فَعَلَ

(١) الْأَخْضَرُ : مَوْضِعٌ قَرِبَ تَبُوكَ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَادِي الْقُرَى .

(٢) الْعَرَزُ لِلرَّحْلِ بِمَنْزِلَةِ الرِّكَابِ لِلسَّرَجِ . وَالرِّكَابُ لِلسَّرَجِ : مَا تَوْضَعُ فِيهِ الرُّجُلُ .

(٣) حَسَّ : كَلِمَةٌ مَعْنَاهَا أَتَأَلَمُ .

(٤) الطُّطَاطُ ، بِالْكَسْرِ : جَمْعُ طَطَ ، وَهُوَ الْقَلِيلُ شَعْرِ اللَّحْيَةِ وَالْحَاجِبِينَ .

التَّغَرُّ الشُّوْدُ الْجَعَادُ^(١) القصار؟». قلت: واللّه ما أعرف هؤلاء ميّتا. قال: «بلى، الذين لهم نعم يشبكة شدخ»^(٢). فتذكروهم في بني غفار، ولم أذكرهم، حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا خلفاء فينا. فقلت: يا رسول الله، أولئك رهط من أسلم كانوا خلفاء فينا، فقال رسول الله ﷺ: «ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرأ نشيطا في سبيل الله. إن أعزّ أهلي عليّ أن يتخلف عني المهاجرون من قريش، والأنصار، وغفار وأسلم».

[أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك]

ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذي أوان - بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إننا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشائبة، وإننا نحب أن تأتينا، فتصلي لنا فيه؛ فقال: إني على جناح سفر، وحالي شغل، أو كما قال ﷺ، ولو قد قديمنا إن شاء الله لأتيناكم، فضلينا لكم فيه.

فلما نزل بذي أوان، أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم، أخا بني سالم بن عوف، ومغن بن غدي، أو أخاه عاصم بن غدي، أخا بني العجلان، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدياه وخرّاه. فخرجا سريعتين حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمغن: أنظروني حتى أخرج إليك بنار من أهلي. فدخل إلى أهله، فأخذ سقفا من النخل، فأشعل فيه نارا، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله، فخرّاه وهدّماه، وتفرّقا عنه، ونزل فيهم من القرآن ما نزل: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .. إلى آخر القصة.

(١) الجعاد: جمع جغد، من اجتمع شعره وتقبط والتوى.

(٢) شبكة شدخ: من منازل غفار وأسلم بالحجاز.

الفصل الثامن عشر من الخلفين ببوك إلى نزول سورة الحجرات

[أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المغذرين في غزوة تبوك]

وقدِم رسول الله ﷺ المدينة، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين، وتخلف أولئك رهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق: كعب بن مالك، ومُراة بن الربيع، وهلال بن أمية؛ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: لا تكلمن أحدًا من هؤلاء الثلاثة، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يخلفون له ويعتذرون، فصَفَحَ عنهم رسول الله ﷺ، ولم يغذهم الله ولا رسوله. واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة.

عن كعب بن مالك يُحدِّث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وحديث صاحبه، قال: ما تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط، غير أنني كنت قد تخلفت عنه في غزوة بدر، وكانت غزوة لم يُعَاتِبِ الله ولا رسوله أحدًا تخلف عنها، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما خرج يُريدُ عير قريش، حتى جمَعَ الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ العقبة، وحين تواتقنا على الإسلام. قال: كان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مِنِّي حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما اجتمعت لي راحلتان قط حتى اجتمعتا في تلك الغزوة، وكان رسول الله ﷺ قلما يُريدُ غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً، واستقبل غزو عدو كثير، فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبتة وأخبرهم خبره بوجهه الذي يُريد، والمسلمون من تبع رسول الله ﷺ كثير، لا يجمعهم كتاب حافظ، يعني بذلك الديوان، يقول: لا يجمعهم ديوان مكتوب.

فَقُلَّ رَجُلٌ يَرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنَّهُ سَيُخْفَى لَهُ ذَلِكَ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَخِيٌّ مِنَ اللَّهِ، وَغَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَأُجِبَتْ الظَّلَالُ، فَالنَّاسُ إِلَيْهَا ضَعُرٌ^(١)؛ فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَجَهَّزَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَجَعَلْتُ أَغْدُو لِأَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ حَاجَةً، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادِي بِي حَتَّى شَمَّرَ النَّاسُ بِالْجِدِّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَادِيًا، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ: أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ يَوْمٌ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَلْحَقُ بِهِمْ، فَعَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ عَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادِي بِي حَتَّى أَسْرَعُوا، وَتَفَرَّطَ^(٢) الْغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَجِلَ، فَأَذْرِكُهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ أَفْعَلْ، وَجَعَلْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَطُفْتُ فِيهِمْ، يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا^(٣) عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعْفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُزْدَاهُ، وَالتَّظُّرُ فِي عَطْفِيهِ؛ فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: يَسْ مَا قُلْتَ! وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا؛ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ، حَضَرَنِي بَنِي^(٤)، فَجَعَلْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ: بِمَاذَا أُخْرِجُ مِنْ سَخَطَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَدًا وَأُسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي؛ فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ^(٥) قَادِمًا زَاخَ^(٦) عَنِي الْبَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَا أَنْجُو مِنْهُ إِلَّا بِالصَّدَقِ، فَأَجْمَعْتُ أَنْ أَصْدُقَهُ، وَصَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَزَكَّعَ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ، جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَجَعَلُوا يَخْلِفُونَ لَهُ وَيَعْتَذِرُونَ، وَكَانُوا بِضَعَةِ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَيَقْتُلُ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ وَأَيْمَانَهُمْ، وَيَسْتَعْفِفُ لَهُمْ، وَيَكِلُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، حَتَّى

(١) ضَعُرٌ: جَمْعُ أَضْعَرَ، وَهُوَ الْمَائِلُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَيِّرْ خَذَلَكَ لِلنَّاسِ﴾ أَي لَا تَعْرِضْ عَنْهُمْ، وَلَا تَمَلْ وَجْهَكَ إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى.

(٢) تَفَرَّطَ الْغَزْوُ: أَي فَاتَ وَسَبَقَ.

(٣) مَغْمُوصًا عَلَيْهِ: مَطْمُونًا عَلَيْهِ.

(٤) بَنِي: حِزْبِي.

(٥) أَظَلَّ: أَشْرَفَ وَقَرَّبَ.

(٦) زَاخَ عَنِي: ذَهَبَ وَزَالَ.

جِئْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَتَبَسَّسَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ لِي: تَعَالَهُ، فَجِئْتُ أَمْشِي، حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: مَا خَلَقَكَ؟ أَلَمْ تُكُنْ ابْتِغَتْ ظَهْرَكَ؟ قُلْتُ: إِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أُنِّي سَأخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بَعْدُ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَعْنُ حَدَّثُكَ الْيَوْمَ كَذِبًا لَتَرُضَيْنِي عَنِّي، وَلَيُوشِكُنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ، وَلَعْنُ حَدَّثُكَ حَدِيثًا صِدْقًا تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لأَرْجُو عُقْبَايَ مِنَ اللَّهِ فِيهِ، وَلَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي عُذْرٌ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرُ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقْتَ فِيهِ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ. فَقُمْتُ، وَثَارَ مَعِيَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمْةَ، فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجِزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبِكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ. فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا بِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَّ هَذَا أَحَدٌ غَيْرِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَقَالَتِكَ، وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ؛ قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيَّ؛ فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، فِيهِمَا أَسْوَةٌ، فَصَمَمْتُ حِينَ ذَكَرَهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرْتُ لِي نَفْسِي وَالْأَرْضُ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي كُنْتُ أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكْنَا، وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُم، فَكُنْتُ أَخْرُجُ، وَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ بِالْأَشْوَاقِ، وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَسَلَّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي، هَلْ حَزَكَ شَفَتَيْهِ بَرْدُ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أَصْلِي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَّفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِالسُّوقِ، إِذَا نَبْطِي^(١) يَسْأَلُ عَنِّي مِنْ نَبْطِ الشَّامِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ^(٢) يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ قَالَ: فَيَجْعَلُ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ، حَتَّى جَاءَنِي، فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارِ

(١) النبطي : واحد النبط، وهم قوم من الأعاجم.

(٢) الطعام (هنا) : القمح .

هَوَانٍ وَلَا مُضِيعَةً، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكَ»^(١). قُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذَا مِنَ الْبَلَاءِ أَيْضًا، قَدْ بَلَغَ بِي مَا وَقَعْتُ فِيهِ أَنْ طَمِعَ فِيَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشُّرْكِ.

فَأَقَمْنَا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ امْرَأَتَكَ، قُلْتُ: أَطَلَّقُهَا أَمْ مَاذَا؟ قَالَ: لَا، بَلْ اعْتَزَلْهَا وَلَا تَقْرُبْهَا، وَأَرْسِلْ إِلَيَّ صَاحِبِيَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لَا مِرَاتِي: الْحَقِّي بِأَهْلِكَ، فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ مَا هُوَ قَاضٍ. وَجَاءَتْ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَائِعٌ لَا خَادِمَ لَهُ، أَفَتَكْرَهُ أَنْ أُخْدِمَهُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرُبُكَ؛ قَالَتْ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مِنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، وَلَقَدْ تَخَوَّفْتُ عَلَى بَصَرِهِ.

فَلَبِثْنَا بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا، ثُمَّ صَلَّيْتُ الصُّبْحَ، عَلَى ظَهْرِ يَتِيمٍ مِنْ يَتِيمَتِنَا، عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْنَا الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى ظَهْرِ سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، أَتُبْشِرُ، قَالَ: فَخَرَزْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ الْفَرَجَ.

وَأَذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى الْفَجْرَ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبْشِرُونَا، وَذَهَبَ نَحْوَ صَاحِبِيَّ مُبْشِرُونَ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَتَيْتُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَتَلَقَّانِي النَّاسُ يُبْشِرُونَنِي بِالتَّوْبَةِ، حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِي، وَوَجَّهَهُ يَبْزُقُ مِنَ الشُّرُورِ: أَتُبْشِرُ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مِنْذُ وَلَدْتُكَ أُمُّكَ، قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَبَشَرَ كَأَنَّ وَجْهَهُ قُطْعَةُ قَمَرٍ. وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي، صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قُلْتُ: إِنِّي مُمْسِكٌ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ؛ وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ اللَّهَ قَدْ نَجَّانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي إِلَى

(١) قال ابن الأثير في النهاية: «المواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق وأصلها الهمز، فقلبت واوا،

تخفيفاً».

اللَّهُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا حَيِّثُ. وَاللَّهُ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مِنْذُ ذَكَرْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ أَفْضَلَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ، وَاللَّهُ مَا تَعَمَّدْتُ مِنْ كَذِبَةٍ مِنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ ... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ .

[أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر رمضان سنة تسع]

قال ابن إسحاق: وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ مِنْ تَبُوكَ فِي رَمَضَانَ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الشَّهْرِ وَقَدْ ثَقِيفٌ. وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُمْ، اتَّبَعَ أَثَرَهُ عُزْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقِيفِيَّ حَتَّى أَذْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَسْلَمَ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَزْجَعَ إِلَى قَوْمِهِ بِالْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، كَمَا يَتَحَدَّثُ قَوْمُهُ: «إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ». وَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ فِيهِمْ نَحْوَةَ الْأَمْنِاعِ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ، فَقَالَ عُزْوَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أُبْكَارِهِمْ^(١). وَكَانَ فِيهِمْ كَذَلِكَ مُحَبِّبًا مُطَاعًا، فَخَرَجَ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، رَجَاءً أَلَّا يُخَالِفُوهُ، لِمَثَرَلَتِهِ فِيهِمْ، فَلَمَّا أَشْرَفَ لَهُمْ عَلَى عِلِّيَّةٍ لَهُ^(٢)، وَقَدْ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ دِينَهُ، رَمَوْهُ بِالنَّبْلِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فَقَتَلَهُ.

فَتَزَعَّمُ بَنُو مَالِكٍ أَنَّهُ قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ: أَوْسُ بْنُ عَوْفٍ، أَخُو بَنِي سَالِمِ بْنِ مَالِكٍ. وَتَزَعَّمُ الْأَخْلَافُ أَنَّهُ قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ، مِنْ بَنِي عَتَّابِ بْنِ مَالِكٍ، يُقَالُ لَهُ: وَهْبُ بْنُ جَابِرٍ. فَقِيلَ لِعُزْوَةَ: مَا تَرَى فِي ذِمَّتِكَ؟ قَالَ: كَرَامَةُ أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا، وَشَهَادَةُ سَاقَهَا اللَّهُ إِلَيَّ، فَلَيْسَ فِيَّ إِلَّا مَا فِي الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَزْتَجَلَ عَنْكُمْ، فَادْفَنُونِي مَعَهُمْ، فَدَفَنُوهُ مَعَهُمْ. فَزَعَّمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِيهِ: «إِنْ مَثَلَهُ فِي قَوْمِهِ لَكَمَثَلٍ صَاحِبِ يَسَ فِي قَوْمِهِ» .

(١) قال ابن هشام: «ويقال: من أبصارهم». (٢) العلية: الغرفة.

ثم أقامت ثَقِيفُ بعد قَتْلِ غُرُوزَةَ أَشْهُرًا ، ثم إنهم اتَّخَمَرُوا بينهم ، ورَأَوْا أنه لا طاقةَ لهم بحُزْبِ مَنْ حَوْلَهُمْ من العرب ، وقد بايَعُوا وَأَسْلَمُوا ، فَأَتَمَرُوا بينهم ، وأَجْمَعُوا أن يُرْسِلُوا إلى رسولِ الله ﷺ رَجُلًا كما أُرْسِلُوا غُرُوزَةَ ، فَكَلَّمُوا عَبْدَ يَالِيلَ بنَ عُمَرُو بنَ غَمَيْرٍ ، وكان سِنَّ غُرُوزَةَ بنَ مَسْعُودٍ ، وَعَرَضُوا ذلكَ عَلَيْهِ ، فَأَبَى أن يَفْعَلَ ، وَخَشِيَ أن يُصْنَعَ به - إذا رَجَعَ - كما صُنِعَ بِغُرُوزَةَ ، فقال : لَسْتُ فاعِلًا حتى تُرْسِلُوا معي رَجُلًا . فَأَجْمَعُوا أن يَبْعَثُوا معه رَجُلَيْنِ من الأَخْلَافِ ، وثَلَاثَةَ من بني مالِك ، فيكونوا سِتَّةً . فَبَعَثُوا مع عَبْدِ يَالِيلِ الْحَكَمَ بنَ عُمَرُو بنِ وَهَبِ بنِ مُعْتَبٍ ، وَشُرْحَبِيلَ بنَ غَيْلانِ بنِ سَلَمَةَ بنِ مُعْتَبٍ ، ومن بني مالِك : عُثْمَانُ بنُ أَبِي العاصِ بنِ بَشْرِ بنِ عَبْدِ دُهْمَانَ ، أَخا بني يَسَارٍ ، وَأَوْسُ بنَ عَوْفِ أَخا بني سَالِمٍ ، وَنُمَيْرَ بنَ خَرِشَةَ بنَ رَبِيعَةَ أَخا بني الحَارِثِ . فخرجَ بهم عَبْدُ يَالِيلِ ، وهو نَابُ الْقَوْمِ^(١) وصَاحِبُ أَمْرِهِمْ ، ولم يَخْرُجْ بهم إلا خَشْيَةً من مِثْلِ ما صُنِعَ بِغُرُوزَةَ بنِ مَسْعُودٍ ، لكي يَشْغَلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إذا رَجَعُوا إلى الطَّائِفِ رَهْطُهُ .

فلما دَنَوْا من المدينة ، ونزلوا قَنَاةً ، أَلْفُوا بها المَغِيرَةَ بنَ شُعْبَةَ يَزْعَى في نَوْبَتِهِ رِكَابَ أَصْحَابِ رسولِ الله ﷺ - وكانت رَغِيثُهَا نُوبًا على أَصْحَابِهِ ﷺ - فلما رَأَاهُمْ تَرَكَ الرِّكَابَ عند التَّقْفِيِّينَ وَضَبَرَ يَشْتَدُ^(٢) ، لِيَسْتَشِرَّ رسولَ الله ﷺ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ ، فَلَقِيَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَبْلَ أن يَدْخَلَ على رسولِ الله ﷺ ، فَأَخْبَرَهُ عن رَكْبٍ ثَقِيفٍ أن قَدْ قَدِمُوا يريدونَ البَيْعَةَ والإِسْلَامَ ، بأن يَشْرِطَ لَهُمْ رسولُ الله ﷺ شُرُوطًا ، وَيَكْتَتِبُوا من رسولِ الله ﷺ كِتَابًا في قَوْمِهِمْ وَبِلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ . فقال أَبُو بَكْرٍ لِلْمَغِيرَةِ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ لا تَسْبِقُنِي إلى رسولِ الله ﷺ حتى أَكُونَ أنا أُحَدِّثُهُ . ففعلَ المَغِيرَةُ ، فدخلَ أَبُو بَكْرٍ على رسولِ الله ﷺ ، فَأَخْبَرَهُ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ . ثم خرجَ المَغِيرَةُ إلى أَصْحَابِهِ فَرَوَّحَ الظُّهْرَ^(٣) معهم ، وَعَلَّمَهُمْ كيف يُحَيُّونَ رسولَ الله ﷺ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا إلا بِتَحِيَّةِ الجَاهِلِيَّةِ . ولما قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً في نَاحِيَةِ مَسْجِدِهِ ، كما يَزْعُمُونَ ، فكان خَالِدُ بنُ سَعِيدٍ ابنَ العاصِ هو الذي يَمْشِي بينهم وبين رسولِ الله ﷺ ، حتى اكْتَتَبُوا كِتَابَهُمْ ، وكان خَالِدٌ

(١) نَابُ الْقَوْمِ : سَيِّدُهُم والمدافع عنهم .

(٢) ضَبَرَ يَشْتَدُ : أَي وَثَبَ . ضَبَرَ الْفَرَسَ ، إِذَا جَمَعَ قَوَائِمَهُ وَوَثَبَ .

(٣) فَرَوَّحَ الظُّهْرَ : رَوَّحَهَا أَي أَرَاَحَهَا : رَدَّهَا إِلَى الْمَرَاخِ ، مَاوَى الْمَاشِيَةَ . وَالظُّهْرُ الدَّابَّةُ الَّتِي تَحْمِلُ الْأَنْثَالَ أَوْ تُرَكَّبُ عَلَيْهَا .

هو الذي كتب كتابهم بيده، وكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد، حتى أشلموا وفرغوا من كتابهم، وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم (الطاغية)، وهي اللات، لا يهدمها ثلاث سنين. فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم، فما برحوا يتسألونه سنة سنة، ويأتى عليهم، حتى سألوا شهراً واحداً بعد مقدمهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى، وإنما يريدون بذلك، فيما يظهرون، أن يتسألوا بتزكها من سفهائهم ونسائهم وذرائعهم، ويكرهون أن يزوغوا قومهم بهدمها حتى تدخلهم الإسلام. فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها، وقد كانوا سألوه - مع ترك الطاغية - أن يغفيتهم من الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «أما كسروا أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه».

فلما أشلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم أمر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سناً، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن. فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إني قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن.

فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين، بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، في هدم الطاغية، فخرجا مع القوم، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يقدم أبا سفيان، فأبى ذلك أبو سفيان عليه، وقال: ادخل أنت على قومك. وأقام أبو سفيان بماله بذى الهدم^(١)، فلما دخل المغيرة بن شعبة غلاها يضربها بالمعول، وقام قوموه دونه، بنو معتب، خشية أن يؤمى أو يصاب كما أصيب غزوة، وخرج نساء ثقيف حشراً^(٢) يكيبن عليها، ويقلن:

لَشُبْكَيْنِ دَفَاعٌ^(٣) أَشْلَمَهَا الرُّضَاعُ^(٤)

(١) ذى الهدم: ماء ليلى، وراء وادي القرى. (٢) حسر: جمع حاسرة، وهي المكشوفة الوجه.

(٣) دفاع: هو صيغة مبالغة من الدفع، وإنما سما طاغيتهم دفاعاً لأنهم كانوا يعتقدون أن الأصنام تدافع عنهم أعداءهم وتدفع عنهم البلاء.

(٤) الرضاع: جمع راضع، وأردن بهم اللثام. من قولهم: لثيم راضع. أي لم يدافعوا عن طاغيتهم وتركوها للمغيرة يهدمها.

* لَمْ يُخْسِرُوا الْمِصَاعَ ^(١) *

ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربونها بالقأس : وأها لك ^(٢) آها لك ! فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليتها ، أرسل إلى أبي سفيان ، وحليتها مجموع ومالها من الذهب والجزع ^(٣) . وقد كان أبو مليح بن غزوة ، وقارب بن الأسود ، قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف - حين قتل غزوة - يريدان فراق ثقيف ، وأن لا يجامعاهم على شيء أبدا ، فأسلما ، فقال لهما رسول الله ﷺ : « تَوَلَّيَا مَنْ شِئْتُمَا » . فقالا : نتولى الله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ : « وَخَالَكُمَا أبا سفيان بن حرب ؟ » ، فقالا : وخالتنا أبا سفيان . فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسول الله ﷺ أبو مليح بن غزوة أن يقضي عن أبيه غزوة ديننا كان عليه من مال الطاغية ، فقال له رسول الله ﷺ : « نعم » . فقال له قارب بن الأسود : وعن الأسود يا رسول الله فاقضه - وغزوة والأسود أخوان لأب وأم - فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْأَسْوَدَ مَاتَ مُشْرِكًا » ، فقال قارب لرسول الله ﷺ : يا رسول الله لكن تصل مسلما ذا قرابة - يعني نفسه - إنما الدين علي ، وإنما أنا الذي أطلب به . فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضي دين غزوة والأسود من مال الطاغية . فلما جمع المغيرة مالها قال لأبي سفيان : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضي عن غزوة والأسود دينتهما . فقضى عنهما . وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين . إِنَّ عِصَاهُ وَجَّ ^(٤) وَصِيْدَهُ لَا يُعْصَدُ ^(٥) . مَنْ وَجَدَ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُجْلَدُ وَتُنَزَّحُ ثِيَابُهُ ، فَإِنْ تَعَدَّى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيَنْبَلُغُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّد . وَإِنَّ هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » .

وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله . فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ .

[حَجَّ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ سَنَةَ تِسْع]

ثم أقام رسول الله ﷺ بِقِيَّةَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَسَوَّالًا وَذَا الْقَعْدَةِ ، ثُمَّ بَعَثَ أَبَا بَكْرَ أَمِيرًا عَلَى

(١) المصاع ، بكسر الميم : المجالدة والمضاربة بالسيوف .

(٢) وأها لك : كلمة تقال في معنى التأسف . (٣) الجزع : ضرب من الخرز ، فيه بياض وسواد .

(٤) العصاه : شجر له شوك ، واحده عصاهة . وج : اسم موضع بالطائف ، وهو بفتح الواو وتشديد الجيم .

(٥) يعصد : يقطع .

الحج من سنة تشع، ليقيم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم. فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين.

ونزلت «براءة» في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد، الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم: أن لا يصد عن البيت أحد جاءه، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام. وكان ذلك عهدًا عامًا بينه وبين الناس من أهل الشرك، وكانت بين ذلك عهد عهد بين رسول الله ﷺ وبين قبائل من العرب خصائص، إلى آجال مسمّاة، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه في تبوك، وفي قول من قال منهم، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يشتخون بغير ما يظهرون، منهم من سمي لنا، ومنهم من لم يسم لنا، فقال عز وجل: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

عن أبي جعفر محمد بن علي - رضوان الله عليه، أنه قال: لما نزلت «براءة» على رسول الله ﷺ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيم للناس الحج، قيل له: يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال: لا يؤذي عني إلا رجل من أهل بيتي، ثم دعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال له: اخرج بهذه القصة من صدر «براءة»، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمعنى، أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته، فخرج علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه - على ناق رسول الله ﷺ العضاء، حتى أذكر أبا بكر بالطريق؛ فلما رآه أبو بكر بالطريق قال: أأمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا. فأقام أبو بكر للناس الحج، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج، التي كانوا عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر، قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ، فقال: أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته؛ وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم، ليرجع كل قوم إلى ما مَنَهم أو يلاذهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدة، فهو له إلى مدته. فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطوف بالبيت عريان.

ثم قَدِمَا على رسول الله ﷺ.

[ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح]

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، صرّبت إليه وفود العرب من كل وجه^(١) . وإنما كانت العرب ترتبوا بالإسلام أمر هذا الحبي من قريش ، وأمر رسول الله ﷺ ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاذيههم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - وقادة العرب ، لا ينكرون ذلك . وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه ، فلما افتتحت مكة ودانت له قريش ودوخها الإسلام^(٢) ، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله ، كما قال الله - عز وجل - أفواجا ، يضربون إليه من كل وجه ، يقول الله - تعالى - لبيته ﷺ ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۚ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۚ ﴾ ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّكَ كَانَ تَوَّابًا ۝ ٣ ﴾ أي : فاحمد الله على ما أظهر من دينك واستغفره إنه كان توابا .

[قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الخجرات]

فقدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب ، فقدم عليه غطارد بن حاجب بن زرة ابن عُدس التميمي في أشراف بني تميم : منهم الأقرع بن حابس التميمي ، والزبرقان بن بدر التميمي ، أخذ بني سعد ، وعمر بن الأهتم ، والحجاب بن يزيد . وفي وفد بني تميم : نعيم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم أخو بني سعد ، في وفد عظيم من بني تميم ، ومعهم غيثة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري . وقد كان الأقرع بن حابس وغيثة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنين والطائف .

فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم ، فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته أن اخرج إلينا يا محمد . فأدى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا . قال : « قَدْ أَذْنْتُ لِحَطِيبِكُمْ فَلْيَقُلْ » . فقام غطارد بن حاجب ، فقال : الحمد لله الذي له

(١) قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة أن ذلك في سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

(٢) دوخها الإسلام : ذلها وأخضعها .

علينا الفضل والمن . وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكًا ، وهب لنا أموالًا عظامًا ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق ، وأكثره عددًا ، وأيسره عدَّةً ، فمن مثُلنا في الناس؟ أَلَسْنَا برؤوس الناس وأولي فضلهم؟ فمن فآخَرْنَا فَلْيَعْدُدْ مِثْلَ مَا عَدَدْنَا ، وإنا لو نشاء لَأَكْثَرْنَا الكلام ، ولكنا نحيا^(١) من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعْرِفُ بذلك . أقول هذه لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا . ثم جلس .

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشَّماس ، أخي بني الحارث بن الخزرج : « قُمْ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فِي حُطْبَيْهِ » . فقام ثابت ، فقال : الحمد لله الذي السموات والأرض خلَّقه ، قضى فيهنَّ أمره ، ووسَّعَ كُرْسِيِّهُ عِلْمُهُ^(٢) ، ولم يك شيء قط إلا مِنْ فضله . ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكًا ، واصطفي مِنْ خَيْرِ خَلْقِهِ رَسُولًا أَكْرَمَهُ نَسَبًا^(٣) ، وأصدقَه حديثًا ، وأفضلَه حَسَبًا . فأنزل عليه كتابه ، وأثمنه على خَلْقِهِ ، فكان خَيْرَ اللهِ من العالمين . ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فأمن برسول الله المهاجرون من قَوْمِهِ وذَوِي رَجْمِهِ ، أكرمُ الناس حَسَبًا ، وأحسنُ الناس وجوهاً ، وخيرُ الناس فعلاً . ثم كان أوَّلُ الخَلْقِ إجابةً ، واستجاب لله حين دعاه رسولُ الله نَحْنُ ، فنحن أنصارُ الله ، وُرَّاءُ رسوله ، نقاتلُ الناسَ حتى يُؤْمِنُوا بالله ، فَمَنْ آمَنَ بالله ورسوله مَنَعَ مِنَّا مَالَهُ وَدَمَهُ ، وَمَنْ كَفَرَ جَاهَدْنَاهُ فِي اللهِ أَبَدًا ، وكان قَتْلُهُ علينا يَسِيرًا : أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي وللمؤمنين والمؤمنات . والسلام عليكم .

فقام الزُّبَيْرَانُ بن بَدْر ، فقال :

نَحْنُ الْكِرَامُ فَلَا حَيَّ يُعَادِلُنَا مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبَيْعُ^(٤)
وَكَمْ قَسَرْنَا^(٥) مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ عِنْدَ النَّهَابِ^(٦) وَفَضْلُ الْعَزِّ يُتْبَعُ
وَنَحْنُ يُطْعَمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعَمُنَا مِنَ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَرْعُ^(٧)

(١) يقال : حييت منه أحيا ، أي استحيت .

(٢) الكرسي : ما أحاط بالسموات والأرضين ، كما فسرهُ السهيلي هنا .

(٣) أي أكرم الخلق .

(٤) البيع : مواضع الصلوات والعبادات للنصارى ، وقيل لليهود ، واحدها بيعة بكسر الباء .

(٥) قَسَرْنَا : قهرنا على كره .

(٦) النهاب : جمع النهب ، الغارة .

(٧) القرع : سحاب رقيق يكون في الخريف ، واحده قرعة ، بفتح القاف والزاي فيهما .

بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سُرَاتِهِمْ^(١) مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوِيًّا^(٢) ثُمَّ نَصْطَبُغُ^(٣)
فَنَنْحَرُ الْكُومَ عُبْطًا فِي أَرْوَمَتِنَا لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أُنْزِلُوا شَبِعُوا^(٤)
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَيٍّ نَفَاخِرُهُمْ إِلَّا اسْتَفَادُوا فَكَانُوا الرُّؤَسَ يُفْتَطِعُ
فَمَنْ يُفَاخِرُنَا فِي ذَلِكَ نَعْرِفُهُ فَيَرْجِعُ الْقَوْمُ وَالْأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ
إِنَّا أَبِينَا وَلَا يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ
وكان حَسَّانُ غَائِثًا، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قال حَسَّانُ: جَاءَنِي رَسُولُهُ،
فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ إِنَّمَا دَعَانِي لِأَجِبَ شَاعِرَ بَنِي تَمِيمٍ، فَخَرَجْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَقُولُ:

مَنْعَنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَشَطْنَا عَلَى أَنْفٍ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ^(٥) وَرَاغِمٍ^(٦)
مَنْعَنَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بُيُوتِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمٍ
بِبَيْتِ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَتِرَاوُهُ بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَشَطَّ الْأَعَاجِمِ^(٧)
هَلْ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودُّ الْعَوْدُ وَالنَّدَى^(٨) وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعِظَائِمِ^(٩)
قال: فلما انتهيتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وقام شاعرُ القَوْمِ، فقالَ ما قال، عَرَضْتُ فِي
قَوْلِهِ^(١٠)، وقلتُ على نَحْوِ ما قال، فلما قَرَعَ الرَّبْرَقَانِ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لحَسَّانَ بنِ
ثَابِتٍ: «قُمْ يَا حَسَّانُ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فِيمَا قَالَ». فقام حَسَّانُ، فقال:

إِنَّ الدَّوَائِبَ مِنْ فَهْرٍ^(١١) وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ بَيَّثُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُشَبِّغُ^(١٢)

- (١) سراتهم: أشرافهم.
(٢) هويًا: سراعًا.
(٣) الكوم: جمع كوما، وهي الناقة العظيمة السنام، وعبطًا: أي من غير علة. والأرومة: الأصل، أي إن الكرم أصيل فينا.
(٤) معد: حي من العرب.
(٥) الراغم: راغم: مرغم، أي مكره مُدَل. (٦)
(٧) الحريد: المنفرد، لا يختلط بغيره لعزته. جابية الجولان: بلد بالشام. يريد أن جاههم متصل بجاه الغساسنة ملوك الشام.
(٨) الندى: الجود والسخاء والخير. (٩) السودد العود: المجد القديم.
(١٠) أراد: قلت على مثلي عروضه. والعروض من ميزان الشعر.
(١١) فهر: قبيلة، وهي أصل قريش، وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وقريش كلهم ينسبون إليه.
(١٢) الدوائب: الأعالي، واحدها ذؤابة، وأراد ههنا السادة.

يَرْضَى بِهِمْ كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ قَوْمٌ إِذَا خَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ لَا يَرْفَعُ^(٢) النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا قَارَ سَبَقُهُمْ أَعْقَةُ ذُكْرَتْ فِي الْوَحْيِ عَقَّتُهُمْ لَا يَنْخَلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ إِذَا نَصَبْنَا لِحَيٍّ لَمْ تَدِبْ لَهُمْ نَسْمُو إِذَا الْحَزْبُ نَالَشْنَا مَحَالِبَهَا لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ خُذْ مِنْهُمْ مَا أَتَى عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا فَإِنَّ فِي حَزْبِهِمْ ، فَاتْرُكْ عَدَاوَتَهُمْ أَكْرَمَ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ شَيْعَتُهُمْ

تَقْوَى إِلَهِهِ وَكُلُّ الْخَيْرِ يَصْطَنِعُ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا إِنْ الْخَلَائِقُ فَاغْلَمَ شَرُّهَا الْبِدْعُ^(١) فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَذْنَى سَبَقِهِمْ تَبِعَ عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا^(٣) أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالنَّدَى مَتَعُوا^(٤) لَا يُطْبَعُونَ وَلَا يُزْدِيهِمْ طَمَعُ^(٥) وَلَا يَمَسُّهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ^(٦) كَمَا يَدِبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ^(٧) إِذَا الرِّعَافُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا^(٨) وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورَ وَلَا هُلُعَ^(٩) أَسَدٌ بِحَلِيَّةٍ فِي أَرْسَائِهَا فَدَعُ^(١٠) وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا^(١١) شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السُّمُّ وَالسَّلْعُ^(١٢) إِذَا تَفَاوَزَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْغُ

(١) السجية : الطبيعة والخلقة .

(٢) يرفع : يضرب .

(٣) أوهت : أضعفت وهدمت .

(٤) متعوا : زادوا وظهروا عليهم . من قولهم : متع النهار ، إذا ارتفع .

(٥) لا يطبعون : أي لا يتدنسون . (٦) الطبع ، بفتح الطاء والباء : الدنس .

(٧) نصبنا : أظهرنا لهم العداوة ولم نسرهما في أنفسنا . والذرع ، بفتح الحاء : ولد البقرة الوحشية .

(٨) نسمو : نهض . الرعاف : أطراف الناس وأتباعهم . وخشعوا : خضعوا وتذللوا .

(٩) الخور : جمع أخور ، وهو الضعيف . والهلع : جمع هلوع ، وهو الجبان الخائف .

(١٠) مكتنع : دان قريب ، تقول : اكتنع منه ، إذا دنا منه . وحلية : اسم موضع تنسب إليه الأسود . والأرساغ : جمع رُشغ ، وهو موضع مربوط القيد . وفدع : اعوجاج إلى ناحية .

(١١) عفوًا : أي من غير طلب ولا مشقة .

(١٢) السلع : نبات مسموم .

أَهْدَى لَهُمْ مِذْحَتِي قَلْبَ يُؤَازِرُهُ فِيمَا أَحَبَّ لِسَانَ حَائِكَ^(١) صَنَعَ^(٢)
فَالْتَهُمُ أَفْضَلُ الْأَخْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا^(٣)
فلما فَرَغَ الْقَوْمُ أَشْلَمُوا ، وَجَوَّزَهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْسَنَ جَوَائِزَهُمْ^(٤) . وَكَانَ عَمْرُو
ابن الْأَهْتَمِ قَدْ خَلَفَهُ الْقَوْمُ فِي ظَهْرِهِمْ^(٥) ، وَكَانَ أَصْغَرُهُمْ سِنًا ، فَقَالَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ ،
وَكَانَ يُبَغِضُ عَمْرُو بْنَ الْأَهْتَمِ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ رَجُلٌ مِثَّا فِي رَحَالِنَا ، وَهُوَ غُلَامٌ
حَدَّثَ - وَأُزْرَى بِهِ - فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ -
حِينَ بَلَغَهُ أَنْ قَيْسًا قَالَ ذَلِكَ - يَهْجُوهُ :

ظَلِمْتُ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتَمِينِي عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبْ^(٦)
سُدْنَاكُمْ سُودَدًا رَهْوًا وَسُودَدُكُمْ بَادٍ تَوَاجِدُهُ مُقْبِعٌ عَلَى الذَّنْبِ^(٧)
قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .



- (١) حائك : يحوك الشعر ، ينسجه ويلثم بين أجزائه .
(٢) صنع ، بفتح الصاد والتون : صانع ماهر يتقن ما يصنعه ويحسن عمله .
(٣) شمعوا : هزلوا ، وأصل الشمع الطرب واللهر ، ومنه قولهم : جارية شموع ، إذا كانت كثيرة الطرب .
(٤) الجوائز : العطايا ، واحدها جائزة .
(٥) ظهرهم : إبلهم .
(٦) الهلباء : شعر الذنب ، وقد استعاره ههنا للإنسان ، كنى بذلك عن خلفه .
(٧) رهوًا ، بالراء المهملة : متسقا . والنواجذ : الأسنان ، واحدها ناجذ .

الفصل التاسع عشر بُنية عامر لوفد

[قصة عامر بن الطفيل وأزبد بن قيس في الوفادة عن بني عامر]

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وفد بني عامر، فيهم عامر بن الطفيل، وأزبد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم. فقَدِمَ عامر بن الطفيل عَدُوَّ الله على رسول الله ﷺ، وهو يريد العذر به، وقد قال له قومه: يا عامر، إن الناس قد أسلموا فأسلم. قال: والله لقد كُنْتُ أَلِيْتُ أَنْ لَا أَنتَهِيَ حَتَّى تَتَّبِعَ الْعَرَبُ عَقِبِي، أَفَأَنَا أَتَتَّبِعُ عَقِبَ هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ؟ ثُمَّ قَالَ لِأَزْبَدَ: إِذَا قَدِمْنَا عَلَى الرَّجُلِ، فَإِنِّي سَأَسْغَلُ عَنْكَ وَجْهَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَاغْلُهُ بِالسَّيْفِ^(١). فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ: يَا مُحَمَّدُ خَالَتِي^(٢)، قَالَ: «لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَخُدَّهِ». قَالَ: يَا مُحَمَّدُ:، خَالَتِي. وَجَعَلَ يُكَلِّمُهُ وَيَنْتَظِرُ مِنْ أَزْبَدَ مَا كَانَ أَمْرُهُ بِهِ، فَجَعَلَ أَزْبَدَ لَا يُجِيرُ شَيْئًا^(٣). فَلَمَّا رَأَى عَامِرُ مَا يَصْنَعُ أَزْبَدَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ خَالَتِي. قَالَ: «لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَخُدَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ». فَلَمَّا أَبَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْكَ خَيْلًا وَرَجَالًا! فَلَمَّا وَلَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ». فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ عَامِرُ لِأَزْبَدَ: وَبَلَّكَ يَا أَزْبَدُ! أَيْنَ مَا كُنْتُ أَمَرْتُكَ بِهِ؟ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ رَجُلٌ هُوَ أَخَوْفُ عِنْدِي عَلَى نَفْسِي مِنْكَ، وَإِيْمُ اللَّهِ لَا أَخَافُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا! قَالَ: لَا أَبَا لَكَ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، وَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بِالَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ عَنْ أَمْرِهِ إِلَّا دَخَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ، حَتَّى مَا أَرَى

(١) فَاغْلُهُ بِالسَّيْفِ: يريد قتله، ويروى: «فاغتلته بالسيف» بالغين المعجمة، وهو من الغيلة، وهي القتل خديعة وخفية.

(٢) خَالَتِي: يروى بكسر اللام مخففة، وبتشديد هاء مكسورة: فالأول معناه تفرد لي خاليًا حتى أحدثك على انفراد، والثاني معناه اتخذني خليلًا، من المخالة، وهي الصداقة.

(٣) أي لا يرد جوابًا.

غَيْرِكَ ، أَفَأَصْرِيكَ بِالسَّيْفِ؟ وَخَرَجُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ بَعَثَ اللَّهُ عَلَى عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ الطَّاعُونَ فِي عُثْقِهِ ، فَقَتَلَهُ اللَّهُ فِي يَتِيمِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : يَا بَنِي عَامِرَ ، أَعُدَّةَ كَعْدَةِ الْبَكْرِ ، فِي يَتِيمِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولَ^(١)! ثُمَّ خَرَجَ أَصْحَابُهُ حِينَ وَارَوْهُ حَتَّى قَدِمُوا أَرْضَ بَنِي عَامِرَ شَتَاتِينَ ، فَلَمَّا قَدِمُوا أَتَاهُمْ قَوْمُهُمْ فَقَالُوا : مَا وَرَاءَكَ يَا أَرْبَدُ؟ قَالَ : لَا شَيْءَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ دَعَانَا إِلَى عِبَادَةِ شَيْءٍ لَوَدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ ، فَأَوْمِيهِ بِالنَّبْلِ حَتَّى أَقْتُلَهُ! فَخَرَجَ بَعْدَ مَقَاتِلِهِ يَوْمَ أَوْ يَوْمَيْنِ ، مَعَهُ جَمَلٌ لَهُ يَتَّبِعُهُ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِ وَعَلَى جَمَلِهِ صَاعِقَةً فَأَخْرَقَتْهُمَا . وَكَانَ أَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ أَخَا لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ لِأُمِّهِ فَقَالَ لَبِيدٌ يَبْكِي أَرْبَدُ :

مَا إِنْ تَعَدَّى الْمَثُونُ مِنْ أَحَدٍ لَا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ^(٢)
أَخْشَى عَلَى أَرْبَدِ الْخُشُوفِ وَلَا أَرْهَبُ نُوءَ السَّمَاءِ^(٣) وَالْأَسَدِ
فَعَيْنٌ ، هَلَّا بَكَيْتِ أَرْبَدُ إِذْ قُمْنَا وَقَامَ النِّسَاءُ فِي كَبَدٍ^(٤)
إِنْ يَشْغَبُوا^(٥) لَا يُبَالِ شَغْبُهُمْ أَوْ يَقْصِدُوا^(٦) فِي الْحُكُومِ يَقْصِدِ
خُلُوفَ أَرَيْبٍ ، وَفِي خِلَاوَتِهِ مُرٌّ ، لَطِيفُ الْأَخْشَاءِ وَالْكَبَدِ^(٧)
وَعَيْنٌ هَلَّا بَكَيْتِ أَرْبَدُ إِذْ أَلَوْتُ^(٨) رِيَاخَ الشِّتَاءِ بِالْعَضْدِ^(٩)
وَأَصْبَحْتُ لَاقِحًا^(١٠) مُصْرَمَةً^(١١) حِينَ تَجَلَّتْ غَوَابِرُ الْمُدَدِ^(١٢)

(١) الغدة : داء يصيب البعير في حلقه فيموت منه ، وهو شبيه بالذبيحة التي تصيب الإنسان ، والبكر بالفتح : الفتى من الإبل . وسلول : قوم يصفهم العرب باللؤم والدناءة ، قال السموءل :

وإنا أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

(٢) تعدى ، أي تعدى : أراد به ترك وتجاوز .

(٣) نوء السماء : المطر الشديد من السماء ، السماء النجم المعروف .

(٤) الكبد ، يفتح الكاف والباء : الجهد والمشقة .

(٥) يشغبوا : هيّج الشر بينهم ، أحدثوا فتنة وجلبة . (٦) يقصدوا : توسطوا ، لم يُفْرِطوا ولم يُفْرِطُوا .

(٧) الأريب : العاقل . (٨) أَلَوْتُ به : ذهبت به .

(٩) العضد : الشجر ذهبت الريح بأوراقه . وهذا كناية عن الجذب في الشتاء .

(١٠) لاقحاً : الشجر ألقحه الريح ، أي تفلت إليه حبوب اللقاح .

(١١) المصرمة : التي لا لبن لها . والغوابر : البقايا ، واحداً غابرة .

(١٢) المدد : جمع مدة ، الغاية من الزمان .

أَشْجَعُ مَنْ لَيْثٍ غَابَةِ لَحْمٌ ذُو نَهْمَةٍ فِي الْغُلَا وَمُنْتَقِدٌ^(١)
 لَا تَبْلُغُ الْعَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا لَيْلَةٌ تُنْمِسي الْجِيَادَ كَالْقَدِيدِ^(٢)
 الْبَاعِثُ النَّوْخَ فِي مَاتِمِهِ مِثْلُ الطُّبَاءِ الْأَبْكَارِ بِالْجَرْدِ^(٣)
 فَجَمَعَنِي الْبَرْقُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْفَارِسِ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ^(٤) التَّجْدِ^(٥)
 وَالْحَارِبِ الْجَابِرِ الْحَرِيبِ إِذَا جَاءَ نَكِيبًا وَإِنْ يَغْدُ يَغْدِ^(٦)
 يَغْفُو عَلَى الْجَهْدِ وَالسُّوَالِ كَمَا يَنْبُثُ غَيْثُ الرَّبِيعِ ذُو الرُّصْدِ^(٧)
 كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ^(٨) مَصِيرُهُمْ قُلٌّ، وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنَ الْعَدَدِ^(٩)
 إِنْ يُغْبَطُوا يَهْبِطُوا وَإِنْ أَمَرُوا يَوْمًا فَهُمْ لِلْهَلَاكِ وَالنَّفْدِ^(١٠)

[قدوم ضمام بن ثعلبة وإفذا عن بني سغيد بن بكر]

وبعث بنو سغيد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم، يُقال له ضمام بن ثعلبة.

عن ابن عباس، قال: بعثت بنو سغيد بن بكر ضمام بن ثعلبة وإفذا إلى رسول الله ﷺ، فقدم عليه، وأناخ بغيره على باب المسجد ثم عقّله، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه؛ وكان ضمام رجلاً جلدًا أشعر ذا غديرتين^(١١)، فأقبل حتى وقف على

(١) لحم، بفتح فكسر: كثير الأكل للحم. وذو نهمة: أي له ولوع وحب في بلوغ غاية الشيء، ويروي: «ذو نهية» بالياء المثناة، وهي العقل، وجمعها نهى. ومنقذ، أي بصر بالأمور.

(٢) القدد، بكسر ففتح: جمع قدة، وهي السير الذي يقطع من الجلد. شبه الخيل بالسير في نحولها وضميرها.

(٣) النوح: جماعة النساء النائحات. الماتم: جمع ماتم، وهو جماعة النساء يجتمعن في خير أو شر. والجرد: الأرض لا نبات فيها.

(٤) الكريهة: الحرب أو الشدة في الحرب. (٥) التجد، بفتح فضم: الشجاع.

(٦) الحارب: السالب. والجابر: الذي يكفي المحتاج حاجته. والحريب: المسلوب. والنكيب: المنكوب الذي أصابه نكبة.

(٧) الجهد: المشقة، يريد أنه يعطي ويكثر عطاؤه مع المشقة. والرصد: الكأ القليل.

(٨) بني حرة: أحرار. (٩) قل، بضم القاف: أي قليل.

(١٠) يغبطوا: هو من الغبطة، وهو كناية عن حسن حالهم حتى يغبطهم الناس. يهبطوا: ينزلوا، أي تضعف حالهم بعد ذلك ويلحقهم الذل بعد العزة. وأمروا، بكسر الميم: كثروا. والنقد: انقطاع الشيء وزواله.

(١١) الغديرة: الذؤابة من الشعر.

رسول الله ﷺ في أصحابه، فقال: أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فقال رسول الله ﷺ: أنا ابنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. قال: أُمَحَمَّدٌ؟ قال: نعم؛ قال: يابن عبد المطلب، إني سائلُكَ ومُعَلِّطُكَ عَلَيْكَ فِي الْمَسْئَلَةِ، فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ، قال: لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي، فَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ. قال: أَنْشُدْكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بِغَدِكَ، اللَّهُ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا؟ قال: اللَّهُمَّ نَعَمْ؛ قال: فَأَنْشُدْكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بِغَدِكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ وَخَدَهُ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ نَخْلَعَ هَذِهِ الْأَنْدَادَ الَّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ؟ قال: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قال: فَأَنْشُدْكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بِغَدِكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْحَمَاسَ؟ قال: اللَّهُمَّ نَعَمْ؛ قال: ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ فَرِيضَةً فَرِيضَةً. الزَّكَاةَ وَالصَّيَامَ وَالْحَجَّ وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ كُلَّهَا، يَنْشُدُهُ عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ مِنْهَا كَمَا يَنْشُدُهُ فِي الَّتِي قَبْلُهَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛ وَسَأُؤَدِّي هَذِهِ الْفَرَائِضَ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ، ثُمَّ لَا أَزِيدُ وَلَا أَنْقُصُ. ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعِيرِهِ رَاجِعًا. فقال رسول الله ﷺ: إِنْ صَدَقَ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ^(١) دَخَلَ الْجَنَّةَ.

قال: فَأَتَى بَعِيرَهُ فَأَطْلَقَ عِقَالَهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: يَغْسِيَتِ اللَّائِثُ وَالْعَزَى! قَالُوا: مَهْ يَا ضِمَامُ! اتَّقِ الْبَرَصَ، اتَّقِ الْجُدَامَ، اتَّقِ الْجُنُونَ! قَالَ: وَيْلَكُمْ! إِنَّهُمَا وَاللَّهِ لَا يَضُرَّانِ وَلَا يَنْفَعَانِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا أَسْتَنْتِقِدُكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أُمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي حَاضِرِهِ^(٢) رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا.

قال: يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا سَمِعْنَا بِوَأْفِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ.

[قَدُومُ الْجَارُودِ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ]

وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْجَارُودُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَنْشٍ أَخُو عَبْدِ الْقَيْسِ^(٣). عَنْ الْحَسَنِ، قَالَ: لَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَلَّمَهُ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) العقيصتان: الضفيران من الشعر.

(٢) الحاضر: الحي.

(٣) قال ابن هشام: «الجارود: ابن بشر بن المعلى في وفد عبد القيس، وكان نصرانيا».

الإسلام ، ودَعَاهُ إِلَيْهِ ، وَرَغَّبَهُ فِيهِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى دِينٍ ، وَإِنِّي تَارِكُ دِينِي لَدِينِكَ ، أَفَتَضْمَنُ لِي دِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَعَمْ أَنَا ضَامِنٌ أَنْ قَدْ هَدَاكَ اللَّهُ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ » . فَأَسْلَمَ وَأَسْلَمَ أَصْحَابُهُ . ثُمَّ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخَمْلَانَ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ مَا عِنْدِي مَا أَخْجِلُكُمْ عَلَيْهِ » . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بِلَادِنَا ضَمَآلٌ النَّاسُ^(١) أَفَتَنْتَبِلُغُ عَلَيْهَا إِلَى بِلَادِنَا؟ قَالَ : « لَا ، إِنَّا كَ وَإِيَّاهَا؛ فَإِنَّمَا تِلْكَ حَرَقُ النَّارِ^(٢) » . فخرج من عنده الجارودُ راجِعًا إِلَى قَوْمِهِ ، وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ صَلْبًا عَلَى دِينِهِ ، حَتَّى هَلَكَ وَقَدْ أَدْرَكَ الرُّدَّةَ . فَلَمَّا رَجَعَ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ كَانَ أَشْلَمَ مِنْهُمْ إِلَى دِينِهِمُ الْأَوَّلِ مَعَ الْعَزُورِ بْنِ الْمُثَنِّدِ بْنِ التُّعْمَانِ بْنِ الْمُثَنِّدِ ، قَامَ الْجَارُودُ فَتَكَلَّمَ فَتَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، وَدَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَكْفَرُ مِنْ لَمْ يَشْهَدْ^(٣)

[قدوم وفد بني حنيفة ، ومعهم مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابِ]

وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفَدُ بَنِي حَنِيفَةَ ، فِيهِمْ مُسَيْلِمَةُ بْنُ حَبِيبِ الْحَنْفِيِّ الْكَذَّابُ^(٤) . فَكَانَ مَنْزِلُهُمْ فِي دَارِ بِنْتِ الْحَارِثِ^(٥) ، امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ . فَحَدَّثَنِي بَعْضُ عُلَمَائِنَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ : أَنَّ بَنِي حَنِيفَةَ أَتَتْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَسْتَوْزُهُ بِالثِّيَابِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ ، مَعَهُ عَسِيْبٌ مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ ، فِي رَأْسِهِ خُوصَاتٌ^(٦) ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَسْتَوْزُونَهُ بِالثِّيَابِ كَلَّمَهُ وَسَأَلَهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَوْ سَأَلْتَنِي هَذَا الْعَسِيْبَ مَا أُعْطَيْتُكَه » .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ، أَنَّ حَدِيثَهُ كَانَ عَلَى غَيْرِ هَذَا : زَعَمَ أَنَّ وَفَدَ بَنِي حَنِيفَةَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَخَلَفُوا مُسَيْلِمَةَ فِي رِحَالِهِمْ ، فَلَمَّا أَشْلَمُوا ذَكَرُوا مَكَانَهُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا قَدْ خَلَفْنَا صَاحِبَنَا لَنَا فِي رِحَالِنَا وَفِي

(١) يعني الإبل الضالة . (٢) أي لهب النار ، أي تؤدي إلى ذلك .

(٣) قَالَ ابْنُ هِشَامَ : « وَيُرْوَى : وَأَكْفَى مِنْ لَمْ يَشْهَدْ » .

(٤) قَالَ ابْنُ هِشَامَ : « مُسَيْلِمَةُ بْنُ ثَمَامَةَ ، وَيَكْنَى أَبَا ثَمَامَةَ » .

(٥) قَالَ أَبُو ذَرٍّ : « يُقَالُ : إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ اسْمُهَا كَيْسَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ » .

(٦) الْعَسِيْبُ : جَرِيدُ النَّخْلِ . وَالسَّعْفُ : بِفَتْحَتَيْنِ : أَغْصَانُ النَّخْلَةِ . وَالْخُوصَاتُ : جَمْعُ خُوصَةٍ : وَرَقُ النَّخْلِ وَالْدُّومُ .

رَكَابِنَا يَحْفَظُهَا لَنَا. قَالَ: فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ مَا أَمَرَ بِهِ لِلْقَوْمِ، وَقَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانًا» أَي لِحَفْظِهِ ضَيْعَةَ أَصْحَابِهِ، وَذَلِكَ الَّذِي يَرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ: ثُمَّ انصرفوا عن رسولِ الله ﷺ وجاءوه بما أعطاه، فلما انتهوا إلى اليمامة، ارتدَّ عَدُوُّ اللَّهِ، وَتَبَيَّنَا، وَتَكَذَّبَ لَهُمْ، قَالَ: إِنِّي قَدْ أَشْرَكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَهُ. وَقَالَ لَوْفِدِهِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ: أَلَمْ يَقُلْ لَكُمْ حِينَ ذَكَرْتُمُونِي لَهُ: «أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانًا»؟! مَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا كَانَ يَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَشْرَكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَهُ. ثُمَّ جَعَلَ يَشْجَعُ لَهُمُ الْأَسَاجِيعَ، وَيَقُولُ لَهُمْ فِيمَا يَقُولُ مُضَاهَاةً لِلْقُرْآنِ: «لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْخَبَلَى، أَخْرَجَ مِنْهَا نَسَمَةً تَشْعَى، مِنْ بَيْنِ صِيفَايَ^(١) وَحَشَا. وَأَحْلَلَ لَهُمُ الْخَمْرَ وَالزَّيْنَى، وَوَضَعَ عَنْهُمْ الصَّلَاةَ». وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَشْهَدُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ. فَأَصْفَقَتْ مَعَهُ خَنِيفَةً عَلَى ذَلِكَ^(٢). فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ.

[أَمْرُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ]

وَأَمَّا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ فَكَانَ يَقُولُ - فِيمَا بُلَغَنِي - : مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانَ أَشَدَّ كِرَاهِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ سَمِعَ بِهِ مِنِّي. أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَمْرًا شَرِيفًا، وَكُنْتُ نَصْرَانِيًّا، وَكُنْتُ أَسِيرًا فِي قَوْمِي بِالْمِزْبَاعِ^(٣). فَكُنْتُ فِي نَفْسِي عَلَى دِينِ، وَكُنْتُ مَلِكًا فِي قَوْمِي لِمَا كَانَ يُضَنِّعُ بِي، فَلَمَّا سَمِعْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَرِهْتُهُ، فَقُلْتُ لَغْلَامٍ كَانَ لِي عَرَبِيًّا وَكَانَ رَاعِيًا لِإِبِلِي: لَا أَبَالِكَ، أَعِدْ لِي مِنْ إِبِلِي أَجْمَالًا دُلًّا^(٤) سِمَانًا، فَاخْتَبَسْهَا قَرِيبًا مِنِّي، فَإِذَا سَمِعْتَ بِجَيْشٍ لِمُحَمَّدٍ قَدْ وَطِئَ هَذِهِ الْبِلَادَ فَأَذِّنِي^(٥). ففعل. ثُمَّ إِنَّهُ أَتَانِي ذَاتَ غَدَاةٍ فَقَالَ: يَا عَدِيُّ، مَا كُنْتُ صَانِعًا إِذَا غَشِيَتْكَ خَيْلُ مُحَمَّدٍ فَاصْنَعْهُ الْآنَ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَايَاتٍ، فَسَأَلْتُ عَنْهَا، فَقَالُوا: هَذِهِ جُيُوشُ مُحَمَّدٍ. فَقُلْتُ: فَقَرَّبَ إِلَيَّ أَجْمَالِي. فَقَرَّبَهَا، فَاخْتَمَلْتُ بِأَهْلِي وَوَلَدِي، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْحَقْ بِأَهْلِ دِينِي مِنَ النَّصَارَى بِالشَّامِ. فَسَلَكْتُ الْجَوْشِيَّةَ^(٦) - وَيُقَالُ: الْحَوْشِيَّةُ فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - وَخَلَفْتُ بَنَاتًا لِحَاتِمٍ فِي الْحَاضِرِ^(٧)، فَلَمَّا قَدِمْتُ الشَّامَ أَقَمْتُ بِهَا.

(١) الصفاق: ما رق من البطن.

(٢) أصفقت معه: اجتمعوا عليه.

(٣) أي أخذ الربع من الغنائم، وكان العرب يجعلون ذلك الرئيس.

(٤) دلا: جمع ذلول، وهو الجمل السهل الذي قد ارتاض. (٥) أي أعلمني. آذنه: أعلمه.

(٦) الجوشية: جبل للضباب قرب ضريّة من أرض نجد، وضريّة قرية لبني كلاب على طريق البصرة إلى مكة وهي إلى مكة أقرب.

(٧) اسمها: سفانة فيما يرجع السهيلي. والحاضر: الحي المقيم.

وُخَالَفَنِي^(١) خَيْلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتُصِيبُ ابْنَةَ حَاتِمٍ فَيَمَنُ أَصَابَتْ، فَقُدِمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَبَايَا مِنْ طَيْئٍ . وَقَدْ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَرَبِي إِلَى الشَّامِ ، فَجَعَلْتُ بِنْتُ حَاتِمٍ فِي حَظِيرَةِ بَابِ الْمَسْجِدِ ، كَانَتِ السَّبَايَا يُحَبِّسْنَ فِيهَا ، فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً جَزَلَةً^(٢) ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْكَ الْوَالِدُ ، وَغَاب الْوَاوِدُ^(٣) ، فَاثْنُ عَلَيَّ مَنْ اللَّهُ عَلَيْكَ ! قَالَ : « وَمَنْ وَافِدُكَ » ؟ قَالَتْ : عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ . قَالَ : « الْفَارُّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟ » . قَالَتْ : ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَنِي ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْعَدِ مَرَّيٍ وَقَدْ يَكْشُثُ مِنْهُ ، فَأَشَارَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ : أَنْ قُومِي فَكَلِّمِيهِ . فَقُمْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْكَ الْوَالِدُ ، وَغَاب الْوَاوِدُ ، فَاثْنُ عَلَيَّ مَنْ اللَّهُ عَلَيْكَ . فَقَالَ ﷺ : « قَدْ فَعَلْتُ ، فَلَا تَعْجَلِي بِخُرُوجِ حَتَّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِكَ مَنْ يَكُونُ لَكَ ثِقَةً ، حَتَّى يُبَلِّغَكَ إِلَى بِلَادِكَ ، ثُمَّ أَذِينِي » . فَسَأَلْتُ عَنْ الرَّجُلِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَكَلِّمَهُ ، فَقِيلَ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - . وَأَقَمْتُ حَتَّى قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَلَدِي أَوْ قُضَاعَةَ ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَتِيَ أَخِي بِالشَّامِ . فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي ، لِي فِيهِمْ ثِقَةٌ وَبَلَاغٌ . فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَحَمَلَنِي^(٤) ، وَأَعْطَانِي نَفَقَةً ، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ .

قَالَ عَدِيٌّ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لِقَاعِدٌ فِي أَهْلِي إِذْ نَظَرْتُ إِلَى ظَلْعِيَّةٍ تَصُوبُ إِلَيَّ تَوُومًا^(٥) ، فَقُلْتُ : ابْنَةُ حَاتِمٍ ؟ قَالَ : فَإِذَا هِيَ هِيَ . فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيَّ انْسَحَلَتْ^(٦) تَقُولُ : الْقَاطِعُ ، الظَّلَامُ ، احْتَمَلْتُ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ ، وَتَرَكْتُ بَقِيَّةَ الْوَيْدِكَ عَوْرَتَكَ ! قُلْتُ : أَيُّ أَخِيَّةٍ لَا تَقُولِي إِلَّا خَيْرًا ، فَوَاللَّهِ مَالِي مِنْ عُذْرٍ ، لَقَدْ صَنَعْتُ مَا ذَكَرْتِ . ثُمَّ نَزَلْتُ فَأَقَامْتُ عِنْدِي ، فَقُلْتُ لَهَا - وَكَانَتْ امْرَأَةً حَازِمَةً : مَاذَا تَرَيْنَ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ ؟ قَالَتْ : أَرَى وَاللَّهِ أَنْ تُلْحَقَ بِهِ

(١) وَخَالَفَنِي : تَأْتِي مِنْ خَلْفِي . (٢) جَزَلَةٌ : ذَاتُ رَأْيٍ جَيِّدٍ قَوِيٍّ مُحْكَمٍ .

(٣) الْوَاوِدُ : أَيُّ مَنْ يَقْدُمُ عَلَيْهَا .

(٤) حَمَلَنِي : أَعْطَانِي مَا يَحْمِلُنِي مِنْ دَابَّةٍ أَرْكَبُهَا .

(٥) الظَّلْعِيَّةُ : الْمَرْأَةُ فِي هَوْدَجِهَا ، وَقَدْ يُقَالُ لَهَا ظَلْعِيَّةٌ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي الْهُودَجِ ، وَتَصُوبُ إِلَيَّ : تَقْبِلُ نَحْوِي . وَتَوُومًا : تَقْصِدُنَا .

(٦) انْسَحَلَتْ : أَخَذَتْ فِي اللَّوْمِ وَمَضَتْ بِهِ مَجْدَةً .

سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فليستأين إليه فضله ، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عز اليمن ، وأنت أنت ! قلت : والله إن هذا الرأي .

فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه وهو في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : « من الرجل ؟ » فقلت : عدي بن حاتم . فقام رسول الله ﷺ ، فانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بي إليه ^(١) ، إذ لقينته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوففتها ، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها . قلت في نفسي : والله ما هذا بملك . ثم مضى بي رسول الله ﷺ ، حتى إذا دخل بي بيته ، تناول وسادة من آدم مخشوة ليفاً ، فقذفها إلي ، فقال : « اجلس على هذه » . قلت : بل أنت فاجلس عليها . فقال : « بل أنت » . فجلست عليها . وجلس رسول الله ﷺ بالأرض . قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك . ثم قال : « إيه يا عدي بن حاتم ، ألم تك ركوسياً » ^(٢) . قلت : بلى . قال : « أولم تكن تسير في قومك بالمزباج ؟ » قلت : بلى . قال : « فإن ذلك لم يكن يحل في دينك » ، قلت : أجل والله ! وعرفت أنه نبي مرسل ، يعلم ما يُجهل . ثم قال :

« لعلك يا عدي إنما يفتنك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه . ولعلك إنما يفتنك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عديهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى ترور هذا البيت ، لا تخاف . ولعلك إنما يفتنك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وإيهم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم » . قال : فأسلمت .

وكان عدي يقول : قد مضت اثنتان ، وبقيت الثالثة ، والله لتكونن : قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت ، وإيهم الله لتكونن الثالثة : ليفيطن المال حتى لا يوجد من يأخذه .

(١) عمد إليه : قصد إليه .

(٢) الركوسية : قوم لهم دين النصارى والصابيين .

[قدوم فروة بن مُسَيْك المُرَادِي]

قال ابن إسحاق : وَقَدِمَ فَرَوَةُ بْنُ مُسَيْكٍ الْمُرَادِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مُفَارِقًا لِمُلُوكِ كِنْدَةَ ، وَمُبَاعِدًا لَهُمْ ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ كَانَ قُبَيْلَ الْإِسْلَامِ بْنُ مُرَادٍ وَهَمْدَانٌ وَقَعَةَ ، أَصَابَتْ فِيهَا هَمْدَانٌ مِنْ مُرَادٍ : مَا أَرَادُوا ، حَتَّى أَتَخَنَوْهُمْ ^(١) ، فِي يَوْمٍ كَانَ يُقَالُ لَهُ : يَوْمُ الرَّدْمِ ، فَكَانَ الَّذِي قَادَ هَمْدَانَ إِلَى مُرَادٍ : الْأَجْدَعُ بْنُ مَالِكٍ ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ^(٢) .

ولما تَوَجَّهَ فَرَوَةُ بْنُ مُسَيْكٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُفَارِقًا لِمُلُوكِ كِنْدَةَ قَالَ :

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَغْرَضْتُ كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلِ عِزُّ نَسَائِهَا ^(٣)
قَرْنْتُ زَاجِلَتِي أَوْمٌ مُحَمَّدًا أَزْجُو فَوَاضِلَهَا وَحَسَنَ ثَرَائِهَا ^(٤)

فلما انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا فَرَوَةُ ، هَلْ سَأَلْتُ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ يَوْمَ الرَّدْمِ ؟ » قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ ذَا يُصِيبُ قَوْمَهُ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمِي يَوْمَ الرَّدْمِ لَا يَسُوُّهُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُ : « أَمَا إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْ قَوْمَكَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا خَيْرًا » . وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مُرَادٍ وَزَيْبِدٍ وَمَذْجَجٍ كُلِّهَا ، وَبَعَثَ مَعَهُ خَالِدَ ابْنِ سَعِيدٍ بِنَ الْعَاصِ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَكَانَ مَعَهُ فِي بِلَادِهِ حَتَّى تُوَفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

[قدوم عمرو بن مغديكيرب في أناس من زبيد]

وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَمْرُو بْنُ مَغْدِيكَرِبٍ فِي أَنْاسٍ مِنْ بَنِي زُبَيْدٍ ، فَأَسْلَمَ ، وَكَانَ عَمْرُو قَدْ قَالَ لِقَيْسِ بْنِ مَكْشُوحٍ الْمُرَادِيِّ - حِينَ انْتَهَى إِلَيْهِمْ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا قَيْسُ ، إِنَّكَ سَيِّدُ قَوْمِكَ ، وَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ ، قَدْ خَرَجَ بِالْحِجَازِ ، يَقُولُ : إِنَّهُ نَبِيٌّ ، فَاَنْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ حَتَّى نَعْلَمَ عِلْمَهُ ، فَإِنْ كَانَ نَبِيًّا كَمَا يَقُولُ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْفَى عَلَيْكَ ، وَإِذَا لَقِينَاهُ اتَّبَعْنَاهُ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ عَلِمْنَا عِلْمَهُ . فَأَبَى عَلَيْهِ قَيْسٌ ذَلِكَ ، وَسَفَّهَ رَأْيَهُ ، فَزَكَبَ عَمْرُو بْنُ مَغْدِيكَرِبٍ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَسْلَمَ

(١) أَتَخَنَوْهُمْ : أَكْثَرُوا فِيهِمُ الْقَتْلَ .

(٢) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الَّذِي قَادَ هَمْدَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَالِكُ بْنُ حَرِيمٍ الْهَمْدَانِي .

(٣) النِّسَاءُ : عِرْقٌ مُسْتَبْطَنٌ فِي الْفَخْدِ . وَأَصْلُهُ مَقْصُورٌ فَمَدَّهُ لِلشَّعْرِ .

(٤) أَوْمٌ : أَقْصَدَ . ثَرَائِهَا ، يَعْنِي بِهِ الْجُودَ وَالْعَطِيَّةَ ، وَيُرْوَى : « ثَنَائِهَا » ، وَهُوَ الَّذِي يَتَحَدَّثُ بِهِ عَنِ الرَّجُلِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ .

وَصَدَّقَهُ ، وَأَمَّنَ بِهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قَيْسَ بْنِ مَكْشُوحٍ أَوْعَدَ عَمْرًا وَتَحَطَّمُ عَلَيْهِ^(١) ، وَقَالَ : خَالَفَنِي وَتَرَكْتُ رَأْيِي ! فَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ فِي ذَلِكَ :

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صَنْعَاءَ أَمَرًا بَادِيًا رَشِيدًا^(٢)
 أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللَّـهِ إِلَهٍ وَالْمَغْرُوفِ تَتَّعِيدُهُ^(٣)
 خَرَجْتَ مِنَ الْمُنَى مِثْلَ الْـ نَحْمِـرِ غَرَّةٍ وَتَدُهُ^(٤)
 تَمَنَّائِي عَلَى فَرَسٍ عَلَيْهِ جَالِسًا أَسَدُهُ^(٥)
 عَلَيَّ مُفَاضَّةً كَالنُّهْـ سِنَانٍ عَوَائِرًا قِصْدُهُ^(٦)
 تَرُدُّ الرُّمَحَ مُنْثَنِي الْـ تَ لَيْثًا فَرَقَهُ لِبَدُهُ^(٧)
 فَلَوْلَا قَيْتَنِي لَلْقِيـ بَرَاتِنٍ نَاشِرًا كَيْدُهُ^(٨)
 تُلَاقِي شَنْبَةً شَتْنِ الْـ تَيْمَمَهُ فَيَغْتَضُّهُ^(٩)
 يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنَ فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ^(١٠)
 فَيَأْخُذُهُ فَيَحْطِطُهُ فَيَخْضُمُهُ فَيَزْدَرِدُهُ^(١١)
 ظُلُومُ^(١١) الشَّرِّكَ فِيمَا أَخـ

(١) تحطم عليه : اشتد عليه .

(٢) ذو صنعاء : بلدة باليمن ، وهي صنعاء . والعرب يزدون « ذو » في كثير من أعلام البلدان .

(٣) وتده : الهنية الناضرة في مقدم أذنه .

(٤) المفاضة : الدرع الواسعة . والنهي : الغدير . والجدد : الأرض الصلبة .

(٥) عوائر : أي متطايرة . والقصد ، بكسر القاف وفتح الصاد : جمع قصدة ، وهي ما تكسر من الرمح .

(٦) اللبد ، بكسر ففتح : جمع لبدة ، وهي ما على كتفي الأسد من الشعر .

(٧) الشنبث ، بزنة جعفر : الذي يتعلق بقرنه ولا يزايله . وشتن : أي غليظ الأصابع . والبرائن : جمع برثن ، وهو للسمع بمنزلة الإصبع للإنسان . وناشرًا : مرتفعًا . والكند : ما بين الكتفين .

(٨) يسامي القرن : يعلوه ويرتفع عليه . والقرن ، بالكسر : الذي ينازل في الشجاعة . وتيممه : قصده . ويعتضده : يجعله تحت عضده ، معناه يفوقه ويتغلب عليه .

(٩) يقتصده : يقتله .

(١٠) يدمغه : يخرج دماغه . ويحطمه : يكسره . ويخضمه : يأكله . ويزدردده : يبتلع .

(١١) ظلوم : مانع .

فَأَقَامَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي زُرَيْدٍ ، وَعَلَيْهِمْ قَزْوَةٌ بَنُ مُسَبِّكٍ . فَلَمَّا تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْتَدَّ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ ، وَقَالَ حِينَ ارْتَدَّ :
وَجَدْنَا مُلْكَ قَزْوَةٍ شَرُّ مُلْكٍ حِمَارًا سَافَ مَنَخِرُهُ بِشَقْرِ^(١)
وَكُنْتَ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ تَرَى الْحَوْلَاءَ مِنْ حَبِثٍ وَعَدْرِ^(٢)
[قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة]

قال ابن إسحاق : وقَدِمَ على رسولِ الله ﷺ الأشعثُ بن قيس في وفد كندة . فحدثني الزُّهْرِيُّ بْنُ شِهَابٍ ، أَنَّهُ قَدِمَ على رسولِ الله ﷺ في ثمانينَ رَاكِبًا من كندة ، فَدَخَلُوا على رسولِ الله ﷺ مَسْجِدَهُ وَقَدْ رَجَلُوا جُمُعَتَهُمْ^(٣) ، وَتَكَحَّلُوا ، عَلَيْهِمْ جُبُبُ الْحَبِيرَةِ^(٤) ، وَقَدْ كَفَّفُوهَا بِالْحَرِيرِ^(٥) ، فَلَمَّا دَخَلُوا على رسولِ الله ﷺ قال : « أَلَمْ تُسَلِّمُوا ؟ » قالوا : بَلَى : قال : « فَمَا بَالُ هَذَا الْحَرِيرِ فِي أَغْنَاكُم ؟ » قال : فَشَقَّوْهُ مِنْهَا فَأَلْقَوْهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَحْنُ بَنُو آكِلِ الْمُرَارِ . وَأَنْتَ ابْنُ آكِلِ الْمُرَارِ . قال : فَتَبَسَّمَ رسولُ الله ﷺ ، وقال : نَاسِبُوا بِهَذَا النَّسَبِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ - وَكَانَ الْعَبَّاسُ وَرَبِيعَةُ رَجُلَيْنِ تَاجِرَيْنِ ، وَكَانَا إِذَا شَاعَا^(٦) فِي بَعْضِ الْعَرَبِ ، فَسُئِلَا مِمَّنْ هُمَا ؟ قَالَا : نَحْنُ بَنُو آكِلِ الْمُرَارِ ! يَتَعَزَّزَانِ بِذَلِكَ ، وَذَلِكَ أَنَّ كِنْدَةَ كَانُوا مُلُوكًا . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : لَا ، بَلْ نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ ، لَا نَقْفُو^(٧) أُمَّنَا ، وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَبِيْنَا . فَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ : هَلْ فَرَعْتُمْ يَا مَعْشَرَ كِنْدَةَ ؟ وَاللَّهِ لَا أَسْمَعُ رَجُلًا يَقُولُهَا إِلَّا صَرِيئَتُهُ ثَمَانِينَ .

(١) ساف : شم . والفقر في البهائم بمنزلة الرحم في المرأة .

(٢) الحولاء : الجلد الذي يخرج فيها ولد الناقة .

(٣) رجلا جُمُعَتَهُمْ : يرد مشطوا شعورهم وسرحوها . والجُمُع : جمع جمعة ، وهي مجتمع شعر الرأس .

(٤) الجبب : جمع جبة ، وهي ضرب من الثياب . والحبرة : ضرب من برود اليمن ذو خطوط .

(٥) كففوها : أي جعلوا لها طرازا . (٦) شاعا : بعدا .

(٧) لا نقفو أُمَّنَا : لا تتبعها في نسبها ، لأن نسب الرجل إلى أبيه لا إلى أمه .

[قُدُومُ ضَرْدُ بن عبد الله الأَزْدِيِّ]

وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَرْدُ بن عبد الله الأَزْدِيُّ ، فَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ فِي وَفْدٍ مِنَ الْأَزْدِ ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُجَاهِدَ بِمَنْ أَسْلَمَ مَنْ كَانَ يَلِيهِ مِنْ أَهْلِ الشُّرُوكِ مِنْ قِبَائِلِ الْيَمَنِ . فَخَرَجَ ضَرْدُ بن عبد الله يَسِيرُ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ بِجَرْشٍ ، وَهِيَ يَوْمُئِذٍ مَدِينَةٌ مُغْلَقَةٌ . وَبِهَا قِبَائِلُ مِنْ قِبَائِلِ الْيَمَنِ ، وَقَدْ صَوَّثَ إِلَيْهِمْ ^(١) خُتْعَتُمْ ، فَدَخَلُوهَا مَعَهُمْ حِينَ سَمِعُوا بِمَسِيرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ ، فَحَاصَرُوهُمْ فِيهَا قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ ، وَامْتَنَعُوا فِيهَا مِنْهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ عَنْهُمْ قَافِلًا ، حَتَّى إِذَا كَانَ إِلَى جَبَلٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ « شُكْر » ظَنَّ أَهْلُ جَرْشٍ أَنَّهُ إِنَّمَا وَلَّى عَنْهُمْ مُنْهَزِمًا ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهِ ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَوه ، عَطَفَ ^(٢) عَلَيْهِمْ فَقَتَلَهُمْ قَتْلًا شَدِيدًا .

وَقَدْ كَانَ أَهْلُ جَرْشٍ بَعَثُوا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ يَزِيدَانِ ، وَيَنْظُرَانِ ، فَبَيْنَا هُمَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشِيَّةً بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِذْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بَأَيِّ بِلَادٍ اللَّهُ شُكْرُ ؟ » فَقَامَ إِلَيْهِ الْجَرْشِيُّانِ فَقَالَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بِلَادِنَا جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ كُثْرٌ - وَكَذَلِكَ يُسَمِّيهِ أَهْلُ جَرْشٍ - فَقَالَ : « إِنَّهُ لَيْسَ بِكَثْرٍ وَلَكِنَّهُ شُكْرٌ » . قَالَا : فَمَا شَأْنُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « إِنْ بُدِنَ اللَّهُ لَتُنْخَرُ عَنْدَهُ الْآنَ » .

فَجَلَسَ الرَّجُلَانِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، أَوْ إِلَى عُثْمَانَ ، فَقَالَ لَهُمَا : وَيْحَكُمَا ! إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْآنَ لَيَنْتَعَى لَكُمْ قَوْمُكُمْ ، فَقُومُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْأَلَاهُ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَرْفَعَ عَنْ قَوْمِكُمَا . فَقَامَا إِلَيْهِ فَسَأَلَاهُ ذَلِكَ . فَقَالَ : « اللَّهُمَّ ارْزُقْ عَنْهُمْ ! » فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَاجِعَيْنِ إِلَى قَوْمَيْهِمَا ، فَوَجَدَا قَوْمَهُمَا قَدْ أُصِيبُوا يَوْمَ أَصَابَهُمْ ضَرْدُ بن عبد الله ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ ، وَفِي السَّاعَةِ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا مَا ذَكَرَ . وَخَرَجَ وَقَدْ جَرْشَ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَسْلَمُوا ، وَحَمَى لَهُمْ حِمَى حَوْلَ قَرِيَّتِهِمْ ، عَلَى أَغْلَامٍ مَعْلُومَةٍ : لِلْفَرَسِ ، وَالرَّاجِلَةِ ^(٣) ، وَلِلْمُثِيرَةِ ^(٤) بَقَرَةِ الْحَوْثِ ، فَمَنْ رَعَاهُ مِنَ النَّاسِ فَمَا لَهُمْ شُحْتُ ^(٥) .

(١) ضوت : انضمت ولجأت واتصلت بهم . (٢) عطف عليهم : مال وتحول .

(٣) الراحلة : واحدة الرواحل ، وهي الإبل . (٤) المثيرة : البقرة ، لأنها تقلب الأرض .

(٥) سحت : حرام لا يحل له أن يأكله .

[قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم]

وقَدِمَ على رسولِ الله ﷺ كتابُ ملوكِ حَمِيرٍ مَقْدَمُهُ مِنْ تَبُوكَ ورسولُهُمْ إليه^(١) بِإِسْلَامِهِمْ : الحَارِثُ بن عبد كَلَال ، وَنُعَيْم بن عبد كَلَال ، وَالثُّعْمَانُ قَيْلُ ذِي رُعَيْنِ^(٢) وَمَعَاذِرَ وَهَمْدَان .

وبعث إليه زُرْعَةُ ذُو يَزَنَ ، مالِكُ بن مُرَّةَ الرَّهَافِيِّ بِإِسْلَامِهِمْ ، وَمُفَارَقَتِهِمْ الشُّرُوكَ وَأَهْلَهُ . فكتب إليهم رسولُ الله ﷺ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . من محمدٍ رسولِ اللَّهِ النَّبِيِّ ، إلى الحَارِثِ بن عبد كَلَال ، وإلى نُعَيْم بن عَبدِ كَلَال ، وإلى الثُّعْمَانِ قَيْلِ^(٣) ذِي رُعَيْنِ وَمَعَاذِرَ وَهَمْدَان .

أما بعدُ ذلكم فإني أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ بِنَا رَسُولُكُمْ مُنْقَلَبَنَا مِنْ أَرْضِ الرُّومِ ، فَلَقِينَا بِالْمَدِينَةِ ، فَبَلَغَ مَا أُرْسَلْتُمْ بِهِ ، وَخَبَرْنَا مَا قَبِلْتُمْ ، وَأَنْبَأَنَا بِإِسْلَامِكُمْ وَقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ . وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكُمْ يَهْدَاهُ ، إِنْ أَصْلَحْتُمْ وَأَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَأَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ، وَأَعْطَيْتُمُ مِنَ الْمَغَانِمِ خُمُسَ اللَّهِ وَسَهْمَ الرَّسُولِ وَصَفِيَّهِ^(٤) وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ ، مِنَ الْعَقَارِ^(٥) عَشْرَ مَا سَقَّتِ الْعَيْنُ وَسَقَّتِ السَّمَاءُ ، وَعَلَى مَا سَقَى الْغَرْبُ^(٦) نِصْفُ الْعُشْرِ . وَإِنَّ فِي الْإِبِلِ الْأَرْبَعِينَ ابْنَةَ لَبُونٍ^(٧) . وَفِي ثَلَاثِينَ مِنَ الْإِبِلِ ابْنُ لَبُونٍ ذَكَرٌ ، وَفِي كُلِّ خَمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ ، وَفِي كُلِّ عَشْرِ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ ، وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعٌ ، جَذَعٌ أَوْ جَذَعَةٌ^(٨) ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْعَنَمِ سَائِمَةٌ وَخَذَاهَا شَاةٌ . وَإِنَّهَا فَرِيضَةُ اللَّهِ الَّتِي فَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ ، فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ وَأَشْهَدَ عَلَى إِسْلَامِهِ

(١) في بعض النسخ : « رسل ملوك » بصيغة الجمع ، و« رسلهم إليه » كذلك . والرسول من الألفاظ التي يستوي فيها المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث .

(٢) القيل ، يقال : هو الملك ، ويقال : بل هو الذي دون الملك الأعلى ، وهذا هو الأكثر .

(٣) قَيْل : من ملوك اليمن في الجاهلية ، دون الملك الأعظم .

(٤) الصفي : ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة . (٥) العقار ، ههنا الأرض ، وهو بفتح العين .

(٦) الغرب ، بفتح فسكون : هي الدلو العظيمة .

(٧) ابنة لبون : ابنة الناقة إذا استكملت السنة الثانية ودخلت في الثالثة لأن أمها ولدت غيرها فصار لها لبن .

(٨) التبيع : ما استكمل سنة من ولد البقر ، فإذا استكمل سنتين فهو جذع .

وظاهر المؤمنين^(١) على المشركين ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمّة الله وذمّة رسوله .

وإنه من أشلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين : له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يردّ عنها ، وعليه الجزية ، على كل حاليم ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد ، دينار وافر ، من قيمة المعافر^(٢) أو عوضه ثيابا ، فمن أدى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله .

أما بعد فإن رسول الله محمدًا النبي أرسل إلى زُرعة ذي يزن : أن إذا أتاكم رُسلي فأوصيكم بهم خيرًا : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك بن عباد ، وعقبة بن نير ، ومالك بن مرة ، وأصحابهم . وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مَخَاليفكم^(٣) ، وأبلغوها رُسلي . وإن أميرهم معاذ بن جبل ، فلا يثقلن إلا راضيا . أما بعد ، فإن محمدًا يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنه عبده ورسوله .

ثم إن مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك أشلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين ، فأبشروا بخير ، وأمرؤكم بجمير خيرًا ، ولا تحوّنوا ، ولا تحاذلوا ، فإن رسول الله هو مؤلّي غنيّكم وفقيركم ، وإن الصدقة لا تحلّ لمحمد ، ولا لأهل بيته ، إنما هي زكاة يُزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل .

وإن مالكًا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب ، وأمرؤكم به خيرًا . وإنّي قد أرسلت إليكم من صالح أهلك وأولي دينهم وأولي علمهم ، وأمرؤكم بهم خيرًا ، فإنهم منطوون إليهم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

[وصية الرسول ﷺ معاذًا حين بعثه إلى اليمن]

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث ، أن رسول الله ﷺ حين بعث معاذًا - أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : « يسّر ولا تعسر ، وبشّر ولا تنفر . وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك ما مفتح الجنة؟ فقل : شهادة أن لا إله إلا الله

(١) ظاهر المؤمنين : عاونهم وقواهم وكان معهم على من سواهم . (٢) المعافر : ثياب من ثياب اليمن .

(٣) مخاليف : جمع مخلاف ، وهو لأهل اليمن كالجنود لأهل الشام ، والكورة لأهل العراق ، والرستاق لأهل الجبال ، والطشوج لأهل الأهواز .

وَحَدَّه لَا شَرِيكَ لَهُ .

[إسلام فزوة بن عمرو الجذامي]

وبعث فزوة بن عمرو الجذامي، إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء، وكان فزوة عاملاً للروم على من يليهم من العرب، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام.

فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه، طلبوه حتى أخذوه، فحبسوه عندهم، ثم ضربوا عنقه، وصلبوه على ذلك الماء، يرحمه الله تعالى.

[إسلام بني الحارث بن كعب]

على يدني خالد بن الوليد لما سار إليهم]

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر، أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلهم. فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركب أن يضربون في كل وجه، ويدعون إلى الإسلام، ويقولون : أيها الناس أسلموا تسلموا. فأسلم الناس، ودخلوا فيما دُعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله، وسنة نبيه ﷺ. وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا، ولم يقاتلوا.

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد النبي رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، يا رسول الله - صلى الله عليك -، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا أقمت فيهم، وقبِلت منهم، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم. وإنني قد مت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، كما أمرني رسول الله ﷺ، وبعثت فيهم ركباً قالوا : « يا بني الحارث، أسلموا تسلموا »، فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم، أمرهم بما أمرهم الله به، وأنهاهم عما نهاهم الله عنه،

وَأَعْلَمُهُمْ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ وَسُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى يَكْتُبَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فَكْتُبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ ، إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ . سَلَامٌ عَلَيْكَ . فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِن كِتَابَكَ جَاءَنِي مَعَ رَسُولِكَ ، تُخْبِرُ أَنَّ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ قَدْ أَشْلَمُوا قَبْلَ أَنْ تُقَاتِلَهُمْ . وَأَجَابُوا إِلَى مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَشَهِدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ قَدْ هَدَاهُمُ اللَّهُ يَهْدَاهُ . فَبَشِّرُوهُمْ وَأَنْذِرُوهُمْ ، وَأَقْبِلْ وَلْيُقْبِلْ مَعَكَ وَفَدَّهُمْ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » .

فَأَقْبَلَ خَالِدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَقْبَلَ مَعَهُ وَفَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ : مِنْهُمْ قَيْسُ ابْنُ الْمُخَصِّينِ ذِي الْغُصَّةِ ، وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْمُحَجَّلِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ فُرَادٍ الرِّيَادِيِّ ، وَشَدَّادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَنَائِي ، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الضَّبَابِيِّ . فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَّاهُمْ قَالَ : « مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانَتْهُمْ رِجَالُ الْهِنْدِ؟ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَؤُلَاءِ رِجَالُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ . فَلَمَّا وَقَفُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَلَّمُوا عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ » . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنْتُمْ الَّذِينَ إِذَا رُجِرُوا^(١) اسْتَقْدَمُوا^(٢)؟ » فَسَكَتُوا ، فَلَمْ يُرَاجِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ أَعَادَهَا الثَّانِيَةَ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ أَعَادَهَا الثَّالِثَةَ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ أَعَادَهَا الرَّابِعَةَ ، فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا رُجِرُوا اسْتَقْدَمُوا ، قَالَهَا أَرْبَعَ مَرَارٍ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ أَنَّ خَالِدًا لَمْ يَكْتُبْ إِلَيَّ أَنَّكُمْ أَشْلَمْتُمْ وَلَمْ تُقَاتِلُوا ، لَأَلْقَيْتُ زُؤُوسَكُمْ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ » . قَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ : أَمَا وَاللَّهِ مَا حَمِدْنَاكَ وَلَا حَمِدْنَا خَالِدًا . قَالَ : فَمَنْ حَمَدْتُمْ؟ قَالُوا: حَمِدْنَا اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - الَّذِي هَدَانَا بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : صَدَقْتُمْ . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَمْ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ » قَالُوا : لَمْ نَكُنْ نَغْلِبْ

(١) رُجِرُوا : نُهُوا وَانْشَهَرُوا .

(٢) اسْتَقْدَمُوا : اسْتَقْدَمُوا إِلَيْهِمْ : مَالُوا عَلَيْهِمْ مِيلَ عِدَاوَةٍ .

أَحَدًا . قال : « بَلَى ، قد كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ » . قالوا : كُنَّا نَغْلِبُ مِنْ قَاتَلَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا كُنَّا نَجْتَمِعُ وَلَا نَفْتَرِقُ ، وَلَا نَبْدَأُ أَحَدًا بِظُلْمٍ ؟ قال : « صَدَقْتُمْ » .

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، قَيْسَ بْنِ الْحُصَيْنِ . فَرَجَعَ وَفَدَ بَنِي الْحَارِثِ إِلَى قَوْمِهِمْ فِي بَقِيَّةٍ مِنْ شَوَّالٍ ، أَوْ فِي صَدْرِ ذِي الْقَعْدَةِ ، فَلَمْ يَمُكِّنُوا بَعْدَ أَنْ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ إِلَّا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، حَتَّى تُؤْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَحِمَ وَبَارَكَ ، وَرَضِيَ وَأَنْعَمَ .

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ ، بَعْدَ أَنْ وَلَّى وَفَدَهُمْ ، عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ ، لِيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ ، وَيُعَلِّمَهُمُ الشُّنَّةَ وَمَعَالِمَ الْإِسْلَامِ ، وَيَأْخُذَ مِنْهُمْ صَدَقَاتِهِمْ ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا عَهْدَ إِلَيْهِ فِيهِ عَهْدُهُ ، وَأَمَرَهُ فِيهِ بِأَمْرِهِ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ . عَهْدٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِعَمْرُو بْنِ حَزْمٍ ، حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ : أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ . فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ . وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِالْحَقِّ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ ، وَأَنْ يُبَشِّرَ النَّاسَ بِالْخَيْرِ ، وَيَأْمُرَهُمْ بِهِ ، وَيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِيهِ ، وَيُنْهَى النَّاسَ فَلَا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِنْسَانٌ إِلَّا وَهُوَ طَاهِرٌ ؛ وَيُخَيِّرَ النَّاسَ بِالَّذِي لَهُمْ وَالَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَيَلِينَ لِلنَّاسِ فِي الْحَقِّ ، وَيَشْتَدَّ عَلَيْهِمْ فِي الظُّلْمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَرِهَ الظُّلْمَ وَنَهَى عَنْهُ ، فَقَالَ : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ وَيُبَشِّرَ بِالْجَنَّةِ وَبِعَمَلِهَا ، وَيُنْذِرَ النَّاسَ النَّارَ وَعَمَلُهَا ، وَيَشْتَأَلِفَ النَّاسَ حَتَّى يُفَقِّهُوا فِي الدِّينِ ، وَيُعَلِّمَ النَّاسَ مَعَالِمَ الْحَجِّ وَسُنَّتَهُ وَفَرِيضَتَهُ ، وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، وَالْحَجَّ الْأَكْبَرُ : الْحَجُّ الْأَكْبَرُ ، وَالْحَجُّ الْأَصْغَرُ : هُوَ الْعُمْرَةُ . وَيُنْهَى النَّاسَ أَنْ يُصَلِّيَ أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ صَغِيرٍ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثَوْبًا يَتْنِي طَرَفَيْهِ عَلَى عَاتِقَيْهِ . وَيُنْهَى النَّاسَ أَنْ يَحْتَبِي (١) أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ يُقْضَى بِفَرْجِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَيُنْهَى أَنْ يَغْقِصَ أَحَدٌ شَعْرَ رَأْسِهِ فِي قَفَاهُ ، وَيُنْهَى ، إِذَا كَانَ بَيْنَ النَّاسِ هَيْجٌ ، عَنْ الدُّعَاءِ إِلَى الْقِبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ ، وَلْيَكُنْ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَمَنْ لَمْ يَدْعُ إِلَى اللَّهِ ، وَدَعَا إِلَى الْقِبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ فَلْيُقْطَعُوا بِالسَّيْفِ ، حَتَّى تَكُونَ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ وَجُوهَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَأَرْجُلَهُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَيَمْسَحُونَ بِرُءُوسِهِمْ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ ، وَأَمَرَ بِالصَّلَاةِ لَوْفَتِهَا ، وَإِتِمَامِ الرُّكُوعِ

(١) يَحْتَبِي : يَجْلِسُ عَلَى أَلْيَتِهِ وَيَضُمُّ فَنَحْذِيهِ وَسَاقِيهِ إِلَى بَطْنِهِ بِذِرَاعِيهِ لِيَسْتَنْدَ .

والسجود والخشوع، ويُغَلَس بالصُّبْح^(١)، ويُهَجَّر بالهاجرة^(٢) حين تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدْبِرَة، والمغرب حين يُقْبِلُ اللَّيْلُ، لا يُؤَخَّرُ حَتَّى تَبْدُو النُّجُومُ فِي السَّمَاءِ، والعشاءُ أَوَّلُ اللَّيْلِ. وأَمَرَ بالسَّغْيِ إِلَى الْجُمُعَةِ إِذَا نَوَدِيَ لَهَا، والغُسْلُ عِنْدَ الزَّوْاجِ إِلَيْهَا. وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَغَانِمِ خُمُسَ اللَّهِ؛ وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ: مِنَ الْعَقَارِ عَشْرٌ مَا سَقَتِ الْعَيْنُ وَسَقَتِ السَّمَاءُ، وَعَلَى مَا سَقَى الْغَرْبُ^(٣) يَصْفُ الْعَشِيرَ، وَفِي كُلِّ عَشِيرٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ، وَفِي كُلِّ عَشِيرَيْنِ أَرْبَعُ شِيَاهٍ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ، وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعٌ^(٤) جَذَعٌ^(٥) أَوْ جَذَعَةٌ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ^(٦) وَخَذَهَا، شَاةٌ؛ فَإِنَّهَا فَرِيضَةُ اللَّهِ الَّتِي افْتَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ، فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ.

وَأَنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ إِسْلَامًا خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ، وَدَانَ بِدِينِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ: لَهُ مِثْلُ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَيْهِمْ. وَمَنْ كَانَ عَلَى نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَهُودِيَّةٍ فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ عَنْهَا. وَعَلَى كُلِّ حَالِمٍ^(٧): ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، مُحْرًا أَوْ عَبْدًا، دِينَارًا وَاقٍ أَوْ عَوْضَةً ثِيَابًا. فَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ فَإِنْ لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، وَمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا. صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

[ذَكَرَ الْكَذَّابِينَ: مُسَيِّلِمَةَ الْحَنْفِيِّ وَالْأَسْوَدَ الْعَنْسِيَّ]

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ تَكَلَّمَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكَذَّابَانِ: مُسَيِّلِمَةُ بْنُ حَبِيبٍ بِالْيَمَامَةِ فِي بَنِي حَنْفِيَّةٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ كَعْبٍ الْعَنْسِيُّ بِصَنْعَاءَ. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَى مِنْبَرِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدَرِ، ثُمَّ أَنْسَيْتُهَا، وَرَأَيْتُ فِي ذِرَاعِي سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ

(١) التغليس: أن يصلبه في أول الفجر.

(٢) التهجير: الصلاة في أول وقت الظهر، والهاجرة: نصف النهار حين تزول الشمس.

(٣) الغَرْبُ: الدلو العظيمة.

(٤) تباع: ما استكمل سنتين من ولد البقر.

(٥) جذع: كل إبل أو ماشية ترسل للرعي ولا تُعَلَفُ.

(٦) سائمة: من أدرك وبلغ مبلغ الرجال (أو النساء).

(٧) حالم: من أدرك وبلغ مبلغ الرجال (أو النساء).

فَكَرِهْتُهُمَا ، فَتَفَخَّخْتُهُمَا فَطَارَا ، فَأَوَّلْتُهُمَا هَذَيْنِ الْكَذَّابَيْنِ : صَاحِبَ الْيَمَنِ ، وَصَاحِبَ الْيَمَامَةِ » .

وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة ، أنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ دَجَّالًا ، كُلُّهُمْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ » .

[خروج الأمراء والعمال على الصدقات]

وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعُمَّالَهُ على الصَّدَقَاتِ إلى كُلِّ مَا أَوْطَأَ الْإِسْلَامُ مِنَ الْبُلْدَانِ ، فَبَعَثَ الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ إِلَى صَنْعَاءَ؛ فَخَرَجَ عَلَيْهِ الْعَنْسِيُّ ، وَهُوَ بِهَا . وَبَعَثَ زِيَادَ بْنَ لَبِيدٍ أَخَا بَنِي بِيضَةَ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، وَعَلَى صَدَقَاتِهَا . وَبَعَثَ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ عَلَى طَبِيءٍ وَصَدَقَاتِهَا ، وَعَلَى بَنِي أَسَدٍ . وَبَعَثَ مَالِكَ بْنَ نُؤَيْرَةَ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي حَنْظَلَةَ . وَفَرَّقَ صَدَقَةَ بَنِي سَعْدٍ عَلَى رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ : فَبَعَثَ الزُّبَيْرَانَ بْنَ بَذْرِ عَلَى نَاحِيَةٍ مِنْهَا ، وَقَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ عَلَى نَاحِيَةٍ . وَكَانَ قَدْ بَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ، وَبَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - إِلَى أَهْلِ نَجْرَانَ ، لِيَجْمَعَ صَدَقَتَهُمْ ، وَيَقْدِمَ عَلَيْهِ بِحِزْبِهِمْ .

[كتاب مُسَيِّلَمَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْجَوَابُ عَنْهُ]

وَقَدْ كَانَ مُسَيِّلَمَةُ بْنُ حَبِيبٍ قَدْ كَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : مِنْ مُسَيِّلَمَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ . سَلَامٌ عَلَيْكَ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ أَشْرِكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَكَ ، وَإِنَّا لَنَا نِصْفُ الْأَرْضِ ، وَلَقُرَيْشٍ نِصْفُ الْأَرْضِ ، وَلَكِنْ قُرَيْشًا قَوْمٌ يَغْتَدُونَ . فَقَدِمَ عَلَيْهِ رَسُولَانِ بِهَذَا الْكِتَابِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَشْجَعٍ ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُعَيْمٍ بْنِ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ نُعَيْمٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِهَاجِرٍ قَرَأَ كِتَابَهُ : « فَمَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا » ؟ قَالَا : نَقُولُ كَمَا قَالَ . فَقَالَ : « أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ الرُّشْلَ لَا تُقْتَلُ لَصَرَبْتُ أَغْنَافَكُمَا » . ثُمَّ كَتَبَ إِلَى مُسَيِّلَمَةَ .:

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُسَيِّلَمَةَ الْكَذَّابِ ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى . أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » . وَذَلِكَ فِي آخِرِ سَنَةِ عَشْرٍ .

الفصل العشرون

حجة الوداع إلى صلاة أبي بكر بالناس

[حجة الوداع]

فلما دَخَلَ على رسول الله ﷺ ذو القعدة، تَجَهَّزَ للحج وأَمَرَ النَّاسَ بِالْجَهَازِ له، وخرج رسول الله ﷺ إلى الحجِّ لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِيْنَ من ذي القعدة^(١).
عن عائشة، قالت: لا يَذْكُرُ ولا يَذْكُرُ النَّاسُ إلا الحجَّ، حتى إذا كان بِسَرِفٍ وَقَدْ ساق رسول الله ﷺ معه الهدي وأشراف من أشراف النَّاسِ، أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يُحِلُّوا بِعُمْرَةٍ، إِلَّا مَنْ ساق الهدي؛ وَجِصَّتْ ذلك اليوم، فدخل عَلَيَّ وأنا أبكي؛ فقال: مالك يا عائشة؟ لعلك تُفَسِّت؟ قلت: نعم، والله لَوِدِدْتُ أَنِّي لم أُخْرَجْ معكم عامي في هذا السفر؛ فقال: لا تقولين ذلك، فإنك تَقْضِينَ كُلَّ ما يَقْضِي الحاجُّ إِلَّا أَنك لا تَطُوفِينَ بِالْبَيْتِ.
ثم مَضَى رسول الله ﷺ على حَجَّه، فَأَرَى النَّاسَ مَنَاسِكُهُمْ، وَأَعْلَمَهُمْ شَرْنَ حَجِّهِمْ، وَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَتَهُ الَّتِي بَيَّنَّ فِيهَا ما بَيَّنَّ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثم قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عامي هذا بهذا الموقف أَبَدًا. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هذا، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، وَقَدْ بَلَّغْتُ. فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا. وَإِنَّ كُلَّ رَبًّا مَوْضُوعٌ^(٢)، وَلَكِنْ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ. قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ لَا رَبًّا، وَإِنْ رَبًّا عَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دِمَائِكُمْ أَضْعَغَ دَمِ ابْنِ رَبِيعَةَ^(٣) بن الحارث بن عبد الْمُطَّلِبِ - وَكَانَ مُشْتَرَضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَفَتَلَتْهُ هَذِيلٌ - فَهُوَ أَوَّلُ ما أَبْدَأَ بِهِ مِنْ دِمَائِ الْجَاهِلِيَّةِ.

(١) قال ابن هشام: فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي، ويقال سباع بن غزوفة الغفاري.

(٢) وضع عنه الدين والدم وجميع أنواع الجناية، يضعه وضعا: أسقطه عنه.

(٣) كان اسمه «آدم» كما في عيون الأثر لابن سيد الناس ٢: ٢٧٥.

أما بعد أيها الناس ، فإن الشَّيْطَانَ قد يَحْسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هذه أَبَدًا ، ولكنَّهُ إِنْ يُطْعَ فيما سِوَى ذلك فقد رَضِيَ بِهِ مما تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ . فَاخْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ النَّسِيءَ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ عَامًا وَيُحَرِّمُونَ عَامًا لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، فَيُحْلِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ . وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ : ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ ، وَرَجَبٌ مُضَرٌ ^(١) الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ .

أما بعد أيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُؤْطِفَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكَرُّهُنَّ ، وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ ^(٢) ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكُشُوتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ . وَاسْتَوْضُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ ^(٣) لَا يَمْلِكُنَّ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا ، وَإِنَّكُمْ إِنْمَّا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةٍ مِنَ اللَّهِ ، وَاسْتَخْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ . فَاغْلِقُوا أَيُّهَا النَّاسُ قَوْلِي ، فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ . وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا ، أَمْرًا بَيِّنًا : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ . أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا قَوْلِي وَاعْقِلُوا ، تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ ، فَلَا يَجِلُّ لِمَرِيءٍ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ ، فَلَا تَطْلُبُوا أَنْفُسَكُمْ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ ؟ » .

فَذَكَرَ لِي أَنَّ النَّاسَ قَالُوا : اللَّهُمَّ : نَعَمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ شَهِدْ » .

آخر البعوث

[بَغْتُ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ إِلَى أَرْضِ فَلَسْطِينِ]

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ بَقِيَّةَ ذِي الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ وَصَفَرًا ، وَضَرَبَ عَلَى النَّاسِ بَغْتًا إِلَى الشَّامِ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَاهُ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُوْطِئَ الْخَيْلَ ثُخُومَ ^(٤) الْبُلْقَاءِ وَالْدَّارُومِ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينِ . فَتَجَهَّزَ النَّاسُ

(١) إنما أضاف رجبا إلى مضر لأنها كانت تعظمه ، ولم يكن أحد من العرب يفعل ذلك سواها .

(٢) غير مبرح : أي غير شديد ، تقول : برح به الأمر ، إذا اشتد عليه وشق .

(٣) عوان : جمع عانية ، وهي الأسيرة . (٤) تخوم : جمع ثخم ، الحد الفاصل بين أرضين .

وَأَوْعَبَ^(١) مع أُسامَةَ بن زَيْدٍ المهاجرون الأولون .
قال ابن هشام : وهو آخِرُ بَعَثِ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

[خروج رُسُلِ رسولِ الله ﷺ إلى المُلُوكِ]

قال ابن هشام : وقد كان رسولُ الله ﷺ ، بَعَثَ إلى المُلُوكِ رُسُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وكتب معهم إِلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حَدَّثَنِي مَنْ أُنِيقَ بِهِ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ ، قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ بَعْدَ عُمْرَتِهِ الَّتِي صَدَّ عَنْهَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَنِي رَحْمَةً وَكَافَّةً ؛ فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيَّ كَمَا اخْتَلَفَ الْخَوَارِثُونَ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ » . فَقَالَ أَصْحَابُهُ : وَكَيْفَ اخْتَلَفَ الْخَوَارِثُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « دَعَاهُمْ إِلَى الَّذِي دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ ، فَأَمَّا مَنْ بَعَثَهُ مَبْعُوثًا قَرِيبًا فَرَضِي وَسَلِّمَ ، وَأَمَّا مَنْ بَعَثَهُ مَبْعُوثًا بَعِيدًا فَكُفْرًا وَجَهْلًا وَتَنَاقُلًا ، فَشَكَا ذَلِكَ عِيسَى إِلَى اللَّهِ ، فَأَصْبَحَ الْمُتَنَاقِلُونَ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الْأُمَّةِ الَّتِي بُعِثَ إِلَيْهَا » .

فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُسُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَكَتَبَ مَعَهُمْ كُتُبًا إِلَى الْمُلُوكِ يَدْعُوهُمْ فِيهَا إِلَى الْإِسْلَامِ . فَبَعَثَ دِحْيَةَ بنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ . وَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ إِلَى كِسْرَى مَلِكِ فَارِسَ . وَبَعَثَ عَمْرُو بنَ أُمَيَّةَ الصُّفَرِيَّ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ . وَبَعَثَ حَاطِبَ بنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْقِسِ مَلِكِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ . وَبَعَثَ عَمْرُو ابْنَ الْعَاصِ السَّهْمِيِّ إِلَى جَيْفَرٍ وَعِيَاذِ ابْنَيْ الْجُلَنْدِيِّ الْأَزْدِيِّينَ مَلِكِي عُثْمَانَ . وَبَعَثَ سَلِيطَ ابْنَ عَمْرُو ، أَحَدَ بَنِي عَامِرِ بنِ لُؤَيٍّ ، إِلَى ثُمَامَةَ بنِ أَثَالٍ وَهُوْزَةَ بنِ عَلِيٍّ الْحَنْظَلِيِّينَ مَلِكِي الْيَمَامَةِ . وَبَعَثَ الْعَلَاءَ بنَ الْخَضْرَمِيِّ إِلَى الْمُنْذِرِ بنِ سَاوَى الْعَبْدِيِّ مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ . وَبَعَثَ شُجَاعَ بنَ وَهَبِ الْأَسَدِيِّ إِلَى الْحَارِثِ بنِ أَبِي شَمِيرٍ^(٢) الْعَسَائِيَّ مَلِكِ ثَخُومِ الشَّامِ .

قال ابن هشام : أَنَا نَسَبْتُ سَلِيطًا وَثُمَامَةَ وَهُوْزَةَ وَالْمُنْذِرَ .

قال ابن إسحاق : حَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ أَبِي حَبِيبٍ الْمَصْرِيُّ أَنَّهُ وَجَدَ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرٌ مِنْ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْبِلْدَانِ وَمُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَمَا قَالَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ بَعَثَهُمْ .

(١) أَوْعَبُوا : خَرَجُوا كُلُّهُمْ ، لَمْ يَتَخَلَفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

(٢) فِي تَحْقِيقِ السَّقَا وَآخَرِينَ : شَمِيرٌ .

قال : فَبَعَثْتُ بِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ ، فَعَرَفَهُ ، وَفِيهِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ : « إِنْ اللَّهَ بَعَثَنِي رَحْمَةً وَكَافَّةً ، فَأَدُّوا عَنِّي يَزُحْمُكُمْ اللَّهُ ، وَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيَّ كَمَا اخْتَلَفَ الْخَوَارِيُّونَ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ » . قَالُوا : وَكَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ ؟ قَالَ : « دَعَاهُمْ لِمِثْلِ مَا دَعَوْتُكُمْ لَهُ ، فَأَمَّا مَنْ قَرَّبَ بِهِ فَأَحَبَّ وَسَلِمَ ، وَأَمَّا مَنْ بَعَّدَ بِهِ فَكَرِهَ وَأَتَى ، فَشَكَا ذَلِكَ عِيسَى مِنْهُمْ إِلَى اللَّهِ ، فَأَصْبَحُوا وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الْقَوْمِ الَّذِي وَجَّهَ إِلَيْهِمْ » .

قال ابن إسحاق : وَكَانَ مَنْ بَعَثَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنَ الْخَوَارِيِّينَ وَالْأَثْبَاعِ ، الَّذِينَ كَانُوا بَعْدَهُمْ فِي الْأَرْضِ : بُطْرُسُ الْخَوَارِيُّ ، وَمَعَهُ بُولُسُ وَكَانَ بُولُسُ مِنَ الْأَثْبَاعِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْخَوَارِيِّينَ ، إِلَى رُومِيَّةَ . وَانْدَرَايُسُ وَمَتَّى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي يَأْكُلُ أَهْلُهَا النَّاسُ . وَتُومَاسُ إِلَى أَرْضِ بَابِلَ مِنْ أَرْضِ الْمَشْرِقِ . وَفِيلِيسُ إِلَى قَرْطَاجَنَّةَ ، وَهِيَ إِفْرِيْقِيَّةُ . وَيُحَنَنْسُ إِلَى أَفْسُوسَ ، قَرْيَةِ الْفِتْيَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ . وَيَعْقُوبُ إِلَى أُورَاشَلِيمَ ، وَهِيَ إِيلْيَاءُ ، قَرْيَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ . وَابْنُ ثَلْمَاءَ إِلَى الْأَغْرَابِيَّةِ ، وَهِيَ أَرْضُ الْحِجَازِ ، وَيُسَيَّمُنُ إِلَى أَرْضِ الْبَزْرِ . وَيَهُودَا ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْخَوَارِيِّينَ ، جُعِلَ مَكَانَ يُوْدَسَ .

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

عن ابن هشام، قال : حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُطَّلِبِيِّ : وَكَانَ جَمِيعُ مَا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَفْسِهِ سَبْعًا وَعِشْرِينَ غَزْوَةً ، مِنْهَا غَزْوَةُ وَدَّانَ ، وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ ، ثُمَّ غَزْوَةُ بُوَاطِ ، مِنْ نَاحِيَةِ رَضَوَى ، ثُمَّ غَزْوَةُ الْعُشَيْرَةِ ، مِنْ بَطْنِ يَنْبُعَ ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرِ الْأُولَى ، يَطْلُبُ كُزَّزَ بْنَ جَابِرٍ ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى ، الَّتِي قَتَلَ اللَّهُ فِيهَا صَنَادِيدَ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ ، حَتَّى بَلَغَ الْكُدْرَ ، ثُمَّ غَزْوَةُ الشَّوْبِقِ ، يَطْلُبُ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ، ثُمَّ غَزْوَةُ غَطَفَانَ ، وَهِيَ غَزْوَةُ ذِي أَمْرِ ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَحْرَانَ ، مَعِدَّةً بِالْحِجَازِ ، ثُمَّ غَزْوَةُ أُحُدٍ ، ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ ، ثُمَّ غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرِ الْآخِرَةِ ، ثُمَّ غَزْوَةُ دُومَةِ الْجَنْدَلِ ، ثُمَّ غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي لَيْعِيَانَ ، مِنْ هَذِيلَ ، ثُمَّ غَزْوَةُ ذِي قَرْدٍ ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ حُزَاعَةَ ، ثُمَّ غَزْوَةُ

الحُدَيْبِيَّةَ، لا يريد قتالاً، فصَدَّه المُشْرِكُونَ، ثم غَزَوْهُ حَيَّير، ثم غُمَرَةُ الْقَضَاءِ، ثم غَزَوْهُ الْفَتْحُ، ثم غَزَوْهُ حُنَيْن، ثم غَزَوْهُ الطَّائِفَ، ثم غَزَوْهُ تَبُوكَ. قَاتَلُ مِنْهَا فِي تِسْعِ غَزَوَاتٍ: بَدْرَ، وَأُحُدَ، وَالْحَنْدَقَ، وَقُرَيْظَةَ، وَالْمُضْطَلِقَ، وَحَيَّيرَ، وَالْفَتْحَ، وَحُنَيْنَ، وَالطَّائِفَ.

[ذكر جملة السرايا والبعوث]

وكانت بعوثه ﷺ وسراياه ثمانيناً وثلاثين، من بين بعثٍ وسريّة: غزوة عُيَيْنَةَ بن الحَارِثِ أَسْفَلَ مِنْ ثَبِيَّةِ ذِي الْمَرْوَةِ، ثم غزوة حَمْزَةَ بن عبد الْمُطَّلِبِ ساحلَ الْبَحْرِ، مِنْ نَاحِيَةِ الْعَيْصِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَقْدَمُ غَزْوَةَ حَمْزَةَ قَبْلَ غَزْوَةِ عُيَيْنَةَ؛ وَغَزْوَةُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ الْخَزَّازِ، وَغَزْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ نَخْلَةَ، وَغَزْوَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الْقَرَدَةِ، وَغَزْوَةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، وَغَزْوَةُ مَرْثَدَ بْنِ أَبِي مَرْثَدٍ الْعَنَوِيِّ الرَّجِيعِ، وَغَزْوَةُ الْمُثَنِّرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَعُونَةَ، وَغَزْوَةُ أَبِي عُيَيْنَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ذَا الْقَصَّةِ، مِنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ، وَغَزْوَةُ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ ثَوْبَةَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ، وَغَزْوَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْيَمَنَ، وَغَزْوَةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلْبِيِّ، كُلِّبِ لَيْثَ، الْكَدِيدَ، فَأَصَابَ بَنِي الْمُلُوحِ.

[ابتداء شكوى رسول الله ﷺ]

قال ابن إسحاق: فَبَيْنَمَا النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ ابْتَدَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَكْوِهِ الَّذِي قَبِضَهُ اللَّهُ فِيهِ إِلَى مَا أَرَادَ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَرَحْمَتِهِ. فِي لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ صَفَرٍ، أَوْ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ. فَكَانَ أَوَّلَ مَا ابْتَدَى بِهِ مِنْ ذَلِكَ - فِيمَا ذَكَرَ لِي - أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ (١) مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَاسْتَعْفَرَ لَهُمْ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ابْتَدَى بِوَجْعِهِ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ. عَنْ أَبِي مُوَيْهَبَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ، إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ أَنْ أَسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ هَذَا الْبَقِيعِ، فَاَنْطَلِقْ مَعِي، فَاَنْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، قَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ، لِيَهْنِئَ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ. أَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يَتَّبِعُ آخِرُهَا أَوَّلُهَا، الْآخِرَةُ شَرُّ مِنَ الْأُولَى».

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: «يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا،

(١) بَقِيعُ الْغَرْقَدِ: مَقْبَرَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَهِيَ دَاخِلُ الْمَدِينَةِ.

ثم الجنة ، فُخِّرَتْ بين ذلك وبين لقاءِ رَبِّي والجنة .
 فقلت : بأبي أَنْتَ وأُمِّي ، فَخُذْ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا ، ثم الجنة . قال :
 « لا ، والله يا أبا مُؤَيَّبِة ، لقد اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي والجنة » . ثم اسْتَعْفَرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ ، ثم
 انصرف ، فبدأ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعَهُ الَّذِي قَبِضَهُ اللَّهُ فِيهِ .
 عن عائشة زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قالت : رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْبَقِيعِ فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجِدُ
 ضِدَاعًا فِي رَأْسِي ، وَأَنَا أَقُولُ : وَارَأْسَاهُ ! فَقَالَ : « بَلْ أَنَا وَاللَّهِ يَا عَائِشَةُ ، وَارَأْسَاهُ ! » ثم قال :
 « وَمَا صَرَّكَ لَوْ مِتُّ قَبْلِي ، فَقُمْتُ عَلَيْكَ وَكَفَّمْتُكَ ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكَ وَدَفَنْتُكَ ؟ » قُلْتُ :
 وَاللَّهِ لَكَأَنِّي بَكَ ، لَوْ قَدْ فَعَلْتَ ذَلِكَ ، لَقَدْ رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي ، فَأَعْرَسْتَ فِيهِ بِنَعِصِ نِسَائِكَ .
 قالت : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . وَتَنَامَ بِهِ وَجَعُهُ وَهُوَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ ، حَتَّى اسْتَعْرَ
 بِهِ^(١) وَهُوَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ ، فَدَعَا نِسَاءَهُ فَاسْتَأْذَنَهُنَّ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي ، فَأُذِنَ لَهُ .

[ذَكَرَ أَزْوَاجَهُ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ]

قال ابن هشام : وَكُنَّ تِسْعًا : عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، وَحَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ،
 وَأُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ خُزَيْمٍ ، وَأُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَسَوْدَةُ بِنْتُ
 زَمْعَةَ بِنْتُ قَيْسٍ ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ بْنِ رِثَابٍ ، وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ حَزْنٍ ، وَجُؤَيْرِيَّةُ
 بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ ، وَصَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ ، فِيمَا حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ
 أَهْلِ الْعِلْمِ .

وَكَانَ جَمِيعُ مَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ عَشْرَةَ : (خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ) : وَهِيَ
 أَوَّلُ مَنْ تَزَوَّجَ ، زَوْجُهُ إِيَّاهَا أَبُوهَا خُوَيْلِدُ بْنُ أَسَدٍ ، وَيُقَالُ أَخُوهَا عَمْرُو بْنُ خُوَيْلِدٍ ،
 وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرِينَ بَكْرَةً^(٢) ، فَوَلَدَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَدَهُ كُلَّهُمْ ،
 إِلَّا إِبْرَاهِيمَ ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ أَبِي هَالَةَ بْنِ مَالِكٍ ، أَحَدُ بَنِي أَسَدٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ ،
 حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ هِنْدُ بْنُ أَبِي هَالَةَ ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي هَالَةَ ، وَكَانَتْ قَبْلَ
 أَبِي هَالَةَ عِنْدَ عُتَيْبِ بْنِ عَابِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْزُومٍ ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَجَارِيَةٌ .
 وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِمَكَّةَ ، وَهِيَ بِنْتُ سَيِّعِ سَنِينَ ،

(١) استعز به : اشتد عليه وغلبه على نفسه ﷺ . (٢) البكرة : الفتية من الإبل .

وَبَنَى بِهَا بِالْمَدِينَةِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ أَوْ عَشْرٍ ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَرَا غَيْرَهَا ، زَوَّجَهُ إِثَّاهَا أَبُوهَا أَبُو بَكْرٍ ، وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَمِائَةَ دِرْهَمًا .

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ بِنَ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ نَضْرٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِشْلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، زَوَّجَهُ إِثَّاهَا سَلِيطُ بْنُ عَمْرٍو ، وَيُقَالُ : أَبُو حَاطِبِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ نَضْرٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِشْلِ ، وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَمِائَةَ دِرْهَمًا ^(١) . وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ الشُّكْرَانِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ نَضْرٍ ابْنِ مَالِكِ بْنِ حِشْلِ .

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشِ بْنِ رِثَابِ الْأَسَدِيَّةِ ، زَوَّجَهُ إِثَّاهَا أَخُوهَا أَبُو أَحْمَدَ بْنِ جَحْشٍ ، وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَمِائَةَ دِرْهَمًا ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَفِيهَا أَنْزَلَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ نِسَاءَ وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا ﴾ .

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمَّ سَلَمَةَ بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ بِنِ الْمُغِيرَةِ الْمُخَزُومِيَّةِ ، وَاسْمُهَا هِنْدٌ ، زَوَّجَهُ إِثَّاهَا سَلَمَةُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ ابْنُهَا ، وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِرَاشًا حَشَوَهُ لَيْفٌ ، وَقَدَحًا ، وَصَحْفَةً ^(٢) ، وَمِجْشَةً ^(٣) . وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ : سَلَمَةَ ، وَعُمَرَ ، وَزَيْنَبَ ، وَرُقَيْيَةَ .

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، زَوَّجَهُ إِثَّاهَا أَبُوهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَمِائَةَ دِرْهَمًا ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ حُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْجِيِّ .

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمَّ حَبِيبَةَ - وَاسْمُهَا زَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، زَوَّجَهُ إِثَّاهَا خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، وَهُمَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَأَصْدَقَهَا النَّجَاشِيُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَمِائَةَ دِينَارٍ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ حَظَبُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشِ الْأَسَدِيِّ .

(١) قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سليطا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة في هذا الوقت .

(٢) صحفة : إناء من آنية الطعام .

(٣) المجشة : أراد بها الرحي .

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جُؤَيْرِيَّةَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ الْخُزَاعِيَّةَ ، كَانَتْ فِي سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ ، فَوَقَّعَتْ فِي الشَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّامِاسِ الْأَنْصَارِيِّ فَكَاتَبَهَا عَلَى نَفْسِهَا ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا فَقَالَ : « هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ ؟ » . قَالَتْ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : « أَفْضِي عَنْكَ كِتَابَتَكَ وَاتَزَوَّجِي » . فَقَالَتْ : نَعَمْ . فَتَزَوَّجَهَا .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بن المصطلق ، ومعه جُؤَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، فكان بذات الجيش ، دفع جُؤَيْرِيَّةَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَدِيعةً ، وَأَمَرَهُ بِالْإِحْتِفَاطِ بِهَا ، وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَأَقْبَلَ أَبُوهُا الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ بِفِدَاءِ ابْنَتِهِ ، فَلَمَّا كَانَ بِالْعَقِيقِ نَظَرَ إِلَى الْإِبِلِ الَّتِي جَاءَ بِهَا لِلْفِدَاءِ فَرَغِبَ فِي بَعِيرَيْنِ مِنْهَا ، فَخَيَّرَهُمَا فِي شِعْبٍ مِنْ شُعَابِ الْعَقِيقِ ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَصَبْتُمْ ابْنَتِي ، وَهَذَا فِدَاؤُهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَأَيْنَ الْبَعِيرَانِ اللَّذَانِ غَيَّبْتَ بِالْعَقِيقِ فِي شِعْبٍ كَذَا وَكَذَا ؟ » فَقَالَ الْحَارِثُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَوَاللَّهِ مَا أَطَّلَعَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ - تعالى - ! فَأَسْلَمَ الْحَارِثُ ، وَأَسْلَمَ مَعَهُ ابْنَانِ لَهُ وَنَاسٌ مِنْ قَوْمِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْبَعِيرَيْنِ فَجَاءَ بِهِمَا ، فَدَفَعَ الْإِبِلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَدُفِعَتْ إِلَيْهِ ابْنَتُهُ جُؤَيْرِيَّةُ ، فَأَسْلَمَتْ وَحُسِّنَ إِسْلَامُهَا ، وَخَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِيهَا فَزَوَّجَهَا إِيَّاهَا ، وَأَصْدَقَهَا أَرْبَعَمِائَةِ دِرْهَمٍ . وَكَانَتْ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ابْنِ عَمٍّ لَهَا يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ . وَيُقَالُ : اشْتَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا ، وَأَصْدَقَهَا أَرْبَعَمِائَةِ دِرْهَمٍ . وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ بِنْتَ حَنْظَلَةَ بْنِ أَخْطَبٍ ، سَبَايَا مِنْ حَنْظَلَةَ ، فَاصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ ، وَأَوَّلَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلِيمَةً ، مَا فِيهَا شَحْمٌ وَلَا لَحْمٌ ، كَانَ سَوِيْقًا^(١) وَتَمْرًا . وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ كِنَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ .

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ حَزْنِ بْنِ بَجِيرِ بْنِ هُزَمَ بْنِ رُوَيْثَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، زَوَّجَهَا إِيَّاهَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَأَصْدَقَهَا الْعَبَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَمِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ أَبِي رُحْمٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ أَبِي قَيْسِ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِشْلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ . وَيُقَالُ : إِنَّهَا الَّتِي وَهَبَتْ

(١) سويقًا : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير .

نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ ، وذلك أن حِطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ انْتَهَتْ إِلَيْهَا وهي على بَعِيرِهَا ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله . فأنزل الله - تبارك وتعالى - : ﴿ وَأَمْرَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ﴾ . ويقال : إن التي وهبت نفسها للنبي ﷺ زَيْنَب بنت جحش . ويقال : أم شريك ، غَزِيَّة بنت جابر بن وهب ، من بني مُثَقَد بن عمرو بن معيص بن عامر بن لُؤَي . ويقال : بل هي امرأة من بني سامة بن لُؤَي ، فأزجأها^(١) رسول الله ﷺ .

وتزوج رسول الله ﷺ زَيْنَب بنت حُزَيْمَةَ بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صَفْصَعَة ، وكانت تُسَمَّى أُم المساكين ، لرحمتها إياهم ورقبتها عليهم ، زوجة إياها قَبِيصَةُ بن عمرو الهلالي ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم ، وكانت قبله عند عُبَيْدَةَ بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عُبَيْدَةَ عند جهم بن عمرو بن الحارث ، وهو ابن عمها .

فهؤلاء اللاتي بنى بهن رسول الله ﷺ ، إحدى عشرة . فمات قبله منهن ثنتان : خديجة بنت خويلد ، وزَيْنَب بنت حُزَيْمَةَ ، وتوفي عن تسع قد ذكرناهن في أول هذا الحديث .

وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت الثعمان الكنديّة ، تزوجها فوجد بها بياضاً فمتعتها وردّها إلى أهلها . وعُمَرَة بنت يزيد الكلابيّة ، وكانت خديجة عهد بكفر ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ استعادت من رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « منيع عائذُ الله » . فردّها إلى أهلها ، ويقال : إن التي استعادت من رسول الله ﷺ كندية بنت عم لأسماء بنت الثعمان ، ويقال : إن رسول الله ﷺ دعاها ، فقالت : أنا من قوم نوتى ولا تأتي! فردّا رسول الله ﷺ إلى أهلها .

(القرشيّات) : من أزواج النبي ﷺ ست : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي . وحفصة بنت عمر بن الخطّاب بن ثعلبة بن عبد العزى بن عبد الله بن قوط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب

(١) أي أخر أمرها .

ابن لُؤَيٍّ . وأُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِنِ أُمَيَّةَ بِنِ عَبْدِ شَمْسٍ بِنِ عَبْدِ مَنَاةَ بِنِ قُصَيٍّ بِنِ كِلَابٍ بِنِ مُرَّةَ بِنِ كَعْبٍ بِنِ لُؤَيٍّ . وَأُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بِنِ الْمُغِيرَةِ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ بِنِ مَخْزُومٍ بِنِ يَظْقَلَةَ بِنِ مُرَّةَ بِنِ كَعْبٍ بِنِ لُؤَيٍّ . وَسَوْدَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ بِنِ قَيْسٍ بِنِ عَبْدِ شَمْسٍ بِنِ عَبْدِ وَدٍّ بِنِ نَضَرَ بِنِ مَالِكٍ بِنِ جِشَلٍ بِنِ عَامِرٍ بِنِ لُؤَيٍّ .

(العَرَبِيَّاتُ غَيْرُهُنَّ) : سَبْعٌ : زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ بِنِ رِثَابٍ بِنِ يَغْمَرَ بِنِ صَبْرَةَ بِنِ مُرَّةَ بِنِ كَبِيرٍ بِنِ عَنَمٍ بِنِ دُودَانَ بِنِ أَسَدٍ بِنِ خُزَيْمَةَ . وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بِنِ خُزَيْنٍ بِنِ بَجِيرٍ بِنِ هَزْمٍ بِنِ رُوَيْبَةَ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ هِلَالٍ بِنِ عَامِرٍ بِنِ صَعْصَعَةَ بِنِ مُعَاوِيَةَ بِنِ بَكْرِ بِنِ هَوَازِنٍ بِنِ مَنصُورٍ بِنِ عِكْرَمَةَ بِنِ خَصَفَةَ بِنِ قَيْسٍ بِنِ عَيْلَانَ . وَزَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ بِنِ الْحَارِثِ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ عَمْرٍو بِنِ عَبْدِ مَنَاةَ بِنِ هِلَالٍ بِنِ عَامِرٍ بِنِ صَعْصَعَةَ بِنِ مُعَاوِيَةَ . وَجُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بِنِ أَبِي ضِرَارٍ الْخُزَاعِيَّةِ ثُمَّ الْمُصْطَلِقِيَّةِ . وَأَسْمَاءُ بِنْتُ الثُّعْمَانَ الْكِنْدِيَّةِ . وَعَمْرَةُ بِنْتُ يَزِيدٍ الْكِلَابِيَّةِ .

(من غير العربيات) : صَفِيَّةُ بِنْتُ حُحَيٍّ بِنِ أَخْطَبٍ ، مِنْ بَنِي النَّضِيرِ .

[عَدْنَا إِلَى ذِكْرِ شَكْوَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ]

قال ابن إسحاق : حدثني يَعْقُوبُ بْنُ عُثْبَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُثْبَةَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَتْ : فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِهِ : أَحَدُهُمَا الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، وَرَجُلٌ آخَرٌ ، عَاصِبًا رَأْسَهُ ، تَخُطُّ قَدَمَاهُ^(١) حَتَّى دَخَلَ بَيْتِي . قَالَ عُثْبَةُ اللَّهِ : فَحَدَّثْتُ هَذَا الْحَدِيثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ ، فَقَالَ : هَلْ تَذَرِي مِنَ الرَّجُلِ الْآخَرِ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا . قَالَ : عَلَيَّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ . ثُمَّ عُمِرَ^(٢) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَاسْتَدَّ بِهِ وَجْعُهُ ، فَقَالَ : « هَرَيْقُوا عَلَيَّ سَبْعَ قَرَبٍ مِنْ آتَارِ شَتَّى ، حَتَّى أَخْرَجَ إِلَى النَّاسِ فَأَعْهَدَ إِلَيْهِمْ » . قَالَتْ : فَأَقْعَدَنَاهُ فِي مِخْضَبٍ^(٣) لِحَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ ، ثُمَّ صَبَبْنَا عَلَيْهِ الْمَاءَ ، حَتَّى طَفِقَ يَقُولُ : « حَسْبُكُمْ حَسْبُكُمْ !! » .

وقال الزُّهْرِيُّ : حَدَّثَنِي أَيُّوبُ بْنُ بَشِيرٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَاصِبًا رَأْسَهُ حَتَّى

(١) تخط قدماه : أي يجرهما .

(٢) غمر ، بالبناء للمجهول : أصابته غمرة المرض .

(٣) المِخْضَبُ : شبه الإِجَانَةَ يغسل فيها الثياب .

جلس على المنبر، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد، واستغفر لهم، فأكثر الصلاة عليهم، ثم قال: «إن عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله». قال: ففهمها أبو بكر، وعرف أن نفسه يريد، فبكى، وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا! فقال: «على رسلك يا أبا بكر» ثم قال: «انظروا هذه الأبواب اللافطة في المسجد^(١) فشدوها إلا بيت أبي بكر^(٢)، فإنني لا أعلم أحدا كان أفضل في الصحبة عندي يدا منه».

وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله، عن بعض آل سعيد بن المعلّى: أن رسول الله ﷺ قال يومئذ في كلامه هذا: «فإنني لو كنت متخذًا من العباد خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صعبة وإخاء إيمان، حتى يجمع الله بيننا عنده».

وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن غزوة بن الزبير وغيره من العلماء، أن رسول الله ﷺ استبطأ الناس في بعث أسامة بن زيد وهو في وجعه، فخرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة: أمر غلاما حدثا على جلة المهاجرين والأنصار! فحمد الله، وأثنى عليه بما هو له أهل. ثم قال: «أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة، فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إماره أبيه من قبله، وإنه لخليق للإمارة، وإن كان أبوه لخليقا لها».

ثم نزل رسول الله ﷺ، وانكمش الناس في جهازهم^(٣)، واستعز^(٤) برسول الله ﷺ وجعه، فخرج أسامة، وخرج جيشه معه، حتى نزلوا الجوف، من المدينة على فوسخ، فضرب به عسكره، وتنام إليه الناس، وثقل رسول الله ﷺ، فأقام أسامة والناس لينظروا ما الله قاض في رسول الله ﷺ.

قال الزهري: وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: يوم صلى واستغفر لأصحاب أحد، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ: «يا معشر المهاجرين، استوصوا بالأنصار خيرا، فإن الناس يزيدون، وإن الأنصار على هبتها

(١) الالفة في المسجد: أي النافذة إليه.

(٢) قال ابن هشام: «ويروى: إلا باب أبي بكر».

(٣) انكمشوا: أسرعوا وجدوا.

(٤) استعز به: غلبه واشتد عليه.

لا تزيد، وإنهم كانوا غيبتي^(١) التي أوتيت إليها. فأخسبنا إلى مُحسِنهم، وتجاوزوا عن مُسيئهم».

ثم نزل رسول الله ﷺ، فدخل بيته وتناّم به وجّعه حتى غُمر^(٢). فاجتمع إليه نساء من نسائه: أمّ سلمة وميمونة، ونساء من نساء المسلمين، مِنْهُنَّ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وعنده العباس عمه، فأجمعوا على أن يلدّوه^(٣)، وقال العباس: لألدّنه. فلدّوه. فلما أفاق رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صَنَعَ هَذَا بِي؟» قالوا: يا رسول الله، عَمُّكَ. قال: «هذا دواء أتى به نساء جفن من نحو هذه الأرض - وأشار نحو أرض الحبشة - وَلَمْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ؟» فقال عمه العباس: خَشِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ بِكَ ذَاتُ الْجَنْبِ^(٤)، فقال: «إِنَّ ذَلِكَ لَدَاءٌ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَقْدِفَنِي بِهِ، لَا يَتَّقُ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلَّا لَدَّ، إِلَّا عَمِّي». فلقد لَدَّتْ مَيْمُونَةُ وَإِنهَا لَصَائِمَةٌ، لِقَسَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ غُقُوبَةٌ لَهُمْ بِمَا صَنَعُوا بِهِ. عن أسامة ابن زَيْد، قال: لما ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَبَطْتُ وَهَبَطَ النَّاسُ مَعِيَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ أَضْمِتْ فَلَا يَتَكَلَّمُ، فَجَعَلَ يَرْفَعُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ يَضَعُهَا عَاقِي، فَأَعْرِفُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي!

عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما أَسْمَعُهُ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيًّا حَتَّى يُخَيِّرَهُ». قالت: فلما حَضَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ آخِرَ كَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْهُ وَهُوَ يَقُولُ: «بَلِ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ». فقلت: إِذَا وَاللَّهِ لَا يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الَّذِي كَانَ يَقُولُ لَنَا: «إِنْ نَبِيًّا لَمْ يَقْبِضْ حَتَّى يُخَيِّرَ».

[صلاة أبي بكر رضي الله عنه بالناس]

قال الزُّهْرِيُّ: وَحَدَّثَنِي حَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ، أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا اسْتَعْرَ^(٥) بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». قلت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، ضَعِيفُ الصَّوْتِ، كَثِيرُ الْبُكَاءِ إِذَا قُرَأَ الْقُرْآنُ! قَالَ: «مُرُّوهُ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». فَعُدْتُ

(١) عيبة الرجل: خاصته وموضع سره. (٢) غُمر: أصابته غمرة المرض.

(٣) لدّه: سقاه اللدود، وهو بالفتح: ما يسقاه المريض في أحد شقي فمه.

(٤) ذات الجنب: الجناب، الذي يشتكي جنبه بسببها.

(٥) استعز: اشتد عليه المرض.

بمثَل قَوْلِي ، فقال : « إِنِّكُرْتُ صَوَاحِبَ يَوْسُفَ ، فَمُرُوهُ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » . قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أَنِّي كُنْتُ أَجِبُ أَنْ يُصَرِّفَ ذلك عن أَبِي بَكْرٍ ، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ لَا يُجِيبُونَ رَجُلًا قَامَ مَقَامَهُ أَبَدًا ، وَأَنَّ النَّاسَ سَيَتَشَاءُونَ بِهِ فِي كُلِّ حَدِيثٍ كَانَ ، فَكُنْتُ أَجِبُ أَنْ يُصَرِّفَ ذلك عن أَبِي بَكْرٍ .

عن عبد الله بن زَمْعَةَ بن الأَسْوَدِ بن المُطَّلِبِ بن أَسَدٍ ، قال : لما اسْتَعِزَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وأنا عنده في نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، دَعَاهُ بِلَالٌ إِلَى الصَّلَاةِ ، فقال : « مُرُوا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ » . فَخَرَجْتُ فَإِذَا عُمرُ فِي النَّاسِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ غَائِبًا ، فَقُلْتُ : قُمْ يَا عُمرُ فَصَلِّ بِالنَّاسِ . فَقَامَ ، فَلَمَّا كَبَّرَ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَهُ - وَكَانَ عُمرُ رَجُلًا مُجْهَرًا ^(١) - فقال رسولُ الله ﷺ : « فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ ! يَا أَبَى اللَّهِ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ ، يَا أَبَى اللَّهِ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ ! » فَبِعِثْتُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَجَاءَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى عُمرُ تِلْكَ الصَّلَاةَ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ . قال عبدُ اللهِ بن زَمْعَةَ : قال لي عُمرُ : وَيْحَكَ !! مَاذَا صَنَعْتَ بِي يَا ابْنَ زَمْعَةَ ؟ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ حِينَ أَمَرْتَنِي إِلَّا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَكَ بِذَلِكَ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا صَلَّيْتُ بِالنَّاسِ . قلت : وَاللَّهِ مَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ ، وَلَكِنِّي حِينَ لَمْ أَرِ أَبَا بَكْرٍ رَأَيْتُكَ أَحَقَّ مَنْ خَصَرَ بِالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ .

قال ابن إسحاق : وقال الزُّهْرِيُّ : حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الَّذِي قَبِضَ اللَّهُ فِيهِ رَسُولَهُ ﷺ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَهُمْ يُصَلُّونَ الصُّبْحَ ، فَرَفَعَ السُّتْرَ وَفُتِحَ الْبَابُ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ عَلَى بَابِ عَائِشَةَ ، فَكَادَ الْمُسْلِمُونَ يَفْتَتِنُونَ فِي صَلَاتِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ ، فَزَحَا بِهِ ، وَتَفَرَّجُوا ^(٢) ، فَأشار إليهم : أَنْ اثْبُتُوا عَلَى صَلَاتِكُمْ . فَتَنَسَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُورًا لَمَّا رَأَى مِنْ هَيْبَتِهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ هَيْبَةً مِنْهُ تِلْكَ السَّاعَةَ . ثُمَّ رَجَعَ وَانصَرَفَ النَّاسُ ، وَهُمْ يُزَوِّنُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَفْرَقَ مِنْ وَجَعِهِ ^(٣) ، فَزَجَعَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَهْلِهِ بِالسُّنْحِ ^(٤) .

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١) مجهرا : أي رفيع الصوت ، يقال : أجهر الرجل ، إذا عرف بشدة الصوت .

(٢) تفرجوا : ذهب عنهم الغم وانكشف الكرب .

(٣) أفرق من وجعه : برئ واستبَلَّ .

(٤) السنح ، بضم فسكون : موضع كان لأبي بكر رضي الله عنه فيه مال ، وكان ينزله بأهله .

قال حين سَمِعَ تكبيرَ عُمَرَ في الصلاة : « أين أبو بَكْرٍ؟ يَأْتِي الله ذلك والمسلمون » . فلولا مَقَالَةُ قالها عُمَرُ عند وفاته ، لم يَشْكُ المسلمون أَنَّ رسولَ الله ﷺ قد اسْتَخْلَفَ أبا بَكْرٍ ، ولكنه قال عند وفاته : إِنَّ اسْتَخْلَافَ فقد اسْتَخْلَفَ مَنْ هو خَيْرٌ مِنِّي ^(١) ، وإن أَتْرَكْتَهُمْ فقد تَرَكْتَهُمْ مَنْ هو خَيْرٌ مِنِّي ^(٢) . فعَرَفَ الناسُ أَنَّ رسولَ الله ﷺ لم يَسْتَخْلِفْ أَحَدًا . وكان عُمَرُ غَيْرَ مُتَّهِمٍ عَلَى أَبِي بَكْرٍ .

وحدثني أبو بَكْرٍ بن عبد الله بن أبي مُلَيْكَةَ ، قال : لما كان يومُ الاثْنَيْنِ خرج رسولُ الله ﷺ عاصِبًا رَأْسَهُ ، إلى الصُّبْحِ ^(٣) ، وأبو بَكْرٍ يُصَلِّي بالنَّاسِ ، فلما خرج رسولُ الله ﷺ تَفَرَّجَ النَّاسُ ، فعَرَفَ أبو بَكْرٍ أَنَّ النَّاسَ لم يَصْنَعُوا ذلك إِلَّا لرسولِ الله ﷺ ، فَتَكَصَّ عَنْ مُصَلَّاهُ ، فدفع رسولُ الله ﷺ في ظَهْرِهِ ، وقال : « صَلِّ بالنَّاسِ » . وجلس رسولُ الله ﷺ إلى جَنْبِهِ ، فصَلَّى قَاعِدًا عن يَمِينِ أَبِي بَكْرٍ ، فلما فَرَغَ من الصَّلَاةِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَكَلَّمَهُمْ رَافِعًا صَوْتَهُ ، حتى خَرَجَ صَوْتُهُ من بَابِ المسجدِ يقول : « أَيُّهَا النَّاسُ ، سَعَرَتِ النَّارُ ، وَأَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ! وإِنِّي واللهِ مَا تَمَسَّكُونَ عَلَيَّ بِشَيْءٍ ، إِنِّي لَمْ أَجَلِّ إِلَّا مَا أَحَلَّ الْقُرْآنُ ، وَلَمْ أَخْزُمْ إِلَّا مَا حَرَّمَ الْقُرْآنُ » .

قال : فلما فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من كلامِهِ ، قال له أبو بَكْرٍ : يا نَبِيَّ الله ، إِنِّي أَرَاكَ قد أَصْبَحْتَ بِنِعْمَةٍ من الله وَفَضْلٍ كما نُحِبُّ ، واليَوْمُ يَوْمُ بِنْتِ ^(٤) خَارِجَةَ أَفَاتِيهَا؟ قال : نَعَمْ . ثم دَخَلَ رسولُ الله ﷺ وَخَرَجَ أبو بَكْرٍ إلى أَهْلِهِ بالسُّنْحِ .

عن عبد الله بن عَبَّاسٍ قال : خرج يَوْمَئِذٍ عَلِيُّ بن أبي طَالِبٍ ، رِضْوَانُ الله عَلَيْهِ ، على النَّاسِ مِنْ عِنْدِ رسولِ الله ﷺ ، فقال له النَّاسُ : يا أبا حَسَنَ ، كيف أَصْبَحَ رسولُ الله ﷺ ؟ قال : أَصْبَحَ بِحَمْدِ الله بَارِعًا . فأخذ العَبَّاسُ بِيَدِهِ ، ثم قال : يا عَلِيُّ ، أَنْتَ واللهِ عَبْدُ الْعَصَا بعد ثَلَاثَ ، أَخْلِفُ باللهِ لقد عَرَفْتُ الْمَوْتَ في وَجْهِ رسولِ الله ﷺ كما كُنْتُ أَعْرِفُهُ في وَجْهِ بني عبد المُطَّلِبِ ، فأنْطَلِقُ بنا إلى رسولِ الله ﷺ ، فإن كان هذا الأمرُ فِينَا عَرَفْنَاهُ ، وإن كان في غَيْرِنَا أَمَرْنَاهُ فَأَوْصَى بنا النَّاسُ . فقال له عَلِيُّ : إِنِّي واللهِ لا أفعل ،

(١) يعني : أبا بكر .

(٢) يعني : رسول الله ﷺ . الرياض النضرة للمحب الطبري ٢ : ٧٤ .

(٣) أي إلى صلاة الصبح .

(٤) هي حبيبة بنت خارِجَةَ بن زيد الخزرجية : زوج أبي بكر . الإصابة ٨ : ٤٨ .

والله لئن مُنِعناه لا يُؤْتيناهُ أحدٌ بعده! فتُوفِّي رسولُ الله ﷺ حين اشتدَّ الضُّحَاءُ من ذلك اليوم.

عن عائشة قالت: رَجَعَ إِلَيَّ رسولُ الله ﷺ في ذلك اليوم حين دخل من المسجد، فاضطَجَعَ في حجرِي، فدخل عَلَيَّ رجلٌ من آل أبي بَكْرٍ، وفي يده سِوَاكٌ أخْضَرُ، فنظر رسولُ الله ﷺ إليه في يده نَظْرًا عَرَفْتُ أَنَّهُ يُرِيدُهُ. فقلت: يا رسولَ الله، أَتُحِبُّ أَنْ أُعْطِيَكَ هذا السِّوَاك؟ قال: «نعم»؟ فَأَخَذْتُهُ فَمَضَعْتُهُ حَتَّى لَيْثْنُهُ، ثم أَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُ، فاشْتَرَّ بِهِ^(١) كَأَشَدِّ مَا رَأَيْتُهُ يَسْتَشِرُّ بِسِوَاكِ قَطُّ، ثم وَضَعَهُ، وَوَجَدْتُ رسولَ الله ﷺ يَنْقُلُ فِي حِجْرِي، فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ، فَإِذَا بَصْرُهُ قَدْ شَخَصَ، وهو يقول: «بَلِ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ». فقلت: خَيَّرْتَ فَأَخْتَرْتَ والذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! وَفُيِّضَ رسولُ الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدثني يَحْيَى بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ، عن أبيه عُبَادٍ، قال: سمعتُ عائشة تقول: ماتَ رسولُ الله ﷺ بين سَحْرِي ونَحْرِي^(٢) وفي دَوْلَتِي^(٣)، لَمْ أَظْلِمُ فِيهِ أَحَدًا، فَمِنْ سَفْهِي وَخَدَائَةِ سَيِّئِي أَنْ رسولَ الله ﷺ فُيِّضَ وهو في حِجْرِي، ثم وَضَعْتُ رَأْسَهُ عَلَى وَسَادَةٍ، وَفُتِّتُ الْتَدِمُ^(٤) مع النِّسَاءِ وَأَضْرِبُ وَجْهِي.

عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: لما تُوفِّي رسولُ الله ﷺ قام عمرُ بن الخطَّابِ فقال: إِنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُتَنَافِقِينَ يُزْعِمُونَ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قد تُوفِّيَ، وإن رسولَ الله ﷺ ما مات، ولكنه ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ موسى بن عمران، فقد غَابَ عن قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثم رَجَعَ إِلَيْهِمْ بعد أن قيل: قد مات. ووالله لَيَزْجَعَنَّ رسولُ الله ﷺ كما رَجَعَ موسى، فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ زَعَمُوا أَنَّ رسولَ الله ﷺ مات.

قال: وأقبل أبو بَكْرٍ حتى نزل على باب المسجد - حين بَلَغَهُ الخبر - وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فلم يَلْتَفِتْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى رسولِ الله ﷺ فِي بَيْتِ عائشة، ورسولُ الله ﷺ مُسَجًى^(٥) فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، عَلَيْهِ بُزْدٌ حَبْرَةٌ^(٦)، فَأَقْبَلَ حَتَّى كَشَفَ عَنْ وَجْهِ رسولِ

(١) أي استاك به.

(٢) السحر: الرئة وما يتصل بها إلى الحلقوم، وهي بفتح فسكون، أو بضم فسكون. والنحر: أعلى الصدر.

(٣) في دولتي: تريد في نوبتها التي كانت لها.

(٤) التدم: أضرب صدري. (٥) مسجى: مغطى. (٦) هو ضرب من ثياب اليمن.

الله ﷺ ، ثم أقبلَ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ ، ثم قال : بأبي أنت وأُمِّي ، أما المَوْتَةُ التي كَتَبَ اللهُ عَلَيْكَ فقد دُفِنَتْهَا ، ثم لن تُصِيبَكَ بعدها مَوْتَةٌ أَبَدًا ! ثم رَدَّ البُرْدَ على وَجْهِه رسول الله ﷺ ، ثم خَرَجَ وَغَمَزُ يَكْلُمُ النَّاسَ ، فقال : عَلَى رِسْلِكَ يَا عُمَرُ ، أَنْصِصْتُ . فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ ، فلما رَأَى أَبُو بَكْرٍ لَا يُنْصِصُ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فلما سَمِعَ النَّاسُ كَلَامَهُ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَتَرَكَوا عُمَرَ ، فَحَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثم قال : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

قال : فوالله لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ ، وَأَخَذَهَا النَّاسُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَإِنَّمَا هِيَ فِي أَفْوَاهِهِمْ . فقال أَبُو هُرَيْرَةَ : قال عُمَرُ : فوالله ما هو إِلَّا أَنَّ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا ، فَعُقِرْتُ^(١) حَتَّى وَقَعْتُ إِلَى الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُنِي رِجْلَايَ ، وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ مَاتَ .



(١) عقرت : بالبناء المجهول : دهشت وتحيرت .

الفصل الحادي والعشرون من سقيفة بني ساعدة إلى منام السيرة

[أمر سقيفة بني ساعدة]

قال ابن إسحاق : ولما قبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحَي من الأنصار إلى سَعْدِ ابن عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، وَاعْتَزَلَ عَلِيٌّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ وَالرُّبَيْيُّ بَنَ الْعَوَّامِ وَطَلْحَةُ بَنَ عُثَيْبٍ اللَّهُ فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ ، وَانْحَاَزَ بَقِيَّةُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَانْحَاَزَ مَعَهُمْ أُسَيْدُ بْنُ حُصَيْنٍ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، فَأَتَى آتٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ قَدْ انْحَازُوا إِلَيْهِ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ بِأَمْرِ النَّاسِ حَاجَةٌ فَأَذْرِكُوا النَّاسَ قَبْلَ أَنْ يَتَّفَقَ أَمْرُهُمْ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ لَمْ يُفْرَغْ مِنْ أَمْرِهِ ، قَدْ أَغْلَقَ دُونَهُ الْبَابَ أَهْلُهُ . قَالَ عُمَرُ : فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ : انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، حَتَّى نَنْظُرَ مَا هُمْ عَلَيْهِ .

عن عبد الله بن عباس ، قال : أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، قَالَ : وَكُنْتُ فِي مَنْزِلِهِ بِمِثْنَى أَنْتَظِرُهُ ، وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا عُمَرُ ، فَرَجَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ مِنْ عِنْدَ عُمَرَ ، فَوَجَدَنِي فِي مَنْزِلِهِ بِمِثْنَى أَنْتَظِرُهُ ، وَكُنْتُ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ . فَقَالَ لِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلْ لَكَ فِي فُلَانٍ ، يَقُولُ : وَاللَّهِ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا ، وَاللَّهِ مَا كَانَتْ يَبِيعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلَنَةً فَتَمَّتْ ! قَالَ : فَغَضِبَ عُمَرُ ، فَقَالَ : إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمُ الْعَشِيَّةِ فِي النَّاسِ فَمُحَدِّثُهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أَمْرَهُمْ . قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاةَ النَّاسِ ، وَغَوَاةَهُمْ^(١) ، وَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يَطِيرُ بِهَا أَوْلَئِكَ عَنْكَ كُلُّ

(١) الرعاع : سقط الناس ، وأصل الغوغاء الجراد ، فشبهه سفل الناس به لكثرتهم .

مَطِيرٍ ، وَلَا يَغُوهَا ، وَلَا يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا ، فَأَمْهَلُ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةُ ، فَإِنَّهَا دَارُ
السُّنَّةِ ، وَتَخْلُصُ بِأَهْلِ الْفَقْهِ^(١) وَأَشْرَافِ النَّاسِ ، فَتَقُولُ مَا قُلْتَ بِالْمَدِينَةِ مُتَمَكِّنًا فَيَعْبِي أَهْلُ
الْفَقْهِ مَقَالَاتِكَ ، وَيَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا . فَقَالَ عُمرُ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَأَقُومَنَّ بِذَلِكَ
أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ !

قال ابنُ عَبَّاسٍ : فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فِي عَقَبِ ذِي الْحِجَّةِ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ عَمِلْتُ
الرَّوَاخَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ ، فَأَجِدُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ بَنَ عُمرُ بْنُ نُفَيْلٍ جَالِسًا إِلَى رُحْنِ الْمِنْبَرِ ،
فَجَلَسْتُ حَذْوَهُ تَمَسُّ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ ، فَلَمْ أَتَشَبَّ أَنْ خَرَجَ عُمرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ
مُقْبِلًا قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ : لَيَقُولَنَّ الْعَشِيَّةَ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ مَقَالََةً لَمْ يَقُلْهَا مِنْذُ اسْتُخْلِفَ !
فَأَنْكَرَ عَلَيَّ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ذَلِكَ ، وَقَالَ : مَا عَسَى أَنْ يَقُولَ مِمَّا لَمْ يَقُلْ قَبْلَهُ ؟ فَجَلَسَ عُمرُ
عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَلَمَّا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُونَ قَامَ فَأَتَنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدَ ،
فَإِنِّي قَاتِلٌ لَكُمْ الْيَوْمَ مَقَالََةً قَدْ قُدِّرَ لِي أَنْ أَقُولَهَا ، وَلَا أُدْرِي لَعَلَّهَا بَيْنَ يَدَيَّ أَجْلِي ، فَمَنْ
عَقَلَهَا وَوَعَاها فَلْيَأْخُذْ بِهَا حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ ، وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لَا يُعَيِّهَا فَلَا يَجُلْ لِأَحَدٍ
أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ . إِنْ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةُ
الرَّجَمِ ، فَقَرَأَهَا وَعَلَّفَهَا وَوَعَّيْنَاهَا . وَرَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ ، فَأَخْشَى إِنْ
طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَاتِلٌ : وَاللَّهِ مَا نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؛ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةِ
أَنْزَلَهَا اللَّهُ . وَإِنْ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أُخْصِنَ ، مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ،
وَإِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَةُ ، أَوْ كَانَ الْحَبْلُ ، أَوْ الْإِعْتِرَافُ . ثُمَّ إِنَّا قَدْ كُنَّا نَقْرَأُ فِيمَا نَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ
اللَّهِ : لَا تَوَعَّبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ، فَإِنَّهُ كَفَرُكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ . أَلَا إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أُطْرِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقُولُوا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » . ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ
بَلَغَنِي أَنَّ فُلَانًا قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا ! فَلَا يَغُرَّنَّ امْرَأَةً أَنْ
يَقُولَ : إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلَنَتَّهَتْ . وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ قَدْ وَفَّى
شَرْهَآ ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مَنْ تَنْقَطِعُ الْأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ ، فَمَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ

(١) فِي تَحْقِيقِ السِّقَا : بِأَهْلِ الثَّقَةِ .

من المسلمين فإنه لا يبيعه له هو ولا الذي بايعه تبعه أن يقتل^(١). إنه كان من خبرنا- حين توفى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة ، وتخلّف عنا علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار . فانطلقنا نؤمهم ، حتى لقينا منهم رجلاً صالحاً ، فذكر لنا ما تمالأ عليه القوم ، وقال : أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار . قال : فلا عليكم أن لا تقرّبوهم يا معشر المهاجرين ، اقضوا أمركم . قلت : والله لنأتيتهم . فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا بين ظهرانيهم^(٢) رجل مزمّل^(٣) ، فقلت : من هذا؟ فقالوا : سعد ابن عباد . فقلت : ماله؟ فقالوا : وجع . فلما جلسنا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا . وقد دفت دافة^(٤) من قوميكم . قال : وإذا هم يريدون أن يختارونا من أصلنا ويعتصبونا الأمر .

فلما سكّت أزدت أن أتكلّم وقد زوّدت^(٥) في نفسي مقالة قد أعجبتني ، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر ، وكنت أداري منه بعض الحد^(٦) ، فقال أبو بكر : على رسلك يا عمر! فكرهت أن أغضبه ، فتكلّم ، وهو كان أعلم مني وأوقر ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قالها في بديهته ، أو مثلها ، أو أفضل ، حتى سكّت . قال : أمّا

(١) أي جوف الثغرة ، وهي التفرير ، ومعناه أن البيعة حقها أن تقع صادرة عن المشورة والاتفاق ، فإذا استبد رجلان اثنان الجماعة فبايع أحدهما الآخر فذلك تظاهر منهما بشق العصا وإطراح الجماعة . فإن عقد لأحد بيعة فلا يكون المعقود له واحداً منهما ، وليكونا معزولين من الطائفة التي تتفق على تمييز الإمام منها . لأنه لو عقد الواحد منهما وقد ارتكبا تلك الفعل الشنيعة التي أحفظت الجماعة من التهاون بهم والاستغناء عن رأيهم ، لم يؤمن أن يقتلا . عن لسان العرب (غرر) .

(٢) بين ظهرانيهم : بينهم .

(٣) مزمّل : ملتف ، تزمّل الرجل ، إذا التف في كساء أو نحوه .

(٤) الدافة : الجماعة تأتي من البادية إلى الحاضرة ، وهي أيضاً الجماعة تسير برفق .

(٥) زورت مقالة : أعددتها وحسنتها في نفسي .

(٦) يريد أنه قد كان في أخلاقه بعض الحدة ، فكان جهد عمر أن يداريه .

ما ذَكَّرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ ، وَلَنْ تَعْرِفَ الْعَرَبُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ : هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا . وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ فَبَايَعُوا أَثْنَمَا شَقْتُمْ . وَأَخَذَ بِيَدِي وَبِيدَ أَبِي عُثَيْبَةَ بْنِ الْجَوَّاحِ وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا ، وَلَمْ أَكْرَهُ شَيْئًا مِمَّا قَالَهُ غَيْرَهَا . كَانَ وَاللَّهِ أَنْ أَقْدَمَ فَتَضَرَّبَ عُنُقِي ، لَا يُقَرِّبَنِي ذَلِكَ إِلَى إِيَّائِهِمْ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ .

قال : فقال قَائِلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ ، وَغَذَيْقُهَا الْمُرْجَبُ^(١) ، مِثْلًا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ . قال : فَكَثُرَ اللَّعْطُ ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ ، حَتَّى تَخَوَّفْتُ الْاِخْتِلَافَ ، فَقُلْتُ : ابْسِطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ . فَبَسِطَ يَدَهُ ، فَبَايَعْتُهُ ، ثُمَّ بَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ ، ثُمَّ بَايَعَهُ الْأَنْصَارُ ، وَنَزَوْنَا^(٢) عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ . فَقُلْتُ : قَتَلَ اللَّهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ .

قال الزُّهْرِيُّ : أَخْبَرَنِي عُزُوزَةُ بِنْتُ الزُّبَيْرِ ، أَنَّ أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ لَقُوا مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ ذَهَبُوا إِلَى الشَّقِيقَةِ : عُؤَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ ، وَالْآخَرُ مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ أَخُو بَنِي الْعَجْلَانِ ، فَأَمَّا عُؤَيْمُ ابْنُ سَاعِدَةَ فَهُوَ الَّذِي بَلَّغَنَا أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُمْ : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْطَلِعُوا لِلَّهِ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَعَمْ الْمَرْءُ مِنْهُمْ عُؤَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ » . وَأَمَّا مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ ، فَبَلَّغَنَا أَنَّ النَّاسَ بَكَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ تَوَفَّاهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ، وَقَالُوا : وَاللَّهِ لَوَدِدْنَا أَنَّ مِثْلًا قَبْلَهُ ، إِنَّا نَخْشَى أَنْ نَفْتِنَ بَعْدَهُ . قَالَ مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ : لَكِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ أَنِّي مِثْلُ قَبْلِهِ ، حَتَّى أَصْدَقَهُ مِثْلًا كَمَا صَدَّقْتُهُ حَيًّا ! فَقَتَلَ مَعْنُ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ .

وَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا بُوِيعَ أَبُو بَكْرٍ فِي الشَّقِيقَةِ وَكَانَ الْغَدُ ، جَلَسَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمِثْبَرِ ، فَقَامَ عُمَرُ ، فَتَكَلَّمَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا أَهَّلَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ بِالْأَمْسِ مَقَالَةً مَا كَانَتْ مِمَّا وَجَدْتُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَلَا كَانَتْ عَهْدًا عِهْدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَكِنِّي قَدْ كُنْتُ أَرَى أَنْ

(١) الجذيل : تصغير جذل ، وهو عود ينصب للإبل تحتك به وتستريح إليه . والعرب تضرب به المثل للرجل يستشفي برأيه . والعذيق : تصغير عذق ، وهي النخلة نفسها . والمرجب : الذي تبنى إلى جانبه دعامة ، لكثرة حمله وعزه على أهله ، وهو مضروب به المثل للرجل الشريف المبجل .

(٢) النزو : الوثب .

رسول الله ﷺ سَيِّدُكُمْ أَمْرًا - يقول : يكون آخِرُنَا - وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي به هَدَى الله رسوله ﷺ ، فإن اغْتَصَمْتُمْ به هداكم الله لما كان هداه له ، وإنَّ الله قد جَمَعَ أَمْرَكُمْ على خَيْرِكُمْ ، صاحب رسول الله ﷺ ، ثانيي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ، فقوموا فبَايِعوه . فَبَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ بَيْعَتَهُ الْعَامَّةَ بَعْدَ بَيْعَةِ السَّقِيفَةِ .

فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ ، وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِثُّونِي ، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي . الصَّدْقُ أَمَانَةٌ ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ ^(١) عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى أَخْذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . لَا يَدْعُ قَوْمَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذُّلِّ ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاجِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ . قَوْمُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ .

عن ابن عباس ، قال : والله إني لأُمشي مع عُمرَ في خِلَافَتِهِ وهو عامِدٌ إلى حاجةٍ له ، وفي يده الدُّرَّةُ ^(٢) ، وما معه غَيْرِي ، وهو يُحَدِّثُ نَفْسَهُ ، وَيَضْرِبُ وَحْشِيَّ قَدَمِهِ ^(٣) بِدِرَّتِهِ ، إِذِ التَّفَتُّ إِلَيَّ فَقَالَ : يَا ابْنَ عَبَّاسَ ، هَلْ تَذَرِي مَا كَانَ حَمَلَنِي عَلَى مَقَالَتِي الَّتِي قُلْتُ حِينَ تُؤْفِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْتُ : لَا أَذَرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ أَعْلَمَ . قَالَ : فَإِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ كَانَ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ، فوالله إِنْ كُنْتُ لَأُظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَيَبْقَى فِي أُمَّتِهِ حَتَّى يَشْهَدَ عَلَيْهَا بِآخِرِ أَعْمَالِهَا ، فَإِنَّهُ لِلَّذِي حَمَلَنِي عَلَى أَنْ قُلْتُ مَا قُلْتُ .

[جهاز رسول الله ﷺ ودفنه]

قال ابن إسحاق : فلما بُويعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ . فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرُهُمَا مِنْ

(١) أراحه : أرجعه ورده .

(٢) الدرة : بالكسر : ضرب من السياط يضرب به ، يكون للسلطان .

(٣) وحشي القدم : جانبها الخارجي .

أصحابنا، أن عليّ بن أبي طالب، والعبّاس بن عبد المطلب، والفضل بن العبّاس، وقتبم ابن العبّاس، وأسامة بن زيد، وشقران مولى رسول الله ﷺ هم الذين ولّوا غسله، وأن أوس بن حوّل، أحد بني عوف بن الخزرج، قال لعليّ بن أبي طالب: أنشدك الله يا عليّ وحظنا من رسول الله ﷺ. وكان أوس من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر- قال: اذخل. فدخل فجلس، وحضر غسل رسول الله ﷺ، فأشندته عليّ بن أبي طالب إلى صدره وكان العبّاس والفضل وقتبم يقبلونه معه، وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه هما اللذان يصبّان الماء عليه، وعليّ يغسله، قد أشندته إلى صدره، وعليه قميصه يذلكه به من ورائه، لا يفضي بيده إلى رسول الله ﷺ، وعليّ يقول: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حيّا وميتا!! ولم ير من رسول الله ﷺ شيء مما يرى من الميت.

عن عائشة، قالت: لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلّفوا فيه، فقالوا: والله ما ندرى، أنجرّد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرّد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم، حتّى ما منهم رجل إلا ذقنه في صدره، ثم كلّمهم مكلّم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النّبيّ وعليه ثيابه. فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه، يصبّون الماء فوق القميص ويذلكونه، والقميص دون أيديهم. قال ابن إسحاق: فلما فرغ من غسل رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب: ثوبين صحرّيين^(١) وثوب جبرة أدرج فيها إدراجا.

عن ابن عبّاس، قال: لما أرادوا أن يخفّروا لرسول الله ﷺ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرخ^(٢) كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يخفر لأهل المدينة فكان يلحد^(٣)، فدعا العبّاس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح، وللآخر: اذهب إلى أبي طلحة، اللهم خذ لرسول الله ﷺ. فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ.

فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، وضيع على سريرته في بيته، وقد كان

(١) صحاريين: نسبة إلى صحار، وهي بلدة من بلاد اليمن. ويقال: هي عمان.

(٢) الضرخ: الشق. والضريح: القبر يشق في وسط الأرض شقّا.

(٣) اللحد: الشق يكون في جانب القبر.

المسلمون اختلفوا في دَفْنِهِ ، فقال قَائِلٌ : نَدَفْنُهُ فِي مَسْجِدِهِ ، وقال قَائِلٌ : بل نَدَفْنُهُ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فقال أَبُو بَكْرٍ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ » . فَرَفَعَ فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي تُؤَفِّي عَلَيْهِ ، فَحَفَرَ لَهُ تَحْتَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ أَرْسَالًا^(١) : دَخَلَ الرِّجَالُ حَتَّى إِذَا فَرَعُوا أُذْخِلَ النِّسَاءُ ، حَتَّى إِذَا فَرَعَ النِّسَاءُ أُذْخِلَ الصِّبْيَانُ . وَلَمْ يَوْمِ النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ . ثُمَّ دُفِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ وَسْطِ اللَّيْلِ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : مَا عَلِمْنَا بَدْفَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتَ الْمَسَاحِي^(٢) مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ .

قال ابن إسحاق : وكان الذين نَزَلُوا فِي قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَفُتْنَمُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَشُقْرَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وقد قال أَوْسُ بْنُ خُوَلَيٍّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : يَا عَلِيُّ أَنْشَدَكَ اللَّهَ وَحَظَّنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ! فقال له : انْزِلْ . فَنَزَلَ مَعَ الْقَوْمِ . وقد كان مَوْلَاهُ شُقْرَانُ - حِينَ وُضِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حُفْرَتِهِ وَبُئِيَ عَلَيْهِ - قد أَخَذَ قَطِيفَةً^(٣) قد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَلْبِسُهَا وَيُقْتَرِشُهَا ، فَدَفَنَهَا فِي الْقَبْرِ ، وقال : وَاللَّهِ لَا يَلْبِسُهَا أَحَدٌ بَعْدَكَ أَبَدًا ! قال : فَدُفِنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وقد كان الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ يَدَّعِي أَنَّهُ أَخَذَتْ النَّاسَ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ : أَخَذْتُ خَاتَمِي ، فَأَلْقَيْتُهُ فِي الْقَبْرِ ، وَقُلْتُ : إِنْ خَاتَمِي سَقَطَ مِنِّي . وَإِنَّمَا طَرَحْتُهُ عَمْدًا لِأَمْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَكُونَ أَخَذْتُ النَّاسَ عَهْدًا بِهِ ﷺ .

عن مِقْسَمِ أَبِي الْقَاسِمِ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ ، عَنْ مَوْلَاهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : اعْتَمَرْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - فِي زَمَانِ عُمرَ أَوْ زَمَانِ عُثْمَانَ . فَنَزَلَ عَلَى أُخْتِهِ أُمِّ هَانِئِ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ ، فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ عُمرَتِهِ رَجَعَ ، فَسَكَبَ لَهُ غَسْلٌ فَاعْتَسَلَ ، فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ غُسْلِهِ دَخَلَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا حَسَنَ ، جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ أَمْرِ نُحِبُّ أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ . قَالَ : أَطُرُّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يُحَدِّثُكُمْ أَنَّهُ كَانَ أَخَذَتْ النَّاسَ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا : أَجَلٌ ، عَنْ ذَلِكَ جِئْنَا نَسْأَلُكَ . قَالَ : كَذِبٌ ، قَالَ : أَخَذْتُ النَّاسَ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فُتْنَمُ بْنُ عَبَّاسٍ .

(١) أرسالا : جماعة بعد جماعة ، الواحد رسل بالتحريك .

(٢) المساحي : جمع مسحاة ، وهي مجرفة من حديد . (٣) القطيفة : كساء له خمل ، أي أهداب .

عن عُبيدِ اللهِ بن عبدِ اللهِ بن عُتبة ، أن عائشةَ حَدَّثَتْهُ قالت : كان على رسولِ اللهِ ﷺ خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ^(١) به حينَ اسْتَدَّ به وَجْههُ ، قال : فهو يَصْعُغُهَا مَرَّةً على وَجْهِهِ وَمَرَّةً يَكْشِفُهَا عنه ، وهو يقول : « قَاتِلِ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدًا ! » يُحَذِّرُ من ذلك على أُمَّتِهِ .

عن عائشة ، قالت : كان آخرَ ما عَهِدَ رسولُ اللهِ ﷺ : أن قال : « لَا يَتْرُكُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانٍ » . قال ابن إسحاق : ولما تُوفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ عَظُمَتْ به مُصِيبَةُ المسلمين ، فكانت عائشةُ - فيما بَلَغَنِي - تقول : لما تُوفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ اِزْتَدَّتِ الْعَرَبُ ، وَاشْتَرَأَبَتِ الْيَهُودِيَّةُ^(٢) وَالنَّصْرَانِيَّةُ ، وَنَجَمَ النِّفَاقُ^(٣) ، وصار المسلمون كالغَمِّ الْمَطِيرَةِ^(٤) في اللَّيْلَةِ النَّشَاطِيَةِ ، لَفَقَدَ نَبِيِّهِمْ ﷺ ، حَتَّى جَمَعَهُمُ اللهُ على أبي بكر .

قال ابن هشام : حدثني أبو عُبيدة وَعَیْزُهُ من أهلِ العلم : أنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ مَكَّةَ لما تُوفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ هَمُّوا بِالرَّجُوعِ عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتى خالفهم عَتَابُ بن أسيد^(٥) ، فَتَوَارَى ، فقام سَهْلُ بن عمرو ، فحمدَ الله وأثنى عليه ، ثم ذَكَرَ وَفَاةَ رسولِ اللهِ ﷺ ، وقال : إن ذلك لم يَزِدِ الإسلامَ إِلَّا قُوَّةً ، فَمَنْ رَابَتَا صَرَبْنَا عَنْقَهُ ! فَتَرَجَعَ النَّاسُ ، وَكَفُّوا عَمَّا هَمُّوا به ، وَظَهَرَ عَتَابُ بن أسيد . فهذا المقامُ الذي أَرَادَ رسولُ اللهِ ﷺ في قَوْلِهِ لِعُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ : « إِنَّهُ عَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَامًا لَا تَذُمَّهُ » .

[مراثي حسان بن ثابت لرسول الله]

وقال حَسَّانُ بن ثابت ييكِي رسولَ اللهِ ﷺ ، فيما حَدَّثَنَا ابنُ هِشَامٍ ، عن أبي زَيْد الأَنْصَارِيِّ :

بِطَيْبَةِ رَسْمٍ لِلرُّسُولِ وَمَعْهَدُ^(٦) مُبَيَّرٍ وَقَدْ تَغَفَّرَ الرُّسُومُ وَتَهْمَدُ^(٧)^(٨)
وَلَا تَمْتَحِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُزْمَةٍ بِهَا مَنَبَرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ^(٩)

(١) الخميصة : كساء أسود مربع ، له علمان ، أي خطان .

(٢) اشترأب الرجل : صعد عنقه لينظر . ومعناه تطلعت وبرزت .

(٣) نجم النفاق : ظهر وبدا . (٤) المطيرة : التي أصابها المطر .

(٥) عتاب بن أسيد : كان والي مكة وأميرها حين وفاة النبي ﷺ .

(٦) معهد : محضر الناس ومشهدهم . (٧) تهمد : تذهب وتبلى .

(٨) طيبة بفتح الطاء : اسم المدينة . والرسم : ما بقي من آثار الدار .

(٩) تمتحي : تزول . الآيات : العلامات .

وَوَاضِحُ آثَارِ وَبَاقِي مَعَالِمٍ
بِهَا حُجَرَاتُ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا
مَعَارِفُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَهَا
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ ، وَعَهْدَهُ
ظَلِلْتُ بِهَا أَنْبِيَا الرَّسُولِ فَأَسْعَدْتُ
يَذْكُرُونَ آلَاءَ الرَّسُولِ وَمَا أَرَى
مُفَجَّعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحْمَدُ
وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَهُ
أَطَالَتْ وَقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنُ جَهْدَهَا
فَبُورِكَتْ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ
وَبُورِكَتْ لَحْدُ مِنْكَ ضُمْنٌ طَيِّبًا
تَهِيلُ عَلَيْهِ الشُّرْبُ أَيْدٍ وَأَعْيُنُ
لَقَدْ غَيَّبُوا جِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً
وَرَاخُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ تَبِيُّهُمْ
يُبْكُونَ مَنْ تَبْكِي السَّمَوَاتُ يَوْمَهُ
وَهَلْ عَدَلْتُ يَوْمًا رَزِيَّةً هَالِكِ
تَقَطَّعَ فِيهِ مُنْزَلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ

وَرَبَّعٌ^(١) لَهُ فِيهِ مُصَلَّى وَمَسْجِدُ
مِنَ اللَّهِ نُورٌ يُشَتِّتُهَا وَيُوقِدُ
أَتَاهَا الْبَلَى قَالَايُ مِنْهَا تَجَدَّدُ^(٢)
وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي الشُّرْبِ مُلْحَدُ^(٣)
غُيُوبٌ وَمِثْلَاهَا مِنَ الْحَفْنِ تُسْعِدُ^(٤)
لَهَا مُخَصِّيًا نَفْسِي فَتَنْفِيسِي تَبَلَّدُ
فَظَلْتُ لِآلَاءِ الرَّسُولِ تُعَدَّدُ^(٥)
وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدُ مَا قَدْ تَوَجَّدُ^(٦)
عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ
بِلَادَ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ^(٧)
عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنْطَدُ^(٨)
عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ^(٩)
عَشِيَّةً عَلَوُهُ الشَّرَى لَا يُوسَدُ
وَقَدْ وَهَنْتُ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَغْضَدُ
وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الْأَرْضُ فَالْتَأَسُ أَكْمَدُ
رَزِيَّةً يَوْمَ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ^(١٠)
وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجَدُ^(١١)

(١) ربّع : حيّ .

(٢) الآي : جمع آية .

(٣) الملحد ، هنا : الذي يضع الميت في لحده .

(٤) تسعد : تعين . والإسعاد : المعاونة .

(٥) شفها : أضعفها وأهزلها .

(٦) العشير : العشر . توجد ، من الوجد ، وهو الحزن .

(٧) ثوى : أقام . المسدد : الذي هدى إلى السداد ، وهو الصواب .

(٨) منطد : منثق .

(٩) تهيل : تصب . الأسعد : جمع السعد .

(١٠) عدله : ساواه . الرزية : المصيبة .

(١١) يغور : يبلغ الغور ، وهو تهامة وما يلي اليمن . وينجد : يأتي نجداً .

يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَفْتَدِي بِهِ
 إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقَّ جَاهِدًا
 عَفُوٌّ عَنِ الرِّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ
 وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمْلِهِ
 فَبَيْنَا هُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ
 عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُوزُوا عَنِ الْهُدَى
 عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يَثْنِي جَنَاحَهُ
 فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ عَدَا
 فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا
 وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحُزْمِ وَخَشَا بِقَاعُهَا
 قِفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّخْدِ صَافِهَا
 وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ
 وَبِالْجُمُرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثُمَّ أَوْحِشَتْ
 فَبَكَى رَسُولَ اللَّهِ يَا عَيْنُ عِبْرَةٍ
 وَمَالِكٍ لَا تَبْكِينَ ذَا النُّعْمَةِ الَّتِي
 فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَغُولِي
 وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
 أَعَفٌّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ

وَيُنْقِذُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْخَزَايَا وَيُرْشِدُ
 مُعَلِّمٌ صَدَقَ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا
 وَإِنْ يُخْسِنُوا قَالَهُ بِالْخَيْرِ أَجُودُ
 فَمِنْ عِنْدِهِ تَنْسِيرُ مَا يَتَشَدَّدُ
 دَلِيلٌ بِهِ نَهَجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ
 حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَشْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
 إِلَى كَنْفٍ يَخْتُو عَلَيْهِمْ وَيَمْتَهِدُ^(٢)^(١)
 إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصَدُ^(٣)
 يُبَكِّيه حَقُّ الْمُرْسَلَاتِ وَيُحْمَدُ^(٤)
 لِعِيبَةِ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعَهْدُ^(٥)
 فَقِيدٌ يُبَكِّيه بِلَاطٍ وَعَرْقَدُ^(٦)
 خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
 دِيَارٍ وَعَرْضَاتٌ وَزَبْعٌ وَمَوْلِدُ^(٧)
 وَلَا أَعْرِفَنَّكَ الدَّهْرُ دَمْعُكَ يَجْمُدُ
 عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَعَمَّدُ^(٨)
 لِفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ^(٩)
 وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ
 وَأَقْرَبُ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنْكَدُ^(١٠)

(١) يَمْتَهِدُ : أَي يَهَيئُ لَهُمْ وَيُوَطِّئُ .

(٣) أَقْصَدَهُ : أَصَابَهُ فَلَمْ يَخْطِئْ مَقَاتِلَهُ .

(٥) الْحَرَمُ ، بَضْمُ الْحَاءِ وَكُسْرُهَا : مَكَّةُ وَمَا اتَّصَلَ بِهَا مِنَ الْحَرَمِ .

(٦) ضَافُهَا : نَزَلَ بِهَا . الْبِلَاطُ : الْمُسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ . الْعَرْقَدُ : شَجَرٌ .

(٧) الْعَرْضَاتُ : جَمْعُ عَرِصَةٍ ، وَهِيَ السَّاحَةُ ، سَكَنُ الرِّاءِ لِحُضُورَةِ الشَّعْرِ .

(٨) سَابِغٌ : كَثِيرُ فَيَاضٍ . يَتَعَمَّدُ : يَسْتَرُ ، وَالْمُرَادُ يَعْمُ .

(٩) الْإِعْوَالُ : رَفْعُ الصَّوْتِ بِالْبُكَاءِ . (١٠) التَّنْكِيدُ : قَلَّةُ الْعَطَاءِ ، وَمَنْعُهُ .

وَأَبْدَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ وَأَكْرَمَ صَيْثًا فِي الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى
وَأَمْنَعَ ذُرُواتٍ وَأَثْبَتَ فِي الْعُلَا وَأَثْبَتَ فَرْعًا فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبِثًا
رَبَاهُ وَلِيدًا فَاسْتَتَمَ تَمَامُهُ تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ
أَقُولُ وَلَا يُلْفَى لِقَوْلِي عَائِبٌ وَلَيْسَ هَوَايَ نَارَعًا عَنْ ثَنَائِهِ
مَعَ الْمُضْطَفَى أَرْجُو بِذَاكَ جَوَارَهُ وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا يَتَكِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ :
إِذَا صَنَّ مِغْطَاءَ بِمَا كَانَ يُشْلَدُ^(١) وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوِّدُ^(٢)
دَعَائِمَ عِزِّ شَاهِقَاتِ تُشَيِّدُ^(٣) وَغُودًا غَدَاهُ الْمُزْنَ فَالْغُودُ أَغْيَدُ^(٤)
عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبِّ مُمَجِّدُ فَلَا الْعِلْمُ مَخْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ^(٥)
مِنَ النَّاسِ إِلَّا عَاذِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ^(٦) لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلُدُ
وَفِي نَيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

مَا بَالُ غَيْبِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ أَضْبَحَ ثَاوِيًا
وَجْهِي يَقِيكَ الثَّرْبُ لَهْفِي لَيْتَنِي بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ
فَظَلِلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّدًا أَأَقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ
أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا كُحِلَتْ مَا قِيَهَا بِكُحْلِ الْأَزْمَدِ^(٧)
يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْخَصَى لَا تَبْعَدُ^(٨) غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ^(٩)
فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمُهْتَدِي مُثَلِّدًا يَا لَيْتَنِي لَمْ أُولَدْ^(١٠)
يَا لَيْتَنِي ضُبِّحْتُ سَمَّ الْأَسْوَدِ^(١١) فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ مِنْ غَدِ

- (١) الطريف : المال المستحدث . يتلده : يتكسب قديمًا .
- (٢) الأبطحى : المنسوب إلى أبطح مكة ، وهو مكان سهل متسع .
- (٣) الذروات : الأعالي . شاهقات : مرتفعات .
- (٤) المزن : السحاب ، واحده مزنة . أغيد : ناعم متين .
- (٥) يفند : يعاب .
- (٦) عازب العقل : بعد عنه عقله .
- (٧) المآقي : جمع المأقى ، وهي مجري الدمع في العين .
- (٨) لا تبعد : لا تهلك . أي لبيب ذكرك خالداً .
- (٩) بقيق الغرقد : مقبرة أهل المدينة .
- (١٠) المتبلد : المتحير .
- (١١) صبحه : سقاه الصبوح ، وهو شراب الصباح . والأسود : ضرب من الحيات .

فَتَقُورُم سَاعَتُنَا فَنَلْقَى طَيِّبًا يَا بِكَرَّ آمِنَةَ الْمُبَارَكِ بِكَرْمَا نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِّيَّةِ كُلِّهَا يَارَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فَاكْتُثِبْهَا لَنَا وَاللَّهِ، أَسْمَعْ مَا بَقِيَتْ بِهِالِكَ يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَزَهْطِهِ صَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَأَضْبَحُوا وَلَقَدْ وَلَدْنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا بِهِ وَهَدَى بِهِ صَلَّى إِلَهُ وَمَنْ يَخْفُ بِعَرْشِهِ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يِكِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ :

نَبَّ الْمَسَاكِينَ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُمْ مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاجِلَتِي أَمْ مَنْ نُعَاتِبُ لَا نَخْشَى جَنَادِعَهُ كَانَ الضِّيَاءَ وَكَانَ الثُّورَ نَشْبَعُهُ فَلَيْتَنَا يَوْمَ وَارَزَهُ بِمَلْحِدِهِ لَمْ يَثْرِكِ اللَّهُ مِنَّا بَعْدَهُ أَحَدًا ذَلَّتْ رِقَابُ بَنِي النَّجَارِ كُلِّهِمْ وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يِكِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيْضًا :

- (١) المحض : الخالص . الضريبة : الطبيعة . المحتد : الأصل .
 (٢) واللَّهُ أَسْمَعْ ، أي أقسم بالله لا أسمع : حذف حرف النهي .
 (٣) سواء الملحد ، أي وسط اللحد .
 (٤) الإثمد : الكحل .
 (٥) نبهم ، أي نبهم وأخبرهم .
 (٦) لم يؤنسوا المطر : لم يحسوه .
 (٧) الجنادع : أوائل الشر . عتا : طغا وزاد .
 (٨) المذرا : الطين اللزج المتماسك .

آلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا مِنِّْي أَلِيَّةَ بَرٍّ غَيْرِ إِفْنَادٍ^(١)
 تَالِلِهِ مَا حَمَلْتُ أَنْثَى وَلَا وَضَعْتُ مِثْلَ الرَّسُولِ نَبِيٍّ الْأُمَّةِ الْهَادِي
 وَلَا بَرَا اللَّهَ خَلْقًا مِنْ بَرِيَّتِهِ أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِمِيعَادٍ^(٢)
 مِنْ الَّذِي كَانَ فِينَا يُشْتَضَاءُ بِهِ مُبَارَكِ الْأَمْرِ ذَا عَدْلٍ وَإِشَادٍ
 أَمْسَى نِسَاؤُكَ عَطَلْنَ الْبُيُوتَ فَمَا يَضْرِبَنَّ فَوْقَ قَفَا سِثْرِ بِأَوْتَادٍ
 مِثْلَ الرُّوَاهِبِ يَلْبَسَنَّ الْمَبَاذِلَ قَدْ أَتَقَنَّ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ النُّعْمَةِ الْبَادِي^(٣)
 يَا أَفْضَلَ النَّاسِ إِنِّي كُنْتُ فِي نَهْرٍ أَصْبَحْتُ مِنْهُ كَمِثْلِ الْمُفْرَدِ الصَّادِي^(٤)

قال ابن هشام : عَجَزَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ .

وُجِدَ بِآخِرِ نَسْخَةٍ مِنَ الْأُصُولِ مَا نَصَّه : وَهَذَا آخِرُ الْكِتَابِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا ،
 وَصَلَاتُهُ وَسَلَامُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ الرَّاشِدِينَ .
 أَنشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَزْجِيِّ ، قَالَ : أَوْعَبَ
 أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ كِتَابَ السَّيِّرَةِ ، وَبَحْضَرْتَهُ رِجَالٌ مِنْ فُصَحَاءِ الْعَرَبِ
 فَقَالَ :

تَمَّ الْكِتَابُ وَصَارَ فِي الْعَرَضِ عَشْرِينَ جُزْءًا كُلُّهَا تُرْضِي
 كَمَلْتُ بِلاَ لَحْنٍ^(٥) وَلَا خَطَلٍ^(٦) فِي الشُّكْلِ وَالْإِعْجَامِ^(٧) وَالْقَرُضِ^(٨)
 وَالْحَمْلُ حَتَّى صَحَّ نَاقِلُهُ بَغْضٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَنْ بَغْضِ
 تَمَّ تَهْذِيبُ سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الْأُولَى مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ
 ١٣٨٣ هـ .

« وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ » .

وكتب

عبد السلام محمد هارون

- (١) الألية : اليمين والحلف . الإفناد : الكذب . (٢) برا ، أي برأ وخلق .
 (٣) المبادل : جمع مبدل ، وهو الثوب الذي يتبدل فيه .
 (٤) الصادي : العطشان . (٥) لحن : خطأ . (٦) خطل : كلام فاسد كثير مضطرب .
 (٧) الإعجام : الكلام الغير مبين ، أو غير فصيح . (٨) القرص : قول الشعر .

١ - فهرس السير والمغازي

٥٧	ذكر عدوان المشركين على المستضعفين	١٥	سرد النسب الزكي
٥٩	الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة	١٦	سياقة النسب من ولد إسماعيل
٦٠	إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها	١٦	ذكر ولد نزار بن معد
٦٤	إسلام عمر بن الخطاب	١٧	أولاد عبد المطلب بن هاشم
٦٧	خبر الصحيفة	١٧	والدا رسول الله
٦٧	ذكر ما لقي من قومه من الأذى	١٧	أصحاب الأخدود
٧١	عودة مهاجرة الحبشة	١٧	غلبة الحبشة على اليمن
٧٢	حديث نقض الصحيفة	١٨	نزاع أرياط وأبرهة
٧٣	أمر الإراشي الذي باع أبا جهل إبله	١٩	قصة أصحاب الفيل
٧٤	حديث الإسراء	٢٢	حفر زمزم
٧٧	قصة المعراج	٢٤	نذر عبد المطلب ذبح ولده
٧٩	وفاة أبي طالب وخديجة	٢٨	ذكر ما قيل لأمنة عند حملها بالرسول
٨٠	سعى الرسول إلي ثقيف يطلب النصرة	٢٨	ولادة رسول الله ﷺ
٨٢	أمر جن نصيبين	٢٩	حديث حليلة
٨٣	عرض رسول الله نفسه على القبائل	٣٠	حديث شق الصدر
٨٥	بدء إسلام الأنصار	٣١	كفالة جده له
٨٥	بيعة العقبة الأولى	٣٢	كفالة عمه له
٨٦	بيعة العقبة الثانية	٣٢	قصة بحيرا
٩٠	شروط بيعة العقبة الأخيرة	٣٤	حرب الفجار
٩١	نزول الأمر بالقتال	٣٤	حلف الفضول
٩٢	الإذن بهجرة المسلمين إلى المدينة	٣٤	تزويج خديجة
٩٢	ذكر المهاجرين إلى المدينة	٣٥	حديث ورقة بن نوفل
٩٢	هجرة الرسول	٣٦	بيان الكعبة
١٠٠	قدوم قباء	٣٨	أخبار الكهان والأخبار والرهبان
١٠١	قدوم المدينة	٣٨	صفة رسول الله ﷺ
١٠٤	المخطب والعهود بالمدينة	٣٩	صفته من الإنجيل
١٠٧	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار	٤٠	البعث
١٠٨	خبر الأذان	٤٢	ابتداء تنزيل القرآن
١٠٩	ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله	٤٣	إسلام خديجة
١١٠	تاريخ الهجرة	٤٣	فترة الوحي
١١٠	أول الغزوات	٤٤	ابتداء فرض الصلاة
١١١	سرية عبيدة بن الحارث	٤٤	أول الناس إسلاما
١١١	سرية حمزة إلى سيف البحر	٤٦	المجهر بالدعوة
١١١	غزوة بواط	٤٨	قول الوليد بن المغيرة في القرآن
١١١	غزوة العشيرة	٤٩	ذكر ما لقي رسول الله من قومه
١١٢	سرية سعد بن أبي وقاص	٥٠	إسلام حمزة
١١٢	غزوة بدر الأولى	٥٢	قول عتبة بن ربيعة في أمر رسول الله
١١٢	سرية عبد الله بن جحش	٥٣	ما دار بين رسول الله وبين رؤساء قريش
١١٤	صرف القبلة إلى الكعبة	٥٥	صنيع أبي جهل
١١٥	غزوة بدر الكبرى	٥٦	خبر النضر بن الحارث
١١٧	تجهيز قريش للخروج		

١٦٨	غزوة بدر الآخرة ، في سنة أربع	١١٧	خروج الرسول
١٧٠	غزوة دومة الجندل ، في سنة خمس	١١٨	استشارة الأنصار
١٧١	غزوة الخندق ، في سنة خمس	١٢٠	التعرف على أخيار قريش
١٨٠	غزوة بنى قريظة ، في سنة خمس	١٢٢	مشورة الحباب
١٨٢	أمر أبي لبابة	١٢٣	تشاور قريش
١٨٣	تحكيم سعد	١٢٤	بدء القتال
١٨٨	مقتل سلام بن أبي الحقيق	١٢٦	هزيمة قريش
١٨٩	إسلام عمرو وخالد	١٢٧	قتلى قريش
١٩٠	غزوة بنى لحيان	١٢٨	عودة رسول الله إلى المدينة
١٩١	غزوة ذي قرد	١٣٠	أسارى بدر
١٩٣	غزوة بنى المصطلق ، في سنة ست	١٣١	خروج زيب إلى المدينة
١٩٧	خبر الإفك ، في سنة ست	١٣٤	إسلام عمير بن وهب
٢٠٢	أمر الحديبية	١٣٥	غزوة بني سليم بالكدر
٢٠٦	بيعة الرضوان	١٣٥	غزوة السويق
٢٠٦	أمر الهدنة	١٣٦	غزوة ذي أمر
٢٠٩	أمر المستضعفين بعد الصلح	١٣٦	غزوة الفُؤع
٢١٠	أمر المهاجرات	١٣٦	أمر بنى قينقاع
٢١١	ذكر المسير إلى خيبر ، سنة سبع	١٣٨	سرية زيد بن حارثة إلى القردة
٢١٧	أمر الراعي الأسود	١٣٨	غزوة أحد
٢١٧	قدوم جعفر والمهاجرين من الحبشة	١٣٩	رؤيا الرسول ومشاورة القوم
٢١٨	عمرة القضاء ، سنة سبع	١٤٠	انخدال المنافقين
٢٢٠	غزوة مؤتة ، سنة ثمان	١٤٠	نزول الرسول بالشعب
٢٢٥	فتح مكة ، سنة ثمان	١٤١	من أجازهم الرسول
٢٢٥	قتال بكر وخزاعة	١٤١	تحريض قريش على القتال
٢٢٨	تجهيز الرسول لفتح مكة	١٤٢	بدء القتال
٢٢٩	نزول الرسول مر الظهران	١٤٢	مقتل حمزة
٢٣١	إسلام أبي سفيان	١٤٣	قتل وحشي لمسلمة
٢٣٣	دخول المسلمين مكة	١٤٣	خلع وحشي من الديوان
٢٣٦	الرسول في المسجد الحرام	١٤٤	اشتداد القتال
٢٤٠	مسير خالد لهدم العزى	١٤٥	انكشاف المسلمين
٢٤١	غزوة حنين ، سنة ثمان	١٤٥	ما لقيه الرسول
٢٤٨	غزوة الطائف ، سنة ثمان	١٤٩	أمر أصيرم
	أمر أموال هوازن وسباياها	١٤٩	مقتل عمرو بن الجموح
٢٥٢	وعطايا المؤلفات قلوبهم منها	١٥٠	تمثيل هند بحمزة
٢٥٧	عمرة رسول الله من الجعرانة ، سنة ثمان	١٥٠	حديث أبي سفيان
٢٥٧	أمر كعب بن زهير	١٥١	شهداء المسلمين
٢٦٢	غزوة تبوك ، سنة تسع	١٥٣	رجوع الرسول إلى المدينة
	بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد	١٥٤	غزوة حمراء الأسد
٢٦٧	إلى أكيدر دومة	١٥٧	يوم الرجيع ، في سنة ثلاث
٢٧٠	أمر مسجد الضرار	١٦١	حديث يتر معونة ، في سنة أربع
٢٧١	أمر الثلاثة الذين خلفوا	١٦٣	لجلاء بنى النضير ، في سنة أربع
٢٧٥	أمر وفد ثقيف وإسلامها	١٦٦	غزوة ذات الرقاع ، في سنة أربع

- ٢٨٠ سنة الوفود ونزول سورة الفتح
٢٨٠ قدوم وفد بني تميم
قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس
٢٨٥ في الوفادة عن بني عامر
٢٨٧ قدوم الجارود في وفد عبد القيس
٢٨٩ قدوم بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب
٢٩٠ أمر عدي بن حاتم
٢٩٣ قدوم فروة بن مسيك المرادي
قدوم عمرو بن معد يكرب
٢٩٣ في أناس من زبيد
٢٩٥ قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة
٢٩٦ قدوم صرد بن عبد الله الأزدي
٢٩٧ قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم
٢٩٨ وصية الرسول معاذًا حين بعثه إلى اليمن
٢٩٩ إسلام فروة بن عمرو الجذامي
٢٩٩ إسلام بني الحارث بن كعب
ذكر الكذابين : مسيلمة الحنفي
والأسود العنسي
٣٠٢ خروج الأمراء والعمال على الصدقات
٣٠٣ كتاب مسيلمة إلى رسول الله
والجواب عنه
٣٠٤ حجة الوداع
٣٠٥ بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين
٣٠٦ خروج رسل رسول الله إلى الملوك
٣٠٧ ذكر جملة الغزوات
٣٠٨ ذكر جملة السرايا والبعوث
٣٠٨ ابتداء شكوى رسول الله
٣٠٩ ذكر أزواجه أمهات المؤمنين
٣١٣ عود إلى ذكر شكوى رسول الله
٣١٥ صلاة أبي بكر رضي الله عنه بالناس
٣٢٠ أمر سقينة بني ساعدة
٣٢٤ جهاز رسول الله ﷺ ودفنه
٣٢٧ مراثي حسان بن ثابت لرسول الله ﷺ
- ٢ - فهرس الأعلام
(أ)
آدم عليه السلام ١٧ ، ٧٧ ، ٢٣٦
آزر ١٥
أكل المرار ٢٩٥
أمنة بنت وهب ١٧ ، ٢٨ ، ٣١
أبان بن سعيد بن العاص ٢٠٥
- إبراهيم عليه السلام ١٥ ، ١٦ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٧٤ - ٧٦ ، ٧٨ ، ٢٣٧
إبراهيم القاسم ، ابن الرسول ٣٥ ، ٣٠٩
إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب ٣٨
أبرهة الأشرم ١٨ - ٢٢
إيليس ، الشيخ النجدي ٩٣ ، ٩٤ ، ١١٧
أبي بن خلف ، أبو عامر ٦٩ ، ٧٠ ، ١٤٧ ، ١٤٨
ابن أبي بن سلول = عبد الله
أبي بن كعب ١٠٨
الأجدع بن مالك ٢٩٣
أحمد رسول الله ٢٨ ، ١٥٥ ، ٢٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣١
أبو أحمد بن جحش = عبد بن جحش
أحمر ، أو أحيمر ، من بني المصطلق ١٩٥
أحمر بن الحارث بن مالك ٢٤١
الأخنس بن شريق الثقفي ٦٩ ، ٢٠٩
أخنوخ = إدريس ١٥
أدد بن مقوم ١٥ ، ١٦
إدريس عليه السلام ١٥ ، ٧٨
أذبل بن إسماعيل ١٦
أذر بن إسماعيل ١٦
الإراشي ٧٣ ، ٧٤
أربد بن قيس ٢٨٥ ، ٢٨٦
أرطاة بن عبد شريحيل بن هاشم ١٤٢
أرفخشذ بن سام ١٥
الأرقم بن أبي الأرقم ٤٥
أروى بنت عبد المطلب ١٧
أرباط ١٨
أزب العقبة (شيطان) ٨٩
أزهر بن عبد عوف ٢٠٩
ابن أزهر ١١١
ابن أزيب (شيطان) ٨٩
أسامة بن زيد بن حارثة ١٤١ ، ١٩٩ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٥
أسد بن خزيمه ١٦
أسد الله = حمزة بن عبد المطلب ١٠٨
أسد بن فهر ١٦
أسدة بن خزيمه ١٦
أسعد بن زرارة ٨٦
إسفنديار ٥٧ ، ٦٩
أسلم ، غلام بني الحجاج ١٢٠
أسماء بنت أبي بكر ، ذات النطاقين ٤٥ ، ٩٥ - ٩٧ ، ٢٣٣

- أسماء بنت سلامة ٤٦
 أسماء بنت عمرو بن عدي ٨٧
 أسماء بنت عميس الخثعمية ٤٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٣١٥
 أسماء بنت النعمان الكندية ٣١٣ ، ٣١٢
 إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ١٥ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٨٠
 إسماعيل (ملك من الملوك) ٧٧
 الأسود الراعي ٢١٧
 الأسود بن رزن ٢٢٥
 الأسود بن عبد الأسد المخزومي ١٢٤
 الأسود والد قارب = الأسود بن مسعود
 الأسود بن كعب العنسي ٣٠٢
 الأسود بن مسعود بن معتب ٢٧٨
 الأسود بن المطلب بن أسد ٥٣ ، ٧٠ ، ١٢٩
 الأسود بن مفضود ٢٠
 الأسود بن نوفل بن خويلد ٢١٨
 أسيد ، أبو عتاب ٢٣٧
 أسيد بن حضير ١٥٣ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٣٢٠
 أسيد بن ظهير ١٤١ ، ١٩١
 أسيرة بن أبي خارجة ، أبو سليط ١٠١
 الأشعث بن قيس ٢٩٥
 أشعر بن نبت بن أدد ١٦
 ابن الأصداء الهذلي ٧١
 أصيرم بن عبد الأشهل = عمرو بن ثابت الأعمى = ابن أم مكتوم
 الأقرب بن حابس التميمي ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٨٠
 ابن أبي الأفلح = عاصم بن ثابت
 ابن الأكوع = سلمة بن عمرو
 أكيدر دومة ، ابن عبد الملك ٢٦٧ ، ٢٦٨
 ابن أكيمة الليثي ٢٦٩
 أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص ٢١٨
 أميمة بنت عبد المطلب ١٧
 أمين الله ﷺ ٢٤٠
 أمينة بنت خلف بن أسعد ٤٦ ، ٢١٨
 أبو أمية = صفوان بن أمية
 أمية بن خلف بن وهب ، أبو علي ٥٣ ، ٥٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٩ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٥٨
 أبو أمية بن المغيرة ٣٨
 أندرائس ٣٠٧
 أنس بن مالك ٢١١ ، ٢١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٣
 أنسة ، مولى رسول الله ١١٨
 أنمار بن نزار ١٦
 أنيس سائس الفيل ٢٠ ، ٢١
 أوبار ١٩٢
- أوس بن ثابت بن المنذر ١٠٨
 أوس بن حجر ، الصحابي ٩٩
 أوس بن خولي ٣٢٥ ، ٣٢٦
 أوس بن عوف ٢٧٥ ، ٢٧٦
 أوس بن قيطي ١٧٥ ، ١٨٦
 إباد بن معد ١٦
 إياس بن البكير ٤٦
 أم أيوب ١٠٢ ، ١٠٣ ، ٢٠١
 أبو أيوب الأنصاري = خالد بن زيد
 أيوب بن بشير ٣١٣
 أيوب بن عبد الرحمن ١٨٥
- (ب)
- بادية بنت غيلان ٢٥٠
 بجاد ٢١٧
 بجير بن زهير بن أبي سلمى ٢٥١ ، ٢٥٧
 بحيرا الراهب ٣٢ ، ٣٣
 أبو البخترى بن هشام ٥٣ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٢٠ ، ١٢٦
 بديل بن ورقة الخزاعي ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣١
 أبو براء = عامر بن الطفيل ، عامر بن مالك
 البراء بن عازب ١٤١
 البراء بن معرور ٨٦ - ٨٩
 البراق (الدابة) ٧٤ ، ٧٥
 برزة بنت مسعود الثقفية ١٣٩
 أبو برزة الأسلمي ٢٣٥
 البرقليطس ، اسم الرسول بالرومية ٣٩
 برة بنت عبد العزى ١٧
 برة بنت عبد المطلب ، أم أبي سلمة ١٧ ، ٧١
 بريرة مولاة عائشة ١٩٩
 بسبس بن عمرو الجهنني ١١٨
 بشر بن البراء بن معرور ٢١٤
 أم بشر بن البراء ٢١٥
 بشر بن سفيان الكعبي ٢٠٢ ، ٢٠٣
 بشير بن عبد المنذر ، أبو لبابة ١٣٦
 أبو بصير = عتبة بن أسيد
 بطرس الحواري ٣٠٧
 البكائي شيخ ابن هشام ١٥
 بنت أبي بكر = عائشة
 أبو بكر الصديق ، ابن أبي قحافة ، عتيق ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٩٣ ، ٩٥ - ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٨

٣٠٩ ، ٢٩٦ ، ٢٧٩ ، ٢٦٩ ، ٢٥٠ ، ٢٢٨ ، ٢١٣
٣٢٧ ، ٣٢٦ ، ٣٢٤ - ٣١٤
أبو بكر بن عبد الله بن أبي مليكة ٣١٧
أبو بكر الهذلي ٣٠٦
البكير بن عبد ياليل ٤٦
بلال مولى أبي بكر = بلال بن رباح
بلال بن رباح مولى أبي بكر ٥٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٧ ،
١٦٧ ، ٢١٦
بولس ٣٠٧
بيحرة بن فراس ٨٣
البضاء (بقعة الرسول) ٢٣١

تارح = آزر ۱۵
تمیم بن أسد ۲۲۶
توماس ۳۰۷
تیرح بن یعرب ۱۵ ، ۱۶
تیم بن غالب ۱۶
تیم بن مرة ۱۶

ثابت بن أقرم ٢٢٢
ثابت بن قيس بن الشعمس ١٩٥ ، ٢٨١ ، ٣١١
ثابت بن وقش ١٤٨
الثعلب (بعير) ٢٥٥
ثعلبة بن سبعة ١٨٥
الثلاثة الذين خلفوا ٢٧١ - ٢٧٥
ابن ثلما ٣٠٧
ثمامة بن أثال ٣٠٦
ثور بن يزيد ٣١
نوية، مولاة أبي لهب ١٥٢

أبو جابر = عبد الله بن عمرو بن حرام
 جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ١٦٦ - ١٦٨ ، ١٧٢ ،
 ١٩١ ، ٢٠٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥
 الجارود بن عمرو بن حنش ٢٨٨ ، ٢٨٩ ،
 جارية بني مؤمل ٥٨
 جبار بن سلمى ١٦٣ ، ٢٨٥
 جبريل عليه السلام ٤١ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٤ ، ١٢٦ ،
 ١٥٢ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٩ ، ٢٣٩
 جبلة بن الحنبل ٢٤٤
 جحيم بن مطعم بن عدي ٩٠ ، ١٤٣ ، ١٥٠

الجد بن قيس ٢٠٦ ، ٢٦٢
جعفر بن أبي طالب الطيار، ذو الجناحين ٤٦ ، ٥٩ ، ٦١
٢٢٤ - ٢٢٠ ، ٢١٧ ، ١٨٩ ، ١٠٨ ، ٦٢
أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ٢٢٣
أبو جعفر، محمد بن علي ٢٧٩
الجلال بن طلحة ١٤٤
ابن الجندبي ٣٠٦
جميل بن معمر ٦٦
أم جميل بنت حرب بن أمية، حمالة الحطب ٦٨
أبو جندل بن سهيل بن عمرو ٢٠٧ - ٢٠٨
جنيد بن الأكوغ ٢٣٧
جهجاه بن مسعود الفخاري ١٩٣
أبو جهل، أبو الحكم عمرو بن هشام، ابن الحنظلية ٥٠
٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢
٧٤ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١٢١
١٢٤ ، ١٢٧
جهم بن عمرو بن الحارث ١٣٢
جهم بن قيس ٢١٨
جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦
٣١٣ ، ٣٠٩
جيفر بن الجندبي ٣٠٦
(ح)
حابس والد الأفرع (في شعر) ٢٥٥
حاتم الطائي ٢٩١
بنت حاتم = سفانة ٢٩١
بنت الحارث (كيسة) ١٨٤
الحارث بن الحارث بن كلداء ٢٥٤
الحارث بن حرب بن أمية ٩٠
الحارث بن خالد بن صخر ٢١٨
الحارث بن ربيع ، أبو قتادة ١٩١ ، ٢٤٦
الحارث بن زمة ١٢٩
الحارث بن أبي شمر ٢٥٢
الحارث بن الصمة ١٤٧ ، ١٦٢
الحارث بن أبي ضرار ١٩٣ ، ٣١١
الحارث بن عامر بن نوفل ١٢١
الحارث بن عبد قيس بن لقيط ٢١٨
الحارث بن عبد كلال ٢٩٧
الحارث بن عبد العزى ٢٩
الحارث بن عبد المطلب ١٧
الحارث بن عوف بن أبي حارثة العمري ١٧١ ، ١٧٥
الحارث بن فهر ١٦
الحارث بن كلداء ٢٥١

- الحارث بن مالك ٢٤٣
الحارث بن هشام بن المغيرة ١٣٨، ٢٣٦، ٢٣٧
حاطب بن أبي بلتعة ١٠٨، ٢٢٨، ٢٢٩، ٣٠٦
حاطب بن الحارث ٤٦
حاطب بن عمرو ٤٥، ٤٦
أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ٢١٨، ٣١٠
الحباب بن المنذر ١٢٢
الحبحاب بن يزيد ٢٨٠
حبیب بن عمرو بن عمير ٨١
حبیب بن عینة بن حصن ١٩٢
حبیبة بنت خارجة ٣١٧
أم حبیبة رملة بنت أبي سفيان ٢٢٧، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٣
حجل بن عبد المطلب ١٧
حجير بن أبي إهاب ١٥٨
ابن أبي حدر = عبد الله
أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ٤٦، ١٠٨، ١٢٦
حذيفة بن اليمان، أبو عبد الله ٥٩، ١٠٨، ١٤٨، ١٤٩
١٧٩، ١٨٠
حرام بن ملحان ١٦٢
ابن حرب = أبو سفيان (في شعر) ١٥٥
حرب بن أمية ٣٤
حسان أخو أكيدر دومة ٢٦٨
حسان بن ثابت الأنصاري ٢٨، ١٦١، ١٧٦، ٢٠١،
٢٢٣، ٢٣٨، ٢٨٢، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣١
الحسن البصري ٧٥، ١٨٧، ٢٨٨
حسن بن علي بن أبي طالب ٢٢٧
حسيل بن جابر = اليمان أبو حذيفة ١٤٨، ١٤٩
حسين بن عبد الله ٣٢٤
حصن والد عینة (في شعر) ٢٥٥
الحصين بن عبد الرحمن ١٤٩
ابن الحضرمي = عمرو
حطاب بن الحارث ٤٦
أبو حفص = عمر بن الخطاب
حفصة بنت عمر بن الخطاب ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٣
الحكم بن أبي العاص ٧١
الحكم بن عمرو بن وهب ٢٧٦
الحكم بن كيسان ١١٣، ١١٤
أبو الحكم بن هشام = أبو جهل
أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ١٧
أم حكيم بنت الحارث بن هشام ١٣٨، ٢٣٥
حكيم بن حزام بن خويلد ٤٥، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤
٢٥٤، ٢٣٠
- أبو حكيمة = زمعة بن الأسود ١٢٩
الحلس بن زبانه، أو ابن علقمة ١٥٠، ٢٠٤
حليمة بنت أبي ذؤيب ٢٩، ٣٠
حمالة الحطاب = أم جميل
حمامة، أم بلال ٥٧
حمزة بن عبد الله بن عمر ٣١٥
حمزة بن عبد المطلب، هاشم، أسد الله، أبو عمارة ١٧،
٣٥، ٥٠، ٥١، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٧٩، ١٠٨، ١١١،
١١٨، ١٢٥، ١٢٦، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٠، ١٥٣،
٢٢٤، ٣٠٨
حمزة بنت جحش ١٥٣، ١٩٩، ٢٠١
حناطة الحميري ٢٠
حنتمة بنت هشام ٦٦
أبو حنظلة = أبو سفيان ٢٣١
حنظلة بن أبي عامر الغسيل ١٤٤
ابن الحنظلية = أبو جهل ١٢٤
الحويرث بن نقيد ٢٣٥
حويط بن عبد العزيز ٢١٩، ٢٥٤
الحيسمان بن عبد الله ١٢٩
حيي بن أخطب النضري ١٣٥، ١٦٤، ١٧١، ١٧٣،
١٧٤، ١٨١، ١٨٤
- (خ)
بنت خارجة، واسمها حبیبة ٣١٧
خارجة بن زهير ١٠٨
خارجة بن زيد ١٠٠، ١٠١
خالد بن البكير ٤٦، ١٥٧
خالد بن زيد، أبو أيوب الأنصاري ١٠٢، ١٠٨، ٢٠١،
٢١٥
خالد بن سعيد بن العاص ٤٦، ٢١٨، ٢٧٦ - ٢٧٨،
٢٩٣، ٣١٠
خالد بن معدان الكلاعي ٣١
خالد بن الوليد ١٤١، ١٨٩، ١٩٠، ٢٠٢، ٢٢٢،
٢٤٠، ٢٤٧، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٩٩، ٣٠٠
خبيب بن الأرت ٤٥، ٦٥، ٦٨، ٦٩
خبيب بن إساف ١٠٠
خبيب بن عدي ١٥٧ - ١٦١، ١٧٤، ١٩٠
خديجة بنت خويلد، أم المؤمنين ٣٤ - ٤١ - ٤٣،
٤٥، ٧٩، ١٣٠، ٣٠٩، ٣١٢
خراش بن أمية الخزاعي ٢٠٥
خزيمة بن مدركة ١٥، ١٦
الخضرء (اسم كتيبة الرسول) ٢٣٣
الخطاب، والد عمر ٢٣٢

ابن الخطاب = عمر

ابن خطل = عبد الله

خلاد بن سويد ١٨٨

خنيس بن حذافة السهمي ٤٦ ، ٣١٠

خوات بن جبير ١٧٤

خويلد بن أسد ٣٥ ، ٣٠٩

خويلة بنت حكيم السلمية ٢٥٠

أبو خيثمة ٢٦٤ ، ٢٦٥

(د)

داعس الخزرجي ١٦٤

داود عليه السلام ٢٥١ ، ٢٦٠

أبو دجانة = سمالك بن خرشة

دحية بن خليفة الكلبي ١٨١ ، ٢١٢ ، ٣٠٦

أبو الدرداء ١٠٨

دريد بن الصمة ٢٤١ ، ٢٤٢

أبو دشمة (كنية وحشي) ١٣٩

دما بن إسماعيل ١٦

دوس بن ثعلبان ١٧

(ذ)

ذات النطاق = أسماء بنت أبي بكر ٩٧

أبو ذر الغفاري ١٠٨ ، ١٦٦ ، ٢٢٩ ، ٢٦٧

ذو الجناحين = جعفر بن أبي طالب

ذو الخمار = سبيع بن الحارث ، عوف بن الربيع

ذو الغصاة = قيس بن الحصين

ذو نفر ١٩ ، ٢٠

ذو نواس = زرة

ابنة أبي ذؤيب = حليلة

ذؤيب بن الأسود بن رزن ٢٢٥

(ر)

راعو بن فالخ ١٥

رافع ، أحد الموالى ٢٢٦

أبو رافع ، سلام بن أبي الحقيق ١٨٨

أبو رافع مولى رسول الله ٢١٩

رافع بن خديج ١٤١

رافع بن مالك ٨٦

ابنا ربيعة = شيبه وعتبة ٨١ ، ٨٢

ربيعة بن الحارث ٢٩٥

ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ٣٠٤

ربيعة بن عباد ٨٣

ربيعة بن نزار ١٦

الرحمن ، لقب مسيلمة ٥٥

ابن الرداء (جمل) ٩٩

رستم الشهيد ٥٧ ، ٦٩

أبو رغال ٢٠

رفاعة بن رافع ١٣٤

رفاعة بن زيد بن الثابت ١٩٤

رفاعة بن سموع القرظي ١٨٥

رفيدة الأسلمية ١٨٣

رقية بنت رسول الله ٣٥ ، ٥٩

رقية بنت أبي سلمة ٣١٠

رملة بنت أبي سفيان = أم حبيبة

رملة بنت أبي عوف ٤٦

الرميصاء = أم سليم بنت ملحان

أبو رهم بن عبد العزى ٣١١

أبو رهم الغفاري = كلثوم بن الحصين ٢٢٩ ، ٢٦٩

ابن رواحة = عبد الله

الروح وروح القدس = جبريل ٣٩ ، ٢٣٩

أبو رويحة ١٠٨

ريحانة بنت عمرو بن خنافة ١٨٥

ريطة بنت منبه بن الحجاج ١٣٩

(ز)

الزبرقان بن بدر التميمي ٢٨٠ - ٢٨٢

ابن الزبيري = عبد الله

الزبير بن عبد المطلب ١٧ ، ٤٥

الزبير بن العوام ٤٥ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ١٠٨ ، ١٢٠ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ٢١٣ ، ٢٢٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢

زرة بن نواس ١٧ ، ١٨

زرة ذو يزن ٢٩٧ ، ٢٩٨

زمنة بن الأسود بن المطلب ، أبو حكيم ٥٣ ، ٧٢ ، ٧٣

١٢١ ، ١٢٩

زنيرة ٥٨

زهرة بن كلاب ١٦

الزهري = محمد بن مسلم

زهير بن أبي أمية بن المغيرة ٧٢ ، ٧٣ ، ٢٣٦

زهير بن أبي سلمى ٩٣

زهير أبو صرد ٢٥٢

زياد بن السكن ١٤٦

زياد بن عبد الله البكائي ٣٠٧

زياد بن لبيد ١٠١ ، ٣٠٣

زيد بن أرقم ١٩٣ - ١٩٥

أبو زيد الأنصاري ٣٢٧

زيد بن ثابت ١٤١

زيد بن حارثة ٤٥، ٧٨، ١٠٨، ١١٨، ١٢٨، ١٣١،
 ١٣٨، ٢٢٠ - ٢٢٢، ٢٢٤، ٣٠٨، ٣١٠
 زيد بن الدثنة ١٥٨، ١٥٧
 زيد بن سهل، أبو طلحة ٢١١، ٢٤٥، ٣٢٥
 زيد بن كلاب = قصي بن كلاب
 زيد بن اللصيت القينقاعي ٢٦٦
 زينب بنت رسول الله ٣٥، ١٣٠، ١٣١
 زينب بنت جحش ١٩٩، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٣
 زينب بنت الحارث ٢١٤
 زينب بنت خزيمة، أم المساكين ٣١٢، ٣١٣
 زينب بنت أبي سلمة ٣١٠
 زينب بنت عبد دهقان، أم عائشة ١٩٨
 زينب بنت أبي هالة ٣٠٩

(س)

سارة مولاة بني عبد المطلب ٢٣٥
 ساروغ بن راعو ١٥
 سالم بن عمير ٢٦٣
 سام بن نوح ١٥
 سامه بن لؤي ١٦
 السائب بن عثمان بن مظعون ٤٦
 سباع بن عبد العزى الغيثاني، أبو نيار ١٤٢
 أبو سبرة بن أبي رهم ٥٩
 سبيع بن الحارث، ذو الخمار ٢٤١
 سراقه بن مالك، ابن جعشم ٩٧ - ٩٩، ١١٧
 سعاد (في شعر) ٢٥٩، ٢٦٢
 سعد بن خيثمة ١٠٠
 سعد بن الربيع ١٠١، ١٠٨
 أم سعد، بنت سعد بن الربيع ١٤٦
 سعد بن زيد الأنصاري ١٨٥، ١٩١
 أبو سعد بن أبي طلحة ١٤٤
 سعد بن عباد بن دليم ٨٩، ٩٠، ١٠١، ١٧٤، ١٧٥
 ١٩٩، ٢٥٦، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٣
 سعد بن معاذ بن النعمان، أبو عمرو ١٠٨، ١١٩، ١٢٢
 ١٥٣، ١٧٤، ١٧٥
 سعد بن أبي وقاص ٤٥، ٤٦، ١١١ - ١١٤، ١٢٠
 ١٤٦، ٢٠٨، ٣٠١
 أبو سعد بن وهب ١٦٥
 سعيد بن جبير ٥٨
 سعيد بن حريث المخزومي ٢٣٥
 سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص ٢١٨
 أبو سعيد الخدري ٧٧، ١٤٥، ٢٥٦، ٣٠٢
 أبو أبي سعيد الخدري = مالك بن سنان

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ٤٥، ٦٥، ١٠٨، ٣٢١
 سعيد بن أبي زيد الأنصاري ١٤٦
 سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي ١٥٩
 سعيد بن عبيد ٢٥٠
 سعيد بن المسيب ٧٦
 سعيد بن المعلی ٣١٤
 سعيد بن يربوع بن عنكشة ٢٠٥
 سفانة بنت حاتم ٢٩٠، ٢٩١
 أبو سفيان بن الحارث ٢٣٠
 أبو سفيان بن حرب، أبو حنظلة ٥٣، ٧٩، ١١٥، ١١٦،
 ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٣٥، ١٣٨، ١٤١، ١٤٤،
 ١٥٠، ١٥١، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٨،
 ١٦٩، ١٧١، ١٧٧ - ١٧٩، ٢٠٥، ٢٢٧، ٢٢٨،
 ٢٣٠ - ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٤
 ٢٧٧ - ٢٧٩، ٣٠٧
 السكران بن عمرو ٣١٠
 سلاقة بنت سعيد بن شهيد ١٤٤، ١٥٨
 سلام بن أبي الحقيق النضري ١٦٤، ١٧١، ١٨٨
 سلام بن مشكم ١٣٥، ٢١٤
 سلمان الفارسي ١٠٨، ١٧٣، ١٧٦
 أبو سلمة = عامر بن ربيعة
 أبو سلمة = عبد الله بن عبد الأسد ١٥٢
 أم أبي سلمة = برة
 سلمة بن الأكوع = سلمة بن عمرو
 أم سلمة هند بنت أبي أمية، زوج رسول الله ٥٩، ٦٠،
 ١٨٢، ٢٣٠، ٢٤٩، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٣، ٣١٥
 سلمة بنت سلامة بن وقش ١٠٨، ١١٨، ١٢٨
 أبو سلمة بن عبد الأسد ٤٥، ٥٩، ٧١، ٣١٠
 أبو سلمة بن عبد الرحمن ١٠٤
 سلمة بن عمرو بن الأكوع السلمي ١٩١، ٢١٣، ٢١٤
 سلمة بن نعيم بن مسعود ٣٠٣
 سلمى بن الأسود بن رزن ٢٢٥
 سلمى بنت عمرو، أم عبد المطلب ١٠١
 سلمى بنت قيس ١٨٥
 أبو سليط = أسيرة بن خارجة
 سليط بن عمرو ٤٥، ٣٠٦، ٣١٠
 سليط بن قيس ١٠١
 أم سليم بنت ملحان، الرميضاء ٢١٥، ٢٤٥
 أبو سليمان، خالد بن الوليد ١٩٠
 سماك بن خرشة، أبو دجاجة ١٤١، ١٤٢، ١٤٦، ١٦٥
 سمرة بن جندب ١٤١
 أبو سنان الأسدي ٢٠٦

زيد بن حارثة ٤٥، ٧٨، ١٠٨، ١١٨، ١٢٨، ١٣١،
 ١٣٨، ٢٢٠ - ٢٢٢، ٢٢٤، ٣٠٨، ٣١٠
 زيد بن الدثنة ١٥٨، ١٥٧
 زيد بن سهل، أبو طلحة ٢١١، ٢٤٥، ٣٢٥
 زيد بن كلاب = قصي بن كلاب
 زيد بن اللصيت القينقاعي ٢٦٦
 زينب بنت رسول الله ٣٥، ١٣٠، ١٣١
 زينب بنت جحش ١٩٩، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٣
 زينب بنت الحارث ٢١٤
 زينب بنت خزيمة، أم المساكين ٣١٢، ٣١٣
 زينب بنت أبي سلمة ٣١٠
 زينب بنت عبد دهقان، أم عائشة ١٩٨
 زينب بنت أبي هالة ٣٠٩

(س)

سارة مولاة بني عبد المطلب ٢٣٥
 ساروغ بن راعو ١٥
 سالم بن عمير ٢٦٣
 سام بن نوح ١٥
 سامه بن لؤي ١٦
 السائب بن عثمان بن مظعون ٤٦
 سباع بن عبد العزى الغيثاني، أبو نيار ١٤٢
 أبو سبرة بن أبي رهم ٥٩
 سبيع بن الحارث، ذو الخمار ٢٤١
 سراقه بن مالك، ابن جعشم ٩٧ - ٩٩، ١١٧
 سعاد (في شعر) ٢٥٩، ٢٦٢
 سعد بن خيثمة ١٠٠
 سعد بن الربيع ١٠١، ١٠٨
 أم سعد، بنت سعد بن الربيع ١٤٦
 سعد بن زيد الأنصاري ١٨٥، ١٩١
 أبو سعد بن أبي طلحة ١٤٤
 سعد بن عباد بن دليم ٨٩، ٩٠، ١٠١، ١٧٤، ١٧٥
 ١٩٩، ٢٥٦، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٣
 سعد بن معاذ بن النعمان، أبو عمرو ١٠٨، ١١٩، ١٢٢
 ١٥٣، ١٧٤، ١٧٥
 سعد بن أبي وقاص ٤٥، ٤٦، ١١١ - ١١٤، ١٢٠
 ١٤٦، ٢٠٨، ٣٠١
 أبو سعد بن وهب ١٦٥
 سعيد بن جبير ٥٨
 سعيد بن حريث المخزومي ٢٣٥
 سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص ٢١٨
 أبو سعيد الخدري ٧٧، ١٤٥، ٢٥٦، ٣٠٢
 أبو أبي سعيد الخدري = مالك بن سنان

(ض)

ضرار بن الخطاب الشاعر ١٧٥
ضرار بن عبد المطلب ١٧
ضمام بن ثعلبة ٢٨٨ ، ٢٨٧
ضمام بن عمرو الغفاري ١١٥ ، ١١٦

(ط)

طابخة بن إلياس ١٦
أبو طالب بن عبد المطلب ١٧ ، ٣٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٩ - ٨١
الطاهر والطيب ، ولدا رسول الله ٣٥
طعيمة بن عدي بن نوفل ١٢١
أبو طلحة = زيد بن سهل
طلحة بن عبيد الله ٤٥ ، ١٠٨ ، ١٤٥ - ١٤٨ ، ١٩١ ، ٣٢٠
طيما بن إسماعيل ١٦

(ع)

عاتكة بنت عبد المطلب ١٧ ، ٧٢ ، ١١٥ ، ١١٦
أبو العاصم بن الربيع بن عبد العزى ١٣٠ - ١٣٢
عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري ١٢٩ ، ١٤٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠
عاصم بن عدي ٢٧٠
عاصم بن عمر بن قتادة ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢
العاصي بن هشام بن المغيرة ١١٧ ، ١٤٧ ، ١٩٢
العاصي بن وائل السهمي ٥٣ ، ٦٨ ، ٧٠
عاقل بن البكير ٤٦
أبو عامر = أبي بن خلف ، كما في إمتاع الأسماع ١ : ٤٠
أبو عامر الأشعري ٢٤٧
عامر بن البكير ٤٦
عامر بن الحضرمي ١٢٤
عامر بن ربيعة ٤٦ ، ٥٩
عامر بن الطفيل ، أبو براء ١٦٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦
عامر بن فهيرة ٤٦ ، ٥٨ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣
عامر بن لؤي ١٦
عامر بن مالك بن جعفر ، أبو براء ملاعب الأسنة ١٦١ - ١٦٣
عامر بن أبي وقاص ٢١٨
عائشة أم المؤمنين ٤٠ ، ٤٥ ، ٩٥ ، ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٦ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٦ - ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٢٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣٢٥ - ٣٢٧

أبو سنان بن محصن بن حرثان ١٨٨

سنان بن وهر الجهنني ١٩٣
سهل بن حنيف ١٦٥
سهل بن عمرو ١٠١
سهلة بنت سهيل السهمي ٥٩
سهيل بن بيضاء ٥٩
سهيل بن عمرو ١٠١ ، ١٢١ ، ١٣٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٣٢٧ ، ٣٥٤
سودة بنت زمعة بن قيس ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٣
سويد الخزرجي ١٦٤
سويد بن صامت ٨٤
سيمن ٣٠٧

(ش)

شائع بن أرفخشذ ١٥
شجاع بن وهب الأسدي ٣٠٦
شداد بن الأسود ، ابن شعوب ١٤٤
شداد بن عبد الله القناني ٣٠٠
شرحبيل بن غيلان بن سلمة ٢٧٦
أم شريك = غزية بنت جابر
الشعبي ٢١٧
شعفاء (في شعر) ٢٣٩
ابن شعوب = شداد بن الأسود
شقران ، مولى الرسول ٣٢٥ ، ٣٢٦
ابن شهاب الزهري = محمد بن مسلم
شبية بن ربيعة ٥٣ ، ٧١ ، ٨٢ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٧
شبية بن عثمان ٢٤٤
شيث بن آدم ١٥
الشيخ النجدي ٩٣ ، ٩٤
الشيعة بنت الحارث بن عبد العزى ٢٤٧

(ص)

الصديق أبو بكر ٧٦
أبو صرد = زهير
صرد بن عبد الله الأزدي ٢٩٦
صفوان بن أمية ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٥٨ ، ٢٤٣ ، ٢٥٥
صفوان بن المعطل السلمي ١٩٧
صفية بنت حيي بن أخطب ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٣
صفية بنت شيبه ٢٣٦
صفية بنت عبد المطلب ١٧ ، ١٥١ ، ١٥٢
صهيب بن سنان الرومي ٤٦
صيفي بن أبي رفاعه ١٣٢

- عبد الله بن بشر بن وقش ١٠٨، ١٩٢، ١٩٤
عبد بن عبد الله بن الزبير ٣١٨
عبادة بن الصامت ٨٦، ٨٩، ١٣٦، ١٩٣
عبادة بن مالك ٢٢١
ابن عباس = عبد الله
عباس بن عبادة بن نضلة ٨٩، ١٠١
العباس بن عبد المطلب، أبو الفضل ١٧، ٤٤، ٨٠، ٨٧، ٨٨، ١١٥، ١١٦، ١٢٦، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٤٤، ٢٩٥، ٣٠٤، ٣١١، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٥
عباس بن مرداس ٢٥٣، ٢٥٥
عبادة بن مالك ٢٢١
عبد بن جحش، أبو أحمد ٤٦، ٩٢، ٣١٠
عبد الدار بن قصي ١٦
عبد الرحمن بن عوف ٤٥، ٥٩، ١٠٨، ١١٨، ١٢٦، ١٩٥، ٢٠٨، ٣٢٠
عبد الرحمن بن عويمر بن ساعدة ١٠٠
عبد الرحمن بن كعب، أبو ليلى ٢٦٣
عبد شمس بن عبد مناف ١٦
عبد العزى = أبو لهب ٨٣
عبد العزى بن قصي ١٦
عبد قصي بن قصي ١٦
عبد الله، محمد ﷺ ٧٣
عبد الله بن أبي بن سلول ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٥٦، ١٦٤، ١٦٥، ١٨٣، ١٩٣ - ١٩٥، ٢٦٤
عبد الله بن أرقط ٩٥، ٩٩
عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ٥٣، ٥٥، ٢٣٠
عبد الله بن أبي بكر ٩٦، ١٣١، ١٦٤، ٢٠٦، ٢٣٣، ٢٤٥، ٢٦٢، ٢٩٨، ٣٢٤
عبد الله ذو البجادين ٢٦٩
عبد الله بن التامر ١٧
عبد الله بن ثعلبة ١٥٣
عبد الله بن جبير ١٤٠
عبد الله بن جحش ٤٦، ٩٢، ١١٢، ١١٣، ١٥٣، ٣٠٨
عبد الله بن جدعان ٣٤، ٥٠
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٤
عبد الله، ابن عم جويرية ٣١١
عبد الله بن الحارث بن عبد العزى ٢٩
عبد الله بن الحارث بن نوفل ٣٢٦
عبد الله بن أبي حنيفة ٢٤٢
عبد الله بن حذافة السهمي ٣٠٦
أبو عبد الله = حذيفة بن اليمان
عبد الله بن خطل ٢٣٤، ٢٣٥
- عبد الله بن أبي ربيعة ٦٠ - ٦٢، ٦٤، ١٣٨
عبد الله بن رواحة ١٠١، ١٢٥، ١٢٨، ١٦٩، ١٧٤، ٢٢٠ - ٢٢٤
عبد الله بن الزبير ٢٥٧
عبد الله بن زمعة بن الأسود ٣١٦
عبد الله بن زيد بن ثعلبة ١٠٨، ٢٩٨
عبد الله بن سعد ٢٣٤
عبد الله بن سهيل بن عمرو ٢٠٨
عبد الله بن شهاب الزهري ١٤٥
عبد الله بن طارق ١٥٧، ١٥٨
عبد الله بن أبي طلحة ٢٤٥
عبد الله بن عباس ٥٧، ٥٩، ٧٩، ٩٣، ١٢٦، ١٥٢، ١٦٠، ٢١٩، ٢٣٧، ٢٨٧، ٣١٣، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٢٥
عبد الله بن عبد الأسد، أبو سلمة ٤٥، ٥٩، ٩٢، ٣١٠
عبد الله بن عبد الله بن أبي ١٩٥
عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الفقيه ١٤٩
عبد الله بن عبد المطلب ١٧، ٢٥ - ٢٨، ٣٣
عبد الله بن عتيق بن عابد ٣٠٩
عبد الله بن عمر بن الخطاب ٦٦، ١٤١
عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو جابر ٨٧، ١٤٠
عبد الله بن عمرو بن العاص ٤٩
عبد الله بن عمرو المزني ٢٦٣
عبد الله بن قراد الزياتي ٣٠٠
عبد الله بن كعب بن عمرو ١٢٨
عبد الله بن كعب بن مالك ٨٤، ١٨٨، ٣١٤
عبد الله بن مسعود ٤٥، ٦٤، ٧٤، ١٢٧، ١٤٩، ٢٦٧، ٢٦٩
عبد الله بن مظعون ٤٥
عبد الله بن المغفل ٢٦٣
أم عبد المطلب = سلمى بنت عمرو
عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وهو شيبه ١٥، ١٧، ٢٠، ٢٣، ٢٤ - ٢٧، ٣١، ٣٢
عبد الملك بن عبد الله الثقفي ٧٣
عبد الملك بن عبيد الله ٤٠
عبد مناف بن قصي ١٥، ١٦
عبد مناة بن كنانة ١٦
عبد ياليل بن عمرو بن عمير ٨١، ٢٧٦
العبيد (فرس) ٢٥٥
عبيد بن زيد، أبو عياش ١٩١
عبيد بن عمير ٤٠
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ٢٤٠، ٣١٣، ٣٢١

- أبو عبيدة بن الجراح ٤٥، ١٠٨، ١٤٦، ٣٠٨، ٣٢٣، ٣٢٥
عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ٤٥، ١١١، ١٢٥، ٣٠٨، ٣١٢
أبو عبيدة (معمّر بن المثنى) ٢١٩، ٣٢٧
أم عبيس ٥٨
عتاب بن أسيد بن أبي العيص ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٥٧، ٣٢٧
عتبان بن مالك ١٠١، ١٠٨
عتبة بن أسيد، أبو بصير ٢٠٩، ٢١٠
عتبة بن ربيعة، أبو الوليد ٥٢، ٥٣، ٧٩، ٨١، ٨٢، ١١٦، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٦٩
عتبة بن غزوان ١١٣، ١١٤
عتبة بن مسعود ١٤٩، ٢١٨
عتبة بن أبي وقاص ١٤٥
عتودة غلام أبرهة ١٨
عتيق عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ٣٠٩
عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ١٩٠
عثمان بن أبي العاص ٢٧٦، ٢٧٧
عثمان بن ربيعة بن أهبان ٢١٧
عثمان بن طلحة ٢٣٦
عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث ٢٤٦
عثمان بن عبد الله بن المغيرة ١١٣، ١١٤
عثمان بن عفان ٤٥، ٥٩، ١٠٨، ١٧٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٣٤، ٢٥٠، ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٩٦، ٣٢٦
عثمان بن مظعون الجمحي ٤٥، ٥٩، ٧١
عداس النصراني ٨٢
عدنان بن أدد ١٥، ١٦
عدي بن حاتم ٢٩٠ - ٢٩٢، ٣٠٣
عدي بن حمراء الثقفي ٧١
عدي بن أبي الزغباء الجهني ١١٨، ١٢١
عدي بن كعب ١٦
عرباض بن سارية الفزاري ٢٦٣
عروة بنت أسماء ١٦٢
عروة بن الزبير ٩١، ١٣٤، ٢١٠، ٣١٤، ٣٢٣
عروة بن مسعود الثقفي ٧٦، ٢٠٤، ٢٤٨، ٢٧٥ - ٢٧٨
عروة بن الورد العبسي ١٦٤
عريض، أبو يسار ١٢٠
أبو عزة = عمرو بن عبد الله الجمحي
العضباء، ناقة الرسول ٢٧٩
عطارد بن حاجب بن زرارة ٢٨٠
عطية القرظي ١٨٥
العقاب (راية علي) ١١٧
- عقبة بن الحارث بن عامر ١٥٨
عقبة بن أبي معيط ٦٩، ٧٠، ٧١، ١١٧، ١٢٨
عقبة بن نمر ٢٩٨
ذو القيصتين ٢٨٨
عقيل بن الأسود ١٢٩
عقيل بن أبي طالب ٤٤، ٢٢٤، ٢٥٤
عك بن عدنان ١٦
عكاشة بن محصن ١١٣، ١٩١، ١٩٢
عكرمة بن أبي جهل ١٣٨، ١٤١
العلاء بن جارية الثقفي ٢٥٤
العلاء بن الحضرمي ٣٠٣
علبة بن زيد ٢٦٣
أبو علي = أمية بن خلف
علي بن زيد بن جدعان ٢٦٢
علي بن أبي طالب، أبو الحسن أبو القصم ٣٨، ٤٤، ٦٤، ٩٢، ٩٤، ٩٦، ١٠٠، ١٠٧، ١٠٨، ١١٨، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٨، ١٤٤ - ١٤٨، ١٥١، ١٦٣، ١٧٦، ١٨٠، ١٨٨، ١٩٥، ١٩٩، ٢٠٧، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٤، ٢٢٧ - ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٥، ٢٦٤، ٢٧٩، ٢٩١، ٣٠٣، ٣٠٨، ٣١٣، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٦
علي (بن مسعود في شعر) ٢٦١
أبو عمار الوائلي ١٧١
عمار بن ياسر ٤٦، ٥٨، ١٠٨
عمارة بن حزم ٢٦٦
أبو عمارة = حمزة بن عبد المطلب ٥١
أم عمارة = نسيبة بنت كعب ١٤٦
عمارة بن عقبة بن أبي معيط ٢١٠
عمارة بن الوليد بن المغيرة ٤٨
عمارة بن يزيد بن السكن ١٤٦
عمر بن الخطاب، أبو حفص ٦٤ - ٦٧، ٧٩، ٩٢، ١٠٨، ١٠٩، ١١٨، ١١٩، ١٢٦، ١٣٠، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٣، ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٥ - ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٧ - ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٥٠، ٢٦٩، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٧
عمر بن أبي سلمة ٣١٠
عمر مولى غفرة ٣٨، ١٤٨
عمرة بنت علقمة الحارثية ١٤٥
عمرة بنت يزيد الكلابية ٣١٢
عمرو = أبو جهل
أبو عمرو = سعد بن معاذ

عمرو بن أمية الضمري ١٦٢، ١٦٣، ١٨٩، ٢١٧، ٢١٨، ٣٠٦
عينة بن حصن بن بدر الفزاري ١٧١، ١٧٥، ١٩١، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٨٠

(غ)

غالب بن عبد الله الكلبي ٣٠٨
غالب بن فهر ١٥، ١٦
الغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر ٢٨٩
غزية بنت جابر، أم شريك ٣١٢
الغفارية ١٩٢
غُورث ١٣٦
غيلان بن سلمة ٢٤٨

(ف)

الفارعة بنت عقيل ٢٥٠
فاطمة بنت رسول الله ٣٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٦
فاطمة بنت الخطاب ٤٥، ٦٤، ٦٥
فاطمة بنت شيبه بن ربيعة ٢٥٤
فاطمة بنت المجلل ٤٦
فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ١٣٨
فالخ بن عبيد ١٥
فرات بن حيان ١٣٨
فرثي القينة ٢٣٥
الفرزدق ٢٨
فروع ٧٧
فروة بن عمرو ١٠١
فروة بن عمرو الجذامي ٢٩٩
فروة بن مسيك المرادي، أبو عمير ٢٩٣، ٢٩٥
فضالة بن عمير الليثي ٢٣٨
أبو الفضل = العباس بن عبد المطلب ٨٧، ٢٣١، ٢٣٣
الفضل بن العباس ٣١٣، ٣٢٥، ٣٢٦
فكيفة بنت يسار ٤٦
فهر بن مالك ١٥، ١٦

(ق)

قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب ٢٤١، ٢٧٨
أبو القاسم، عليه السلام ٤١، ٥٠، ١٦٣، ١٨٠
القاسم، إبراهيم ٣٥
القاسم بن محمد ٣١٦
قبيصة بن عمرو الهلالي ٣١٢
أبو قتادة = الحارث بن ربيعي
قتادة بن النعمان ١٤٧
قثم بن العباس ٣٢٥، ٣٢٦
أبو قحافة عثمان، والد أبي بكر ٤٥، ٥٨، ٢٣٣

عمرو بن أمية بن وهب الثقفي ٢٤٩
عمرو بن الأهم ٢٨٠
عمرو بن أوبار ١٩٢
عمرو بن ثابت بن وقش، أصيرم بني عبد الأشهل ١٤٩
عمرو بن جحاش بن كعب ١٦٣
عمرو بن الجموح ١٤٩
عمرو بن حزم ١٤١، ٣٠١
عمرو بن الحضرمي ١١٣، ١١٧، ١٢٣
عمرو بن حمام بن الجموح ٢٦٣
عمرو بن خويلد ٣٠٩
عمرو بن سالم الخزاعي ٢٢٦
عمرو بن سعيد بن العاص ٢١٧
عمرو بن شبيب ٢٤٩
عمرو بن العاص بن وائل ٦٠-٦٢، ٦٤، ١١٥، ١٣٩، ١٨٩، ١٩٠، ٣٠٦
عمرو بن عبد الله الجمحي ١٣٢، ١٥٠
عمرو بن عبد الله الضبابي ٣٠٠
عمرو بن عبد ود ١٢١، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٨
أم عمرو صاحبة عروة بن الورد ١٦٤
عمرو بن عمير الثقفي، أبو مسعود ٦٩
عمرو بن معد يكرب ٢٩٣-٢٩٥
عمرو بن أم مكتوم ١١٧
أبو عمير (في شعر) = فروة بن مسيك ٢٩٥
عمير بن الحمام ١٢٦
عمير بن أبي وقاص ٤٥
عمير بن وهب الجمحي ١٢٣، ١٣٤، ١٣٥، ٢٥٥
٢٦٥
العنسي = الأسود بن كعب
العوذ (فرس) ١٤٧
عوف بن الحارث ١٢٥
عوف بن الربيع، ذو الخمار ٢٤٦
عوف بن لؤي ١٦
عويم بن ساعدة ١٠٨، ٣٢٣
عياض بن الجندب ٣٠٦
عياض بن أبي ربيعة المخزومي ٤٥، ٩٢
أبو عياض = عبيد بن زيد
عبيد بن شالح ١٥
عيسى ابن مريم عليه السلام ١٧، ٣١، ٣٩، ٦٢، ٧٤-
٧٦، ٧٨، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٢١
غيلان بن مضر ١٦

(ل)

أبو لبابة = بشير بن عبد المنذر ١١٧ ، ١٣٦ ، ١٨٢ ،
١٨٣
ليبد بن ربيعة ٢٨٦
لقمان ٨٤
ابن لقيم العبسي ٢١٦
لمك بن متوشلخ ١٥
أبو لهب، عبد العزى بن عبد المطلب ١٧ ، ٦٧ ، ٦٨ ،
٧١ ، ٨٣ ، ١١٧ ، ١٥٢
لؤي بن غالب ١٥ ، ١٦
أبو ليلي = عبد الرحمن بن كعب
ليلي بنت أبي حثمة ٥٩ ، ٩٢

(م)

مارية القبطية ٣٥
ماشي بن إسماعيل ١٦
مالك بن الدخشم ٢٧٠
مالك بن ربيعة ٢١٨
مالك بن رافة ٢٢١
مالك بن سنان، والد أبي سعيد الخدري ١٤٥
مالك بن عبادة ٢٩٨
مالك بن عمرو الأنصاري ١٤٠
مالك بن عوف النصري ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥
مالك بن أبي قوفل ١٦٤
مالك بن كنانة ١٦
مالك بن مرة الراوي ٢٩٧ ، ٢٩٨
مالك بن بني المصطلق ١٩٥
مالك بن النضر ١٥ ، ١٦
مالك بن نيرة ٣٠٣
المأمون، محمد ﷺ ٢٥٨
ماوية مولاة حجير بن أبي إهاب ١٥٨
متوشلخ بن أختوخ ١٥
مجدي بن عمرو الجهني ١١١
محارب بن فهر ١٦
أبو محجن الثقفي ٢٥٣
محرز بن نضلة ١٩١ ، ١٩٢
محرق (في شعر) ٢٥١
محمد ﷺ
محمد بن إبراهيم بن الحارث ٣١٦
محمد بن أحيحة بن الجلاح ٢٨
محمد بن إسحاق المطليبي ٣٠٧

قدامة بن مظلون ٤٥

أبو القصم ، علي بن أبي طالب ١٤٤
قصي بن كلاب ١٥ ، ١٦ ، ٥٤ ، ٩٣
قضاة بن معد ١٦
قطبة بن قتادة ٢٢١
قمعة بن إلياس ١٦
ابن قمعة الليثي ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥١
قنص بن معد ١٦
قيدر بن إسماعيل ١٦
قيزما بن إسماعيل ١٦
قيس بن الحارث ٢٨٠
قيس بن الحصين، ذو الغصنة ٣٠٠ ، ٣٠١
قيس بن عاصم ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٣٠٣
قيس بن مخزومة ٢٨
قيس بن مكشوح المرادي ٢٩٣ ، ٢٩٤
قيصر ملك الروم ١٧ ، ١٨ ، ١٧٥ ، ٢٠٥ ، ٣٠٦
قيل ذي رعين ٢٩٧
قين بن يانش ١٥

(ك)

كاهنة بني سعد هذيم ٢٣ ، ٢٤
أبو كبشة مولى رسول الله ١١٨
كرز بن جابر الفهري ١١٢ ، ٣٠٧
كسرى ١٧٥ ، ٢٠٥ ، ٣٠٦
كعب بن أسد القرظي ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٨٤
كعب بن الأشرف ١٨٨ ، ٣٠٨
كعب بن زهير أبي سلمى ٢٥٧ - ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٢
كعب بن زيد ١٦٢
كعب بن عمرو بن جحاش ١٦٥
كعب بن لؤي ١٥ ، ١٦
كعب بن مالك ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٨ ، ١٤٧ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،
٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٢٧١ - ٢٧٤
كلاب بن مرة ١٦
أم كلثوم بنت رسول الله ٣٥
كلثوم بن الأسود بن رزن ٢٢٥
كلثوم بن الحصين، أبو رهم الغفاري ٢٢٩ ، ٢٦٩
أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ٢١٠
كلثوم بن هدم ١٠٠
كنانة بن خزيمه ١٥ ، ١٦
كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ١٦٤ ، ١٧١ ، ٢١٢ ، ٣١١
كيسة بنت الحارث ٢٨٩

- محمد بن جعفر بن الزبير ٣١٤
 محمد بن حمران بن ربيعة ٢٨
 محمد بن سفيان بن مجاشع، جد الفرزدق ٢٨
 محمد بن عمرو بن عطاء ١٣٠
 محمد بن كعب القرظي ٩٤، ١٧٩
 محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ٨٣، ٢٠٨، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٩٥، ٣٠٧، ٣١٣ - ٣١٦، ٣٢٣
 محمد بن مسلمة ٢١٣، ٢٦٤، ٣٠٨
 محمود (قيل الحبشة) ٢٢
 محمود بن أسد ١٤٩
 محمود بن مسلمة ٢٠٨، ٢١٢
 محمية بن الجزء ٢١٨
 محيصة بن مسعود ٢١٤
 مخزومة بن نوفل الزهري ١١٥، ٢٥٥
 مخشي بن عمرو الضمري ١٦٩
 مخيريق اليهودي ١٤٩
 مدركة بن إلياس ١٥، ١٦
 مذم (من تلقب المشركين) ٨٩
 مرارة بن الربيع ٢٦٤، ٢٧١، ٢٧٣
 مرثد بن أبي مرثد الغنوي ١١٨، ١٥٧، ١٦٠، ٣٠٨
 مرحب اليهودي ٢١٢، ٢١٣
 مرة بن كعب ١٥، ١٦
 مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى ٢١٥
 مريم العذراء البتول ٦٢
 مسافع بن طلحة ١٤٤
 أم المساكين = زينب بنت خزيمة ٣١٢
 مسطح بن أثاثة ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١
 أم مسطح بنت أبي رهم ١٩٨
 مسعر بن رخيلة ١٧١
 أبو مسعود = عمرو بن عمير
 مسعود بن عمرو بن عمير الغفاري ٨١، ٢٤٨
 مسعود بن القاري ٤٥
 مسعود بن معتب ١٩
 مسعود بن هنيذة ٩٩
 مسعما بن إسماعيل ١٦
 مسيلمة بن حبيب الحنفي الكذاب، (الرحمن) ٥٥، ١٤٣، ٢٨٩، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٢٣
 المصطفى ﷺ (في شعر) ٣٣٠
 مصعب بن عمير، المقرئ ٥٩، ٨٦، ١٠٨، ١١٧، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٣
 مضر بن نزار ١٥، ١٦
 المطعم بن عدي ٧٢، ٧٣
- المطلب بن أزر ٤٦
 المطلب بن حنطب ١٣٢
 المطلب بن عبد مناف ١٦
 معاذ بن جبل ١٠٨، ٢٥٧، ٢٧٢، ٢٩٨
 معاذ بن عفراء ١٠١
 معاوية بن أبي سفيان ١٥٩، ٢٥٤
 معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ١٥٥
 أم معبد (في شعر) ٩٧
 معبد بن أبي معبد الخزاعي ١٥٤، ١٦٩
 أبو معتب بن عمرو ٢١١
 معتب بن قشير ١٧٤، ١٨٨
 معد بن عدنان ١٥، ١٦
 المعراج (الدابة) ٧٧
 معمر بن الحارث ٤٦
 معمر بن عبد الله بن نضلة ٢١٨
 معن بن عدي ٢٧٠، ٣٢٣
 المعنق ليموت = المنذر بن عمرو
 معوذ بن الحارث ١٢٥
 معيقب بن أبي فاطمة ٢١٨
 المغيرة بن شعبة ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٧٦ - ٢٧٨، ٣٢٦
 المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ٢٦
 المغيرة بن قصي = عبد مناف
 المقداد بن عمرو ١١٩، ١٩١
 المقرئ = مصعب بن عمير ٨٦
 مقسم أبو القاسم ٣٢٦
 المقوقس ملك الإسكندرية ٣٥، ٣٠٦
 المقوم بن عبد المطلب ١٧
 مقوم بن ناحور ١٥، ١٦
 مقيس بن صابئة ١٩٥، ٢٣٥
 ابن أم مكتوم الأعمى ٧١، ١٥٤
 مكحول غلام الرسول ٢٤٨
 مركز بن حفص بن الأخيف ١٣٠، ٢٠٤، ٢٠٨
 ملاعب الأسنة = عامر بن مالك
 ملكان بن كنانة ١٦
 أبو مليح بن عروة ٢٧٨
 مليح الكندي ٨٣
 منبه (الخزاعي) ٢٢٦
 منبه بن الحجاج ٥٣، ١٢١
 منبه بن عثمان بن عبيد ١٨٧
 منثا ٣٠٧
 المنحمن، اسم الرسول بالسريانية ٣٩
 المنذر بن ساوي العبيدي ٣٠٦

المنذر بن عمرو، المعنق ليموت ٨٩، ١٠١، ١٠٨، ١٦٢،
 ٣٠٨
 المنذر بن محمد بن عقبة ١٦٢
 منصور بن عكرمة ٦٧، ٧٣
 المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة ٣٠٣
 المهدي، محمد ﷺ (في شعر) ٣٣٠
 مهليل بن قنن بن يانش ١٥
 موسى بن عمران عليه السلام ٤٢، ٧٤-٧٦، ٧٨، ٧٩،
 ١١٩، ١٨٩، ٢١٤، ٢٤٣، ٢٦٤، ٣١٨
 أبو موسى الأشعري ٢١٨، ٢٤٧
 أبو مويهبة مولى الرسول ٣٠٨، ٣٠٩
 مسرة غلام خديجة ٣٤، ٣٥
 مشنا بن إسماعيل ١٦
 ميمونة بنت الحارث بن حزن ٢١٩، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٣،
 ٣١٥

(ن)

نابت بن إسماعيل ١٥، ١٦
 النابتة الديباني ٩٣
 ناحور بن تيرح ١٥، ١٦
 ناحور بن ساروخ ١٥
 نافع بن بديل بن ورقاء ١٦٢
 نبش بن إسماعيل ١٦
 نبيه بن الحجاج ٥٣، ١٢١
 النجاشي ملك الحبشة ١٨، ٦٠-٦٤، ٦٧، ١٨٩، ٢٠٥،
 ٢١٧، ٢١٨، ٣٠٦
 النحام = نعيم بن عبد الله
 نزار بن معد ١٥، ١٦
 نسطاس مولى صفوان ١٥٨
 نسطورا ٣٤
 نسيبة بنت كعب المازنية (أم عمارة) ٨٧، ١٤٦
 النضر بن الحارث بن كلدة ٥٣، ٥٦، ٦٩، ١٢١، ١٢٨
 النضر بن كنانة ١٥، ١٦، ٢٩٥
 فضلة بن هاشم بن عبد مناف ٧٢
 النعمان بن المنذر ١٦، ٢٥٢
 النعمان قيل ذي رعين ٢٩٧
 نعيم بن عبد كلال ٢٩٧
 نعيم بن عبد الله، النحام ٤٦، ٦٤
 نعيم بن مسعود ١٧٧، ١٧٨، ٣٠٣
 نعيم بن يزيد ٢٨٨
 ذو نفر ١٩، ٢٠
 نفيل بن حبيب الخثعمي ١٩، ٢٢
 نمير بن خرشة بن ربيعة ٢٧٦

نميلة بن عبد الله ٢١١، ٢٣٥
 النهدي ٥٨
 ذو نواس ١٨
 نوح بن ملك ١٥
 نوفل بن خويلد ١٢٠
 نوفل بن عبد الله بن المغيرة ١١٣، ١٨٧
 نوفل بن عبد مناف ١٦
 نوفل بن معاوية الديلي ٢٢٥، ٢٢٦
 أبو نيار = سباع بن عبد العزى

(هـ)

هارون بن عمران - عليه السلام ٧٨، ٢٦٤
 هاشم بن عبد مناف ١٥، ١٦
 أم هانئ بنت أبي طالب ٢٣٥، ٢٣٦، ٣٢٦
 هبيرة بن أبي وهب المخزومي ١٧٥، ٢٣٥، ٢٥٧
 هذيل بن مدركة ١٦
 هرقل ٢٢٠، ٢٢١
 هرمي بن عبد الله ٢٦٣
 أبو هريرة ١٤٩، ١٧٣، ٢١٥، ٣٠٣، ٣١٨، ٣١٩
 هشام بن صبابه ١٩٣، ١٩٥
 هشام بن عمرو ٧٢، ٧٣، ٢٥٥
 هشام بن المغيرة ١١٣
 حصيص بن كعب ١٦
 هلال بن أمية ٢٦٤، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٤
 هند بنت أبي أمية = أم سلمة
 هند بنت عتبة ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٤٤، ١٥٠،
 ٢٣٣
 هند بن أبي هالة ٣٠٩
 هوذة بن علي الحنفي ٣٠٦
 هوذة بن قيس الوائلي ١٧١
 الهون بن خزيمه ١٦
 أبو الهيثم بن التيهان ٨٦، ٨٨

(و)

واقد بن عبد الله التميمي ٤٦، ١١٣
 وحشي غلام جبير بن مطعم ١٣٩، ١٤٢، ١٤٣
 وداعة ١٦٤
 ورقة بن نوفل ٣٥، ٣٦، ٤١، ٤٢
 أبو الوليد = عتبة بن ربيعة
 الوليد بن عتبة بن ربيعة ١١٦، ١٢٤، ١٢٥
 الوليد بن عقبة بن أبي معيط ١٩٦، ٢١٠
 الوليد بن المغيرة، أبو عبد شمس ٣٧، ٤٨، ٤٩، ٥٣،
 ٦٩ - ٧١

وهب بن جابر ٢٧٥
 وهب بن عمير ١٣٤ ، ١٣٥
 أبو وهب بن عمرو بن عائذ ٣٧

(ي)

إلياس بن مضر ١٥ ، ١٦
 ياسر ، والد عمار ٥٨
 ياسر اليهودي ٢١٣
 يامين بن عمرو ١٦٥
 ابن يامين بن عمير بن كعب النظري ٢٦٣
 يانش بن شيث ١٥
 يحنس الحواري ٣٩ ، ٣٠٧
 يحنة بن رؤبة ٢٦٧
 يحيى بن زكريا - عليهما السلام ٧٨
 يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ٣١٨
 يخلد بن النضر ١٦
 يرد بن مهليل ١٥
 يزيد بن أبي حبيب المصري ٣٠٦
 يزيد بن رومان ١٩٦ ، ٢٦٢
 يزيد بن عبد المدان ٣٠٠
 يزيد بن المحجل ٣٠٠
 يس ٢٧٥
 يشجب بن ثابت ١٥ ، ١٦
 يظورا بن إسماعيل ١٦
 يعرب بن يشجب ١٥ ، ١٦
 يعقوب عليه السلام ٢٠٠
 يعقوب بن عتبة ٣١٣
 يعقوبس ٣٠٧
 يقظة بن مرة ١٦
 اليمان، أبو حذيفة = حسيل بن جابر ١٤٨ ، ١٤٩
 يهوذا ٣٠٧
 يودس ٣٠٧
 يوسف بن يعقوب - عليهما السلام ٧٨ ، ٢٠٠ ، ٣١٦
 يونس بن متى ٨٢

٣ - فهرس القبائل والطوائف ونحوها

بنو آكل المرار ٢٩٥
 الأحابيش ١٣٨ ، ١٥٠ ، ١٧٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥
 الأحبار ٣٨
 الأحلاف ٢٤١ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦
 بنو أبي أحمد ٢٢٩
 إراش ٧٣

إراشة ٢٢١
 الأزد ٢٩٦
 أسد بن عبد العزى ٣٤ ، ٣٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٨ ، ٣٠٣
 إسرائيل ١١٩ ، ١٨٤ ، ٢٠٣
 أسلم ٥٠ ، ١٨٣ ، ٢١٦ ، ٢٧٠
 أسيد بن عمرو بن تميم ٣٠٩
 أشجع ١٧٢ ، ٣٠٣
 الأشعريون ١٦
 أصحاب السمرة ٢٤٤
 أصحاب الفيل ٢٢
 أصحاب الكهف ٣٠٧
 أصحاب المئين ٢٥٥
 بنو الأصفر = الروم ٢٦٢ ، ٢٦٣
 الأعاجم ٢٨٢
 بنو أمية ١٠٣
 الأنصار ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ - ٢٦٣ ، ٢٧٠ ، ٢٨٩ ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣١
 الأوس ٤٩ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٣٣ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٣٤
 أوس الله ١٠٣
 البربر ٣٠٧
 البكاعون ٢٦٣
 بكر بن عبد مناة ١١٧ ، ٢٠٧ ، ٢٢٥ - ٢٢٧
 بكر بن وائل ١٣٨
 البكير بن عبد ياليل، من بني سعد بن ليث ٤٦ ، ١٠٣
 بلحارث = بني الحارث
 بلي ٢٢٠ ، ٢٩١
 بهراء ٢٢٠
 بياضة ١٠١ ، ٣٠٣
 تميم ٢٥٢ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢
 تيم بن غالب ٢٣٤
 تيم بن مرة ٢١٨
 ثعلبة ١٠٦ ، ١٦٦
 ثعلبة بن القطيون ١٤٩
 ثقيف ١٩ ، ٦٩ ، ٨٠ - ٨٢ ، ٢٠٩ ، ٢٣٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٧٥ - ٢٧٨
 ثماله ٢٥٣

بنو جحش بن رثاب ١٠٣	سامة بن لؤي ٣١٢
جذام ٢٢٠	سبأ ١٧
جشم ١٠٥، ١٠٦، ٢٤١	سعد بن بكر ٢٩ - ٣١، ٢٤١، ٢٥٢، ٢٨٠، ٢٨٧، ٣٠٣
جفنة ١٠٦	سعد بن ليث ١٠٣
جلابيب قریش ١٩٣	سعد هذيم ٢٣
جمع بن عمرو ٣٧، ٥٧، ٦٦، ٨١، ١٣٤، ٢١٨	بنو سلمة ١٠٨، ١٢٦، ١٨٦، ٢٠٦، ٢٥٣، ٢٦٢، ٢٧٣، ٢٧٢، ٢٨٦
الجن ٨٢، ٨٣، ٩٧	سلول ٢٨٦
جن نصيبين ٨٢	سليم ١٣٥، ١٦٢، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٥٣، ٣٠٧
جهينة ٢٥٨	سهم بن عمرو ٣٧، ٢١٨
الحارث بن الخورج ١٠١، ١٠٥، ١٠٨، ٢٧٦، ٢٨١	الشطبية ١٠٦
الحارث بن فهر ٢١٨	شنوءة ٧٦، ٧٨
الحارث بن كعب ٢٩٩ - ٣٠١	شهران ١٩
حارثة ١٤١	بنو شيان، من بني سليم ٢٤٠
الحبيشة، الحبش ١٧، ١٨، ٢٠ - ٢٢، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٢١٨، ٣٠٦	ضمرة بن بكر ١١٢، ١٦٩
بنو الحجاج ١٢٠	بنو ضمرة من كنانة ١٦٢
بنو الحسحاس ٢٣٨	طبي ٢٦٦، ٢٩١، ٣٠٣
بنو الحضرمي ٢٢٥	ظفر ١٥٣
بنو أبي الحقيق ٢١٢	عاد ٨٥
حمير بن سبأ ١٦، ١٨، ٢٩٧، ٢٩٨	بنو العاص بن سعيد ١٢٠
حنظلة ٣٠٣	عامر بن صعصعة ٨٣، ٨٤، ١٦٢، ١٦٣، ٢٨٥، ٢٨٦
حنيفة ٨٤، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٠٢	عامر بن لؤي ١٨٨، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٨، ٢٣٤، ٢٥٥، ٣٠٦
الحواريون ٣٠٦، ٣٠٧	عامر بن إلياس = مدركة
خثعم ١٩، ٢٩٦	عبد الأشهل ١٤٩، ١٥٣، ١٨٣، ١٨٥، ٢١٦
خزاعة ١٩٣، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢٢٥ - ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٧، ٣١١، ٣٠٧	عبد الدار بن قصي ٣٧، ٥٨، ١٤١، ١٤٢، ٢١٨، ٢٤٠، ٣٠٩
الخزرج ٤٩، ٨٤ - ٨٦، ٨٨ - ٩٠، ١٣٣، ١٧٤، ١٨٣، ١٨٨، ١٩٥، ١٩٩، ٢٣٤، ٢٤٤	بنو عبد الرحمن = المهاجرون ٢٣٤
خطمة ١٠٣	عبد شمس بن عبد مناف ٢١٨
الدبل، من بني بكر ٢٢٥	عبد القيس ١٥٥، ٢٨٨
بنو دينار ١١١، ١٥٣	بنو عبد الله = الخزرج ٢٣٤
ذو رعين ٢٩٧	بنو عبد المطلب ٨٤، ١١٦، ٢٣٥، ٢٥٢، ٣١٧
الركوسية ٢٩٢	بنو عبد مناف ٣٧، ٦٤، ٧١، ٧٢، ٩٤، ٢٣٢
الرهبان، الرواهب ٣٦، ٣٨، ٣٣٢	بنو عبيد الله = الأوس ٢٣٤
الروم، بنو الأصفر ١٧، ٣٦، ٢٢١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٩٧	عتاب بن مالك ٢٧٥
٢٩٩، ٣٠٦	المجلان ٢٢٢، ٢٧٠، ٣٢٣
زبد ٢٩٣، ٢٩٥	المعجم ٨٠، ٩٤، ٣٠٦
بنو زريق ١٣٤	عدي بن كعب ٣٧، ٦٤، ١٠٣، ٢١٨، ٢٥٥
زهرة بن كلاب ٣٤، ٣٧، ٢١٧	عدي بن النجار ٣١، ١٠١
بنو ساعدة ١٠١، ١٠٥، ١٦١، ٢٦٥، ٣٢٠، ٣٢٢	
سالم بن عوف ١٠١، ٢٧٠	
سالم بن مالك ٢٧٥، ٢٧٦	

مازن بن النجار ٢٦٣	عذرة ٢٢١
مالك ٢٤١، ٢٤٦، ٢٧٥، ٢٧٦	عضل ١٥٧، ١٧٤
مالك بن أقيش، من الجن ٨٣	عمرو بن حزم ٢٦٦
مالك بن النجار ١٠١	عمرو بن زرعة ٢١٦
محارب ١٦٦	عمرو بن عامر ٢٤٢
مخزوم بن يقظة ٣٧، ٥٨، ٩٢، ١١٣، ١٢٩، ١٨٧، ٢٣٥	عمرو بن عوف ٨٤، ١٠٠، ١٠٥، ١٦٢، ٢٦٣
مدلج ١١٢	عوف ١٠٥، ١٠٦، ١٣٧
مذحج ٢٩٣	عوف بن الخزرج ١٦٤
مراد ٢٩٣	عوف بن عامر ٢٤٢
مرة ١٧١	غسان ٢٦٢
مزينة ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٨	غطفان ١٣٦، ١٦٦، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٦، ١٨٧، ١٩١، ١٩٢، ٢١٢، ٣٠٧
المصطلق ١٩٣، ١٩٥ - ١٩٧، ٣٠٧، ٣١١	غفار ١٩١، ٢١٦، ٢٣٨، ٢٦٤
مضر ١٦، ١٦٢، ٢٤٠	غفرة ٣٨
بنو المطلب ٣٤، ٦٧، ٧٢	بنو غيرة من ثقيف ٢٤٦
مظعون ١٠٣	فارس، الفرس ٥٧، ٣٠٦
معاقر ٢٩٧	آل فرعون ٧٧
معتب ٢٧٧	فزارة ٢٥٣
معد بن عدنان ١٦، ٢٣٩، ٢٨٢	فهر ٢٨٢
المعذرون ٢٦٤	القارة ١٥٧، ١٧٤
بنو الملوخ ٣٠٨	قريش (تركت أرقام صفحاتها لكثرتها كثرة مفرطة لا تتحقق معها الفائدة).
منتقد بن عمرو بن معيص ٣١٢	قريظة ١٧٣، ١٧٧، ١٨١، ١٨٣، ١٨٥ - ١٨٨، ١٩٠، ٣٠٨، ٣٠٧
المهاجرون ٩٢، ٩٣، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١١٢، ١٣٣، ١٦٥، ١٦٨، ١٧٦، ١٨٣، ١٩٣، ٢٠٢، ٢١٦، ٢٣٤، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٧٠، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٢	قضاة ١٦، ٢٦١
المؤلفة قلوبهم ٢٥٤	قص بن معد ١٦
بنو مؤمل ٥٨	قيس عيلان ٣٤، ٢٣٨، ٢٤١
ناهس ١٩	قيلة ١٠٠، ١٤٠
النبط، نبط الشام ٢٧٣	القين ٢٢٠
النبيت ١٠٥	قينقاع ١٣٦ - ١٣٨، ١٦٥، ١٨٣، ١٩٤
النجار ١٠١، ١٠٥، ١٠٦، ٢٠١، ٢١٦، ٢٨٩، ٣٣١	بنو كعب ٩٧، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤١، ٢٤٢
نزار ٢٦١	كعب بن عوف ١٩٣
النساء ١٩	كلاب ٢٤١، ٢٤٢، ٢٩٠
النصارى ٣٨، ٨٠، ١٣٧، ٢٩٠	بنو كلب ليث ٣٠٨
نصر ٢٤١	كنانة ٢٠، ٣٤، ٨٣، ١١٧، ١٣٨، ١٥٠، ١٧٣، ١٧٦، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٤٠
النضر بن كنانة ١٥، ١٦، ٢٩٥	كندة ٨٣، ٢٦٨، ٢٩٣، ٢٩٥
النضير ١٣٥، ١٣٦، ١٦٣ - ١٦٦، ١٧١، ٣٠٧، ٣١٣	الكهان ٣٨
	لحيان ١٩٠، ٣٠٧
	لخم ٢٢٠
	بنو لهب ٣٢
	بنو ليث ٢٤٩، ٢٥١، ٣٠٤

أيلة ٢٦٧
إيلياء، قرية بيت المقدس ٣٠٧، ٧٤
باب الكعبة ٣٧، ٢٢، ٢١
بابل ٣٠٧، ٢٩٢
البتراء ١٩٠
البحر (بحر القلزم) ١١١
بحران ٣٠٧، ١٣٦، ١١٣
بحرة الرغاء ٢٤٩
البحرين ٣٠٦، ٣٠٣
بدر ١٢٥، ١٢٣ - ١٢٠، ١١٨، ١١٥، ١١٢، ٤٢
١٢٧، ١٣٠، ١٣٣ - ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١،
١٥١، ١٥٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٦، ١٨٧، ١٩٨،
٢١٨، ٢٢٩، ٢٦١، ٢٧١، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٢٥.
البربر ٣٠٧
برك الغماد ١١٩
برة = زمزم ٢٣
البصرة ٢٩٠
بصرى ٣٢، ٣١، ٢٨
بطحاء ابن أزهر ١١١
بطحاء مكة ١٥٥، ٥٧
بعاث ٨٤
بقعاء ١٩٤
بقيع الغرقد ٣٣٠، ٣٠٨
البلقاء ٣٠٥، ٢٢٠
بواط ٣٠٧، ١١١
بيت أبي أيوب ١٠٢
بيت أبي بكر ٣١٤، ٩٧ - ٩٥
البيت الحرام، بيت الله ١١، ٢١، ٧٣، ٩٠، ١١٥ -
١١٧، ١١٧ - ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٣٦ - ٢٣٨، ٢٨٠، ٢٩٢
بيت رأس ٢٣٩
بيت رسول الله ٣٢٥
بيت عائشة ٣١٨
بيت فاطمة ٣٢٠
البيت المعمور ٧٨
بيت المقدس ٣٠٧، ٧٤، ٨٦، ٧٧ -
بئر أنا ١٨١
بئر الروحاء ١١٨
بئر الكعبة ٣٦
بئر معونة ٣٠٨، ١٦٢، ١٦١، ١١٤
بين ١٩٠
تبوك ٢٦٢، ٢٦٥ - ٢٦٧، ٢٧٢ - ٢٧٥، ٢٧٩،
٣٠٨

هاشم بن عبد مناف ٣٤، ٤٤، ٦٧، ٧٢، ٧٣، ١٢٦،
٢١٧، ٢٢٤، ٢٤٠
الهنديون ٢٠
هذيل بن مدركة ٢٠، ١٥٧، ١٥٨، ٢٣٧، ٢٤٩، ٣٠٤،
٣٠٧
هصيص ١٢٩
هلال ٢٤١
همدان ٢٩٧، ٢٩٣
الهند ٣٠٠
هوازن ٢٤١ - ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٢، ٢٥٣
واقف ١٠٣، ٢٦٣
وائل ١٠٣، ١٧١
آل ياسر ٥٨
يسار ٢٧٦
اليمن (في فهرس البلدان والمواقع)
يهود ١٧، ٢٨، ٣٣، ٣٨، ٤٩، ٨٥، ٨٨، ١٠٠،
١٠٥ - ١٠٨، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٩، ١٦٤، ١٧١،
١٧٧، ١٨١، ١٩٤، ٢١٢، ٢١٧

٤ - فهرس البلدان والمواقع

الأبرق ٢٥١
الأبطح ٩٠، ١١٥، ٢٣٥
الأبواء ٣١، ١١٠، ٣٠٧
الأجرد ٩٩
أحد ١٣٨ - ١٤٠، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣،
١٥٦ - ١٥٨، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٦، ١٨٧،
٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٤
الأخدود ١٧
الأخضر ٢٦٩
أذاخر ٨٩
أذرح ٢٦٧
الأراك ٢٣١
الأردن ٩٤
إساف (صنم) ٢٥
الإسكندرية ٣٠٦
الأعرابية، أرض الحجاز ٣٠٧
إفريقية ٣٠٧
أفسوس ٣٠٧
أمج ٩٩، ١٩٠، ٢٢٩
أورشليم، وهي إيلياء ٣٠٧
أوطاس ٢٤١، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١
أولات الجيش ١١٨

حصى ناعم ٢١٢	تربان ١١٨
حضر موت ٩٤، ٣٠٣	تربة ٣٠٨
حفن، في صعيد مصر ٣٥	تمهن ٩٩
حلية ٢٨٣	التنعيم ١٥٨
حمراء الأسد ١٥٥، ٣٠٧	تهامة ٢٠، ١٣٨، ١٧٣، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٥٤
الحمض ٢٠٣	ثنية العائر ٩٩
حنين ٩٨، ٢٣٤، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥١	ثنية المرار ٢٠٣
، ٢٥٤، ٢٨٠، ٣٠٨	ثنية المرة ١١١
الحوشية ٢٩٠	ثنية الوداع ١٩١، ٢٦٤
الحيرة ١٦، ٥٧	ثور ٩٦
نخشم ١٩	ثيب ١٣٥
الخرار ٩٩، ١١٢، ٣٠٨	جانية الجولان ٢٨٢
نظم الحجون ٧٢	الجياجب ٨٩
خفية ٢٦١	جبل طي ٢٦٦
الخلائق ١١١	الجحفة ١١٠
الخليقة، خليفة بني أحمد ٢٢٩	الجداجد ٩٩
الخندي ١٤١، ١٦٢، ١٧١، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٧،	جدة ٣٦
، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٨، ١٨٩، ٢٥١،	جرباء ٢٦٧
٣٠٧	جرش ٢٤٨، ٢٩٦
خيبر ٢٦، ١٦٤، ١٨٧، ١٨٨، ٢١١، ٢١٧، ٢١٨،	الجرف ١٧٣، ٢٦٤، ٣١٤
٢٤٩، ٣٠٨	جزيرة العرب ٣٢٧
خيما أم معبد ٩٧	الجعرانة ٩٨، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٧
دار بدليل بن ورقاء ٢٢٦	الجمرة الكبرى ٣٢٩
دار بني بياضة ١٠١	الجو ٢٥٩
دار بنت الحارث ١٨٤، ٢٨٩	الجواء ٢٣٨
دار بني الحارث بن الخزرج ١٠١	الجوشية ٢٩٠
دار رافع ٢٢٦	الحيشة ٥٩، ٦٠، ٦٤، ٧١، ٩١، ٩٢، ٢١٧، ٢١٨،
دار بني ساعدة ١٠١	٣٠٦، ٣١٠، ٣١٥.
دار أبي سفيان ٢٣٢، ٢٣٣	الحجاز، الأعرابية ٢٣، ٢٦، ١١١ - ١١٣، ١١٥،
دار بني عدي بن النجار ١٠١	١٣٦، ١٥٧، ١٩٤، ٢٩٣، ٣٠٧
دار قصي بن كلاب = دار الندوة	الحجر = حجر الكعبة
دار مالك بن النجار ١٠١	الحجر (قرية) ٢٦٥
دار الندوة ٩٣، ٢١٩	الحجر الأسود ٣٧
الداروم ٣٠٥	حجر الكعبة ٢٢، ٥٠، ٧٥، ١٣٤
دحنا ٢٥٢	الحجون ٧٢
دفاع = اللات ٢٧٧	الحديبية ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١١،
دومة ٢٦٧	٢١٧، ٢٢٥، ٣٠٦، ٣٠٨
دومة الجندل ١٧٠، ٣٠٧	حراء ٤٠
ذات الأصابع ٢٣٨	الحرم ١١٣، ١٥٨، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٨٠
ذات أنواط (شجرة) ٢٤٣	الحررة ١٠٠، ١٦٧
ذات الجيش ٣١١	حررة بني سليم ١٦٢
ذات الرقاع ١٦٦ - ١٦٨	حصن مالك بن عوف ٢٠٠

السنح ٣١٧	ذات الساق (شجرة) ١١١
سهام ٢٣١	ذباب ٢٦٤
سوق بني قينقاع ١٣٦	ذنب نقيمي ١٧٤
السيالة ١١٨، ١٧٣	ذو أمر ١٣٦، ٣٠٧
الشام ٢٢، ٢٣، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٤٥، ٥٤، ٥٦، ٧٥، ٨٦، ٨٧، ١١٥، ١٣١، ١٣٨، ١٤٣، ١٥٩، ١٦٤، ١٧٣، ١٩٠، ٢٢٠، ٢٦٧، ٢٨٢، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣٠٦	ذو أوان ٢٧٠
شامة ١١٠	ذو الحليفة ١١٨، ٢٠٩
شبكة شدخ ٢٧٠	ذو سلم ٩٩
الشجرة ٢٠٦	ذو صنعاء ٢٩٤
الشدخ ٢٥٠	ذو طوى ٢٠٢، ٢٣٣
الشعب ٧٢، ٨٧	ذو الفضولين ٩٩
شعب أحد ١١٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٦٨	ذو قرد ١٩١، ١٩٢، ٣٠٧
شعبة عبد الله ١١٢	ذو القصة ٣٠٨
الشق ٢١٤، ٢١٦	ذو كشر ٩٩
شكر ٢٩٦	ذو المروة ٢١٠، ٣٠٨
شنوكة ١١٨	ذو الهدم ٢٧٧
الشوط ١٤٠	رانوناء ١٠١
الصادرة (سدرة) ٢٤٩	الربذة ٢٦٧
صخيرات اليمام ١١٢، ١٩٠	الرجيع ١٥٧، ١٦٠، ١٧٤، ١٩٠، ٢١٢، ٣٠٨
صرار ١٦٧	رحقان ١١٨
الصفاء ٥٠، ٦٤، ٦٥	الردم ٢٩٣
الصفراء ١١٨، ١٢٨	رضوى ١١١، ٣٠٧
الصمغة ١٤٠	الركن (الحجر الأسود) ٣٧، ٣٨، ٥٠، ٥٦، ٢١٩، ٢٣٦
صنعاء ١٩، ٢٩٤، ٣٠٣	الركن الأسود ٣٧، ٥٦، ٢١٩
الصهباء ٢١١	الركن اليماني ٣٧، ٥٦، ٢١٩
الضورين ١٨١	ركوبة ٩٩
الضبوعة ١١٢	الروحاء ١١٧، ١٢٨
ضجنان ١٦٩	رومة ١٧٤
ضرية ٢٩٠	رومية ٣٠٧
الضيقة ٢٤٩	رثم ٩٩
الطاغية (صنم) اللات ٢٧٧، ٢٧٨	زغابة ١٧٣
الطائف ٦٩، ٨١، ٨٢، ٩٨، ١١٢، ١٤٣، ٢٣٤، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٧٦، ٢٨٠، ٣٠٨	زمزم ٢٢ - ٢٤
طيبة، المدينة ٣٢٧	ساحل البحر ٢١٠، ٣٠٨
طيبة، زمزم ٢٢	السافلة ١٢٨
ظفار ١٩٧	ساية ١٩٠
الظهران ١٥٨، ١٦٨، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٥٧	السبخة ١٣٩، ١٧٦
العالية ١٢٨	سجسج ١١٨
المائر ٩٩	سردد ٢٣١
المبايد ٩٩	سرف ١٤٨، ٢١٩، ٣٠٤
	سفوان ١١٢
	سقيفة بني ساعدة ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٣
	السلام (حصن) ٢١٢، ٢١٤
	سلع ١٧٣، ١٧٦، ١٩١، ٢٧٤

عثر ٢٥٩	القرينان ، مكة والطائف ٦٩
عذراء ٢٣٨	قليب بدر ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨
العراق ٥٤ ، ١٢٠ ، ١٣٨ ، ٢٦٧ ، ٣٠٨ ، ٣٢٦	القليس (كنيسة) ١٩
العرج ٩٩	القموص (حصن) ٢١٢
عرق الظبية ١١٨ ، ١٢٨	قناة ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٦٢ ، ٢٧٦
عريش رسول الله ١٢٢ ، ١٢٥	الكتيبة ٢١٤
العريض ١٣٦	كداء ٢٢٦ ، ٢٣٩
العزى (صنم) ٣٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨٣ ، ٢٤٠ ، ٢٨٨	الكدر ١٣٥ ، ٣٠٧
عسفان ٩٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩	الكديد ٢٢٩ ، ٣٠٨
العشيرة ١١١ ، ١١٢ ، ٣٠٧	كراخ الغميم ١٩١ ، ٢٠٢
عصر (جبل) ٢١١	الكعبة ١٩ - ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٦٦ - ٦٨ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧
العقبة ٨٥ - ٨٩ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١١٩ ، ٢٧١	الكهف ٣٠٧
العقنقل ١٢٣	الكوكة ١٧٩
العقيق ١١٨ ، ٣١١	اللات ، دفاع ، الطاغية (صنم) ٢٠ ، ٣٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨٣ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨
عكاظ ١٥٥	لقف ٩٩
عمان ٣٠٦ ، ٣٢٥	لية ٢٤٩
العيص ١١١ ، ٢١٠ ، ٣٠٨	مأب ٢٢٠
عينين ١٣٩	مجنة ١١٠ ، ١٦٨ ، ٢٥٧
الغابة ١٩١	محاج ٩٩
الغار ٩٦ ، ٣٢٤	المحجة ١٩٠
غراب ١٩٠	محيص ١٩٠
غران ١٩٠	المدنية (تركت أرقام صفحاتها لكثرتها كثرة مفرطة لا تتحقق معها الفائدة).
غميس الحمام ١١٨	مر الظهران ٢٢٩ - ٢٣١ ، ٢٥٧
الفاجة ٩٩	مرجع ٩٩
فارس ٥٧ ، ٦٩ ، ٣٠٦	مرجع محاج ٩٩
فجج الروحاء ١١٨	مريين ١١٨
فجج ١١٠	المريسيق ١٩٣
فدك ٢١٤	المسجد الأقصى ٧٤
فرش ملل ١١٢	المسجد الحرام ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٣ - ٧٥ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١١٤ ، ١١٥ - ١١٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٩ ، ٢٣٢ - ٢٣٤ ، ٢٣٦
الفرع ١١٣ ، ١٣٦	مسجد بحرة الرغاء ٢٤٩
فلسطين ٣٠٥	مسجد الضرار ٢٧٠
فيفاء الخبر ١١١	مسجد الطائف ٢٤٩
القادسية ٢٩٢	مسجد عصر ٢١١
قباء ٩٩ ، ١٠٠	مسجد عمرو بن أمية ٢٤٩
قبر الرسول ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣١	مسجد قباء ١٠١
قبر أبي رغال ٢٠	مسجد المدينة ٥٢ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ،
أبو قبيس ١١٥ ، ٢٣٣	
قديد ٩٩ ، ١٦٩ ، ١٩٣	
القردة ٣٠٨ ، ١٣٨	
قرطاجنة ٣٠٧	
قرقرة الكدر ١٣٦ ، ١٦٢	
قرن ٢٤٩	

وادي القرى ٢١٥
وادي المشقق ٢٦٨
الوثير ٢٢٦ ، ٢٢٧
وج ٢٤٩
ودان ١١٠ ، ١٦٩ ، ٣٠٧
الوطيح (حصن) ٢١٢ ، ٢١٤
يأجج ١٣١
يثرب (المدينة) ٢٨ ، ٧٠ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٢٣ ، ١٦٩ ، ٢٢٣
يليل ١١٢
اليمامة ٥٥ ، ١٤٣ ، ٢٩٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ ، ٣٢٣
اليمن ١٦ - ١٩ ، ٢٢ ، ١١٩ ، ١٤٣ ، ١٧٣ ، ٢٣٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٩٦ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٢٥
ينبع ٣٠٧

٥ - فهرس اللغة

[أ]

أ : آله ١٢٧
أبل : الأبايل ١٥٥
أتم : المآتم ٢٨٧
أتين : آتان ٢٩
أثر : الأثرة ٩٠ ، مآثرة ٢٣٦
أثف : أثافي البرمة ١١١
أجل : الأجل ٢١٩
أخذت : أخذت برأسها ٢٣٢
أدم : الأدم ٦٠ ، ١١٣ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ،
الآدم ٧٦
أدو : يؤديني ٧٣ ، الإداوة ١٣٢
أذن : أذني ٢٩٠
أرب : لا يارب ١٢٩ ، ذو إربة ١٥٥ ، الأريب ٢٨٦
أرض : الأرضة ٧٣
أزر : أزرنا ٨٨
أسف : الأسف ٢٥٨
أسل : الأسل ٢٣١
أسو : آسيث ١٥٣ ، آسيناك ٢٥٦ ، ثوابيك ٢٧٤
أطم : أطمه ٢٨ ، الأطام ١٧٣
أفف : أفف منها ٧٧
أفل : الأفائل ٢٥٥
أقش : أقيش ٨٣
أكل : أكلة جزور ١٢٤ ، أكل أوباره ٢٠٤
ألب : ألبوا ١٦٠

١٦٧ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧٢ -
٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ،
٣١٨ ، ٣٢٨ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩
مشارف ٢٢١
المشرب ١١١
المضنونة = زمزم ٢٣
المضيق ١١٨ ، ١٢٨
مضيق الصفراء ١١٨ ، ١٢٨
ممان ٢٢٠ ، ٢٢١
المغمس ٢٠
مقبرة بني قريظة ١٨٨
المكثان ٣٦
مكة (تركت أرقام صفحاتها لكثرتها مفرطة لا تتحقق معها الفائدة).
ملل ١١٨
الملح ٢٤٩
المنقى ١٤٨
منى ٨٣ ، ٨٩ ، ٣٢٠
المهراس ١٤٨
مهيمة ١١٠
مؤنة ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥
النازية ١١٨ ، ١٢٨
ناعم (حصن) ٢١٢
نائلة (صنم) ٢٥
نجد ٩٣ ، ١٣٦ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٧٣ ، ١٨٥
النجدية ١٣٥
نجران ١٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣
نخب ٢٤٩
نخل ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٣٠٧
نخلة ٨٢ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ٢٤٠ ، ٣٠٨
نخلة اليمانية ٢٤٩
نصيبين ٨٢
نطاة ٢١٤ ، ٢١٦
نقب بني ديار ١١١
نقب المدينة ١١٨
نقعي ١٧٣
النقيع ١٩٤
نيق العقاب ٢٣٠
النيل ٦٣
نينوى ٨٢
هبل (صنم) ٢٤ - ٢٦ ، ١٥٠
الهدأة ١٥٧

ألف : أَلَفَتْ ٢٢٩	بعد : لا تَبْعُد ٣٣٠ ، بعيدة أنسابها ٢٢١	
أله : يَتَأَلَّهُونَ ٢٠٤	بعر : أُبْعَارُ ١٢١	
ألو : الأَلْيَةُ ٣٣٢	بغت : نَبَغَتْهَا ٢٢٨	
أمر : أَمَرُوا ٢٨٧ ، الإمر ٧٥	بقع : بَقِعَ الْغُرْقَدَ ٣٠٨ ، ٣٣٠	
أمم : أَوْمٌ ٢٩٣ ، تَوْمَنَا ٢٩١	بكر : الْبَكْرَ ١٢٩ ، الْبَكْرَةَ ٣٠٩	
أنح : يَأْنِحُ ٢١٤	بلد : مُتَبَلِّدًا ٣٣٠	
أنس : لَمْ يُونَسُوا ٣٣١ ، مَسْتَأْنَسًا ١٧٧	بلس : الْبِلْسَانَ ٢٢	
أنف : أَنْفٌ ١٩٥	بلط : الْبِلَاطُ ٣٢٩	
أنى : تَسْتَأْنُوا بِهِمْ ١٢٩ ، أَلَمْ يَأْنْ لَكَ ٢٣٢	بلو : الْبِلَابَا ١٢٣	
أوب : تَأْوَبُنِي ٢٢٣ ، لَأَبْتَ ١٦٩	بني : بَنِي عَلَيْهَا ١٣٠	
أول : أَتْلُ ١٥٧ ، أَوْلَى لَكَ ٢٦٥	بهر : الْأَبْهَرُ ٢١٥	
أوى : أَوْى لَهُ ٨٩	بهل : الْبِهَالِيلَ ٢٢٤	
أبي : الْآيَاتُ ٣٢٧ ، الْآيَ ٣٢٨ ، لَأَي شَيْءٍ ٢٤٤	بهم : الْبِهِمُ ٣٠	
(ب)		
بنت : ابْنَتْ ٣٢٦ ، الْبَتَّ ٩٣	بوا : بَوَّأْتُ ١٣٢ ، بِيَّ ١٠٦ ، تَبَوَّأَ ١٠٨	
بتر : بَتَارَ ١٤١	بيت : يَبْتَ ٢٢٥	
بتل : الْبَتُولُ ٦٢	بيض : الْبَيْضُ ٢٦٠ ، يَبْضُتُكَ ٢٠٤ ، الْبَيْضَةُ ٢٤٢ ، بِيَاضًا ٣١٢	
بث : بَثِي ٢٧٢	بيع : الْبَيْعُ ٢٨١	
بجر : بُجِرَا ١٥٦	بين : بَانَتْ ٢٥٩	
ببخ : بَخَّ بَخَّ ١٢٦	(ت)	
بدأ : الْبَدَاءُ ٥٣	تب : اسْتَبَتْ ٢٦٤ ، تَبَا لَكَ ٦٧	(ث)
بدد : بَدَدًا ١٥٩	تبع : التَّابِعَ ٢٦ ، ٥٢ ، التَّبِيعَ ٢٩٧ ، ٣٠٢	
بدن : بَدَنٌ ١٤٨ ، الْبَدَنُ ١٢٨	تبل : مَتَبُولٌ ٢٥٩	(ث)
بده : بِدِيهَةٍ ٣٩	تخم : التَّخْوَمُ ٢٢١ ، ٣٠٥	
بدو : بُيَادِي ، الْمِبَادِي ٤٦ ، ٤٩	ترح : أَتْرَحُوا ٢٠١	(ث)
بذل : الْعِبَازِلُ ٣٣٢	تلد : يُتَلَدُ ٣٣٠ ، الْأَتْلَدُ ١٦٩ ، ٢٢٦	
برأ : بَرَأَ ٣٣٢ ، الْبَرِيَّةُ ٣٦	تنبل : التَّنَابِلَةُ ١٥٥ ، التَّنَابِيلُ ٢٦٠	(ث)
برثن : الْبَرَاثِنُ ٢٩٤	تيم : مُتَيِّمٌ ٢٥٩	
برح : الْمَبْرُوحُ ٣٠٥	(ث)	
برد : بُرِدَ حَبْرَةٌ ٩٤	ثأر : الثَّوْرَةُ ١٦٣	(ث)
برق : الْإِسْتَبْرَقُ ١٨٠ ، يَوْمَ الْأَبْرِقِ ٢٥١	ثبت : ثَبِتَ ١٦٨ ، أَثْبَتَهُ ١٦٨ ، أَثْبَتَهُ ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٧٦ ، أَثْبَتَ ١٢٥	
برم : بِرْمَةٌ ٧١ ، أَثَافِي الْبِرْمَةِ ١١١	تخن : أَتَخْنُوهُمْ ٢٩٣	(ث)
بزز : الْبَزَزُ ٧٢ ، يَبْزِزُونَا ٧٩	ثرو : الثَّرَاءُ ٢٩٣	
بزغ : بَزَغَوْهُ ٢٢	ثطط : الثَّطَاطُ ٢٦٩	(ث)
بسل : أَهْلُ الْبَسَلِ ١٥٥	ثغم : الثَّغَامَةُ ٢٣٤	
بضض : مَا تَبَضَّضَ ٢٩	ثفر : الثَّقَرُ ٢٩٥ ، الثَّقَرُ ٢٤٥	(ث)
بضع : بَضَعُوا ١٦٠ ، أَبْضَعُوهُمَا ١٣١	ثلم : ثَلَمَا ١٣٩	
بطح : الْأَبْطَحُ ٢١٦ ، الْأَبْطَحِي ٣٣٠ ، الْبَطْحَاءُ ١٥٥	ثم : ثَمَتَ ٢٢٦	(ث)
بطل : الْأَبْطَالُ ٢٦٠	ثمد : الْإِثْمَدُ ٣٣١	
بطن : بَطْنٌ لَهُ ١٣٦ ، بَطْنُ الْخَنْدَقِ ٢٥١	ثن : الثَّنَةُ ١٤٢	(ث)
بعث : بَعَثَ اللَّهُ الْوَادِي ١٥٨	(ث)	
بعج : بَعَجَتْهُ ٢٤٦	(ث)	

ثني : الثنية ١٣٠ ، ٢٤٧ ، الثناء ٢٩٣ ، الثنايا ٢٤٧
ثوب : أثيبا ١٦٧
ثور : الثيرة ٢٩٦
ثوى : ثوى ٣٢٨ ، لثوئين ٢١٦ ، ثاويا ١٦٩

(ج)

جيب : جيب الحيرة ٢٩٥ ، الجياجب ٨٩ ، يجب ١٩٠
جيه : جيهرهم ٢٠٣
جيد : جيده ٦٦
جير : الجاير ٢٨٧
جحم : جحم النار ١٦١
جذث : الجذث ٢٢٠
جدة : الجدة ٢٩٤ ، جذكم ١٠٠ ، الجدود ١٢٩
جدة : جذع بعيره ١١٦
جدل : جذلاء ٢٥١ ، مجدول ٢٦٠ ، مجدل ٢٥١
جدي : اجثدي ٢٥٣
جذع : الجذع ٢٤٢ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، الجذعان ٢٤٢
جدل : الجذيل ٣٢٣
جرثم : جرثومة ٢٦٢
جرد : الجرد ٢٨٧ ، الأجرد ٣٩ ، الجرد ١٥٥
جرع : الأجرع ٢٥٥
جرر : عن جرأ ٢٣١
جزأ : أجزأت عنها ١٨٩
جزر : جزور ٢٥
جزع : جزع ١١٨
جرل : الأجرل ٢٠٣
جرن : الجران ١٠١
جزع : الجزع ٢٧٨ ، جزع ظفار ١٩٧ ، مجازيع ٢٦٠
جسر : المجسر ٢٢٤
جشش : الجشيشة ١٧٣ ، المجششة ٣١٠
جعد : الجعد ٣٩ ، ٧٦ ، الجعاد ٢٧٠
جعف : انجعف ٢٤٥
جعل : الجفل ٥٩ ، جفلا ٢٢٩
جفر : الجفر ٣٠ ، ٣٢
جفن : جفون السيوف ٢٤٢
جلب : أجليب الناس ٢٢٢ ، يجلبوا ٢١٤ ، الجلب ١٣٦ ،
جلايبب قريش ١٩٣
جلد : جالديناك ١٦٩ ، الجلد ١٥٧ ، مجتلد القوم ٦٠ ،
٢٤٥ ، جليد ٩٤
جلل : جليل ٩٣ ، الجليل ١١٠ ، جلة ٨٩
جمر : المجرم ١١٧ ، جمارة ٩٩
جمع : مجمع رذاته ٥٠ ، المجمع ٢٥٥
جعم : أجممنا السيوف ٢٤٩ ، الجمة ٨٩ ، الجمم ٢٩٥

جمن : الجمان ٢٠٠
جنب : جنبوا الخيل ١٤١ ، ١٥١ ، الجنابة ١٣٥ ، ذات
الجنب ٣١٥
جند : الجند ٢٩٨
جندع : جنادعه ٣٣١
جنتق : المجانيق ٢٤٨
جنى : الجناة ٤٩
جهد : الجهد ٢٨٧ ، ليجهدوا علينا ١٧٥ ، نجهد ١٧٩ ،
جهدهم ١٨١
جهر : المجهر ٣١٦
جهز : الجهاز ٢٢٨ ، مجهزة ٢٢٠
جهش : جهشوا إليه ١٨٢
جهض : أجهضني ٢٤٦ ، أجهضوهم ١٤٦
جهم : يتجهمني ٨١ ، بهمام ١٧٤
جور : تجور ١٧٧ ، بجوار ٧١ ، لاتجار ١٠٧
جوز : الجوايز ٢٨٤
جوف : الأجوف ٢٤٣
جول : فاستجال بفرسه ١٢٣ ، تجاولا ١٧٦
جولق : جولق ١٣٢
جيش : جاشت ٢٠٣
جيف : جيئوا ١٢٧
جيل : الجيل ١٥٥

(ح)

حبيب : الحب ١٥٢
حبر : الحبرة ٢٣٣ ، ٢٩٥ ، ٣١٨ ، حبس : محبس ١٣٩
حبش : الأحابيش ١٣٨ ، ١٥٠ ، أحابيشهم ١٧٣
حبل : الحبل ٨١
حبا : يحتمي ٣٠١
حتت : يكت ١٩٠
حتد : المحيد ٣٣١
حجج : الحجيج ٣٦
حجر : الحجر ٢٢ ، ٧١
حجز : الحجرة ٦٦ ، ينحجز ١٠٧
حجن : المحجن ٢٣٦ ، المحاجن ٢٢
حذب : حذب ٤٧
حدث : محدثا ١٠٦ ، أحدث حدثا ٢٤٧
حدد : الحد ٢٤٢ ، ٣٢٢ ، حديد ١١٦
جرب : تحوَّب ٢١٢ ، الحارب ٢٨٧ ، الحريب ٢٨٧
حرث : الحرث ١٣٦
حرد : بيت حريد ٢٨٢
حرر : استحر القتل ٢٤٦ ، حوى ٩٩ ، حوة ١٠٠ ، ١٦٢
حرز : حرز ٧٩ ، تحرزوا ٢٢ ، التحوِّز ٢١ ، ٢٢ ، ٧٩ ،

أحرز ١٢١	حنف : الحنيف ٢٤٠
حرق : حرق النار ٢٨٩ ، تحرقا ١٥٤	حنق : الحنق ١٥٤
حرم : حرام ٢١٩ ، الحرم ٣٢٩	حنن : حنانا ٥٧ ، حنين ٢٥١
حرن : حوان ٢٢٠	حنو : الأحناء ٢٤٣
حزأل : أحرألت ٣٧	حور : لا يُحير جوابا ٢٨٥
حزر : اخزؤ ١٢٣	حوز : تجاوزوا ٣٧ ، ٢٢٥
حز : احتزرت ١٢٧	حوش : حاشى بهم ٢٢٢
حزن : الحزن ٢٤١	حوض : حياضي ٩٩
حسب : الجسبة ١٨٦	حوط : الحائط ٨١ ، حائطك ٢٤٩ ، حائطه ٢٦٥
حسر : تحسر عنه ٤٠ ، حاسر ١٣٧ ، الحسر ٢٧٧ ، حشران ٢٥١	حول : الحولاء ٢٩٥ ، حول رحله ١١٦ ، تحولوا منه ١٧٧
حس : حشوههم ١٤٤ ، حش ٢٦٩	حين : أجنهم ١٢٣
حشى : حاشى بهم ٢٢٢	حيي : نَحْيَا ٢٨١
حصب : الحصباء ١٢٦	(خ)
حصد : المحصّدات ٢٠٢	خبأ : الخبيقة ٢٣٩
حضر : الحاضر ١٢١ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠	خبب : أحب ٢٤٢
حضرم : الحضرمي ٩٤	ختن : الختن ٦٥ ، ١٣٠
حضى : حواضنك ٢٥٢ ، لحاضن ٢٤٩	خدد : الأخدود ١٧
حطط : الحططة ٢٠٣ ، الخطوط ٢٤٣ ، فانحطت به ٢٣٤	خدر : الخادر ٢٥٣ ، مخدّزه ٢٥٩
حطم : تحطّم عليه ٢٩٤ ، يحطّمه ٢٩٤ ، الحطمة ٢٢٢	خدع : المخدع ٦٥
حظر : الحظائر ٢٥٢	خدم : الخدم ١٤٤ ، ١٥٠
حفر : الحافر ١٧٨ ، محافرها ٢٦٢	خذل : خذّل عنا ١٧٧
حفز : يحفز ٧٥	خردل : خراذيل ٢٥٩
حفظ : الحفيظة ١٣٨	خرس : لم تُخرّس ٢٣٥
حفل : حافل ٢٩	خرف : التخرّف ٢٤٦
حقب : حَقَب الأمر ١٢٤ ، حقب أمرهم ٤٨	خزل : انخزل ١٤٠
حقن : حقن دمه ٢٦٨	خزم : الخزامة ٢٤٥
حك : نحكّم ٢٣٩ ، الحكمة ٢٤٤ ، الحكم ٢٨٦	خشع : خشعوا ٢٨٣
حلجل : تحلجلت ١٠١	خصم : يخصم ٣٦
حلق : حلق ٢٦٠ ، الحلقة ٨٨ ، ١٦٤	خضب : المخضب ٣١٣ ، خضبوا ١٤٥
حلل : حلّ يا أمّ فلان ٥٨ ، الجلال ٢١ ، المحلّ ٢٠٤	خضر : الخضراء ٢٥١
حلم : أحلامهم ٤٨ ، حالم ٣٠٢	خضل : اخضلت ٦٢ ، أخضّلوها ٢٥٦
حلى : من أحلى النساء ٢٥٠	خضم : يخضمه ٢٩٤
حمت : الحميت ٢٣٣	خطر : تخطر ٢٢٤ ، الخطار ٢٦١ ، خطير ١٠٨
حمر : الأحمر والأسود ١٣٧	خطط : تخطّ قدماه ٣١٣
حمس : الأحمس ٢٣٣	خطف : الخطاطيف ٢٢
حمش : حمشتها الحرب ٢٣١	خطل : خطل ٣٣٢
حمل : فاحتملناه ٣٠ ، حَمَلني ٢٩١ ، أحمل راية ٢٣٠ ،	خطر : تخطر ٢٢٤ ، الخطار ، خطير ١٠٨
احتمل ١٣٢ ، احتمل بأهله ٩٢ ، ألا يحملوا ١٢٥ ،	خطم : خطم الجبل ٢٣٢ ، خطامه ٧٢ ، الخطام ٢٤٥
استحملوا ٢٦٣ ، الخفّان ٣٠ ، ٢٦٣	خفر : تخفّره ١٦٢ ، انشدّ خفرتك ١٢٤
حمم : حَمَّ الإله ١٥٧	خفض : خفضي عنك ١٩٨
حنث : تحنّث ٤٠	خفف : الخفّ ١٧٨ ، ١٧٩

خفق : خفقت خفقة ١٢٥
 خلأ : خلأت ٢٠٣
 خلج : التخلج ٤٩
 خلص : يخلص ٤٥ ، ١٣١ ، خلصوا ١٥١
 خلف : خلف السلام ٢٢ ، الخلو ٢٤٩ ، المخاليف ٢٥٢ ، ٢٩٨ وتخالفتني ٢٩١
 خلق : خلقه ٢٢٩
 خلل : خالني ٢٨٥ ، خللا ١٨١
 خلو : خالني ٢٨٥
 خمر : الخمر ٢٣٩
 خمس : الخمس ٢١١
 خمص : الخميص ٣٢٧
 خوخ : الخوخة ٩٦
 خور : الخور ٢٨٣
 خوص : خوصات ٢٨٩ ، مخوص ٢٦٨
 خوى : خوت النجوم ٢٦٢
 خياط : الخياط ٢٥٤ ، المخطط ٢٥٤
 خيل : خيل اللات ٢٣٠ ، خيلان الوجه ٧٦ ، بخيلاتها ٧٦ ، ١٢٣

(د)

دأدا : تدأدا ١٤٧
 دب : الدبابات ٢٤٨ ، دبابة ٢٥٠
 دبح : الدباج ١٨٠
 دير : الدبر ٦٢ ، الدبر ٢٥٤ ، حماة الأدبار ١٤١
 دجن : الداجن ٢١٦
 درأ : ذو تدرا ٢٥٥
 درب : دربو ٢٦١
 درر : الدرة ٣٢٤
 درس : الدرسان ٢٦٠
 درع : مدرعا ٢٥٩ ، دارع ١٣٧
 درق : الدرق ١٤٢ ، ١٤٨ ، ٢١٣
 دسع : الدسعة ١٠٦
 دسم : الدسم ٢٣٣
 دعيج : أدعج ٣٩
 دعو : الداعي ١٨٤
 دفع : دفا ٢٧٧
 دفع : الدافة ٣٢٢
 دلج : المدلج ٢٣٠
 دلج : يدلج لسانه ١٣٠
 دلو : الدلو ١٣٢
 دمس : الديماس ٧٦
 دمع : يدمغه ٢٩٤

دنا : الدنية ٢٠٦
 دنو : تدنى ٢١٢ ، أدناهم ١٠٦ ، ١٣١
 دهن : الدهن ١٢٢ ، دهن ٢٤١
 دوخ : دوحها الإسلام ٢٨٠
 دول : دولتي ٣١٨
 دوم : أدمت بالركب ٢٩
 دون : دون الإثم ١٠٦
 دين : الدين ١٦٩

(ذ)

ذأب : الذوايب ٢٨٢
 ذأر : يذأرهم ٨١
 ذب : ذباب السيف ١٣٩
 ذبح : الذبح ٥٠
 ذخر : الإذخر ١١٠
 ذر : الذر ٢٢٧
 ذرع : الذرع ٢٨٣
 ذرو : الذروة ١٧٤ ، ٢٠٢ ، الذرى ٢٠٢ ، الذروات ٣٣٠
 ذفق : ذفقا ١٢٥
 ذلق : أذلقوهما ١٢٠
 ذلل : الذلل ٢٩٠
 ذمر : ذمهم ، تذا مروا عليه ٤٧ ، ٤٨
 ذمم : لا تذمم ٢٣ ، ذمامك ١١٩
 ذنب : ذنابها ٨٤
 ذهب : القذهب ٢٦٥
 ذود : الذائدون ٢٦١
 ذوو : زيادة (ذو) ٢٩٤

(ز)

رأى : الرئي ٥٢
 ربا : ربيعة ١٦٨
 ريد : ترئد ٢٢٦ ، المرید ١٠١
 ربع : ربع ٣٢٨ ، ربع ٣٨ ، ربعي علينا ٣٠ ، على ربعتهم ١٠٥ ، الرباع ٢٩٠ ، الرباعية ١٤٥
 ربو : أربي ١٧٤
 رث : رث ١٤٥ ، أرث ١٦٢
 رجا : أرجأها ٣١٢
 رجب : رجب مضر ٣٠٥ ، المرجب ٣٢٣
 رجج : رجاجة ٢٥١
 رجج : استرجعت ١٥٢
 رجف : أرجف ٢٥٨ ، ٢٦٤
 رجل : رجلوا ٢٩٥ ، رجلا ٣٩ ، المراحل ١٨٠ ، الأراجيل ٢٥٩

روح: أربع عليه حقه ٣٢٤، يريحها ٩٦، فروح الظهر
 ٢٧٦، الريح ١٤٦، الراح ٢٣٩، الراححة ٧٤
 روض: المراوضة ١٧٥
 روع: لم يزع ١٤٣
 روق: يروق ٢٢٤، الروق ١١٠
 روى: الرواية ١٢٠، الرواء ٢٠٣
 ريب: الريب ٢٤٩، أريبكم ٩٨

(ز)

زيب: أرب بن أريب ٨٩
 زيد: الزيد ٢٢٠
 زجع: زج ١٥٠
 زجر: زجروا ٣٠٠
 زرد: يزدرد ٢٩٤
 زعنف: الزعانف ٢٨٣
 زقم: لتزقمتها تزقمتا ٧٠
 زلم: الألام ٢٣٧، ٢٤٤
 زمزم: الزمزمة ٤٩
 زمع: الزممع ٢٤٢
 زمل: زممل ٣٢٢
 زهر: تزهرا ١٤٧، الأزهر ٢٢٤، الزهر ٢٦٠
 زهق: زهق الباطل ٢٣٨
 زود: أزود ٣٦
 زور: زورت ٣٢٢، الأزورار ٢٢٣
 زوج: لم تزغ ٣٧
 زول: زولوا ٢٦٠
 زيب: أرب بن أريب ٨٩
 زيح: زاح عني ٢٧٢
 زيل: تزاقل ١٢٧

(س)

سأم: لا تسمي ١٢٩
 سيب: سبة ٨٠
 سبط: الشبط ٣٩، سبط الشعر ٧٧
 سيخ: السبخة ١٧٦
 سبع: سمعت ٢٢٩
 سين: السايغ ٣٢٩، السايغة ٢٥١، السوايغ ٢٦٠
 سجل: سجال ١٥٠
 سجو: تسجي ٩٤، سجي ١٥٢، مسجي ٣١٨،
 السجينة ٢٨٣
 سحت: الشحت ٢٩٦
 سحج: سحا ١٦١
 سحر: الشحر ٣١٨، انتفخ سحره ١٢٤

رجم: رجم الغيب ٢٠١
 رجو: أرجو ١٦١
 رحل: يرحلون ١٩٧، ارتحل ٢٦٥، ارتحلاه ٢٦٤،
 رحالك ٢١، رحلي ٢٩، رحلها ٢٢٩، الراحلة ٢٩٦،
 الرحالة ١٨٠
 ردد: المتردد ٣٨
 ردي: تردى بنا ١٥٥
 رزأ: الرزية ٣٢٨
 رزم: أرزمت ١٠١
 رستق: الرشتاق ٢٩٨
 رسغ: أرساغها ٢٨٣
 رسل: أرسلها ٩٢، ١٨٤، ٣٢٦، المرسلات ٣٢٩،
 رسولهم إليهم ٢٩٧
 رسم: الرسوم ٣٢٧
 رصد: أرصدوا ١٦٠، الرصد ٢٢٦، الرصد ٢٨٧، المرصد
 ٢٥٣
 رضع: الرضعاء ٢٩، الرضع ١٩١، الرضاع ٢٧٧
 رضم: الرضم ٢١٤، الرضم ٣٦، الرضام ٢٢٤
 رجع: ارتجع ١٩٨
 رعد: لأرعدت أنف ١٩٥
 روع: الروعاء ٣٢٠
 رعا: ارعوى ٦٥
 رغام: راغم ٢٨٢
 رفا: يرفؤه ٥٠
 رفد: رفدت ٢٢٥
 رقت: أرفت ٧٠
 رفض: أرفضت ١١٥، أرفضوا ٨٩
 رفق: الرفق ١٦١، الرفق ١٦١، رقيق ٣٧
 رقا: ترقا ١٦١
 رقع: ذات الرقاع ١١٦، سبعة أرقعة ١٨٤، رقعة ٩٨، يرقع
 ٢٨٣
 رقق: مرأقه ٢٢
 ركب: ركب الناس ١٠٠، ركائبك ١٢٢
 ركس: الركسية ٢٩٢
 ركض: ركضت البغلة ٢٣٢
 رمس: الروامس ٢٣٨
 رمص: الرمصاء ٢٤٦
 رمض: الرمضاء ٥٨
 رمم: أرمم ٧٠
 رمى: الرمي ١٧٥
 رنن: الرنة ٢٢٢
 رهو: الشوودد رهو ٢٨٤

سيا : السية ١٤٧

(ش)

شأب : الشايب ٢٠٢
 شثن : الشثن ٣٩ ، ٢٩٤
 شَجَج : شَجَّه ٤٦ ، ٦٥ ، شَجَّج ١٤٥
 شجر : شجرتُها ٢٤٤ ، يشجر أمر الناس ١٢٤ ، الشَّجار ٢٤١
 شخب : تَشَخَّب ١٢٥
 شخ : يوم الشدخة ٢٥٠
 شدد : يشتدُّون ٣٠ ، ٢٢٣
 شديق : شَذِق ١٥٠
 شرأب : اشْرَأَب ٣٢٧
 شرف : أشرف الشام ٢٣ ، شارف ٢٩ ، المشرفي ٢٦١
 شرق : تشريق ٣٦ ، التشريق ٨٦
 شرك : شرك النعل ١٠٩
 شري : شري الأمر ٤٧
 شظظ : الشُّظاظ ١٣٢
 شعب : الشَّعب ١٤٠ ، ٢٥٦ ، الشعاب ٢١ ، ٤٠ ، ٤٦ ، شُعوب ٢٢٣
 شعر : يُشعره سهما ١٤٤ ، الشُّعار ١٤٢ ، ١٧٧ ، الشُّعراء ١٤٧
 شعع : الشعاع ٨٩
 شغب : يشغبوا ٢٨٦
 شغف : شغف الجبال ٢١
 شفر : مشفر ٧٧ ، شفير الوادي ١٣٩
 شفف : شَفَّها ٣٢٨
 شفق : الشُّفُق ١١٤
 شقق : الشَّقَق ٣٧ ، ١٠٤ ، ١٤٥ ، الشُّقَّة ٢٣٣ ، ٢٦٢
 شكك : شَكَّت ٢٦٠
 شكو : اشتكى ٧٩ ، اشتكيت ١٩٨ ، شاكي السلاح ٢١٢ ، مشكاة ٦٢
 شلو : الشَّلَو ١٦٠
 شمر : انشمر ٢٤٣ ، انشمروا ١٧٨ ، ١٨٠
 شمع : شَمَعوا ٢٨٤
 شمل : شملته ٢١٥
 شمم : الشَّمَم ٢٦٠
 شنبث : الشنبث ٢٩٤
 شئر : شنار ٢٥٤
 شثن : الشُّثن ١٢١ ، الشُّنة ١٣٢
 شهب : الشهباء ٢١٦ ، ٢٥١ ، سنة شهباء ٢٩
 شهنق : شاهقات ٣٣٠
 شوى : أشوى ٢٥

سحل : انسحلت ٢٩١ ، فساحل بها ١٢١
 سحو : القساحي ٢١١ ، ٣٢٦
 سخل : السخلة ١١٨
 سد : السدُّ ٣٢٨
 سدر : سدره ٢٤٣
 سدن : السدانة ٢٣٦
 سرب : المسربة ٣٩
 سربل : السرايل ٢٦٠
 سرح : الشرح ١١٢ ، ١٦٢ ، ٢٥٣
 سري : سراة ١٢٩ ، ٢٨٢ ، سارية ٢٤٩
 سعد : تُسعدُ ٣٢٨ ، الأشغُد ٣٢٨
 سعف : السعف ٢٨٩
 سفح : تسفَّح ٢٠٢ ، الشفوح ٢٢٣
 سفر : السفرة ٩٦
 سقي : أسقى ٢٤
 سكك : سكَّت ٢٦٠ ، سكك الحديد ٢٥
 سلع : الشَّلَع ٢٨٣
 سلف : السالفة ٢٠٢ ، كسوالف ٢٦١
 سلل : إسلال ٢٠٧
 سمر : الشُّمرة ٢٤٤
 سملك : نوء السمك ٢٨
 سمهر : السميري ٢٥٣ ، ٢٦١
 سمو : نشمو ٢٨٣ ، يُسامي القرن ٢٩٤ ، السماء ٢٣٨ ، سموا ١٥٥
 سند : أسند في الجبل ٢٤٠
 سنم : الأسنمة ٣٧
 سنن : ذا سن ٤٨ ، ذوي أسنان ٧٠ ، أسن ٣٨ ، ١٢٥ ، الأسنة ٣٧ ، استنَّ به ٣١٨
 شهد : السهود ١٢٩
 سود : الأسود ٣٣٠ ، الأحمر والأسود ١٣٧ ، سودناك ٥٢ ، السُّود ٥٢
 سور : يساور ٢٥٩ ، تساور الناس ١٩٩
 سوط : يشوطانه ٣٠
 سوف : ساف ٢٩٥
 سوق : الشويق ١٣٥ ، ١٦٩ ، ٣١١
 سوم : يسيم خسفا ٢٢٦ ، يسيم الظلامه ٢٢٤ ، تسوموني ٤٨ ، أعلموا سيماهم ٢١٦ ، سائمة ٣٠٢
 سوى : لا سواء ١٥٠ ، سواء التلخد ٣٣١ ، على السواء ١٢٨
 سير : يسيروهم ٢١٤ ، السيارة ٢٦٧
 سيف : يبيف البحر ١١١
 سيم : سيوم ٦٢

(ض)

ضياً : لم أعط شيئاً ٢٥٥
 شيخ : شيعي ٢٥٥
 شيط : شاط ٢٢١
 شيع : شاعا ٢٩٥ ، شيعت ٢١٦
 شيم : الشيمة ٢٤٠ ، شيم ٦٢
 جفر : الحفر ٣٠ ، ٣٢
 شيه : الشاة ٢٤٢ ، الشاء ٢٣٨
 ضبو : ضابحة ١٥٥
 ضرب : ضرب عسكره ٢٤٩ ، ضرب بسهمه ١٣٣ ،
 تضاربهم ٣٤ ، الضرب ٧٦ ، ضرائبه ٣٣١ ، مضطرباً
 ٢٠٨ ، ضرابها ٢٢١
 ضرج : مضرج ٢٦٠
 ضرح : يضرخ ٣٢٥
 ضرس : ضرسكهم ١٧٨ ، الضرس ٢٤١
 ضرى : مثنى الضراء ٢٥١ ، ضراء الأرض ٢٥٩ ،
 الضواري ٢٦١
 ضعف : أضعف ٣٥
 ضغم : ضغم ٢٥٩
 ضغن : تضاغوا ٤٧
 ضليل : الضلال ٢٨٩ ، أضلته ١٢٩
 ضوأ : يُستضاء به ٢٦٠
 ضوى : ضوى إليه ٦٠ ، ضوت ٢٩٦
 ضيع : ضيعة ١٨٣
 ضيف : ضافها ٣٢٩ ، مُضيفاً إليها ٤١

(ط)

طبرزن : الطبرزين ٢٢
 طبع : لا يطبعون ٢٨٣ ، الطبع ٢٨٣
 طرد : تطرد ٧٥ ، المطارد ٢٦٨ ، طودت ٢٣٠
 طرف : عين تطرف ١٥١ ، الطريف ٣٣٠
 طرق : الطارقون ٢٦٢
 طعن : فطعن ٢٢٤
 طسج : الطسوج ٢٩٨
 طغى : طاغ ١٦١
 طفل : المعطائل ٢٠٢ ، ٢٠٤
 طلع : طلع ٦٦
 طلع : الطليعة ٢٣٣
 طمو : بحر طام ١٧٣
 طنين : أطنّها ١٢٥ ، أطن قدمه ٢٤٥
 طهم : المطلهم ٣٩
 طود : الطود ٢٢٤
 طوف : الطوائف ١١٩ ، طائف ١٠٩

(ص)

صبا : الصبا ٨٩ ، الصباء ٢٤٢
 صب : صب به ٣٢ ، الصبب ٣٢ ، انصب منه ١١٨
 صبح : صبحت ٣٣٠ ، واصباح قریش ٢٣١
 صحب : صاحبه ١٤٤
 صحف : صحفة ٣١٠
 صحر : الصحاري ٣٢٥
 صدر : صدور ١٥٧
 صدع : يصدع كبدي ١٩٨ ، الصدع ٢٤٢
 صدغ : صدغيه ٥٦
 صدق : المصدق ٢٣٥
 صدى : الصادى ٣٣٢
 صرخ : استصرخ عليهم ١٦٢ ، استصرخوا ١٥٧
 صرف : صرفاً ١٠٦ ، بالمنصرف ١١٨
 صرم : المصزمة ٢٨٦ ، صارما ٩٤
 صعد : الصعود ١٣٢
 صعر : صعر ٢٧٢
 صغي : مصفيات ٢٣٩
 صفر : بنو الأصفر ٢٦٢ ، أصفار ٢١٦
 صف : الصفقة ١٣١
 صفق : صفق ١٩٠ ، أصفقت ٢٩٠ ، الصفاق ٢٩٠ ،
 صفقتهم معه ١٥٤
 صفو : الصفوي ٢٩٧
 صلب : يصلب ٥٧
 صلت : مصلتين ١٨١
 صلو : شاة مصلية ٢١٤
 صمد : يصمد له ٢٦٢
 صنع : الصنع ٢٨٤ ، الصنائع ٢٤٨ ، نصطنع ٢٨٢
 صوب : تصوب ٢٩١ ، تصوب ١٢٢
 صور : الأصوار ١٣٦
 صوع : الصاع ١١٠ ، المصاع ٢٧٨

طوب : الطوق ١١٠ ، ٢٣٤
طوى : الطي ٢٣
(ظ)
ظأر : الظئر ٣٠
ظمن : الظئنة ٢٩١ ، الظُّنن ١٣٨
ظلل : الظُّلل ١٣٧ ، أظل ٢٧٢
ظلم : ظلم ٢٩٤ ، الظليم ١٧٧ ، الظلامة ٢٢٤
ظماً : الظماء ٢٣٩ ، ظمء ١٤٨
ظهر : ظهوروا ٩١ ، ظاهر بينهما ١٤٠ ، ١٤٨ ، ظاهر المؤمنين ٢٩٨ ، ليظاهروا ٢١٢ ، اظهري ٢٣٣ ، الظهر ١٤٠ ،
ظهرهم ٢٨٤ ، ظاهر ٩٨ ، بين ظهرائهم ٣٢٢
(ع)
عبط : اعتبط ١٠٦ ، عبطا ٢٨٢
عبر : استعبر ٤٧
عبل : المعابل ١٥٧
عتب : يعتهم ٤٧ ، العتبي ٨٢ ، عتب ٢١٣
عتد : الأعَد ٢٢٦
عتو : عتاه ٣٣١
عثن : العثنون ٧٨ ، ٢٣٣
عجج : العجاج ٢١٧
عجر : المعتجر ١٨٠ ، ٢٣٣
عجز : عجزه ٢٤٥
عجف : العجف ٢٩
عجم : استعجم علي ٢٠٠ ، إجمام ٣٣٢
عدد : عدد الناس ١١٩
عدل : عدلت ٣٢٨ ، المعدل ١٧٧ ، عدل ١٠٦
عدو : تعدى ٢٨٦ ، عدوا ١٥٥ ، غدوة ١٤٠
عذر : عُذِر فيه ٢٦ ، ٥٣ ، التعتير ١٨٦
عذق : العذق ٤٩ ، العذيق ٣٢٣
عرب : عربا ١٩٨
عرد : عود ٢٦٠ ، عودت ٢٥٣
عرر : معزة الجيش ٢١
عرش : العريش ١٢٢ ، ٢٦٥ ، الغروش ٢٤٩
عرض : القرضات ٣٢٩
عرض : عرضت في قوله ٢٨٢ ، استعرض البحر ١١٩ ،
عرضوا له ١٢٤ ، عارضيك ١٥٦ ، عرض الوادي ٢٠٤ ،
عرضتها اللقاء ٢٣٩
عرق : عرق من لحم ٢٢٢ ، عرق النسا ٢٩٣
عرقب : عرقوبي الجم ٢٤٥
عرك : العريكة ٣٩ ، المعتزك ٢٢٤
عرن : العرائن ٢٦٠

عرب : عازب العقل ٣٣٠
عز : عزروه ١٥٦
عزز : استعزز به ٣١٤ ، ٣١٥ ، يَعرِّها ٢٤٥ ، عازوا ٦٤ ،
يُعرِّني ٣٩
عزل : المعازيل ١٥٥ ، ٢٦٠
عسب : العسيب ٢٨٩
عسر : الأعسر ٢٢٣
عسف : العسيف ٢٤٧
عشر : العشر ٢١٣ ، العشير ٣٢٨
عصب : فاعتصب بها ١٤١ ، عصبه ٢٦٠
عصر : يُعَصِّر ٢٢٤
عصم : الأعصم ٢٣ ، العصام ٢٣ ، ٩٦
عضب : عَضِب ٢١٣
عضد : لا يعضد ٢٣٧ ، ٢٧٨ ، يعتضده ٢٩٤ ، العَضِد ٢٨٦
عضض : عضت بسيفه ١٤٢
عضه : العضاه ٢٧٨
عطف : عطفتني ١٤٤ ، عطف عليهم ٢٩٦
عطن : العطن ٢٠٣
عفر : المعافر ٢٩٨ ، مغفور ٢٥٩
عفو : عفت ٢٣٨ ، عفوا ٢٨٣ ، تَعَفَّيها ٢٣٨
عقب : يعقب ١٠٦ ، اعتقبوها ١١٨
عقد : اعتقدته ٢٤٦ ، عقد الساحر ٤٩
عقر : عقرها ٢٢١ ، عُقِرَتْ ٣١٩ ، فعقره ١٧٦ ، رفع
عقيرته ١١٠ ، العَقار ٢٩٧
عقص : ذو العقيصتين ٢٨٨
عقق : عَقَّق ١٥٠ ، العقيق ٢١٣
عقل : يتعقلون ١٠٥ ، العقل ٢٤ ، ٣٥ ، ٤٨ ، ٩٤ ، ٩٥ ،
١٠٥ ، ١٢٣ ، المعقول ١٧٩ ، المتعقل ٢٦١
علف : علائف ١٢١
علق : العلق ١٩٧
علل : علل ٢٥٨ ، الغلالة ٢٥١
علم : المُعلم ١٧٦ ، أعلم بعصابة ١٤١ ، أعلموا سيماهم ٢١٦
علو : اعله بالسيف ٢٨٥ ، عال ١٥٠ ، أعلى به عينا ٦٠ ،
العلية ٢٧٥ ، استعلاه ١٤٤ ، عُلياً ٢٤٢
عمد : العامد ٢٩٢
عمر : شجرة عُمرية ٢١٣ ، العمار ٢٦٧
عمس : العماس ٢٢٤
عمى : عمية الصبح ٢٤٣
عنبل : العنابل ١٥٧
عنت : العنت ٥٣

عنجد : العنجد ١٦٩
 عنف : عنفوا عليها ٢٤٧
 عنق : تُعنق ١٧٦ ، المُعنق ١٦١ ، اعتنقني ٢٤٦
 عنن : العنان ١٢٦ ، الأعنة ٢٣٩ ، القنان ٢٢٧
 عنو : العاني ١٠٥ ، العواني ٣٠٥
 عهد : معهد ٣٢٧
 عوج : يعوجا ٣٦
 عود : عائدته ٢٥٢ ، السؤدد العود ٧١ ، العود ٢٢٤ ، عيدان ٢٣٦
 عوذ : العوذ ١٤٧ ، ٢٠٢
 عور : عواثرا ٢٩٤
 عول : أعولي ٣٢٩ ، المعول ٢٣
 عيب : عيبة ٢٠٧ ، عيبتي ٣١٥ ، عيبة نُصح ١٥٤ ، ٢٠٣
 غير : الغير ٧٥ ، ٢١
 عيف : العائف ٣٢
 عيل : عيلته ٤٣
 عين : خذ العيون ٢٢٨
 عني : تعيت علي ١٤٣

(غ)

غير : الغواير ٢٨٦
 غبط : إن يُغبطوا ٢٨٧
 غبق : يُغبقون ١٩٢
 غنت : غنّتي ٤١
 غث : غث ٧٨
 غدد : الغُدّة ٢٨٦
 غدر : غدירתان ٨٣ ، يا لغدره ١١٥
 غدو : غدوا ٢١
 غذو : أغذوه ٤٨
 غرب : الغارب ١٧٤ ، الغروب ٢١٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢
 غرر : الغرة ١٩٠ ، الثَّغرة ٣٢٢ ، أغر ٢٢٤
 غرز : الغرز ٩٩ ، ٢٦٩ ، ألزم غرزه ٢٠٦
 غرقد : الغرقد ٣٠٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠
 غشي : يغشانا ١٠٢ ، غشيه القوم ١٤٦ ، غشاه ١٩٢
 غطمط : تغطمطت ١٥٥
 غفر : الغفافر ٢١٦ ، الأغفار ٢٦١ ، المغفر ١٤٥
 غلب : الغلب ٢٦١
 غلس : يغلس ٣٠٢
 غلغل : مغلغلة ٢٤٠
 غلل : إغلل ٢٠٧ ، غلها ٢١٥ ، الغلول ٢٥٤
 غمد : يتغمد ٣٢٩
 غمر : غُمِر ٣١٣ ، ٣١٥ ، الغمر ١٨
 غمص : مغموصا عليه ٢٧٢

غمم : الغمى ٢١٣ ، غمائم الأبصار ٢١٧
 غني : غناء ٢٠ ، ١٨٨
 غور : يُغور ٣٢٨ ، نغور ١٢٢
 غوغ : الغوغاء ٣٢٠
 غوى : الإغواء ٢٥١
 غيد : الأغيد ٣٣٠
 غير : الغير ١١٦
 غيل : اغتله ٢٨٥ ، الغيل ٢٥٩

(ف)

فأد : المفنود ٢٢٦
 فأو : الفقة ١٤٦
 فنت : لا تفتوا في أعضادهم ١٧٤
 فتل : بقتله في الذروة والغارب ١٧٤
 فحل : الفحل ٥٦ ، ٧٤
 فدر : الفدر ٢٥١
 فدع : القدع ٢٨٣
 فدى : لم يُقد ٢٥٩
 فرث : الفرث ٢٣
 فرج : تفرجوا ٣١٦
 فرح : الفرح ١٠٥ ، المفاريج ٢٦٠
 فرز : فزت ٢١٧
 فرط : تفرط الغزو ٢٧٢
 فرعل : الفرعل ١٧٧
 فرغ : ذات فرغ ٢٢٠
 فرق : أفزق من وجهه ٣١٦ ، الفرق ٦٤ ، ١٥٩ ، فرقوا ٣٧
 ، فرقا ٢٠٠ ، الفرق (مكيال) ١٤٧
 فضخ : فضخته ٥٦
 فسح : فُسح ١٩٨
 فضض : تفضضها ٢٠٤
 فضل : فضولهن ٢٥١
 فعل : فَعَل ١٥٠
 فقح : فقّاحية ١٨٤
 فقر : فقار ٢١٦
 فلج : الفلج ، الفلوج ٣٦ ، ٤٣
 فلذ : الأفلاذ ١٢١
 فلق : الفلق ٢١٦
 فلل : الفل ١٣٥ ، ٢٤٨ ، فلهم ١٣٨ ، مفلول ٢٥٩
 فلي : فلاة ٢٤
 فند : يُفند ٣٣٠ ، ٢٣٠ ، الإفناد ٣٣٢
 فنن : فتن ٢١٣
 فهر : الفهر ٦٨ ، الأفهار ٧٧
 فوز : مفازة ٢٣

فياً : فيء ١٣١

فيض : مُغاضاة ٢٩٤

فيل : لنفيل ٥٨

(ق)

قيل : من قَيْل ١٤٠

قتر : قتره الجيش ٢٠٣

قحف : قَحْفه ١٥٨

قحم : اقتحم عن فرس له ١٧٦ ، ٢٢١ ، عن بعيه ٢٤٤

قدد : القِدْد ٢٨٧ ، يُقَدِّه ٢١

قدح : القِدْح ٢٤ - ٢٧ ، القِداح ٩٨

قدر : قُدِّر ٢٥١

قرب : القُرْب ٢٠٧

قرض : قَرْض ٣٣٢

قرع : القارعة ٦٦ ، أقرع بينهن ١٩٧

قرن : القرن ٢٥٩ ، ٢٩٤ ، القران ١٥٨ ، القُرُون ٢٢٩

قري : قراء ١٣٦ ، القري ١٧٥ ، المقازي ٢٦٢ ، القرينان ٦٩

قزع : القَزْع ٢٨١

قسر : قَسَرْنَا ٢٨١

قصب : القَصْب ٤٣

قصد : القَصْد ٢٩٤ ، المقصد ٣٢٩ ، يقتصده ٢٩٤ ،

يقصدوا ٢٨٦

قصر : القَصْر ٥٦ ، ٧٤ ، تقاصرت ١٢٩

قصف : متقصّفون ٢٤٧

قضم : القَضْم ١٤٤

قضي : قَضِي بَلِيل ٧٣

قطط : القَطَط ٣٩

قطع : لقطعت بالركب ٣٠ ، قواطعهم ٢٤٩

قطف : القطيفة ١٠٢ ، ١٨٠ ، ٣٢٦

قطا : القَطَا ٨٧

قعب : القعبة ٢٥٠

قعد : قعد فيها ١٩

قفع : القَفْعَاء ٢٦٠

قفل : قافلا ١٢٨ ، ١٩٧ ، مقفله ١١٢

قفو : لا تقفو ٢٩٥

قلب : القَلْب ١٢٢ ، القليب ١٢٧ ، ٢٠٣ ، المنقلب ١٩١

قلد : القلائد ٢٠٤

قلص : قلص دمي ٢٠٠

قلع : قلّع ٣٩

قلل : القَلْل ٢٨٧ ، أقللن ٢١١ ، استقل الناس ٢٥٠

قماً : أقمأه ١٤٦

قمر : قَمَرَاء ٢٩

قنب : مقنب ٢٦١

قنص : القَنْص ٥١

قنو : الأَقْنَى ٧٨ ، قَنَّا ٢٢٤

قني : قناة ١٣٩

قول : القالة ٢٥٦ ، قَيْلُ القِيل ٢٥٩ ، القيل ١٥٥

قيل : القَيْل ٢٩٧ ، أَقْلَلْنِي ١٥٥

قين : القيان ١٢٢ ، ١٦٤

(ك)

كأب : كآبة ١٩١

كيب : الكَيْبَة ٢٥٤

كبت : يكبته الله ١٦٦

كبد : الكَبْد ٢٨٦

كبر : كابرأ عن كابر ٣٢ ، كبر الناس ١٩٩ ، كبر ذلك

١٩٩

كيل : مكبول ٢٥٩

ككب : كاتبا ٦٥

ككد : الكَدْد ٣٩ ، ٢٩٤

ككل : المكاتل ٢١١

ككب : كتيب ١٢٨

ككر : كثر الناس ١٩٩

كرر : كررة ١٢٨

كرس : الكرسي ٢٨١

كرع : الكراع ١٤٠ ، ١٧٩

كرم : أكرمه نسباً ٢٨١

كره : الكرّه ٩٠ ، الكريهة ٢٨٧

كسف : كَسَفًا ٥٥

كشش : كَشَّشْتُ ٣٧

كشف : الكَشْف ٢٦٠

كفأ : أنكفأنا ١٤٥ ، ليس له كفاء ٢٣٩

كفف : كَفَّفُوها ٢٩٥ ، استكف له الناس ٢٣٦ ، مكفوفة

٢٠٧

كلأ : كلاءة ٣١ ، يكلؤنا ١٦٨

كلب : كالبوكم ١٧٥

كلثم : المكثم ٣٩

كلم : كلكت ١٤٥

كمش : انكمش ٣١٤

كنز : صاحب كنزهم ١٣٦

كنع : مكنت ٢٨٣

كنف : الكنف ٣٢٩ ، اكتنفهم ١٢٥

كنن : كناتني ٩٨

كهن : كهانة ٤٩

كور : الكورة ٢٩٩

كوم : الكوم ٢٨٢

(م)

مأق : مَأَقِيهَا ٣٣٠
 منع : مَنَعُوا ٢٨٣ ، أَمْنَعَكَ ٢٤٨
 مثل : مَثَلٌ بِهِ ١١٥ ، المَثَلُ ١٥١
 محض : مَحْضُ ١٠٧ ، محضاً ضرائبه ٣٣١
 محل : المِحَال ٢١
 محو : مَحَو ٣٢٧
 مدد : المَدَدُ ١١٠ ، المَدَدُ ٢٨٦
 مدر : المدر ٣٣١
 مرأ : المَرْءُ ١١١
 مرط : يَمْرُطُهَا ٨١ ، المِرْطُ ١٨٠ ، ١٩٨
 مرق : المَتَرَقُ ٢٥١
 مري : أَمَارِي ٢٦١
 مزع : مَزَعُ ١٦٠
 وزن : المَزْنُ ٢٠٢ ، ٣٣٠
 مسخ : المَسْخُ ١٨٢
 مشش : المَشْشَاش ٣٩
 مصع : المِصْعَاعُ ٢٧٨
 مضى : ماضٍ ٢١٣
 مطر : مَطَطَرَاتُ ٢٣٩ ، المَطِيطَرَةُ ٣٢٧
 مطله : مَطْلُهُ ٧٣
 مغث : المَغْثُ ٢٣٩
 مغط : المِغْطُ ٣٨
 ملأ : المَلَأُ ١٢٨
 منح : مَنَحْنَا أَكْنَافَهُ ١٢٨
 ملح : مَلَحْنَا ٢٥٢ ، المَلَاةُ ١٩٦
 منع : المَنَعَةُ ١٠١ ، يَمْنَعُوهُ ٢٤ ، مَمْنَعُ ١٦٠ ، مَمْنَعٌ ٢٤٢
 منن : أَمَنَّ وَأَفْضَلَ ٢٥٦
 مهد : يَمْهَدُ ٣٢٩
 موج : تَمَوْجًا ٣٦
 مير : المِيرَةُ ١٥٥
 ميل : المِيلُ ١٥٥ ، ٢٦٠

(ن)

نأى : أُنْأَى ٢٣٠
 نبأ : نَبَّهَ ٣٣١
 نبت : أَنْبَتَ ١٨٥
 نبذ : تَنَابَذُوا ٤٨
 نبل : التَّنَابُلُ ١٥٧
 نتر : يَنْتَرُهُ ٢٠٨
 نثل : نَثَلَ دَرْعًا ١٢٤

كيس : كَيْسًا ١٦٧
 لا : حَذَفَهَا مَعَ الْفَعْلِ ٣٣١
 لأم : اللَّامَةُ ٩٨ ، التَّامُ ١٣٩ ، التَّامُ ٢٠٦
 لأو : اللَّأَوَاءُ ٢٢٤
 ليب : تَلْيِيبُهُ ٢٠٨
 ليث : اسْتَلْبِثَهُ ١٦٤
 لبد : اللَّبْدُ ٢٩٤
 ليس : تَلَيَّسُوا ١٧٥ ، يَلَيَّسُونَهُ ١٠٧
 لين : ابْنَةُ لَبُونُ ٢٩٧
 لجج : لَجَجَتْ ٣٦ ، لَجَّتْ الْقَضِيَّةُ ٢٠٨
 لجم : لَأَلْجَمْتُهُ ١٢٦
 لحد : يَلْحَدُ ٣٢٥ ، المَلْحَدُ ٣٣١ ، المُلْجَدُ ٣٢٨
 لحم : اللّحْمُ ١٨ ، أَلْحَمَهُ الْقِتَالُ ٢٢١ ، لَأَلْحَمْتُهُ السِّيفُ
 ١٢٦ ، لَحْمًا ١٥٠ ، المَلْحَمَةُ ١٨٤ ، اللّجْمُ ٢٨٧ ، يَلْحَمُ ٢٥٩
 لحن : الْحَنَوَالِي لَحَنًا ١٧٤ ، لَحْنُ ٣٣٢
 لحو : اللَّحَاءُ ٢٣٩
 لحي : لَحْيِي بِعِيرٍ ٤٦
 لدد : يَلْدُونَهُ ٣١٥
 لدم : أَلْدِمَ ٣١٨
 لز : يَتَلَاذِمَانِ ١٢١ ، المَلْزُومَةُ ١٢١ ، الزَّمُ غَرْزُهُ ٢٠٦
 لصيق : اللَّصِيقُ ٢٥
 لطم : اللَّطِيمَةُ ١١٦
 لفس : لَفَسَاءُ ٧٨
 لمع : اللَّعَاعَةُ ٢٥٦
 لمى : لَمَّا لَكَ ٢٥٨
 لفظ : لَفْظَتُهَا ١٥٠ ، اللَّافْظَةُ ٣١٤
 لمع : مَلَعُ ١٦١
 لفو : التَّلَافِي ٨٤ ، أَلْفَاكِمُ ١٢٤ ، تَلَفَيْتُهَا ٢٥٥
 لقح : اللَّقَاحُ ١٩١ ، لَاقَحًا ٢٨٦
 لمز : لَمَزَهُ ٦٨
 لمع : لَمَعَ بَثْوُهُ ٦٣
 لمس : يَلْتَمِسُ ١٢٧
 لمم : مَلْمُومَةٌ ٢٥١
 لهج : اللَّهْجَةُ ٣٩
 لوث : لَاثُوا بِهِ ١٤٥
 لوذ : لَازَ بِهَا ١٨٥
 لوط : لَاطَ لَهُ ١١٧ ، اللَّاطُ ٢٣٠
 لوق : مَا يُلِيقُ شَيْئًا ١٤٢
 لوك : لَآكَنَهَا ١٥٠
 لوم : أَلْمَنَّا ٢٣٩ ، تَلَوَّمُ ٢٦٧
 لوى : أَلَوْتَ بِهِ ٢٨٦

نجد : نُجْد ٣٢٨ ، النُّجْد ٢٨٧	نجد : نُجْد ٣٢٨ ، النُّجْد ٢٨٧
نجد : النواجد ٢٨٤	نجد : النواجد ٢٨٤
نجر : لأناجرهم ١٥٥ ، تاجروه ١٧٧ ، يناجرهم ١٨١	نجر : لأناجرهم ١٥٥ ، تاجروه ١٧٧ ، يناجرهم ١٨١
نجف : النجاف ١٦٤	نجف : النجاف ١٦٤
نجم : نَجْم النفاق ٣٢٧	نجم : نَجْم النفاق ٣٢٧
نجر : النُّجاء ٢٣٢	نجر : النُّجاء ٢٣٢
نحب : النُّحب ١٢٩	نحب : النُّحب ١٢٩
نحر : النُّحر ٣١٨	نحر : النُّحر ٣١٨
نخر : تناخرت ٦٢	نخر : تناخرت ٦٢
نخس : نخسه ١٦٦	نخس : نخسه ١٦٦
نخو : نخوة ٢٣٦	نخو : نخوة ٢٣٦
ندم : ندما ١٧٧	ندم : ندما ١٧٧
ندو : أندى صوتا ١٠٩	ندو : أندى صوتا ١٠٩
ندي : النداء ١٠٨ ، الندي ٢٨٢	ندي : النداء ١٠٨ ، الندي ٢٨٢
نذر : نذروا بهم ١٩١ ، نذرا به ١٦٨ ، نذروا بهم ١٣٦	نذر : نذروا بهم ١٩١ ، نذرا به ١٦٨ ، نذروا بهم ١٣٦
نزع : نازعين ١١٤ ، ينزع ١٨٤ ، نزاع ٢٣١	نزع : نازعين ١١٤ ، ينزع ١٨٤ ، نزاع ٢٣١
نزق : نَزَق ١٦١	نزق : نَزَق ١٦١
نزل : يستنزل نفسه ٢٢٢ ، فاستنزلها ٢٢٩	نزل : يستنزل نفسه ٢٢٢ ، فاستنزلها ٢٢٩
نزو : نَزَوْنَا ٣٢٣	نزو : نَزَوْنَا ٣٢٣
نسا : النُّسَاء ١٩	نسا : النُّسَاء ١٩
نسب : منسوب ٢٥٩ ، أنسب ٤٥	نسب : منسوب ٢٥٩ ، أنسب ٤٥
نسخ : نَسَخ داود ٢٦٠	نسخ : نَسَخ داود ٢٦٠
نسع : النُّسع ٨٩	نسع : النُّسع ٨٩
نسم : المنسم ١٩٠	نسم : المنسم ١٩٠
نسي : النُّسا ٢٩٣	نسي : النُّسا ٢٩٣
نشج : نشيجا ٣٦	نشج : نشيجا ٣٦
نشد : الناشد ٢٢٦	نشد : الناشد ٢٢٦
نشر : ناشرا ٢٩٤	نشر : ناشرا ٢٩٤
نشط : النُّشَط ٩٠ ، نشطه ذلك ١١٩	نشط : النُّشَط ٩٠ ، نشطه ذلك ١١٩
نصب : نَصَب ٤٣ ، نصبتا ٢٨٣ ، أنصاب الحرم ٢٢٥	نصب : نَصَب ٤٣ ، نصبتا ٢٨٣ ، أنصاب الحرم ٢٢٥
نصف : النُّصْف ٢٦٥	نصف : النُّصْف ٢٦٥
نصو : تناصبني ١٩٩	نصو : تناصبني ١٩٩
نضج : انضج ١٤٠ ، انضحوهم ١٢٥ ، الناضح ٢٦٤ ،	نضج : انضج ١٤٠ ، انضحوهم ١٢٥ ، الناضح ٢٦٤ ،
٢٦٥ ، النواضح ١٢٣	٢٦٥ ، النواضح ١٢٣
نضد : المنضد ٣٢٨	نضد : المنضد ٣٢٨
نطس : تنطس ٨٩	نطس : تنطس ٨٩
نطف : النطفة ٢٢٢	نطف : النطفة ٢٢٢
نطق : ذات النطاقين ٩٧	نطق : ذات النطاقين ٩٧
نظم : انتظمها ١٩٢	نظم : انتظمها ١٩٢
نعم : أنعمت ١٥٠ ، النعم ٢٣٨	نعم : أنعمت ١٥٠ ، النعم ٢٣٨
نفت : نفت الساحر ٤٩	نفت : نفت الساحر ٤٩
نفع : نفحهم بها ١٢٦	نفع : نفحهم بها ١٢٦
نفد : النُّفْد ٢٨٧ ، أنفدها ١٦٨	نفد : النُّفْد ٢٨٧ ، أنفدها ١٦٨
نفذ : نُفِذها ٢٢٠	نفذ : نُفِذها ٢٢٠
نفر : نافرونا ١٩٣	نفر : نافرونا ١٩٣
نفل : النفل ١٢٨	نفل : النفل ١٢٨
نقد : مُنْتَقِد ٢٨٧	نقد : مُنْتَقِد ٢٨٧
نقر : المنقار ٢٦٢	نقر : المنقار ٢٦٢
نقض : أنقض به ٢٤١ ، النقيض ٢٤٩	نقض : أنقض به ٢٤١ ، النقيض ٢٤٩
نقع : انتقع لونه ٧٤ ، منتقعا لونه ٥٦ ، النُّقع ١٢٦ ،	نقع : انتقع لونه ٧٤ ، منتقعا لونه ٥٦ ، النُّقع ١٢٦ ،
٢٣٩ ، الناقع ١٢٣	٢٣٩ ، الناقع ١٢٣
نقل : منقلة ٢١٢	نقل : منقلة ٢١٢
نقم : ذي نعمات ٢٥٩	نقم : ذي نعمات ٢٥٩
نكب : النكيب ٢٨٧ ، مناكب ٢١٦	نكب : النكيب ٢٨٧ ، مناكب ٢١٦
نكد : لا ينكد ٣٢٩	نكد : لا ينكد ٣٢٩
نكر : مناكير ٢٥٠	نكر : مناكير ٢٥٠
نكس : أنكاس ٢٦٠	نكس : أنكاس ٢٦٠
نمرق : النمارق ١٤٢ ، ١٦٧	نمرق : النمارق ١٤٢ ، ١٦٧
نمس : الناموس ٤٢	نمس : الناموس ٤٢
نمط : النمط ٤١	نمط : النمط ٤١
نهب : النُّهب ٢٥٥ ، ٢٨١	نهب : النُّهب ٢٥٥ ، ٢٨١
نهد : أنهد فتى ٤٨	نهد : أنهد فتى ٤٨
نهر : نُهَر ١٧٧	نهر : نُهَر ١٧٧
نهم : انتهى ٢٢٢	نهم : انتهى ٢٢٢
نهل : أنهلَكَ ٢٥٨	نهل : أنهلَكَ ٢٥٨
نهم : ذو نعمة ٢٨٧	نهم : ذو نعمة ٢٨٧
نهنه : ينهنها ٢٣٩	نهنه : ينهنها ٢٣٩
نهي : النُّهي ٢٥١ ، ٢٩٤ ، ذو نُهيَة ٢٨٧	نهي : النُّهي ٢٥١ ، ٢٩٤ ، ذو نُهيَة ٢٨٧
نوا : نوء السماك ٢٨٦	نوا : نوء السماك ٢٨٦
نوح : النُّوح ٢٨٧	نوح : النُّوح ٢٨٧
نوخ : فأنأخا ١٢١ ، منأخها ١٢١ ، أنخه ١٦٦	نوخ : فأنأخا ١٢١ ، منأخها ١٢١ ، أنخه ١٦٦
نوم : نَوَم الناس ٢٢٣	نوم : نَوَم الناس ٢٢٣
نيب : ناب القوم ٢٧٦ ، أنيابها ٢٥٣	نيب : ناب القوم ٢٧٦ ، أنيابها ٢٥٣
(هـ)	
ها : لاها الله ٦١	ها : لاها الله ٦١
هيب : أهب صاحبه ١٦٨	هيب : أهب صاحبه ١٦٨
هيج : لم يهيجهن ١٩٧	هيج : لم يهيجهن ١٩٧
هبط : يهبطوا ٢٨٧	هبط : يهبطوا ٢٨٧
هيو : الهبأة ٢٥٣	هيو : الهبأة ٢٥٣
هتف : الهاتفة ١٤٤	هتف : الهاتفة ١٤٤
هجد : هَجَّدَا ٢٢٧	هجد : هَجَّدَا ٢٢٧
هجر : يهجر ٣٠٢ ، الهجير من القول ٢٠١ ، الهاجرة	هجر : يهجر ٣٠٢ ، الهجير من القول ٢٠١ ، الهاجرة
٣٠٢	
هجع : لم أهجع ٢٥٥	هجع : لم أهجع ٢٥٥

وشد : متوشحاً ٥١ ، ٦٤ ، ١٩١
 وشل : الوشل ٢٦٨
 وصل : أوصال ١٦٠ ، ١٦٩
 وصى : الوصاة ٥٠
 وضع : أضع ٢٤٢ ، الموضوع ٣٠٤
 وطس : الوطيس ٢٤٥
 وطف : وطفاء ٢٤٢
 وعب : أوعيت ١١٧ ، أوعبوا ٣٠٦ ، لم يوعب ١٠٣
 وعث : وعثاء السفر ١٩١ ، أوعث ١٦١
 وعد : أوعدي ٢٣٠
 وعك : الوعك ١٠٩
 وعي : واعية ٥٠ ، ٧٣
 وفد : الوافد ٢٩١
 وفر : وافرين ٢٠٢
 وفر : أوفره ٧٢
 وقع : وقعة ٦٣
 وكف : نوكتناه ١٠٠
 ولج : ولوجا ٣٦
 ولد : لئتان ٢٨ ، مؤلدا ٥٧
 ولي : أولي لك ٢٦٥ ، ولي الحجة ١٣٥ ، ١٦١ ، ٢١١
 ومق : الوامق ١٤٢
 وهق : يواحق ناقته ١٦٦
 وهن : وهنتموني ٢٥٣ ، لهن ٩٧
 وهي : يوهون ٢٨٣
 ويه : وأما لك ٢٧٨ ، وبها ١٣٩ ، ١٤١

(ي)

يأس : ياس ١٦٠
 يعر : يُعار الشاة ٢٤١
 يفع : يافوخه ١٨ ، ٤٢
 يفع : غلام يفعه ٢٨
 يمم : تيممه ٢٩٤
 يمن : ميمون النقية ٢٢٤

هذب : أهدب ٣٩
 هدد : تهدد ١٥٥ ، بهد الناس ١٤٢
 هدف : تهذف ٨٣
 هدم : الهدم ٨٨
 هرس : المهراس ١٤٨ ، الهزاس ٢٥١
 هرق : هراق مائه ١٧٤
 هصر : تهصرت ٣٣
 حلب : الهلباء ٢٨٤
 هلع : الهلع ٢٨٣
 هليل : تهليل ٢٦٠
 همد : تهمد ٣٢٧
 همز : الهمة ٦٨
 حمل : حملت عيناى ١٦٠
 هنا : يهتأها ١٢٤
 هند : المهند والهندي ٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
 هنم : الهنمة ٦٥
 هوم : هامتة ٥٦ ، الهامة ١٤٨
 هوي : تهوي ١٦٩ ، هويًا ٢٨٢ ، هويًا من الليل ١٧٩
 هيج : الهيجاء ٢٦٠
 هيل : تهيل ٣٢٨ ، لانهاالت ١٧٢
 هيم : المهيممة ٧٧

(و)

وتد : وتده ٢٩٤
 وتغ : توتغ ١٠٦
 وثق : وثاق ١٦٠
 وجأ : يجأ في عنقه ٢٦٦
 وجب : أوجب طلحة ١٤٨
 وجد : وجدت ١٩٨ ، توجد (توجد) ٣٢٨ ، الجدة ٢٥٥ ،
 جدة وجدتموها ٢٥٦
 وجن : الوجنة ١٤٥
 وجه : وجهنا ٨٦
 وحش : وحشي القدم ٣٢٤
 وخش : الوخش ١٥٥
 ودك : الودك ٢٣٣
 ورق : الأوراق ١٤٢ ، الورق ٢٣٤
 ورك : متوركتك ٢٤٨
 وري : يورون ١٧٢
 وزر : وزير ٧٩
 وسد : غير موسد ٢٢٤
 وسط : الشطة ٣٥ ، ٥٢ ، أوسطهن ٢٥ ، الوسيط ٩٤
 وسق : استوسق ٦٣ ، استوسقوا ١٢٤
 وشب : الأوشاب ٢٠٤